

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

مزاورة التعليم العالمي و البحث العلمي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة .

كلية: أصول الدين .

قسم: مقارنة الأديان .

الأمير

نصيب

التقنيات و الإنجيل و التقنيات

(دراسة مقارنة)

(أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في مقارنة الأديان)

إشراف الدكتور:

محمد زمران

إعداد الطالب:

محمد بوارويح

لجنة المناقشة:

أ.د..... (رئيسا)

أ.د..... (عضوا)

د..... (عضوا)

د..... (عضوا)

د..... (عضوا)

السنة الجامعية 1420/1421 هـ الموافق لـ 2000/99 م

نامنا : فهرس الموضوعات

الباب الأول :

النبوة : معناها ، صلتها بالوحي و الرسالة و حاجة البشر إليها .

2

تمهيد

3

الفصل الأول : معنى النبوة و صلتها بالوحي الإلهي .

3

المبحث الأول: معنى النبوة في اللغة و الاصطلاح .

3

المطلب الأول : معنى النبوة في اللغة .

11

المطلب الثاني : معنى النبوة في الاصطلاح .

21

المبحث الثاني: النبوة و الوحي الإلهي .

27

الفصل الثاني : النبوة و الرسالة و حاجة البشر إليهما .

27

المبحث الأول : النبوة و الرسالة .

32

المبحث الثاني: حاجة البشر إلى النبوة و الرسالة .

الباب الثاني :

النبوة في التوراة .

تمهيد :

41

الفصل الأول: تعريف التوراة و تطور مفهوم النبوة في العهد القديم .

41

المبحث الأول : تعريف عام بالتوراة و أسفارها .

44

المبحث الثاني : تطور مفهوم النبوة في العهد القديم .

52

الفصل الثاني: ألواح موسى و نبوة الرؤى المنامية و الأحلام .

52

المبحث الأول : ألواح موسى (عليه السلام) و مصدريتها للنبوة عند بني اسرائيل .

56

المبحث الثاني : نبوة الرؤى المنامية و الأحلام .

61

المبحث الثالث : نقد النبوة القائمة على الرؤى و الأحلام .

61

المطلب الأول : من حيث المعنى الاصطلاحي للنبوة .

63	المطلب الثاني : من حيث دلالة الرويا على النبوة .
66	الفصل الثالث: التنبؤات المستقبلية و الكهانة في التوراة.
66	المبحث الأول : التوراة و التنبؤات المستقبلية .
75	المبحث الثاني : النبوة و الكهانة في التوراة .
85	الفصل الرابع:نبوة محمد (ص) و نتائج عقيدة النبوة في التوراة
85	المبحث الأول : نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) في التوراة .
90	الاستدلال الأول : الاستدلال بالولادة الطبيعية لموسى و محمد (عليهما السلام) .
92	الاستدلال الثاني :تشابه موسى و محمد (عليهما السلام) في أذى قومهما لهما .
94	الاستدلال الثالث :تشابه شريعة محمد وموسى (عليهما السلام) في القصاص .
96	الاستدلال الرابع :تشابه شريعة محمد وموسى(عليهما السلام)في الإصلاح النفسى و الاجتماعى.
97	الاستدلال الخامس : أمية موسى و محمد (عليهما السلام) .
99	المبحث الثاني : نتائج عقيدة النبوة في التوراة و نقدها.
99	المطلب الأول : إنكار عصمة الأنبياء .
110	المطلب الثاني : عدم صلة النبوة بالوحي الإلهي .

الباب الثالث :

النبوة في الإنجيل

تمهيد :

	الفصل الأول :تعريف عام بالإنجيل و العقيدة النصرانية.
121	المبحث الأول : الأناجيل المسيحية .
121	المطلب الأول: الأناجيل الأربعة.
124	1- إنجيل متى.
125	2- إنجيل مرقس.
126	3- إنجيل لوقا.
127	4- إنجيل يوحنا.
129	المطلب الثاني : إنجيل برنابا.

- 135 المبحث الثاني : العقيدة النصرانية ومصدرينها للنبوة في الإنجيل .
- 135 أولا : عقيدة التثنيث .
- 139 ثانيا : عقيدة الصلب و الفداء .
- 144 الفصل الثاني: الوحي و النبوة و خوارق المسيح في الإنجيل و موقف القرآن منها.
- 144 المبحث الأول : المفهوم العام للوحي و النبوة في الإنجيل .
- 148 المبحث الثاني : خوارق المسيح و دلالتها على النبوة في الإنجيل .
- 156 المبحث الثالث : نقد النبوة القائمة على الخوارق .
- 156 المطلب الأول : بيان المصدر الإلهي للخوارق من نصوص الإنجيل.
- 161 المطلب الثاني : خطأ التعويل على الخوارق لتحقيق غرض النبوة .
- 167 المبحث الرابع : موقف القرآن من معجزات المسيح (عليه السلام) .
- 172 الفصل الثالث:الإخبار عن المغيبات و نبوة محمد و نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل.
- 172 المبحث الأول : نبوة الإخبار عن المغيبات في الإنجيل.
- 172 المطلب الأول : تفريق الإنجيل بين النبوة و الألوهية .
- 179 المطلب الثاني : النبوة و الملكوت في الإنجيل .
- 182 المطلب الثالث : النبوة في الإنجيل و عقيدة الإخبار عن موت المسيح و قيامته .
- 184 المبحث الثاني : نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) و المسيح في الإنجيل.
- 185 المطلب الأول : نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) في الأناجيل الأربعة .
- 189 المطلب الثاني : نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) في إنجيل برنابا.
- 193 المطلب الثالث : إنجيل برنابا و نبوة المسيح .
- 195 المبحث الثالث: نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل .
- 195 المطلب الأول : إثبات العصمة للمسيح دون غيره من الأنبياء.
- 196 المطلب الثاني : عدم وضوح مفهوم النبوة في الإنجيل.

الباب الرابع :

النبوة في القرآن الكريم

تمهيد :

- 199 الفصل الأول: معنى القرآن و مصدره الرباني و صلته بالنبوات و الرسالات.
- 199 المبحث الأول : معنى القرآن و مصدره الرباني.
- 199 المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي.

- 199 الفرع الأول : المعنى اللغوي .
- 202 الفرع الثاني : المعنى الاصطلاحي .
- 203 المطلب الثاني : المصدر الرباني للقرآن و ضرورته لإثبات النبوة .
- 208 المبحث الثاني : صلة القرآن بالنبوات و الرسائل :وحدة المصدر و الغاية .
- 213 الفصل الثاني: العصمة و فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة في القرآن .
- 213 المبحث الأول : عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : معناها و أدلة وجوبها .
- 213 المطلب الأول : المعنى اللغوي و الاصطلاحي للعصمة .
- 215 المطلب الثاني : أدلة وجوب العصمة .
- 215 الفرع الأول : الأدلة النقلية .
- 217 الفرع الثاني : الأدلة العقلية .
- 219 المطلب الثالث : عصمة الأنبياء في القرآن: إثبات النبوة و دفع الشبهة .
- 219 الفرع الأول : القرآن الكريم و شبهة معصية آدم (عليه السلام) .
- 222 الفرع الثاني : القرآن الكريم و شبهة معصية نوح (عليه السلام) .
- 223 الفرع الثالث : القرآن الكريم وشبهة إبراهيم (عليه السلام) .
- 226 الفرع الرابع : القرآن الكريم و شبهة معصية يوسف (عليه السلام) .
- 226 الوجه الأول : رد الشبهة بالاعتماد على الاشتقاق اللغوي لمعنى الهم .
- 226 الوجه الثاني : رد الشبهة بالاعتماد على اختلاف القصد من الهم .
- 228 الفرع الخامس : القرآن الكريم و شبهة معصية موسى (عليه السلام) .
- 229 الفرع السادس : القرآن الكريم و شبهة معصية داود (عليه السلام) .
- 231 الفرع السابع : القرآن الكريم و شبهة معصية النبي الخاتم (عليه الصلاة و السلام) .
- 237 المبحث الثاني : القرآن و موقفه من فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة .
- 237 المطلب الأول : القرآن الكريم و موقفه من فكرة النبوة البشرية الخارقة .
- 248 المطلب الثاني : المعجزة في القرآن الكريم و مدى دلالتها على النبوة .
- 252 الفصل الثالث : النبوءات الغيبية و إرهاصات النبوة الخاتمة في القرآن الكريم .
- 252 المبحث الأول: النبوءات الغيبية في القرآن .
- 254 المطلب الأول : مايتعلق بمستقبل الإسلام .
- 257 المطلب الثاني : ما يتعلق بالقرآن من حيث التحدي به و بيان إعجازه .
- 258 المطلب الثالث : ما يتعلق بتبني الإسلام محمد (صلى الله عليه و سلم) .
- 259 المطلب الرابع : ما يتعلق بعاقبة الإيمان و الكفر .

268	الفرع الأول: بالاستعانة بفصوص الأنبياء (عليهم السلام) .
260	الفرع الثاني: بتبشير المؤمنين بدخول مكة .
261	الفرع الثالث: الإنبياء بانتصار الروم بعد غلبها.
262	الفرع الرابع: الإخبار بما سيكون من أحوال اليهود .
263	الفرع الخامس: الإخبار بما سيكون من أحوال المشركين .
264	المبحث الثاني: إرغاصات النبوة الخاتمة: الغرض منها و دلالتها على النبوة . ^١
270	الفصل الرابع: دلائل ختم النبوة و خصائص النبوة الخاتمة.
270	المبحث الأول: دلائل ختم النبوة . ^٢
270	المطلب الأول: الأدلة العقلية على ختم النبوة من القرآن و السنة .
270	الفرع الأول: ختم النبوة من القرآن الكريم.
275	الفرع الثاني: ختم النبوة من السنة النبوية .
276	المطلب الثاني: الأدلة العقلية على ختم النبوة .
281	المبحث الثاني: خصائص النبوة الخاتمة .
281	المطلب الأول: ثبوت النبوة الخاتمة بالبرهان العلمي والعقلي: ثبوتها بنفسها .
285	المطلب الثاني: إثبات النبوة الخاتمة لغيرها من النبوات . ^٣
	الباب الخامس :
	النبوة في التوراة والإنجيل و القرآن: أوجه التشابه و الاختلاف .
289	الفصل الأول: أوجه التشابه.
289	المبحث الأول: الخبر كمعنى ظاهر للنبوة في التوراة و الإنجيل و القرآن .
290	المطلب الأول: التوراة و القرآن و خبر الكون و الإنسان .
293	المطلب الثاني: التوراة و القرآن و خبر الأنبياء (عليهم السلام) .
302	المطلب الثالث: الخبر في نبوة الإنجيل .
303	المبحث الثاني: تشابه الخطاب و الأمر الإلهي في التوراة و الإنجيل و القرآن .
306	الفصل الثاني: أوجه الاختلاف .
306	المبحث الأول: شمولية مفهوم النبوة في القرآن و محدوديته في التوراة و الإنجيل .
308	المطلب الأول: شمولية علم الغيب .
314	المطلب الثاني: المعجزة .
318	المطلب الثالث: الأنبياء

- 325 المبحث الثاني: اختلاف موقف التوراة و الإنجيل و القرآن من عصمة الأنبياء .
- 336 المبحث الثالث : اختلاف وظيفة النبي في التوراة والإنجيل و القرآن .
- 343 الخاتمة .
- 347 الفهارس العامة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإشكالية⁽¹⁾ وأهمية الموضوع:

البحث في النبوة بوجه عام بحث ذو منطقتين⁽²⁾ كثيرة، والحديث عنها حديث نو شجون⁽³⁾؛ لأن النبوة في حقيقة الأمر فكرة جامعة وعتيدة شائعة وبتشعبة في النكر الإنساني، وهذه الخاصية فإن الباحث فيها يعرض له من قضاياها ومسائلها ما لم يكن يتصدده، ويذهب به مذاهب شتى يصعب معها تحديد معالمها وحدودها، وتطورها التاريخي، هذا علاوة على أن النبوة هي الأسس الجامع في إثبات العقيدة؛ بل لا تتحقق مسائل العقيدة إلا بتحقيقها ولا ينسأل السراد من تعاليم الدين إلا بعرفتها، وتفصيل ذلك أنه إذا قلنا بعموم المفهوم على طريقة المناطقة، فإن معنى النبوة في هذا المقام هي عتيدة الإخبار عن الغيب بغض النظر عن مصدر هذا الغيب، سواء كان أسطوريا غريزيا كما في عقائد البدائيين، أم كهنوتيا كما في عقائد المسيحيين، أم نغميا كما في عقائد بني إسرائيل، أم وحيًا إلهيًا كما في عتيدة الإسلام، فأيا كان مصدر هذا الغيب، فهو شعور فطري ثابت في عقائد البشر على مر العصور وكر الدهور، والإخبار الذي هو الركن الأساس، الذي تقوم عليه عتيدة النبوة، لا يتحقق إلا إذا كان هناك تصور ما لذات إلهية قدسية، هي

(1) - مصدر سناسي، و من مرادفاته الإشكال و المشكلة (كذا في اصطلاح اللغويين) أو هي كلها من مصدر أشكل بشكل إشكال و إشكالية و مشكلة، و معناها بوجه عام: سؤال مطروح يتطلب حلا، و بوجه خاص: مسألة عقلية أو نظرية لا يوجد لها مباشرة حل مطابق.

يقول الجرجاني (علي بن محمد) (740-816م-134-1413م) في تعريفه مادة، أشكل: "المشكل ما لا ينال المراد

منه إلا يتأمل بعد الطلب". الجرجاني، التعليلات: تحقيق عبد المنعم الحفني (دار الرشد بدون تاريخ)، ص 244. نشر في هذا المسند:

أسد المايد و آخرون، المعجم العربي الأساسي (المنظمة التربوية للتربية و الثقافة و الفنون UNESCO) (توزيع لاروس LAROUSSE 1989، ص 698.

محمد عثمان الخشت، فن كتابة للبحوث العلمية و إعداد الرسائل الجامعية (الجزائر إدار رحاب للطباعة و النشر و التوزيع بدون تاريخ)، ص 21.

(2) - منطلق: مشكلة الشيء، موضعه و ماكنه الذي يتلخ فيه وجوده. أحمد المايد و آخرون، المرجع السابق، ص 81.

(3) - يقال: "الحديث وشجون" أي فنون متشعبة تأخذ منه من طرف فلا تلبث حتى تكون في آخره بمرسعادة له منه عالم

متن تأسده.

أحمد المايد و آخرون، المرجع السابق، ص 682

هـ صدر الخبر اليقين ، و ذلك بتورية هي العقلية لهذا الخبر ، و المسئلة في كوكبة الانبياء و المرسل الكرام (عليهم السلام) : الذين ارسلهم الله سبحانه و تعالى تروى لتبليغ رسالته الى الناس ؛ غير ان هذا السمل التبليغي ، تكلف بليمته و تسمو حقيقته من جماعة دينية الى اخرى ، و لا يمتنع بنا تتبع ذلك في كل ملة و نحلة ، و انما حسبي ان اقف على حقيقتها في الديانات الثلاث معقولة في التوراة و الانجيل و القرآن ، و سر الموضوع الذي انا بسدد البحث فيه ؛ فالنبوة في هذه ايماننا ، فمذبح إشكالات كثيرة ، فاذا صح القول بالمساكلة جريا على طريقة البلاغيين ، و التي تعني عندهم الاتفاق في اللفظ و الاختلاف في المعنى ، فلا شك ان هذه المساكلة قائمة في مصطلح النبوة ، حله في ذلك مثل المسيحيات و النمايم في شتى الابحاث و الدراسات ، و يعقل هذا ان النبوة التي هي علم من علوم مقارنة الاديان ، من اشد اثاران البحث عرضة لهذه المساكلة ، من حيث علوم اللفظ في التوراة و الانجيل و القرآن ، و لكن مع بناء مدلولاتها و مفاهيمها مسايزة في كل عقيدة.

فالتبويب هذه المعاني التي اوردتها من لفظة مشتركة بين اليهودية و المسيحية و الاسلام ؛ و لكن يتل الاختلاف قائما بينهما في المفهوم ، فهي في الفكر المسيحي غيرها في الفكر اليهودي ، و هي فيهما مما عبرها في الفكر الإسلامي ، متمثلا في الاصل الجامع في ذلك وهو القرآن الكريم.

و لعل هذا الاختلاف سرده بالدرجة الاولى الى طبيعة كل دين و كذا وجهته العقدية.

و بيد هذا العرض تتجلى إشكالية البحث فيما يلي:

1- عدم موافقة اللفظ للمعنى ، عند تناول مفهوم النبوة عند اهل الكتاب ، و أعني به ورود مصطلح نبوة في التوراة و الانجيل بنير ما يعبر عن معناه المتبادر الى الذهن من ظاهر اللفظ ، فكثيرا ما يرد لفظ النبوة في النصوص التوراتية بمسيفة سيئة ، كما يحصل الخلط بينها و بين الروى النامية ، و هي كذلك في الانجيل تختلف بالعرفان و الشهادة ، فلا يعرف سبب هذا ولا المراد منها ، و من ثم يسبب تحديد مفهوم واضح لها على النحو الذي يرضه القرآن الكريم.

2- اختلاف المفهوم بشأن النبوة حتى بين الأسفار اليهودية و الإنجيل المسيحية نفسها ، و هذه الإشكالات من شأنها أن تعقد مهمة الباحث في مثل هذه الموضوعات ، و على رأسها موضوع النبوة، و تحتم علي تقديم بعض الطول و فروض حلها و التي تتضح معالمها كما يلي:

1- تتبع عقيدة النبوة مع مراعاة التطور التاريخي لهذا المصطلح في الفكر اليهودي ، و كذا في الفكر المسيحي .

2- تحديد مفهوم النبوة وفق تصور المسيحيين و اليهود لعسل النبي ووظيفة النبوة و خاصيتها ، و استبعاد تحديد المفهوم اعتمادا على ما يوحى به اللفظ ، و ما يدل عليه المصطلح بسبب الاختلاف الثابت الحاصل كما أسلفت .

و الحديث عن الإشكالية يمر حتما إلى الحديث عن أهمية الموضوع ، و التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- الأهمية التاريخية ، لمعرفة تطور العقيدة في الفكر اليهودي و الفكر المسيحي ، و التي يعول عليها كثيرا في تسليط الضياء على الحلقة المنقودة في التوراة و الإنجيل و هو الوحي الإلهي ، الذي يعد المصدر الأساس في تسيير النبوة.

2- الأهمية الدلالية ، من حيث (1) أن النبوة، هي حلقة وصل بين كثير من العقائد ، فلا حديث عن الألوهية مثلا من حيث هي إثبات الذات و الصفات ، إلا بالحديث عن النبوة ، التي هي العقيدة الوسطى بين كل ذلك.

(1) دور الدور في تفصيلات نحوية ، نقول القاعدة المتعارف عليها : " تكسر إن بعد حيث "، ولكن قد أجاز مجمع اللغة العربية بسمرة فتح إن و كسرها بعد حيث .

أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختيار الموضوع يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- إن الدراسة المستفيضة و الواعية لنصوص التّوراة و الإنجيل تعين بالضرورة على إدراك حقيقة ، و هي أن كتبة التّوراة و الإنجيل أعطوا مفهوما مضطربا و غير متسق للخبوة ، و هو ما يقوي الاعتقاد عند كل باحث منصف بتحريف التّوراة و الإنجيل ، هذا علاوة على الإشارة المبرّحة في القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة ، مما يقطع الشك باليقين بشأن هذه المسألة التي تنازعها الأهلواء و المشارب ، و ظل علماء الأديان حيالها بين مثبت لها و منكر.

2- إن الحملة اليهودية و المسيحية على أنبياء الله ، و هم صنفة خلقه و خاصتهم، كان حافزا لي للكتابة في هذا الموضوع ؛ لمليّ أسهم إلى جانب دراسات الباحثين المسلمين - في هذا المجال - في درأ ما ألصقه اليهود و المسيحيون بالأنبياء من شبهات ، هم أبعد ما يكونون عنها بحكم و ظيقتهم السامية و رسالتهم المقدسة ، هذا إلى جانب تثبيت بعض المفكرين المسلمين بهذه الشبهات أو ببعضها على أضعف الإيمان و دفاعهم الستميت عنها ، و ذلك وقوعا تحت تأثير الإسرايليات ، و التي عجّت بها كتب التاريخ و الفكر الإسلامي ، و التي تحتاج إلى كثير من التمهّيص و إعادة النّظر لما اشتملت عليه من مسائل ملفّقة و أحكام مخلوطة ، و في مقدمتها مسألة النّبوة ، و ما تفرع عنها من أحكام.

3- لقد ظهرت منذ مدة قضية تحمس لها كثير من المفكرين الغربيين ، و حتى بعض المفكرين المسلمين ، و هي قضية وحدة العقائد و الأديان ، و التي يهدف واضعوها ، الذين تولّوا كبرها إلى الجمع بين التّوراة و الإنجيل و القرآن ، في بوتقة واحدة ، و إذابة عنصر التفاضل بين الأديان ، هذا على الرغم من الاختلافات الجوهرية بين هذه الأديان و العقائد في مسائل كثيرة و على رأسها مسألة النّبوة ، و هنا الاختلاف الجوهرية - الذي لا محيص عن الاعتراف به - يحول دون حصول هذه الوحدة السوهرمة و بخاصة إذا علمنا - كما نقل ذلك عن المحقّقين في تاريخ النّبوات - من أنّ هناك شكوكا كثيرة تحوم حول التّوراة و الإنجيل فيما يتّصل بسندها و منتها.

أما القرآن الكريم فقد ثبتت صحته بالتواتر ، و تلقّأها الناس جميعا بالقبول ، و من ثمّ فلا بدّ من جعله مرجعا لإثبات كل قضية من قضايا العقيدة ، و منها قضية النّبوة.

1- محاولة تقديم صورة صحيحة للنبوة ، كما جاءت بها الرسائل السماوية بعيدا عن التأويلات الشاذة و الآراء الخاطئة.

2- بيان أن الدراسة الموضوعية لنصوص التوراة و الإنجيل، وخاصة ما يتعلق منها بقضية النبوة من شأنها أن تعرّي صفحة اليهود و المسيحيين و تنفي ادعائهم بأنهم أحباب الله و أتباع الأنبياء و ورثة الرسائل ، و هم في حقيقة أمرهم مبدعون لا سبّعون، و أتباع أهواء لا أتباع أنبياء.

3- بيان أن دراسة النبوة ينبغي أن تنسدر كل الدراسات الفكرية و العقديّة، و أن تستقطب اهتمام الباحثين المسلمين ؛ لأنها تنبني عليها قضايا جوهرية تكمن أهمية بالفئة في الفكر العقدي الإسلامي.

الدراسات السابقة و نقد المصادر و المراجع:

أما عن الدراسات السابقة ، فليست أزعم أنني أول من ادلى بدلوه في هذا الموضوع ، فالباحث كما مر سلطرم لا ينطلق من فراغ و لا ينشأ بحثه من عدم ، بل يبدأ من حيث انتهى غيره ، فعمل الباحث لا يعدو أن يكون لبنة في البناء العلمي العام ، و في هذا الصدد ، أقر أن ملامح و معالم هذا الموضوع ، الذي أروم دراسته ، تبينت لي من خلال قراءاتي الكثيرة و المركزة لكتب السيرة النبوية ، و التاريخ الإسلامي ، و كتب العقيدة و الفكر الإسلامي بوجه عام ، و أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه محمد رشيد رضا في (الوحي المحمدي)⁽¹⁾ الذي فسّته كثيرا من المقابلات العقليّة بين عقيدة النبوة في الإسلام ، و بين عقيدة النبوة في التوراة و الإنجيل، و هذه المقابلات تكثف عن حلقة مفقودة في كثير من الأبحاث و الدراسات المتصلة بتاريخ النبوة ، و هي حلقة الوحي الإلهي التي تعد المنطق الأول لكل دراسة في هذا المجال.

إن الدراسة المسفّضة للوحي الإلهي ، تجعل مهمة الباحث مهمة موضوعية و بحثه بحثا مرجعيا و أصيلا ، من حيث استدلاله فيه على كل قضية بدليل من هذا الوحي ، الذي هو مصدر كل عقيدة إلهية.

(1) - وضعه صاحب تفسير المنار محمد رشيد رضا (1282 - 1354 هـ / 1865 - 1935 م) : و هو فقيه و مصلح لبناني ، و حل إلى مصر و تقلّد على الشيخ محمد عبده ، و أصدر بمصر مجلة " المنار " لنشر آرائه في الإصلاح الديني و الاجتماعي له " تفسير القرآن الكريم " المسمى " تفسير المنار " .

ومن مصادر هذه الدراسة العلمية أيضا ما كتبه الرّازي محمد فخر الدّين في "عسرة الأنبياء"، وهو المعروف كما يُنقل عنه المحقّقون في الآثار بجمعه بين النقل والعقل في إثبات العقيدة، وهو المنهج الذي أروم الوقوف عنده كثيرا والالتزام به في بحث مسألة النبوة كما وردت في التّوراة والإنجيل والقرآن.

ومن المصادر التي سأعول عليها كثيرا في تفصيل جوانب هذا البحث، هي كتب التّفاسير، ولو أنّني سألتزم حيال بعضها بشيء من الحيطة والاحتراز، وذلك لاشتغالها على بعض الإسرائيليات، التي لا بدّ أن أقف عليها وأن أزيل كثيرا من اللبس والشّطط الذي انجر عنها، وأترّبعد ذلك في فهم كثير من النصوص القرآنية المتعلقة بالنبوة، وعلى سبيل المثال فإن الإمام الطبريّ في تفسيره "جامع البيان في تفسير القرآن"، رغم أنه يعرف عنه بانه ينسر القرآن بالمأثور من أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأقوال الصحابة والتابعين بالاهتمام بالسند في جميع الروايات المنقولة، غير أنه ساق في تفسيره بعض الإسرائيليات ولم يحقق فيها.

إنّ تمحيص الروايات في هذه التّفاسير ضرورة يقتضيها الموضوع؛ لأنه لا يمكن عرض التّوراة عرضا صحيحا على النّحو الذي جاء به القرآن الكريم إلا بإزالة أثر الإسرائيليات التي لا تزيد الموضوع إلا لبا، واعتقد أنّ مثل هذا العمل هو من صميم مهمّة الباحث المنصف الذي يريد إقرار الحقّ وتثبيت الحقيقة، بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يحول دون ذلك.

وإذا كانت المصادر القديمة من كتب العقيدة وكتب التّفاسير شكّل المادة المرجعية الأولى لهذا البحث، فإن السراج الحديثة قد نالت أيضا حظها من ذلك، ومنها على وجه الخصوص ما كتبه النّدوي (أبو الحسن) في (النبوة والأنبياء)، وعبد الوهاب النّجار في (خمسة الأنبياء)، والذي يؤخذ عليه أنه ساق فيه كثيرا من النصوص ذات الصّلة بالإسرائيليات وبنى عليها بعض الأحكام العقديّة، وهذا لا يعني أنّني سأضرب الدّكر عنه سفحا بالجملة، ففي هذا الكتاب كثير من الآراء والمواقف التي تدعّم هذا البحث وتسلط الضوء على كثير من أصوله ومباحثه.

و من المصادر التي سأرجع إليها ما كتبه محمد عبده في "رسالة التوحيد" التي اعتمد فيها على المنهج العقلي في إثبات عقيدة النبوة .

ولعل الطريف في هذا البحث ، هو الرجوع إلى ما كتبه حديثا العلامة أحمد ديدات ، الذي استطاع أن يتبوا مكانة رفيعة بين دعاة العقيدة الإسلامية وأن يتميز في أسلوبه و منهجه في نقد التوراة و الإنجيل ، والتي لا أجد بداً من الاستعانة ببعض ما كتبه من مواضيع ذات الصلة بالنبوة ومنها على سبيل المثال : كتابه " ما يقول الإنجيل عن محمد" (1) ، وغير ذلك كثير .

وتجدر الإشارة معنا إلى أن أهم ما يميز كتابات أحمد ديدات هو اعتماده على "النصوص" لإثبات وجهة نظره . وتلك - - لعمرى - هي مميزات الأسلوب العلمي الحديث في البحث و التمهّص إزاء الموضوعات التي نريد دراستها دراسة علمية أو أدبية ، أو تاريخية .

وعندما يتناول أحمد ديدات موضوعا ما من الموضوعات المتصلة بالدين المسيحي أو الإسلامي ، فإنه يعتمد على النصوص المعتمدة في كليهما ، ولدى المؤلف قدرة فذة على اكتشاف ما يسمى بالتناقض الداخلي " internal contradiction " ، الذي يميز التوراة والإنجيل .

وما يلفت النظر في أسلوب أحمد ديدات ، ومنهجه في تناول المسائل ، أنه يعبر عن رأيه بصراحة فيها ملتزما بأصول العقيدة الإسلامية ، وبأدبيات الحوار ، والنقد الموضوعي . وباختصار فإن ما كتبه أحمد ديدات لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال ؛ لأنه يقدم إضافات جديدة ومفيدة لهذا البحث .

(1) ارجع إلى كتابه : WHAT THE BIBLE SAYS ABOUT MOHAMMED

أما عن المنهج الذي توخيتنا في هذا الموضوع ، فهو المنهج التحليلي النقدي المقارن ، وهذا التعهد في المنهج له ما يبرره ذلك أن التحليل أمر لا بد منه لاستنباط القضايا محل البحث وتحليل نتائجها .

ويبقى المنهج التحليلي غير كاف إن لم تصحبه دراسة نقدية ، التي لا أجد مندوحة عنها لدراسة موضوع النبوة ، و التي أرى أنها ضرورية للموازنة بين القضايا و الآراء المختلفة المتصلة بهذه المفيدة في كل من التوراة و الإنجيل و القرآن .

و المنهج التحليلي النقدي يتضمن المقارنة وهذه المناهج كلها من شأنها أن تخرج هذا البحث في تريب قشيب ، و أن تساعدني أكثر من ذلك على تحقيق الأهداف التي رسمتها له .
و أريد أن ألفت هنا إلى أن تعاملي مع النصوص التوراتية و النصوص الإنجيلية ، يمكن أن تتضح معالمه و خطوطه العريضة في المنهج الآتي :

1- تفرير عقيدة النبوة كما نقل ذلك علماء العهد القديم و العهد الجديد ، لأن هذا من شأنه أن يكون عملاً علمياً دقيقاً ، مما يعطي لهذا البحث قيمة فريدة في دراسة الأديان و الموازنة بينها .

2- الرجوع إلى النصوص الأصلية للتوراة و الإنجيل ، و أخذنا كما هي ، وعدم الاكتفاء بالإشارة إلى مواضعها من العهد القديم و العهد الجديد ، لأن هذا يساعد على وضوح فكرة النبوة فيهما ، و من ثم الوصول إلى نتيجة ذات بال في دراستها .

3- الدقة في نقل الشواهد و ترقيمها و الإحالة على مواضعها في التوراة و الإنجيل ، و التنبه إلى الحواشي و التعليقات المتفرعة عنها .

4- التزام المنهجية العلمية في نقد القضايا و الأفكار المتصلة بالنبوة في التوراة و الإنجيل ومعنى ذلك أنني لم أغفل كثيراً من جوانب الشبه القائمة بينها وبين النبوة في القرآن الكريم ، وهي مسألة لا ينكرها علماء المقارنة بين الأديان ، لأنها من نقاط الالتقاء بين هذه الأديان .

خطة البحث :

اما عن خطة البحث فقد جاءت من مقدمة و خمسة أبواب و خاتمة ، و قد قُسمت الأبواب إلى فصول و انقسمت إلى مباحث و المباحث إلى مطالب و المطالب إلى فروع حسبما تسمح به طبيعة الموضوع بحيث مرزعة كما يلي :

المقدمة

تمهيد

الباب الأول :

النبوة : معناها ، صلتها بالوحي و الرسالة و حاجة البشر إليها .

تمهيد

الفصل الأول : معنى النبوة و صلتها بالوحي الإلهي .

المبحث الأول : معنى النبوة في اللغة و الاصطلاح .

المبحث الثاني : النبوة و الوحي الإلهي .

الفصل الثاني : النبوة و الرسالة و حاجة البشر إليهما .

المبحث الأول : النبوة و الرسالة .

المبحث الثاني : حاجة البشر إلى النبوة و الرسالة .

الباب الثاني :

النبوة في التوراة .

تمهيد :

الفصل الأول : تعريف التوراة و تطور مفهوم النبوة في العهد القديم .

المبحث الأول : تعريف عام بالتوراة و أسفارها .

المبحث الثاني : تطور مفهوم النبوة في العهد القديم .

الفصل الثاني : ألواح موسى و نبوة الرؤى المنامية و الأحلام .

المبحث الأول : ألواح موسى (عليه السلام) و مصدريتها للنبوة عند بني اسرائيل .

المبحث الثاني : نبوة الرؤى المنامية و الأحلام .

المبحث الثالث : نقد النبوة القائمة على الرؤى و الأحلام .

الفصل الثالث: التنبؤات المستقبلية و الكهانة في التوراة.

المبحث الأول : التوراة و التنبؤات المستقبلية .

المبحث الثاني : النبوة و الكهانة في التوراة .

الفصل الرابع:نبوة محمد (ص)و نتائج عقيدة النبوة في التوراة

المبحث الأول : نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) في التوراة .

المبحث الثاني : نتائج عقيدة النبوة في التوراة و تقديمها.

الباب الثالث :

النبوة في الإنجيل

تمهيد :

الفصل الأول :تعريف عام بالإنجيل و العقيدة النصرانية.

المبحث الأول : الأنجيل المسيحية .

المبحث الثاني : العقيدة النصرانية ومصدريتها للنبوة في الإنجيل .

الفصل الثاني: الوحي و النبوة و خوارق المسيح في الإنجيل و موقف القرآن منها.

المبحث الأول : المفهوم العام للوحي و النبوة في الإنجيل .

المبحث الثاني : خوارق المسيح و دلالتها على النبوة في الإنجيل .

المبحث الثالث : نقد النبوة القائسة على الخوارق .

المبحث الرابع : موقف القرآن من معجزات المسيح (عليه السلام) .

الفصل الثالث:الإخبار عن السغيات و نبوة محمد و نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل.

المبحث الأول : نبوة الإخبار عن المغيبات في الإنجيل.

المبحث الثاني : نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) و المسيح في الإنجيل.

المبحث الثالث: نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل .

الباب الرابع :

النبوة في القرآن الكريم

تمهيد :

الفصل الأول: معنى القرآن و مصدره الرباني و صلته بالنبوات و الرسالات.

المبحث الأول : معنى القرآن و مصدره الرباني.

المبحث الثاني : صلة القرآن بالنبوات و الرسالات :وحدة المصدر و الغاية.

الفصل الثاني: المعصية و فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة في القرآن.

- المبحث الأول : عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : معناها و أدلة وجوبها
- المبحث الثاني : القرآن و موقفه من فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة .
- الفصل الثالث : النبوءات الغيبية و إرهابات النبوة الخاتمة في القرآن الكريم .
- المبحث الأول: النبوءات الغيبية في القرآن .
- المبحث الثاني : إرهابات النبوة الخاتمة : الغرض منها و دلالتها على النبوة .
- الفصل الرابع : دلائل ختم النبوة و خصائص النبوة الخاتمة.
- المبحث الأول: دلائل ختم النبوة.
- المبحث الثاني : خصائص النبوة الخاتمة .

الباب الخامس :

- النبوة في التوراة والإنجيل و القرآن : أوجه التشابه و الاختلاف .

- الفصل الأول : أوجه التشابه.
- المبحث الأول: الخبر كمعنى ظاهر للنبوة في التوراة و الإنجيل و القرآن .
- المبحث الثاني: تشابه الخطاب و الأمر الإلهي في التوراة والإنجيل و القرآن .
- الفصل الثاني : أوجه الاختلاف .
- المبحث الأول : شمولية مفهوم النبوة في القرآن و محدوديته في التوراة و الإنجيل .
- المبحث الثاني: اختلاف موقف التوراة و الإنجيل و القرآن من عصمة الأنبياء .
- المبحث الثالث : اختلاف وظيفة النبي في التوراة والإنجيل و القرآن .

الخاتمة : و خصصتها لتقديم نتائج البحث بشكل مكثف ، و ما أسفر عنه من جديد و طبيعة الحلول التي قدسها للإشكالية المطروحة ، و قمت في ذلك بشئ من النقد الموضوعي لبعض الأفكار و الآراء التي أوردتها في هذا البحث .

الصعوبات والجهد المبذول في البحث :

البحث في حقيقة أمره جهد مبذول وعمل شاق لا يتحقق إلا على جسر من المتاعب والمصاعب فهو خلاصة أفكار الباحث ، ولا يخلو جهد من كبد ، وخاصة في الموضوعات ذات الصلة بالوحي الإلهي ، كموضوع النبوة ، فلا شك أن أي باحث في هذا الموضوع، بغض النظر عن منزعه ومشربه تعترضه لامحالة صعوبات وإن كانت تختلف طبيعتها وحدتها من باحث إلى آخر . وأنا في هذا البحث لست بدعا من هؤلاء الباحثين ، فلم أجد في دراسته أمرا سهلا المنال ، بل واجهتني في إعدادهِ صعوبات جمة أذكر منها على وجه الخصوص :

1- ماتعلق منها بصعوبة تحديد المصطلحات والمصطلحات ، والتي يرجع كما بينت في البحث إلى اختلاف التأويلات وتباين الآراء ، وهذا ما يتضح من تحديد مفهوم النبوة في التوراة والإنجيل ، إذ أدى انطراب هذا المفهوم إلى صعوبة الوقوف على حقيقة النبوة عند أهل الكتاب، وبيان المراد الصحيح منها بسبب التواتر الموضوعية التي أشرت إليها بين يدي هذا البحث .

2- سأتعلق منها بالموضوع في حد ذاته، من حيث أن الموازنة بين النبوة في التوراة والإنجيل وبين النبوة في القرآن الكريم ، هو شرب من محاولة الموازنة بين نقيضين ، وبين أمرين أحدهما متحقق كانبوة في القرآن الكريم التي لا يماري فيها أحد ، والآخر ملفق وغير منسق كالنبوة في التوراة والإنجيل التي لا يكاد يعلمن إلى صحتها ؛ بسبب ما اكتنفها من تأويلات تحول دون تحقيق نتائج ذات بال في مجال الموازنة .

3- ماتعلق منها بثقل الدراسات المتخصصة في هذا المجال ، فما كان منها عند أكثر الباحثين لا يعدو أن يكون دراسات على سبيل الاهتمام ، لا على سبيل الاختصاص، وهو ما يقلص من حجم الاستفادة منها وكذلك من مدى الاعتداد بها؛ وهو ما يضاعف جهد الباحث في الاعتماد على استنتاجاته واستنباطاته التخصصية من خلال دراسته وتحليل النصوص ، وهو العمل الذي شكّل اللبنة التي قام عليها هذا البحث في أغلب محاوره وأفكاره .

ولعلّ ما تجدر الإشارة إليه في هذه الخطة ، أنني استبعدت منها بعض المحاور التي لم أر ضرورة لبحثها ، ومنها ما يتصل بالبحث في خصائص النبوة ، وأدلة وجوبها وغيرها ، التي رأيت أنّها بحث أسولي أكثر منه بحث مقارن لمعيدة مشتركة بين التوراة والإنجيل والقرآن ، وهي عقيدة النبوة فبحثها لضرورة له ، كما خصّصت جزءاً خاصاً بموقف إنجيل برنابا من النبوة بصفة عامة ، ومن النبوة ثلاثية بعنة خاصة ، وقد أفردته بهذا لأسباب الخصها في الآتي :

1- أن هذا الإنجيل يقترب في نظرتة للنبوة إلى ما أثبتته القرآن الكريم فهو يخالف الإنجيل المسيحية الأخرى في كثير من القضايا والمسائل الجوهرية .

2- أن هذا الإنجيل لا تظهر فيه - كما يذكر علماء المقارنة بين الأديان - علامات التوجيه النوقى الكيهنوتي الذي يوجه النص الديني حسب الأهواء فتختفي الحقيقة وراء كل ذلك فلا يصل الباحث إلى حقيقة ذات أهمية .

وما دام أن البحث لا يعرف الكلمة الأخيرة ، فاعترف أن هذا العمل الذي أقدمه بين يدي الباحثين والناسين ليس إلا بضاعة مزجاة ؛ لأنّ أيّ عمل إنساني مهما روعيت فيه الدقة ، وجمعت فيه الهمة يبني ناقصاً تشوبه كثير من جوانب النقص التي تتج عن الغفلة والسهو ، وقد أمن بهذه الحقيقة كبار الباحثين والمفكرين في الشرق والغرب كما أثر عن العماد الاصبهاني قوله : " إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، هذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر "

وفي الختام أدعو الله أن يتبّل هذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله نبراساً في طريق إحقاق الحق ، وسيفاً مسلولاً على الضلال والمضلين حيثما وجدوا .

الشكر والثناء

إن هذا البحث ما كان ليكتمل ببناءه و لا أن يبلغ تمامه لو لا فضل الله و كذا يد العون و النصيح التي امتدت إليه من هنا وهناك ، فأقالت عثراتي ووجهتي الوجهة الصحيحة ، فأشكر لأصحاب الفضل فضلهم فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، وأخص بالذكر في هذا المقام ، الأستاذ المشرف الدكتور محمد زرمان ، الذي كفل البحث في وقت عصيب كنت أبحث عن يكفله فكان جزاءه الله خيرًا خيرًا كافل ومعين على إعداد البحث وإخراجه في سورته التي هو عليها ، فأشكره على كل نصيحة أسداها ، وعلى كل ملحوظة أبدأها .

كما أشكر الأستاذ الدكتور بشير بوجنانة الذي غمرني بفضله و إحسانه ، فأشكره جزيل الشكر ، وأسأل الله أن يجازيه على هذا خير الجزاء وأن ينسأ له به في أثره و يمد له في عمره ، و أن يجعل عمله هذا مما لا يبلى من الأعمال .

كما أشكر الأستاذ كمال معزي على إعانته لي ، إذ نصحتني بإكمال البحث و عدم التواني عنه فكان ناصحًا أمينًا .

ولا أنسى أن أشكر المشرفين على مكتب الخدمات الإعلامية **IBM** الذين أنست منهم حبًا للعلم و تقديرًا لجهود الباحثين إذ لم يبخلوا علي بخدماتهم و اجتهاداتهم في سبيل إخراج هذا البحث في أبهى صورته و أجمل منظره فلهم مني جزيل الشكر وأسأل الله أن يجازيهم على كل ما قدموه وعملوه .

كما لا يفوتني أن أشكر لجنة القراءة و المناقشة التي سترجع إليها الكلمة الأخيرة و الفاصلة في قبول هذا البحث أو رفضه و إرشادي بناءً على ذلك إلى الأخذ من الأفكار بأسلمها و أصحها وأخيرًا أشكر بضمير الجمع ، جميع من أسهم في إعداد هذا البحث سواء بفكرة أو نصيحة .

ان الدارسين لعلم المقارنة بين الأديان ، يسعون موضوع النبوة في صدارة الموضوعات التي ينصرف إليها اهتمامهم ، وتعلّق بها هممتهم ؛ والسبب الكامن وراء ذلك أن النبوة تشكل مادةً وعاملاً للالتقاء بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أو ما اصطُح على تسميتها بالأديان الكتابية أو السماوية .

ان النبوة في عرف هؤلاء الدارسين، هي سمة الدين السماوي ، وما وجد منها في الأديان والفلسفات الرضعية . مما يُظن أنه من التّوقية . ليس في حقيقة الأمر من النبوة في شيء ، وهذا الذي شاع عندهم ، إنّما هو من قبيل النزعة الباطنية ، أو الفلسفة، وإنّ هناك بونا شاسعا بين النبوة من حيث هي صبغة إلهية، وبين الفلسفة من حيث هي صناعة بشرية . ومن ثمّ كان التّمايز واضحا بين مقرّرات النبوة ، وبنيتها ، وبين مقاربات الفلسفة وظنّياتها .

نقد ومسا على مرّ العصور ، فلسفات ادعى أصحابها . أنّها من نتاج الفخض الإلهي ، فادّعوا سلبها بالله ، وصنور بها عنه ، وهي لم تكن في واقع الأمر كما أسلفت لإصناعة من نتاج عقولهم وسات أفكارهم . ومن ثمّ تبقى التّبرّة - ننظرا للاحتراوات التي قدمتها - صفة ثابتة في الدين السماوي ، مستتمة في غيره ؛ غير أنّ الذي تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه التّبرّة ، رغم هذه الصفة العامّة ، ليست واحدة من حيث طبيعتها ومفهومها ، في التّوراة والإنجيل والقرآن ، وهو ما أروم دراسته في هذا البحث ، وذلك باستراء النصوص الدّينية المتعلّقة بعقيدة التّبرّة في الكتب السماوية الثلاث وهذا مع عدم اغفال خصائص كل منها .

ان دراسة النبوة في التوراة و الإنجيل والقرآن ينبغي أن يراعى فيها شرطان اثنان لا تتحقق المرصعية إلا بهما :

1- البعد عن الاحكام المسبقة و الاعتماد على التأسيس العلمي الذي تعضده آراء العلماء و الباحثين في تاريخ النبوات .

2- البعد عن التفسيرات و التاويلات غير الموضوعية ، و خاصة فيما يتعلّق بالنبوة في القرآن الكريم ، للاحتراز من الإسرائيليات التي كان لها أعظم الأثر في صياغة كثير من الآراء ، ومنها ما يتصل بالموضوع الذي أنا بصدده .

الباب الأول :

النبوة : معناها ، صلتها بالوحي و الرسالة و حاجة البشر إليها.

تمهيد .

الفصل الأول : معنى النبوة و صلتها بالوحي الإلهي .

المبحث الأول : معنى النبوة في اللغة و الاصطلاح .

المبحث الثاني : النبوة و الوحي الإلهي .

الفصل الثاني : النبوة و الرسالة و حاجة البشر إليهما.

المبحث الأول : النبوة و الرسالة.

المبحث الثاني : حاجة البشر إلى النبوة و الرسالة.

لما كان موضوع البحث " النبوة في التوراة و الإنجيل و القرآن " ، فإنه لزام على من الناحية المنهجية تحديد المعنى اللغوي و الاصطلاحي للنبوة ، وذلك أن هذا الأمر لا مندوحة عنه فلا يتحدد موضوع النبوة ، إلا على ضوء هذا التحديد اللغوي و الاصطلاحي .

و النبوة في اللغة ، مصدر من أنبأ ، وهو الخبر ، وهو المعنى الذي اتفق عليه إجماع اللغويين ، و دلت عليه معاجم اللغة ، و في مقدمتها لسان العرب لابن منظور . إن تحديد معنى النبوة في اللغة كما ورد في اللسان يؤدي بالضرورة إلى إيراد الاشتقاقات اللغوية الكثيرة لهذه الكلمة ، وهذه الاشتقاقات - وإن تباينت في معانيها - ، فإنها لا تخرج عن مادة الخبر بغض النظر عن طبيعة هذا الخبر إلهيا كان أم بشريا . إن التحديد اللغوي للنبوة ، يتميز على ضوئه التحديد الاصطلاحي للكلمة ، و قد ذهب أكثر أهل الاصطلاح إلى أن النبوة تتضمن معنى الخبر ، و لكنها تنحصر في الخبر الإلهي ، إذ يؤدي ذلك حسب مفهوم المخالفة إلى إخراج عقيدة الإخبار عن المغيبات كما شاع ذلك عند أهل الكتاب من معنى النبوة و مضمونها .

و الحديث عن النبوة يجزأ حتما إلى محاولة معرفة صلتها بالرسالة ، و بيان أن الإشكال القائم حول ذلك ، ليس في حقيقة الأمر إلا إشكالا ظاهريا التزم به بعض العلماء دون بعض ، و من ثم فهو مسألة خلافية ، إذ أن الثابت أن النبوة و الرسالة ، لا تخرجان عن مفهوم الوحي الإلهي ، بغض النظر عن أفضلية إحداهما عن الأخرى .

إن النبوة و الرسالة ليستا ظاهرتين عديمتي المقصد و الغاية ، بل نعتلويان على مقاصد عظيمة و غايات جمة و قد فصل فيها العلماء تفصيلا ، وهو ما أروم تسليط الضوء عليه في هذا البحث معتمد في ذلك على آراء أهل الاصطلاح ، فتتوَّع هذه الآراء يطرح تنوعا في المفهوم ، وهو ما يجعل الترجيح أمرا لازما ، لا يتحقق غرض الموضوع إلا به .

وفي الجملة ، فإن تحديد معنى النبوة و صلتها بالوحي و الرسالة ، و حاجة البشر إليها ، ضرورة تقتضيها طبيعة الموضوع ، و منهج البحث .

الفصل الأول : معنى النبوة و صلتها بالوحي الإلهي .

المبحث الأول : معنى النبوة في اللغة و الإصلاح .

المطلب الأول : معنى النبوة في اللغة .

تجدر الإشارة بادئ ذي بدء إلى أن المعاجم اللغوية القديمة و الحديثة على حدّ سواء تكاد تجمع على معنى واحد للنبوة و ما اشتقت عنه ، إذ ترد عندهم مرادفة للخبر ، و قد تخرج عن هذا المعنى إلى معانٍ أخرى تدلّ كلّها على ما يفيد الخبر ، أو ما يكون لصاحبه من الشرف و الرفعة ، و خفاء أمره على الناس في بادئ الأمر إلى غير ذلك من المعاني .

جاء في لسان اللسان⁽¹⁾ أن النبا و النبي و النبي - بالهمز و بدونه - مصدر مأخوذ من نبا و نبا و نبأ ، فالنبا هو الخبر و الجمع أنباء و النبي أو النبي هو المخبر عن الله عزّ و جلّ ، و هذا هو المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن من كلمة نبي ، و لكن قد تأتي أيضا بما يفيد غرض النبوة أو صفة من صفات النبي كان تأتي من فعل نبا بمعنى طلع فيقال : نبأت على القوم إذا طلعت عليهم⁽²⁾ و الطلوع في اللغة يدل على الشرف و الرفعة ، و أن الطالع أرفع منزلة و أشرف مكانة من الذين طلع عليهم ، فقد كانت العرب تستعمل الطلوع للدلالة على رفعة الطالع و علو مكانته عندهم كما رددت الأتصار عند مقدم النبي (صلى الله عليه و سلم) ، إلى المدينة في الهجرة ، و هو قولهم فيه :
طلع البدر علينا من ثبات⁽³⁾ الوداع .

كما تأتي النبوة لتفيد معنى الوضوح فالنبي هو الطريق الواضح⁽⁴⁾ الذي يبصره كلّ ذي بصيرة ، و لعلّ هذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بلفظ " السبيل " التي هي عند اللغويين⁽⁵⁾ الطريق المستقيم

(1) - علي مهنا و آخرون ، لسان اللسان : تهذيب لسان العرب (تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب) (ط 11 بيروت ، لبنان : دار الكتب العلمية ، 1413 هـ - / 1993) ج 2 ، ص 586 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 586 .

(3) - نية الوداع : (يفتح الواو) وهو اسم من التوديع عند الرحيل ، وهي نية مشرفة على المدينة المنورة يطؤها من يريد مكة واحتلف في تسميتها بذلك ؛ فقيل لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة ، وقيل لأن النبي (صلى الله عليه و سلم) ودّع بها بعض من خلفه بالمدينة في آخر خروجه ، وقيل في بعض سراياه المبعوثه عنه ، وقيل الوداع اسم واد بالمدينة ، و السحّاح أنه اسم قديم جاهلي ، سمّي لتوديع المسلمين .

انظر : الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله باتوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان : تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (ط 1 بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990 م) ج 2 ، ص 100 .

(4) - علي مهنا و آخرون ، مرجع سابق ، ص 586 .

(5) - سبيل (يذكر و يفتح) ج سبل : بمعنى طريق و منه قوله تعالى : " وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " . الأتعام : 153 .

انظر : أحمد العابد و آخرون ، المعجم العربي الأساسي (المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم : توزيع LAROUSSE)

والواضح التي لا يزيغ عنها إلا فقد بصيرة، وفي هذا يقول الله تعالى: " قَدْ سَدَدْنَا سَبِيلِي أَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ
 نَعْلَمُ بِصِيْرَةِ أَعْيُنِنَا (1) ، و لعل أيضا ما يدل على وضوح درب النبوة هو قوله تعالى: " إِنَّهُ وَلِيُّ
 الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ خُرِجُوا مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ
 أُولَئِكَ أَحْسَبُ أَنَّهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (2) .

يتول الطبري في تفسير هذه الآية: " يعني تعالى ذكره بقوله: الله ولي الذين آمنوا: نصيرهم وظهرهم
 يتولاهم بعونه، وتوفيقه يخرجهم من الظلمات، يعني بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان و
 إنساعنى بالظلمات في هذا الموضوع الكفر، وإنما جعل الظلمات للكفر مثلاً؛ لأن الظلمات حاجبة
 للابصار عن إدراك الأشياء وإثباتها وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان و
 العلم بصحته و صحة أسبابه، فالخير تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين و مبصرهم حقيقة الإيمان و
 سنه و سرانه و حجبه و هاديهم فموقفهم لأدلة المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر و ظلم
 سائر أبصار القلوب ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر... الذين يعبدون الأوثان من دون الله أنها
 تخرجهم من النور إلى الظلمات يعني من النور و الإيمان على نحو ما بينا إلى الظلمات؛ و يعني
 بالظلمات ظلمات الكفر و شكوكه الحائلة دون أبصار القلوب و رؤية ضياء الإيمان و حقائق أدلته و
 سببه" (3).

و يؤيد هذا القول ما نقله الطبري عن قتادة قوله: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
 يقول: من الضلالة إلى الهدى و الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت: الشيطان يخرجهم من النور إلى
 الظلمات يقول: من الهدى إلى الضلالة (4).

و اعتقد أن الذي ساقه الطبري في تفسيره يؤكد المعنى الوارد في " لسان اللسان"، من أن النبوة تأتي
 في بعض المواضع بمعنى الطريق الواضح، و لا شك أن الإيمان و الكفر اللذين فسّر بهما الطبري

(1). يوسف: 108 .

(2). البقرة: 257 .

(3). الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : جامع البيان في تفسير القرآن (بيروت، لبنان: دار المعرفة، بدون تاريخ) ج3،
 ص14.

(4). المصدر نفسه، ص14.

معنى النور و الظلمة في الآية السائلة لا يخرجان عن هذا المعنى، هذا علاوة على أن إيمان المؤمن و كفر الكافر لا يعرف إلا عن طريق النبوة فيما يوحيه الله سبحانه و تعالى إلى أنبيائه و رسله. و ورد في تهذيب اللسان (1) أن النبوة أو أحد مشتقاتها قد تكون مأخوذة من النبأ و هو الصوت الخفي، فالنبوة أو الوحي لا يحصل لتبى من الأنبياء، أو رسول من الرسل إلا سرا في بادئ الأمر بينه و بين ربه و لا يعلمه الناس إلا إذا بلغ إليهم.

و ما ورد في تهذيب اللسان لا يخرج في حقيقة الأمر عما أورده ابن منظور (2) في لسان العرب (3) فقد جاء فيه: 'النبأ: الخبر و الجمع أنباء و إن لفلان نبأ أي خبراً'.

و قوله عز وجل "عَمَّ يَسْتَأْذِنُ بَعْضُ النَّبِإِ الْعَظِيمِ" (4)، قيل عن القرآن، و قيل عن البعث، و قيل عن أمر النبي (صلى الله عليه و سلم)، و قد أنبأه آياه و به، و كذلك نبأه، متعددة بحرف و غير حرف، أي أخبر، و حكى سيبويه (5): أنا أنبوك عنى الاتباع و قوله: إلى هند متى تسلى تنبى. أبدلت همزة تنبى إبدالا صحيحا حتى صارت الهمزة حرف علة، فقوله تنبى كقوله تنضى، قال ابن سيده (6): "و البيت هكذا وجد، و هو لا محالة ناقص".

(1) - علي مهنا و آخرون، مصدر سبق ذكره ص 587.

(2) - هو جمال تذييل أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الخزرجي الرويفي الإفريقي ثم المصري، المعروف بابن منظور المتوفى سنة 711هـ. انظر: ابن منظور، لسان العرب (تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون) (دار المعارف، بدون تاريخ) ج 6، ص 4315.

(3) - كتابه "لسان العرب" من أضخم المعاجم حجما، و أبسطها مادة، و أحفلها بالشواهد و النصوص شعرا و نثرا و قرآنا أوعى فيه "محكم" ابن سيده و "تهذيب" الأزهرى، و "صحاح" الجوهري و "حواشي" ابن بري و "الأثر" لابن الأثير و غيرها. انظر: أحمد الشرقاوي إقبال، معجم للمعجم، (دار الغرب الإسلامي، 1407هـ، 1987م)، ص 220، (4) - النبأ: 1.

(5) - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) (ت حوالي 180هـ / 796م) أحد أئمة علماء اللغة و النحو، نشأ في البصرة، و له "الكتاب" في النحو بعد إمام مدرسة البصرة النحوية.

(6) - علي بن أحمد بن سيده اللغوي النحوي الأندلسي أبو الحسن الضرير و قيل اسم أبيه محمّد و قيل إسماعيل. كان حافظا لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو و اللغة، و الأعراب أيام العرب و ما يتعلق بها متوفرا على علوم الحكمة، روى عن أبيه و ساعد بن الحسن البغدادي قال أبو عمر الطلمنكي: "هو علامة ماهر بالنحو". شرح كثيرا من كتب اللغة منها كتاب الألف و غير ذلك.

مات (رحمه الله) سنة ثمان و خمسين و أربع مائة 458هـ عن نحو ستين سنة له كتاب "المخصص" و "المحكم" و هي معجمات في فقه اللغة و علومها. انظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة (ط 1، القاهرة: دار السعادة 1326هـ - حرف العين، ص 327. و انظر ابن سيده، المخصص (بيروت: دار الفكر 398هـ / 1978م)، باب حركات العرب همزة و أصله الهمز، ص 7.

و استنبأ النبا ، بحث عنه ونبأت الرّجل و نبأني : أنبأته و أنبأ لي .
 وقوله عزّ وجلّ : " فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ لِيُؤْمِرُوا بِمَا يُرِيدُونَ " (1) قال الفراء (2) : يقول القائل ، قال
 تعالى : " وَأَقْبَلُ عَلَيْهِمْ عَلَى بَعْضِ يُسَاءِلُونَ " (3) ، قال أهل التفسير : إنه يقول : عميت عليهم الحجج
 يومئذ فسكتوا ، كذلك قوله تعالى : " فهم لا يتساءلون " قال أبو منصور : سمى الحجج أنباء ، و هي
 جمع النبا ، لأن الحجج أنباء عن الله عزّ وجلّ (4) .
 قال الجوهري (5) : و النبيّ : المخبر عن الله عزّ وجلّ لأنه أنبا عنه و هو فعيل بمعنى فاعل ، قال ابن
 بري (6) : صوابه أن يقول فعيل بمعنى مفعول مثل نذير بمعنى مُنذر ، وأليم بمعنى مؤلم .
 و في النهاية (7) : فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبا الخبر ، لأنه أنبا عن الله أي أخبر ، قال : و
 يجوز فيه تحقيق الهمز و تخفيفه ، يقال نبأ و نبأ و أنبأ .

و ما ذكره ابن الأثير هو ما أخذ به ابن منظور في اللسان عند تعريف النبا و ما يشتقّ منه ، و قد
 نقل عنه في ذلك روايتين للنحاة في تحقيق الهمز و تخفيفه و به قال كثير من علماء اللغة .

- (1) القصص : 66 .
 (2) أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله الدبسي الملقب بالفراء ، (ت 207 هـ) وضع كتاب " المصادر في القرآن " .
 (3) انصافات : 27 .
 الطور : 25 .
 (4) ابن منظور : اللسان ، مرجع سابق ، ص 4316 .
 (5) الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارسي) ، (ت 393 هـ / 1005 م) : لغوي ولد في فاراب و توفي
 في نيسابور ، أشهر مؤلفاته معجم " تاج اللغة وصحاح العربية " و المعروف باسم " الصحاح " .
 انظر : إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح : تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق عبد الغفور عطار (بيروت لبنان ،
 دار العلم للملايين ، بدون تاريخ) ج 6 ، فصل النون ، ص 2500 .
 قال الجوهري في المصدر نفسه : " فإن جعلت النبي مأخوذاً من النبوة و التباوة أي ما ارتفع من الأرض أي أنه شرف على سائر
 الخلق فأصله عبر الهمز ، و هو فعيل بمعنى مفعول ، و تصغيره نبئي (بضم النون) و الجمع أنبياء .
 (6) ابن بري (أبو محمد عبد الله بن برّي الجبار المصري) ت 582 هـ ، له كتاب " التبيين والإيضاح عما وقع في
 الصحاح " ، ويعرف أيضا باسم " حواشي ابن بري على الصحاح " .
 انظر : حواشي ابن بري على الصحاح ، ص 2501 . قال ابن بري : الصحيح في النبيّ ههنا أنه اسم رمل فيقال : الكاتب
 بمعنى جبل ، و حوله رواب يقال لها النبيّ الواحد منها ناب مثل غاز و غزي .
 (7) ابن الأثير (المبارك بن محمد) أبو السعادات (607،545 هـ / 1150-1210 م) محدث و لغوي ، ألف " النهاية في
 غريب الحديث و الأثر " الذي أخذت منه هذا الشاهد ، وكذلك " جامع الأصول " و هو أحد ثلاثة أخوة نشؤوا بالموصل وهم أبو
 الحسن علي بن محمد (562-632 هـ / 1166-1234 م) المؤرخ صاحب " الكامل في التاريخ " و " أسد الغابة في معرفة
 الصحابة " و ضياء الدين نصر الله بن محمد (595-637 هـ / 1163-1239 م) و هو كاتب و صاحب كتاب " المثل السائر " .

قال سيبويه (1) : ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسيلمته بالهمز غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في النزية والخابية ، إلا أهل مكة فإنهم يهزون هذه الأحرف ولا يهزون غيرها ، ويخالفون العرب في ذلك ، قال : والهمز في النبي لغة رديئة ، يعني لقلّة استعمالها ، لأنّ القياس يمنع من ذلك . كما يجمع أنباء : نبأ و قال العباس بن مرداس (2) :

يا خاتم النبأ إنك مرسل

بالخير كل هدى السبيل هذاكا

إن الإله أتى عليك محبة

في خلقه و محمدًا سَمَّاكَ (3)

قال الجوهري (4) : يجمع نبيّ على أنبياء ، لأنّ الهمز أبدل وألزم الإبدال و هو جمع ما أصل لامة حرف العلة كعيد و أعياد ، على ما تذكره في المعتل .

قال الفراء (5) : النبيّ : هو من أنبا عن اللّه فترك همزه قال : وإن أخذ من النبوة و النبوة ، وهي الارتفاع عن الأرض ، أي أنه أشرف على سائر الخلق ، فأصله غير الهمز .

و قال الزجاج (6) : القراءة المجمع عليها في النبيين و الأنبياء طرح الهمز ، و قد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن الكريم من هذا و اشتقاقه من نبأو أنبا أي أخبر قال : والأجود ترك الهمز .

و قد تبع الزجاج في هذا الرأي ، ما ذكره سيبويه من أن ترك الهمز في نبأ و مشتقاتها هي لغة غالبية و رأي راجح ، عليه أكثر علماء اللغة .

(1) سبق التعريف به - انظر : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب : تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1992 م) ، ج 3 ، ص 460 .

(2) - العباس بن مرداس : (ت حوالي 18 هـ / 639 م) : شاعر مخضرم شجاع ، أسلم مع قومه قبيل فتح مكة و توفي في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

نظر : أحمد العابد وآخرون ، المصدر السابق ، ص 815 .

(3) - يقول سيبويه : و الشاهد في البيت جمع نبيّ على نبأ ، فهو دليل على أنه مخفف من نبيّ المهموز مع إبدال من الهمزة فبإذ صغر قيل : نبيّ في لغة من همز و نبيّ في لغة من لم يهمز ، لكنه بدل لازم انظر : سيبويه ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 460 .

(4) - سبق التعريف به .

(5) - هو يحيى بن زياد أبو زكرياء (حوال 144-208 هـ / 761-822 م) : إمام مدرسة النحو الكوفية كان موسوعة علوم له المتصور والممدود "و معاني القرآن" و "الحدود" .

و من غير المهموز ، حديث البراء (1) : قلت و رسولك الذي أرسلت ، فردّ عليّ و قال : و نبيّك الذي أرسلت قال ابن الأثير : إنما رد عليه ليختلف اللفظان ، و يجمع له التثاء بين معنى النبوة و الرسالة ، و يكون تقديرًا للتمتة في الحالين ، و تعظيمًا للمنة على الوجهين ، و الرسول أخصّ من النبيّ ؛ لأنّ كل رسول نبيّ و ليس كل نبيّ رسولاً .

و قوله عز و جل " و إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ و مِنكَ و مِن نُّوحٍ " (2) فقدّمه عليه الصلوة و السّلام على نوح (عليه الصلوة و السّلام) في أخذ الميثاق فإنّما ذلك ؛ لأنّ الواو معناها الاجتماع ، و ليس فيها دليل أنّ المذكور أولاً لا يستقيم أن يكون معناه التّأخير ، فالمعنى على مذهب أهل اللّغة : و من نوح و إبراهيم و موسى و عيسى بن مريم و منه و جاء في تفسير هذه الآية في " الجلالين " (3) : قوله تعالى : " و إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ " أي : حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة و هي أصغر النحل : " و مِنكَ و مِن نُّوحٍ و إِبراهيمَ و موسىَ و عيسىَ ابنَ مرزوقاً " بأن يعبدوا الله و يدعوا إلى عبادته و ذكر الخمسة من عطف الخاص على العام : " و أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا " (4) هشديداً بالوفاء بما حملوه و هو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق . فالمعنى هنا هو الاجتماع و أنّ النبوة من حيث هي الميثاق لا تختلف في أصلها بين الأنبياء (عليهم السّلام) و هو اشتراكهم في التبليغ عن الله عز و جلّ و الإخبار عنه .

(1) - البراء بن عازب بن الحارث بن عدى الأوسي الحارثي أبو عمارة و قيل أبو عمر و قيل أبو الطفيل ترز الكوفي روى عن النبيّ صلى الله عليه و سلم ، و عن عليّ و بلال و أبي أيّوب و آخرين و عنه عبد الرّحمن بن أبي ليلى و أبو إسحاق السبيعي و خلاّق ، شهد أحداً و الحديبية و ما بعدها .

قال البراء : عزوت معه خمس عشرة غزوة و ما قدم علينا المدينة حتى حفظت سوراً من المفصّل ، مات سنة إحدى و قيل اثنين .
نظر : السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي) إسماعيل المبطّن برجال الموطّأ . على هامش تنوير الحوالك شرح على موطّأ مالك ، إدار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان ، ص 8 .

- إسماعيل المبطّن برجال الموطّأ ذكر فيه الرّجال المذكورين في سند الأحاديث التي رواها سيّدنا مالك الرضي الله عنه من توثيقهم و عدالتهم و غير ذلك ، و قد وضعه الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى .

و الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً عن سعد بن عبيدة و أوله : إذا أتيت مضجحك ...

نظر : صحيح البخاري (شرح الكرمانلي) بيروت لبنان : دار إحياء التراث العربي ، 1985م . كتاب الدعوات ، ج 20 ص 128/127 .

(2) - الأحزاب : 7 .

(3) - جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي و جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي ، تفسير الإمامين الجليلين ، قدّم له

و راجعه مروان سوار (الجزائر : شركة الشهاب بدون تاريخ) ج 2 ، ص 550 .

(4) - الأحزاب : 7 .

جاء في بيان معنى النبوة في القاموس المحيط⁽¹⁾ قول الفيروز ابادي⁽²⁾: " النبى و النبوة مأخوذة من النبأة ، و هي ما ارتفع من الأرض " فتكون مؤولة بمعنى الشرف و الرفعة أو الصوت الخفي و هي صفة الوحي الإلهي ، و هو في ذلك يوافق ما جاء في " لسان العرب " و " تهذيب اللسان " و قد سبق تفصيل القول فيهما .

وجاء في المعجم العربي الأساسي⁽³⁾: " نبأ نبأ نبأ فهو نأبى بمعنى أخبر و نبأ ينبئ تنبينا الخبر أي : أخبر عنه و أنبا ينبئ إنباء أي : أخبر الشخص الخبر و منس قولہ تعالى : قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ " (4) .

و نبى أو نبى - بالهمز و التحقيق - جمع أنبياء : و هو صاحب النبوة ، المخبر عن الله عز وجل " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُنِيرًا وَنَذِيرًا " (5) . ونبوءة و نبوة بمعنى الإخبار .

ولقد جمعت هذه الآراء كلها ، المعاني السائدة إلى الذهن للنبوة ، فهي عند الفيروز ابادي ، لم تخرج عن معنى الرفعة ، أو الصوت الخفي ، وهما معنيان تكرر كثيرا في أقوال علماء اللغة في شرح شواهد النصوص القرآنية و الحديثية ، والشعرية و النثرية على حد سواء ، و لم تخرج في كل هذا عن معنى الخبر ، و هو المعنى الجامع ، الذي عليه أكثر النحويين .

لقد جمع الفيروز ابادي في القاموس المحيط آراء كثير من النحاة في المعنى اللغوي و الاصطلاحي للنبوة ، التي لا تخرج عن هذه المعاني التي ذكرها ، و التي تحقق فيها ووازن بينها ، و رجح أصحها و أقربها إلى معنى النبوة .

(1) - من أنفس كتب اللغة و وضعه الفيروز ابادي .

انظر : الفيروز ابادي ، القاموس المحيط (دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ) ج 1 . فصل الميم و النون ، باب الهمزة ص 29 .

(2) - المصدر نفسه ، فصل النون . باب الياء ، ص 393 .

(3) - أحمد العايد و آخرون ، مرجع سبق ذكره ، ص 1166 و التي عليها .

(4) - التحريم : 3 .

(5) - الأحزاب : 45 .

و جاء في الوحي المحمدي (1) ، في معنى النبي كغزة أن النبي في اللغة العربية : وصف من النبأ ، و هو الخبر المفيد لماله شأن مهم ، و يصح فيه معنى الفاعل و المفعول ، لأنه منبئ عن الله و منبأ منه ، و النبي بالتشديد أكثر استعمالاً ، أيدت الهمزة فيه ياءاً ، أو هو من النبوة و هي الرقعة و الشرف .
وقيل : إن معنى أصل مادته في العبرانية القديمة المتكلم بصوت جهوري مطلق أو في الأمور التشريعية (2).

وبعد أن عرض محمد رشيد رضا الأوجه المختلفة لكلمة نبي و نبوة عند أهل اللغة طفق يشرح مدلولها الاصطلاحي عند العلماء ، و هو ما سيأتي الحديث عنه في الفصل المتعلق بمفهوم النبوة في الإصلاح .

و بعد هذا العرض للدلالات اللفظية و المعانية لكلمة نبي و نبوة أقول : إن كلمة نبوة باتفاق مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر ، و هو ما تؤيده كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : " نَبِيٌّ نَّبَأَ بِنُؤُنِي أَنِّي أَنَا الْغَنُورُ الرَّحِيمُ وَأَن عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ " (3) .

جاء في تفسير الجلالين (4) : " نبي بمعنى : خير يا محمد ، و هو المعنى الذي تكرر في السورة نفسها و هي قوله تعالى : " وَبَنِيهِمْ عَنِ رَضِيفٍ إِذْ أَحْسَبُ " (5) ، و ليس هناك من اللغويين من تنكر لهذا المعنى .

ومن ثم فخلاصة القول في مفهوم النبوة في اللغة ، أنها تدور حول معنى الإخبار ، وإن كان هذا الإخبار تختلف طبيعته و صورته من دين إلى آخر ، و هو ما سيأتي تفصيله عند الحديث عن النبوة في التوراة والإنجيل و القرآن .

(1) - محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، (ط 9 ، المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ) ، ص 47 .

(2) - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها ، و " الوحي المحمدي " كتاب في الإعجاز القرآني ، وضعه محمد رشيد رضا ، ورد فيه على كثير من شبهات المستشرقين وأهل الضلالة ، ومنها على وجه الخصوص ما يتعلق بشبهات الوحي ، وأتبع هذا بإجراء مقابلات عقلية في غاية الأهمية ، أبطل بها عقائد أهل الكتاب ، وأثبت بها عقيدة الإسلام في المجال العقائدي و النظري .

(3) - الحجر : 49 .

(4) - جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ، مرجع سبق ذكره ، ص 341 .

(5) - الحجر : 51 .

المطلب الثاني : معنى النبوة في الاصطلاح :

جاء في معجم التوقيف على مهمات التعاريف⁽¹⁾ " في تعريف النبا و النبوة و النبي أن النبا هو خير ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، و لا يقال للخبر (نبا) حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة ، و حق الخبر الذي يقال فيه نبا أن يعزى عن الكذب كالمواتر و خبر الله و رسوله . و النبوة : سفارة بين الله سبحانه و تعالى و بين ذوي العقول من عبيده لإزاحة عنهم في معاشهم و معادهم ؛ و النبي سميّ به لكونه منبنا بما تسكن إليه العقول الذكيّة . و استتف من هذا التعريف أن واضعه يرى أن النبا و إن كان على إطلاقه الذي يراد به الخبر ، إلا أنه يتخصّص أكثر في الخبر الإلهي الذي أوحاه الله سبحانه و تعالى إلى أنبيائه و رسله ، و لذلك فهو مشروط عنده بجملة شروط ، لا يتحقّق إلا بها ، و من جملة هذه الشروط ، أن يكون لهذا النبا فائدة عظيمة ؛ بمعنى ألا يكون مجرد خبر عديم الفائدة ، أو ليس من وراءه قصد ؛ لا يحقق منفعة دينية أو دنيوية ، و هذا الشرط كما اعتقد لا يتوافر إلا في الخبر الإلهي ، المتملّ في الوحي ، الذي ما أنزله الله سبحانه و تعالى إلا لإصلاح حال العباد في معاشهم و معادهم ، و يستثنى بناء على ذلك الأخبار التي تصدر عن كهانة أو عرافة أو تنجيم ، و التي يدعى واضعوها صلة باللّه عزّ و جلّ أو أنهم جاءوا بها عن طريق الإيحاء النفسّي أو الإشراق كما يشيع هذا في الأوساط البوذية و الهندية و غيرها .

(1) - انظر : محمد عبد الرؤوف المناوي (952 ، 1031 هـ) التوقيف على مهمات التعاريف ؛ تحقيق : محمد رضوان الداية

(ط 1) ، بيروت لبنان : دار الفكر المعاصر ، 1410 هـ ، 1990 م) ، باب النون فصل الباء ، ص 691 .

المؤلف هو : زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، الحدادي المناوي القاهري ، الشافعي

ولد سنة 952 (اثنين و خمسين و تسع مئة . و توفي سنة 1031 إحدى و ثلاثين و ألف و دفن بالقاهرة بجانب زاوية التي

أنشأها .

و المناوي من أسرة علمية مشهورة ، حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه ، ثم حفظ (البيهجة) و غيرها من متون الشافعية ، و ألفه

ابن مالك ، و قد برع في التأليف فألف كثيرا من التصانيف منها الكتاب الذي أخذت منه .

انظر المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن العادي عشر (بدون معلومات نشر) ، ج 2 : 416 .

فخبر الوحي -مما لا يدع مجالاً للشك- هو خير يتطوي على فوائد جمة و قد فصل العلماء فيها تفصيلا و تحدثوا عنها في سياق حديثهم عن حاجة البشر إلى النبوة أي بيان ضرورتها للبشر (1) .
و من شروط تحقق الخبر كما جاء في تعريف المناوي ، أن يحصل به علم ، أي أن يكون معلوما لا مبهوما، كما هو الشأن في كثير من الفلسفات الباطنية ، التي يدعي واضعوها كرامات لاسبيل للناس إلى العلم بها أو معرفة كنهها ، و النبأ الإلهي كما جاء في التعريفات التي سبقت ، يتضمّن بالضرورة هذه الخاصية.

و إذ لم يحصل بهذا النبأ علم كما يضيف المؤلف ، فأضعف الإيمان أن يحصل به غلبة ظن لا الظن ، و غلبة الظن ، أن يعتد الإنسان صدوره ، و أن يقوي هذا الاعتقاد به في النفس ، لا أن يعيل إلى الظن الذي لا ينبتى عليه شيء في العقيدة ، و قد ذم القرآن الاحتكام إلى الظن " **إِن يَبْعَثْهُنَّ إِلَّا لِيُظَنَّنَّ أَنَّ مَا نُهُنَّ** **أَلَّا يَفْسُدْنَ** **وَلَنُدْجِيَنَّ** **وَمِن مَّرْهَمٍ أَلْهَبِيَّ** " (2).

و جاء في تعريف المناوي ، أن الخبر الذي تتوافر فيه الشروط التي سبق ذكرها ، لا يمكن أن يرقى إلى درجة الخبر اليقين الذي لا يكون صادرا إلا عن ذات إلهية قادرة و قاهرة حتى يعرى عن الكذب ، و هو بذلك يفرق بين النبأ الذي هو صفة من صفات النبوة و بين التنبأ الذي هو صفة من صفات ادعاء النبوة ، التي ظهرت في عصر الكذابين و الدجالين ممن ادعوا النبوة ، و مما يؤكد هذا هو قوله : " و حق الخبر الذي يقال فيه نبأ: أن يعرى عن الكذب كالمتواتر و خبر الله و رسوله " (3).

و يفهم من كلام المناوي أنه لا يفرق في الخبر بين الخبر النبوي و الخبر الإلهي، لأن الخبر النبوي ما هو إلا خبر إلهي ؛ لأن ما جاء به النبي ليس إلا وحيا إلهيا ينفثه في روعه فينطلق على لسانه ، و إت كان هناك من فرق يذكر بين الخبر النبوي و الخبر الإلهي، فإنما هو من قبيل فرق اللفظ لا فرق المعنى و بعد أن عرّف (المناوي) النبأ بشروطه التي ذكرتها ، طفق يعرف النبوة بقوله : " سفارة بين الله

(1)- انظر في هذا الصدد؛

محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 48 .

(2)- النجم : 23 .

(3) انظر: المناري ، مرجع سابق ، ص 691 و ما بعدها .

سبحانه و تعالى و بين ذوي العقول من عبید لإزاحة عنهم في معاشهم و معادهم⁽¹⁾.

و قد ذكر هنا أن غرض النبوة ، أو بمعنى أدق الغرض من بعثة الأنبياء و المرسلين ، إنما هو لإزاحة الغل و إرشاد العقول و النفوس إلى ما فيه صلاحها في المعاش و المعاد ، و لعل هذا ما أشار إليه قوله تعالى : **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحَدِّثَهُمْ بِهِ وَ هُمْ يُقْبَلُونَ** **وَ كَمَا اختلفوا فيما رآنا اختلف في الامم الذين اوتوه من بعلم اجابهم الله في دينهم**⁽²⁾.

و ليس هناك فيما يظهر من علل البشريّة علّة أنكى من علّة الاختلاف ، التي تعني اعتداد كلّ ذي رأي برأيه ، بسبب اختلاف المشارب و الأهواء.

و يرى مالك بن نبي⁽³⁾ أن النبوة هي الحقيقة المطلقة التي تعرف من تتابع ديانات التوحيد و بوسيلة سرية هي الوحي ، الذي يقبض له صفوة من البشر ليبلغوه ، هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يسمعه مباشرة.

و الوحي الذي هو خطاب الله تعالى إلى أنبيائه و رسله ، الذي يتضمن أوامره و نواهيه و وصاياه هو - كما يضيف مالك بن نبي - السمة المميزة للنبوة ، و الأمانة المثبتة لرسالته ، و هي علاوة على ذلك الحقيقة الجوهرية في مذهب التوحيد و برهانه العقلي.

(1) المناوي ، المرجع السابق ص 695

(2) البقرة: 213 .

(3) - انظر مالك بن نبي ، **الظاهرة القرآنية** ، تعريب عبد الصبور شاهين (ط 4 ، سورية : دار الفكر ، 1407 هـ ، 1987م)

ص 86 ، 87 .

و يستخلص من تعريف مالك بن نبي للنبوة ، أن النبوة يجب أن ينظر إليها على أنها حركة متميزة و حدث لانظير له في التاريخ البشري ، و ليس على أنها حركة تاريخية مجردة ، كما حاول المؤلفون المعاصرون شرحها في ضوء تفسير تاريخي مجرد ، تبعاً لمنهج (ديكارت) الذي يرجع كل شيء إلى معيار أرضي (1).

و قد فرق مالك بن نبي (2) بين النبوة من حيث هي حقيقة ثابتة و عقيدة مبررة لغاية الوجود الإنساني برمته ، و بين ادعاء النبوة التي هي ظاهرة مبتدعة ظهرت في حقبة من التاريخ الإسرائيلي التي يُذكر أنها لم تكن فترة ارتقاء روحي ، بل هي فترة تدهور خلقي و ديني ، ناتج عن الاضطرابات الاجتماعية و السياسية (و هذا التدهور هو على وجه التحديد موضوع دعوة الأنبياء منذ (عاموس) AMOS و معاصريه (ميخا) MICHEE و (هوشع) HOSEE الذين لم يأتوا ليعلنوا وعد البشارة و الغفران ، بل ليبلغوا رعيد العقوبة و البلاء) (3).

و جاء في حاشية (الكتاب المقدس) أن تكاثر الكهّان و العرافين و أهل الكشف في بيت المقدس ظاهرة طبعت المجتمع الإسرائيلي في عصر الانحطاط الديني الذي سبقت الإشارة إليه حتى اختلط الأنبياء بالأدعياء (4).

(1) مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 85.

(2) - المرجع نفسه ، ص 85.

(3) - المرجع نفسه ، ص 85.

ميخا ، (Muchee) و عاموس Amos هما من الأنبياء المتأخرين و هو تقسيم دأب عليه نقاد التوراة تمييزاً لهم عن الأنبياء المتقدمين و هم يشوع ، قضاة ، صموئيل ، الأول و الثاني ، و الملوك الأول و الثاني ، و كتب هؤلاء الأنبياء تُسمى (أسفار الأنبياء) أو هي قسم من أقسام العهد القديم بجانب التوراة و المكتوبات .

انظر : على عبد الواحد راني ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام (ط 1 ، مصر : مكتبة النهضة ، 1384 هـ /

1964 م) ص 16 .

(4) - انظر : الكتاب المقدس العاشية (مطبعة اليسوعيين بدون تاريخ) ج 2 ، ص 863 .

و عرف التهانوي⁽¹⁾ النبوة بأنها تستعمل في الشريعة بمعنى بعث الله تعالى إنسانا إلى الخلق بشريعة سواء أمر بتبليغها أم لا ، و هي التي تأتي - كما يذكر - في الجملة مرادفة للرسالة ، فالرسول أو النبي الذي هو مصدر النبوة و لسان حالها ، يستويان في كونهما إنسانا بعثه الله تعالى بشريعة سواء أمر بتبليغها أم لا ، و هو الرأي الذي ذهب إليه جماعة من جمهرة العلماء ، غير أن هناك - على حد قوله - من العلماء من ذهب إلى أن النبوة درجة في الوحي و لا تتعداه إلى التبليغ.

و تعريف التهانوي للنبوة لا يختلف في ظاهره، و لا في جوهره عما ذكره العلماء من أن النبوة هي الوحي الإلهي الذي يلقاه الأنبياء و الرسل الكرام (عليهم السلام) عن طريق الاصطفاء والاجتباء، هذا بغض النظر عن كونها مرتبة دون الرسالة، و التي سيأتي بيانها في المبحث المتعلق بالنبوة و الرسالة.

أما سيد قطب في (الظلال)⁽²⁾ فينظر إلى النبوة على أنها صبغة الله سبحانه و تعالى ، و أنها جاءت لتقر في الأرض و في حياة الناس ميزانا ثابتا ترجع إليه البشرية ، لتقويم الأعمال و الأحداث و الأشياء و الرجال ، و تقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء و اختلاف الأمزجة ، و تصادم المصالح و المنافع ، و يفهم من كلامه أن النبوة عنده ليست مجرد وحي يستقر و ينتهي عند تحقيق المقاصد النفسانية بل يتعداه إلى تحقيق المقاصد التشريعية التي تخص تنظيم حياة الإنسان و تجنبها غائلة الفوضى و الاضطراب، الذي نتج عن اختلاف الأهواء ، فالنبوة هي الفيصل الحكم الذي يجب أن يحتكم إليه الناس للظفر بالرضوان الإلهي.

و معلوم أن سيد قطب في منهجه في التفسير ، يعطي للمصطلح الشرعي مدلولاً واقعياً ، بمعنى أنه يحاول أن يزل هذا المصطلح في قالب واقعي ، و هذا مرتبط عنده ، - بالضرورة - أن تكون الأحكام الشرعية ، عقيدة قائمة تحكمها الحركية أي يكون له وجود و تأثير في حياة الإنسان ، لا فكرة مجردة تساق المتعة اللفظية .

(1) - انظر : التهانوي، محمد علي الفاروقي ، *كشاف اصطلاحات الفنون* : حققه لطفي عبد البديع و ترجم النصوص الفارسية عبد

النعيم محمد حسنين (القاهرة : منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972 ، ج 3 ، ص 73 و ما بعدها).

(2) - انظر : سيد قطب، *في ظلال القرآن* (ط 11 ، دار الشروق ، 1405هـ - 1985م) ، الأجزاء 26، 30، ص 3494.

أما الزمخشري في (الكشاف)⁽¹⁾ فيرى أن النبوة هي كلمة مرادفة للوحي و الكتاب ، إذ قال في تفسير قوله تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِيزُوا فِيهِمُ الْمُنِيرَ" مستعملين (2) الكتاب أي الوحي و في قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ" فالكتاب الذي كسره بالوحي ، معناه أيضا النبوة، لأنَّ الواو هنا للاجتماع و لا تقتضي المغايرة (3).

و عرف محمد رشيد رضا⁽⁴⁾ النبوة بأنها تعني الرفعة و الشرف ، و النبي هو من أوحى الله إليه وحيًا ، فإن أمره بتبليغه ، كان رسولا ، فكل رسول نبي و ليس كل نبي رسولا ، و ذكر أن النبوة شيء يختلف في ظاهره و جوهره ، عن ادعاء النبوة إذ يقول في هذا الشأن : " و لم يأت أحد ادعى النبوة بعد محمد (صلى الله عليه و سلم) بشيء من الإصلاح الديني الذي يحتاج إليه البشر ، بل جاءت كتبهم و أقوالهم طافحة بمدح أنفسهم و الغلو في إطرانها و دعاويها الباطلة ، التي يراد بها إخضاع العوام لهم و استعبادهم أيهم ، كالذي تعهده في الدجالين من مدعي الولاية و معرفة الغيب و التصرف الروحاني في نفع النَّاس و صرّهم"⁽⁵⁾.

و يعرف عن محمد رشيد رضا أن منهجه في تناول القضايا الدينية ومنها قضية النبوة ، يعتمد في الأساس على مقابلتها بما قد يكون مثارا لشبهة - بسبب التشابه في اللفظ ، أو في بعض ما يدل عليه - ، و من ثم كانت لمحمد رشيد رضا ردود كثيرة على أصحاب الولاية ، ممن يدعون معرفة الغيب ، وهو شئ يلبس عند البعض بالنبوة أو ما هو في حقيقة الأمر ، من النبوة في شئ .

(1) - انظر : الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبة و ضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد (القاهرة : مطبعة الاستقامة، 1373هـ-1953م ، ج 4 ، ص383.

-الزمخشري هو الإمام محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي المتوفى سنة 538هـ، و كتابه (الكشاف) بذيله أربعة كتب: الأول : الانتصاف: للإمام أحمد بن المنير الإسكندري.

الثاني : الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشافات : للمعتمد بن حجر العسقلاني.

الثالث: حاشية الشيخ محمد عليان المرزوني على تفسير الكشاف.

الرابع : مشاهد الإنصاف على شواهد الكشافات للشيخ محمد عليان المذكور.

(2) - الحديد : 25.

(3) - الزمخشري الكشاف ، مرجع سبق ذكره ، ص383.

(4) - محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص48.

(5) - المصدر نفسه ، ص48.

و يرى محمد رشيد رضا أن ما يدحض هذا الهراء و الافتراء هو ما بينه الله في كتابه الحق من وظائف الرسل كما يجعل الناس في غنى عن هذه الولايات و الادعاءات الباطلة.

و يعرف (قاموس اللغة الفرنسية)⁽¹⁾ النبي بأنه إنسان يدعي الغيب أو المستقبل عن طريق الإلهام، و ما يستشف من هذا التعريف أن القواميس الفرنسية لا تفرق بين النبوة التي هي إبلاغ النبي أو الرسول على الغيب و كشف الحجب له و بين استشراف المستقبل الذي هو صناعة بشرية ، كانت من صميم عمل السدنة و الكهنة ، و التي انتشرت أول ما انتشرت في الكنيسة المسيحية ، و أرى أن لهذا التعريف لا يختلف عن التعريف العام للنبوة في الديانة المسيحية، و هو بذلك بعيد عن التعريف الإسلامي للنبوة ، الذي يجعلها اختصاصاً ربانياً لا تمنح ولا يتخرج أصحابها في المعابد و الكنائس ، فهي اصطفاء إلهي : " عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رُصْدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولًا رَهْمًا وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدْلًا " (1)

إن قاموس اللغة الفرنسية لا يعطي للنبوة معنى ولا وضعاً خاصاً ، إنما يلحقها بعلم استشراف المستقبل الذي شاع في أوساط الكنيسة المسيحية ، و من ثم أقول : إن تمييز المعاني - أي المتعلق بالمعنى - في تناول النبوة أمر تعرضه دواعي الموضوعية و المنهجية ، وهذا وحده هو الذي يعين على التمييز بين المصطلحات ، بناء على التحديد الموضوعي الذي أساسه التحديد اللفظي .

و بناء على ما ذكرت فإنه ينبغي مراعاة للموضوعية العلمية، أن يبقى معنى النبوة الذي أورده قاموس اللغة الفرنسية معنى يستأنس به ، و لا يؤسس عليه .

أنظر :

(1) Bernard Can delot ,Dictionnaire de la langue Française(paris: Editions de la Connaissance , 1995)

و يقول طاهر قايد (1) في تعريف كلمة نبي: "إن مفردات اللغات الإسلامية" (2) ، تعطي مدلولات مختلفة لما يسمّى في الوضع الدّيني (نبي) ، (فالنبي هو من تلقى وحيا من الله عز وجل ، ولكنه لم يؤمر بتليغه ، لأن الوحي يخصّه هو ، أو على أوسع نطاق حاشيته و المحيطين به ، فالمهمّة التي كنفّها ليست مهمة عالمية شاملة بل هي مهمة محلية إن صحّ التعبير ، لأنّها نطاقا محدّدا و أفرادا مخصوصين ، ويضيف طاهر قايد : " إن القرآن الكريم يؤكد أنه ليس هناك جماعة بشرية منذ فجر التاريخ ، إلّا وجاءها أنبياء ورسول ، فالنبوة عقيدة لم يخل منها جيل من أجيال البشر" (3) .

و على ذلك يضيف طاهر قايد أن القرآن الكريم يؤكد أنه ما من أمة منذ بدء النبوات و الرّسالات إلّا خلا فيها نذير ، حتّى أصبح الأنبياء و الرّسل كثرة كثرة ، و النبي هو غير الرّسول و من ثمّ كما يقول طاهر قايد يجب التفرّيق بينهما ، فالرّسول هو نبي ، و لكنة في مرتبة أعلى من النبي ، وهذا تبعا للمهمّة التي أرسل من أجلها ، و هي مهمّة التبليغ (4) .

و قد اعتمد طاهر قايد في تعريفه للنبي على ما كتبه محمد عبده (5) ، و تناول بشيئين من النقد ما كتبه جولد زيهر Gold Zihher (6) ، و اللذين تناولوا النبوة بروى مختلفة و تفسيرات متباينة تخضع للموروث و المنزع الثقافي و الدّيني لكلّ منهما.

و ليس فيما ذكره طاهر قايد في تعريف النبوة ، ما يخرج عن التعريف العام الذي أجمعت عليه معاجم اللغة ، و كذا الدراسات التي اهتمت بتاريخ النبوة ، و من ثمّ أرى أنه قد كرر آراء محمد عبده في هذه المسألة و ليس في هذا ما يضير من الناحية المنهجية .

(1)- Tahar Gaid , *Dictionnaire Elémentaire de l'Islam* (2 eme Edition Alger : office des publications universitaires, 1986) . P 298.

(2)- لعله يقصد به آراء علماء الإسلام.

(3)- طاهر قايد، المرجع السابق ، ص 298.

(4) المصدر نفسه .

(5)- Abdou Mohammed, *Rissalat al tawhid, Exposé de la religion Musulmane.*(Paris: Gounthner, 1978)

(6)- Gold Zihher : *le dogme et la loi de l'Islam.*

(Paris , Gounthner n, 1973).

و عزَّزَ أبو الأعلى المودودي (1) النَّبِيَّ أَنَّهُ بَشَرٌ مَأْمُورٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَمْرِ تَشْرِيْعِي ، وَ يَكُونُ عَارِفًا بِكُونِهِ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ ، فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ وَ يَبْتَدِئُ بِعَمَلِهِ بِدَعْوَى النَّبُوَّةِ وَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَ عَلَى قَبُولِ دَعْوَاهُ أَوْ رَفْضِهَا يَتَوَقَّفُ الْإِيمَانُ وَ الْكُفْرُ (2).

وَ قَدْ فَرَّقَ أَبُو الْأَعْلَى الْمُوْدُوْدِي بَيْنَ عَقِيْدَةِ النَّبُوَّةِ ، وَ مَا يَعْرِفُ فِي فِكْرِ بَعْضِ الطَّوَائِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِعَقِيْدَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ ، وَ الَّتِي تَعْتَدُّ أَنَّ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ جَاءَ بِنَبَوَاتٍ وَاضِحَةً فِيهِ ، وَ الَّتِي يَطْلُقُ عَلَيْهَا الْمُوْدُوْدِي بِقَوْلِهِ : " هَذِهِ النَّبَوَاتُ وَ إِنْ كَثُرَ وَرُودُهَا فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ وَ التِّرْمِذِيِّ وَ ابْنِ مَاجَةَ وَ الْمُسْتَدْرِكِ لِلْحَاكِمِ (3) إِلَّا أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنَ الْفَائِدَةِ أَنَّ نَشِيطَ هَهُنَا الرَّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (4) .

عَنْ النِّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ حَظِيْفَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" تَكُونُ النَّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنْهَاجِ النَّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مَلَكًا عَاصِمًا فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنْهَاجِ النَّبُوَّةِ " .

(1) انظر: أبو القاسم المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، نقله إلى العربية محمد كاظم سباق (مباينة)، دار الشهاب، بدون تاريخ، ص 53.

و موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، كما بين خليل الحامدي، معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية في مقدمة هذا الكتاب، هو في أصله مقال كتبه أبو الأعلى المودودي لأول مرة سنة 1940 لمجلة (الفرقان) الصادرة في تلك الأيام، في مدينة برلن بالهند، هذا الحامدي يذكر في الإمام ولي الله الدكواني (1114 هـ، 1776 م) تم نشرها بصورة رسالة مستقلة، و قد ظهر منها حتى الآن، شأن غيرها من كتب أبي الأعلى المودودي، 7 طبعات باللغة الأردنية، و قد قام بترجمتها و نقلها إلى العربية محمد كاظم سباق أحد أعمدة دار العروبة.

(2) - المصدر نفسه، ص 58.

(2) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) - رواه أحمد في ترجمة النعمان و البزار أتم منه و الطبراني ببعضه في الأوسط و رجاله ثقات.

عَنْ النِّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخَشَنِيِّ عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (لَبَّيْ بِدَا هَذَا الْأَمْرِ نَبُوَّةٌ وَ رَحْمَةٌ ثُمَّ كَانَتْ خِلَافَةً وَ رَحْمَةٌ ثُمَّ كَانَتْ مَلَكًا عَاصِمًا ثُمَّ كَانَتْ عِتْوًا وَ جَبْرِيَّةً (أَي مَلِكٌ عِتْوٌ وَ قَهْرٌ) ، وَ فَسَادًا فِي الْأُمَّةِ يَسْتَحْلُونَ الْحَرِيرَ وَ الْخَمْرَ وَ الْفَسَادَ يَنْصُرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَ يَرْزُقُونَ أَبَدًا حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) . رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَ الْبِزَارُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَحْدَهُ ، وَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ .

انظر: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، تحرير الحافظين الجليلين العراقي و ابن حجر (القاهرة: مكتبة القدسي، بدون تاريخ) كتاب الخلافة، باب كيف بدأت الإمامة و ما تصير إليه الخلافة و الملك، ج 5،

ص 189،

و لا يهمننا في هذه الرواية إلا إثبات حقيقة و هي أن النبوة مقام تختلف اختلافًا جوهريًا عما شاع في الفرق الإسلامية ، من اعتقادات يدعى أصحابها ، صلتها بالنبوة ، و ما هي من النبوة في شيء ، و هذا تبع للتفصيلات التي قدمتها بين يدي حديثي عن النبوة في اصطلاح العلماء .

فالنبوة كما بين المودودي ، هي تكليف شرعي من الله عز و جل و هي على أساسها يتوقف الإيمان و الكفر ، أما ما يسميه بعض الباحثين من أعمال العباد والنسك و أصحاب الكرامات "نبوات" هي في حقيقة الأمر لا تخضع لتكليف شرعي ، و لا يتوقف عليها إيمان و لا كفر .

و ذكر محمد هشام سلطان (1) تعريفًا جامعًا للنبوة بأنها تكليف من الله عز و جل عن طريق الإجتباء و الاصطفاء ، و هذا من تعريف أهل الاختصاص للنبي إذ يقول في هذا الشأن : " و أما النبي في العرف : فهو عند أهل الحق من قال له الله : أرسلتك ، أو بلغهم عنّي و نحوه من الألفاظ و لا يشترط فيه شرط و لا استعداد بل الله يختص برحمته من يشاء من عباده ، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته ، و هذا بناء على القول بالقادر المختار ."

و هذه التعاريف التي أوردتها هي المجمع عليها عند العلماء في هذا الميدان ، و هي و إن اختلفت في بعض التفصيلات فإنها تلتقي في مفهومها العام و محاورها الكبرى .

إن النبوة - في المفهوم العام - لا يخرج عن معنى التكليف الشرعي ، وذلك لأنها تضمنت الأوامر و النواهي و الأحكام ، و هي من المسائل مناط التكليف ، و هو ما يفهم مما أورد أبو الأعلى المودودي ، و هذا بغض النظر عن التفسير الحركي للنبوة ، الذي لا يخرج عنده عن معنى الخلافة أي إقامة الأحكام ، و إعلان الخضوع و الخنوع لله عزّ و جل .

و ليس هنا مجال للحديث عن المعنى الحركي للنبوة ، الذي يرتبط - في نظر أبي الأعلى المودودي - بمهمة الاستخلاف البشري ، التي إقام عليها كل الأحكام المتعلقة بالنبوة .

(1) - انظر : محمد هشام سلطان : *الطبيعة و الفكر الإسلامي* ، مكتبة رحاب ، 408هـ - 1988م ، ص 95 .

و محمد هشام سلطان هو أستاذ التعليم العالي ، المتخصص في العقيدة و الفلسفة بالمعهد العالي لأصول الدين سابقًا ، جامعة الجزائر .

سبق الحديث عن النبوة في اصطلاح العلماء و المتشرعة ، و التي تعني عندهم بالإجماع عقيدة الإخبار عن الله بواسطة أنبيائه و رسله الكرام (عليهم السلام) ، عن كل ما يتصل بمسائل التوحيد و الغيب و غيرها من القضايا و المسائل التي لا سبيل للعمل لتخوض فيها بحكم خصيسته و طبيعته البشرية.

و اعتقد أن الكلام في النبوة لا يكتمل و لا يؤتي ثمرته ، و لا يحقق هدفه إلا إذا كانت هناك إشارة إلى الوحي الإلهي ، و ذلك لمحاولة حل الإشكال الموضوعي القائم بين العلماء في اختصاص النبوة فيما لا يختص به الوحي ، و اختصاص الوحي فيما لا تختص به النبوة ؛ و ذلك بالنظر إلى الاختلاف القائم بينهما ، و من ثم أردت أن أبين مدى دلالة النبوة على الوحي الإلهي ، أو بعبارة أدق هل هما شيئ واحد؟ و هل أن الاختلاف بينهما في اللفظ يفضي بالضرورة إلى الاختلاف في المعنى، أم أن بينهما عموما و خصوصا كما يقول الأصوليون؟ و هي القضايا محل البحث و مناط الجدل قديما و حديثا.

فإذا قابلنا هذا التعريف بما عرّف به الوحي بأنه الكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه و أوليائه فإنه يمكن أن نستشف من خلال هذين التعريفين الخلاصة الآتية :

1- أن الوحي و النبوة كلاهما اختصاص من الله عزّ و جلّ لصفوة خلقه و هم الأنبياء و الرسل (عليهم السلام) ، و هما أمران لا يكونان و لا يحصلان بالتعلم و لا بالاكْتساب و إنما هما من قبيل الاجتباء و الاصطفاء.

2 - يفهم من كلام صاحب التوقيف أنّ الوحي في أدق تعريفه هو علاقة الذات الإلهية القدسية السلبية بالذات البشرية المُتلقية للوحي ، و المتمثلة في شخصيّة النبي على تتابع الرسائل و توالي النبوات؛ ومن ثم فالوحي يختلف من حيث ظاهره عن النبوة التي هي عمل النبي فيما أوحى إليه من ربه.

ويضيف صاحب التوقيف: "و يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه و أوليائه وحي ؛ و ذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته و يسمع كلامه كتبليغ جبريل (عليه السلام) في سورة معينة ، و إما سماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلامه تعالى ، و إما بإلقاء في الروح لحديث : " إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي (1) ... " و إما بإلهام نحو " و أوحينا إلى أمير المؤمنين أن أَرْضِعِي (2) ، و إما بتسخير نحو " و أوحى ربك إلى النحل (3) " و إما بمنام كما دلّ عليه حديث : انتقطع الوحي و بقيت المبشرات: رويها المؤمن (4) .

و جاء في تعريف صاحب التوقيف للنبوة ما ملخصه : " النبوة سفارة بين الله سبحانه و تعالى ، و بين ذوي العقول من عبده لإزاحة عنهم في معاشهم و معادهم " (5) .

(1) في النهاية في غريب الحديث 88/5 : " إن روح القدس نفث في روعي " .
 وفي السندرك على المسيحيين للحاكم النيسابوري من حديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به و لا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه ، لا يستبطن أحد منكم رزقه إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس و اجملوا في الطلب فإن استبطل أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصية .
 انظر : المستدرک للحاكم (بيروت ، دار الكتاب العربي) ج 2 كتاب البيوع ص 26 ، وكذلك التلخيص للحافظ الذهبي .

(2) - التخصص : 7.

(3) - النحل : 68.

(4) - من حديث رواه السنّة بنظر مثلاً مسند الإمام أحمد (دار الفكر ، 1 ص 219) عن ابن عباس عن أبيه رضي الله عنهما .

(5) - انظر : المغاري ، التوقيف ، فصل الباء ، ص 691 .

واعتقد انه لا تصح الموازنة بين النبوة و الوحي ، إلا بالوقوف على مفهومهما ، كل على حدى .
فقد بينت في المبحث الخاص بمفهوم النبوة ، التعريفات المختلفة ، التي وضعها العلماء لها ، وحتى
لا تقع في مظنة التكرار ، فسأتحدث عن مفهوم الوحي ليتسنى لي بعد ذلك معرفة أوجه الموافقة و
المخالفة بينه و بين النبوة كما أشرت إلى ذلك بين يدي هذا المبحث .

فقد جاء في كتاب : " التوقيف على مهمات التعاريف " (1) في تعريف الوحي : بأنه إلقاء المعنى في
الفس في خفاء ، و لا يجوز أن تطلق الصفة بالوحي إلا للنبي .

ونقل عن الراغب قوله (2) : " الوحي أصله الإشارة السريعة ، و تتضمن السرعة قيسل : أمر و
حي ، و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز و التعريض ، ويكون بصوت مجرد عن التركيب ، و
بإشارة بعض الجوارح ، و بالكتابة و غير ذلك من طرائق الوحي الإلهي .

و من ثم فالنبوة بهذه المعاني تدل على علاقة النبي الموحى إليه بالناس الذين بعث فيهم بدليل أن
النبوة مرحلة أولى من مراحل التبليغ أو بالأحرى إرهاص يسبق النبوة و الرسالة ، التي لا ترتبط إلا
بالتبليغ بدليل قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " (3) .

3- أن الوحي مسألة خفية في حين أن النبوة مسألة ظاهرة ، و ذلك لقوله تعالى : " أململ عرفوا رسوله
فهرله منكروا " (4) .

4- أن للوحي طرائق كما أسلفت ، وهي التي يُلخصها قوله تعالى : " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا
رُحِيًا أَوْ مِنْ قَرْنٍ أَوْ إِحْبَابٍ أَوْ بِرَسُولٍ أَوْ يَرْسُلَ لِمَنْ يُشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ " (5) ، أما النبوة
فهي موضوع هذا الوحي ، لا تختلف طرائقها بقدر ما تختلف أشخاصها و تعاليمها .

(1) - انظر : محمد عبد الرؤوف المناوي ، المرجع السابق ، ص 721 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 721 .

(3) - المائدة : 67

(4) - المؤمنون ، 69 .

(5) - القصص : 51 .

و قد يفهم من بعض النصوص القرآنية التي تتحدث عن الوحي و النبوة أن بينهما عموماً و خصوصاً (1) ، فالوحي ظاهرة عامة و واحدة في جميع النبوات و الرسائل على تقادمها و تتابعها ، و ذلك بالنظر إلى وحدة المصدر و وحدة الغاية ، و لكن يقابل هذا اختصاص كل نبي بنبوته و رسالته، يقول صبحي الصالح في هذا الصدد : " فمن لدن نوح (عليه السلام) ، تتابع أفراد مصداقون أختار ينطقون عن الله و لا ينطقون عن الهوى ، و لم يكن الوحي الذي أيدهم به الله سبحانه و تعالى مخالفاً الوحي الذي أيده محمد (صلى الله عليه و سلم) ، بل كانت ظاهرة الوحي متماثلة عند الجميع لأن مصدرها واحد ، و غايتها واحدة " (2) ، و يؤيد هذا قوله تعالى : " إنا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالسِّينِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ وَ يُونسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آدَمَ إِذْ نَزَّلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا قَدْ فَضَّلْنَاكَ عَلَى الْبَشَرِ مِنْ قَبْلُ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا نَزَّلْنَا فِي الْبُحُورِ " (3) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يعني جل ثناؤه بقوله : إنا أوحينا كما أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح أي : " إنا أرسلنا إليك يا محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح و إلى سائر الأنبياء ، الذين سميتهم لك من بعده و الذين لم أسمهم لك " (4) . و يستخلص من هذه الآية أن الله سبحانه و تعالى كرر لفظ الوحي ، و الإشارة إليه عند الحديث عن جميع الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) ، ولكنه خصهم بأسمائهم ليبدل على اختصاص كل واحد منهم بالنبوة و الرسالة .

و يفهم من تفسير الطبري للآية الكريمة ، أن الوحي عنده مرادف للنبوة لقوله في تفسير قوله تعالى : " إنا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ " (5) : " إنا أرسلنا إليك محمد بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح ... " فالنبوة بهذا المعنى تدل على الوحي ، من حيث هي وحي فهي ظاهرة عامة في جميع النبوات و الرسائل ، و من حيث هي واردة بلفظ النبوة فهي خاصة في كل نبي و رسول . و ليس هناك إشارة صريحة فيما كتبه محمد رشيد رضا و محمد عبده إلى ما يوحي أن هناك اختلافاً بين الوحي و النبوة في المفهوم و المدلول .

(1) - يرجع في هذا إلى :

محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن (ط3 ، الجزائر : مكتبة رحاب ، 1986) ، ص 27 .

(2) - انظر : صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن (ط4 ، بيروت لبنان : دار العلم للملايين ، 1982 م) ص 22 .

(3) - النساء : 163 ، 164 .

(4) - تفسير الطبري : المرجع السابق ، ج 6 ، ص 20 .

(5) - النساء : 163 .

يقول محمد رشيد رضا: " وحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة و هما الخفاء و السرعة ، فهذا معنى المصبر ، و يطلق على متعلقه و هو ما وقع به الوحي ، أي : اسم المفعول ، و هو ما أنزله تعالى على أنبيائه و عرفهم به من أنباء الغيب و الشرائع و الحكم ⁽¹⁾ . و قال محمد عبده في رسالة التوحيد بعد تعريف الوحي لغة : " و قد عرفوه شرعا : أنه إعلام الله تعالى للنبي من أنبيائه يحكم شرعي و نحوه ، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ⁽²⁾ .

و مما تقدم يمكن أن أقول : إن الوحي هو الأساس الأول الذي تقوم عليه حقيقة النبوة ، فالوحي الإلهي دال على النبوة ، و من الثابت أنه ليس من الموضوعي الخوض في بيان أوجه المخالفة بين النبوة و الوحي ، و إن كانت هناك مخالفة كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء، الذين نقلت أفكارهم و آراءهم في هذه المسألة ، فهذه المخالفة لا تعدو أن تكون مخالفة لفظية و شكلية لا غير ، و لعل استعراض النصوص القرآنية التي ورد فيها الحديث عن النبوة و الوحي ، يعين على تثبيت هذه الحقيقة.

(1) انظر : محمد رشيد رضا ، الوحي السمدي ، مرجع سبق ذكره ص 44 .

(2) عبده (الشيخ محمد) (1266 / 1323 هـ / 1849 / 1905 م) : مصلح ديني مجدد ، و من مؤسسي النهضة المعاصرة الحديثة ، أسدر جريدة " المعروة الوثقى " في باريس مع جمال الدين الأفغاني ، عمل بالقضاء و الإفتاء ، من مؤلفاته " رسالة التوحيد " التي اقتبس منها هذا التعريف للوحي .

انظر : محمد عبده ، رسالة التوحيد (ط 5 ، مصر : مطبعة المعارف ، 1346 هـ) باب إمكان الوحي ، ص 118 .

من ذلك قوله تعالى : " قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ لَدُنِّي نَفْسِي ، إِنْ أُنْعِمَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ " (1) .
وقال : " وَإِذْ أَلَمْ تَأْتِهِم نَجَاتٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَنِبْنَا ، قُلْ إِنَّمَا أُنْعِمُ مَا يُوحَى إِلَيَّ " (2) .

فالملاحظ أن الوحي ، من خلال هذه الآيات ، هو لسان حال النبوة وأساسها فلا يكون النبي نبيا حتى يوحى إليه ، فلا ترد النبوة إلا مقترنة بالوحي ، ولا يرد الوحي إلا دالا على النبوة، فلا تثبت نبوة نبي من الأنبياء إلا بالوحي وهو ما يشير إليه قوله تعالى : " قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، إِنْ أُنْعِمَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ " (3) . وقوله تعالى " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَأَجِدُ " (4) . وقوله تعالى : " وَالتَّجِيرَ إِذَا هَمَّى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " (5) .

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " " القول في تأويل قوله تعالى : وما ينطق عن الهوى ، إلا هو وحي يوحى ، قوله تعالى ذكره وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه إن هو إلا وحي يوحى بقوله ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه " ، وبذلك يقول أهل التأويل " (6) .

فهذه الآيات كلها تبين مما لا يدع مجالاً للشك ، أن النبي لا يمكنه أن يبلغ عن الله سبحانه وتعالى ، إلا ما أوحاه إليه ، فبالوحي تتميز النبوة عما يحصل لأولي الكشف والإلهام ، عن طريق المكاشفة التي لا تستند إلى وحي إلهي (7)

(1) - يونس : 15 .

(2) - الأعراف : 203 .

(3) - الأنعام : 50 .

(4) - الكهف : 110 - وفصلت : 6 .

(5) - النجم : الآيات من 1 إلى 4 .

(6) - الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ج 7 ، ص 25 .

(7) - النظر : محمد الصالح ، المرجع السابق ، ص 19 .

الفصل الثاني : النبوة و الرسالة و حاجة البشر إليهما .

المبحث الأول : النبوة و الرسالة.

سبقَت الإشارة إلى النبوة في اللغة و في اصطلاح العلماء ، وكذلك دلالتها على الوحي الإلهي ، و سقت في ذلك ما يؤيد ما ذهب إليه العلماء في هذه المسألة ، و أبحث في هذا المبحث دلالة النبوة على الرسالة ، و أقوال بعض العلماء في صحة دلالة أحد اللفظين على الآخر أو عدم صحّتها ، أو بمعنى آخر هل النبوة هي الرسالة أم أنّها مرتبة دون ذلك ؟.

جاء في (كشاف اصطلاحات الفنون)⁽¹⁾ ، في تعريف الرسالة و بيان المراد اللغوي و الاصطلاحي منها و الفرق بينهما و بين النبوة أنّ الرسالة في الأصل: الكلام الذي أرسل إلى الغير و خصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية.

و ذكر التهانوي في الهامش⁽²⁾ عن الكليات:

أنّ الرسالة في اللغة تحمّل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة ، و هو حد صحيح بما أنّ كلّ رسالة فيما بين الخلق هي الوساطة بين المرسل و المرسل إليه في إيصال الأخبار، و الأحكام داخلة في هذا المدّ ، فإذا قال لرسول بعث هذا من فلان الغائب بهذا فاذهب و أخبره ، و جاء الرسول و أخبر المرسل إليه فقال المرسل إليه في مجلس البلوغ: اشتريته أو قبلته تم البيع به ، لأنّ الرسول معبر و سفير ، فكلامه ككلام المرسل ثم أطلقت الرسالة على العبارات المؤلفة المدوّنة لما فيها من إيصال كلام المؤلف و مرامه إلى المؤلف له، و أصلها المجلة أي الصحيفة المشتملة على كتب المسائل القليلة من فن واحد.

(1) - التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972 م) ، ص 73.

(2) - انظر : المرجع نفسه (الهامش) ص 73.

و ذكر التهانوي في بيان علاقة النبوة بالرسالة و مدى صحة التفاضل بينهما : " و قد تختصّ الرسالة بالتبليغ أو بنزول جبريل ، عليه السلام أو بكتاب أو بشريعة جديدة أو بعدم كونه مأمورا لمتابعة شريعة من قبله من الأنبياء ، و بالجملة فالرسول إمّا مرادف للنبيّ ، و هو إنسان بعثه الله تعالى بشريعة سواء أمر بتبليغها أو لا ، و إليه ذهب جماعة ، و إما أخصّ منه كما ذهب إليه جماعة أخرى" (1).

و يضيف التهانوي : " و اختلفوا في وجه كونه - أي الرسول - أخصّ من النبيّ فقيل لأنّ الرسول مختصّ بالمأمور بالتبليغ إلى الخلق بخلاف النبيّ ، و قيل لأنه مختصّ بشريعة خاصة بمعنى أنه ليس مأمورا بمتابعة شريعة من قبله ، و قيل لأنّه مختصّ بكتاب (2) ، و قال بعضهم إنّ الرسول أعمّ ، و فسره بأنّ الرسول إنسان أو ملك مبعوث ، بخلاف النبيّ فإنه مختصّ بالإنسان (3) . و قيل النبيّ هو الذي يرضى في المنام و الرسول هو الذي يسمع صوت جبرائيل عليه السلام و لا يراه ، و المرسل هو الذي يسمع صوته و يراه .

و جاء في فتح المبين شرح الأربعين للنووي (4) : " الرسول إنسان حر ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع و أمر بتبليغه ، سواء كان له كتاب أنزل عليه ليبلغه ناسخا لشرع من قبله أو غير ناسخ له ، أو أنزل على من قبله و أمر بدعوة الناس إليه أم لم يكن له ذلك بأن أمر بتبليغ الوحي إليهم من غير كتاب و لذلك كثرت الرسل إذ هم ثلاثمائة و ثلاثة عشر و قلت الكتب إذ هي التوراة و الإنجيل و الزبور و صحف آدم و شيث و إدريس و إبراهيم ، و هو - أي الرسول - أخصّ من النبيّ فإنه إنسان حرّ ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع و إن لم يؤمر بتبليغه" .

(1) - التهانوي : المرجع السابق ، ص 74 .

(2) - أخذه و نقله التهانوي عن العلمي حاشية شرح هداية الحكمة و بعض شروح مختصر الأصول .

(3) - ذكره الماوي عبد الحكيم في حاشية الخيالي في بحث خبر الرسول .

(4) - انظر : النووي : فتح المبين شرح الأربعين مادة الرسول . و النووي هو يحيى بن شرف (ت 676 هـ / 1277م) فقيه محدث من (نوى) بسورية ، له (رياض الصالحين) و (تهذيب الأسماء و اللغات) و غيرها . نقل عنه التهانوي في المرجع السابق ص 74 .

و نقل التهانوي عن ابن عبد السلام قوله بتفضيل النبوة لتعلقها بالحق ، على الرسالة لتعلقها بالخلق ورد بأن الرسالة فيها التعلقان كما هو ظاهر ، و الكلام في نبوة الرسول مع رسالته و إلا فالرسول أفضل من النبي قطعا « (1).

و ما يمكن استنتاجه من كلام التهانوي:

أولاً:

أنه يكرّر التعريف الذي ذهب إليه بعض العلماء من أن الرسالة منوطة بالتبليغ ، لأن الرسول عندهم هو من أوحى الله إليه بشرع و أمر بتبليغه ، بخلاف النبي الذي لم يشترط فيه التبليغ ، و لذلك كان الرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي و ليس كل نبي رسول ، و هذا ما يفيد -حسبنا ذهب إليه التهانوي- إلى أن النبوة مرتبة دون الرسالة (2).

ثانياً:

و كما تختص الرسالة بالتبليغ فإنها تختص أيضا بنزول جبريل أو كتاب أو شريعة جديدة بحيث لا يكون الرسول مأمورا بمتابعة شريعة من قبله من الأنبياء و الرسل (عليهم السلام)، غير أن التهانوي يؤكد أن هذه المسألة ، ليست محل اتفاق عند بعض العلماء الذين ذهبوا إلى القول بأن النبوة كلمة مرادفة للرسالة ، لاشتراكها معها في البعثة بشرية ما سواء كان فيها الأمر بالتبليغ أم لا.

ثالثاً:

أن الرسول قد يكون إنسانا أو ملكا مبعوثا بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان ، و هو ما يقضي بضرورة المفاضلة بينهما . و ما ذكره التهانوي يعد خلاصة لأراء العلماء في المعنى الاصطلاحي للنبوة .

رابعاً:

أن النبوة من حيث هي وحي ، تختلف اختلافا جوهريا عما شاع عند بعض الجماعات البشوية من الولاية والفيض الباطني وغيره مما قالت به كثير من الفلاسفات الباطنية .

(1)- التهانوي : المرجع السابق ، ص 74.

(2)- انظر : محمد علي الصابوني ، النبوة و الأنبياء (عين مليلة ، الجزائر : دار لهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، بدون تاريخ) ص 15

و جاء في كتاب التعريفات⁽¹⁾ : " الرسول هو إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام ، قال الكلبي⁽²⁾ و الفراء⁽³⁾ : كل رسول نبي من غير عكس ، و قالت المعتزلة⁽⁴⁾ : لا فرق بينهما ، فإنه تعالى خاطب محمدا مرة بالنبي ، و بالرسول مرة أخرى .

و يستنتج من تعريف الجرجاني للرسالة أنه يعضد رأي القائلين بأخصية الرسالة على النبوة ، و أمّا ما ذكره بشأن المعتزلة ، فقد يكون هناك أيضا ما يؤيده من النصوص القرآنية ، لأن الخطاب الإلهي لمحمد (صلى الله عليه و سلم) ، جاء تارة بلفظ (النبي) ، و تارة أخرى بلفظ الرسول .

و ينبغي التنبيه في هذا المقام أن الجرجاني في " التعريفات " ، لم يركز كثيرا على المعنى الاصطلاحي للكلمة المراد تعريفها ، و اكتفى في ذلك - في الأعم الغالب - بالمعنى اللغوي و الاستقائي ، و لذلك فإنه ذكر في هذا الباب في المفاضلة بين النبي و الرسول ما أجمع عليه أهل الاصطلاح .

(1) - للملازمة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (740-816 هـ)

تحقيق عبد المنعم الحفني ، (طبع و نشر و توزيع دار الرشاد ، بدون تاريخ) ، ص 125 .
و كتاب (التعريفات) معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي .
و قد جاء في آخر الكتاب عن دار الرشاد :

التعريفات من الموسوعات المعترف بها في الفلسفة و الفقه و المنطق و اللغة و النحو و الصرف و العروض ، بل إنه من أكثرها شيوعا ، و كان قد نشره المستشرق جوستاف فلوجل سنة 1845م بيد أن تلك الطبعة كانت حافلة بالأخطاء ، و تداولها الناسرون بأخطائها و كان لابد من تصحيحها و تنقيحها ، فهناك أخطاء بالزيادة و النقصان ، و أخطاء بالتعريف و التعميل و أخطاء بالنقل ، و استمر الحال من يومها حتى الآن على هذا الوضع ، بل إنه يزداد تفاقمًا من طبعة لأخرى .

و قد نصح الحفني هذه الطبعة و صحح الكتاب و نيله بالحواشي و أعاد تبويبه على الأبجدية كما ينبغي فأجاد .

(2) - أبو ثور الكلبي البغدادي (ت 240هـ) ، الفقيه صاحب الإمام الشافعي .

(3) - أبو زكريا الفراء أول من أعد لدرس تفسير القرآن في مساجد بغداد ، قيل عنه لولا الفراء لسقطت العربية ، و له كتاب المشكل و المعالي ، و تولى - رحمه الله - 207هـ .

(4) - المعتزلة : هم أصحاب المذهب الفلسفي الذي فتح المجال للاجتهاد و البحث النظري ، و اتفكوا العقل قياسا و عزلوا برأيهم في عقائد الدين عن الجماعة و قالوا بخلق القرآن ، و من أبرز علمائهم واصل بن عطاء و عمر بن عبيد و العلاف و بشير بن المعتمر و النظام و الجاهظ .

و اعتقد أن هذا كان بحسب المقام و بحسب الموضوع الذي سبق فيه الخطاب ، و من ذلك على سبيل المثال قول الله تعالى : **بِأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتِي** (1) .
 ففي هذه الآية الكريمة خاطب الله سبحانه و تعالى محمداً (صلى الله عليه و سلم) بالرسول ، لأن مهمة الرسول هي تبليغ ما أنزل إليه من ربه إلى الذين أرسل إليهم .

أما قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ رِضَاتِ أَرْوَاحِكُمْ** (2) و قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَيْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِغَيْرِ مَنِّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ** (3) .

و قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَبِئْتَهُمْ جَهَنَّمَ** (4) . فهذه الآيات كلها خاطب الله سبحانه و تعالى فيها محمداً (صلى الله عليه و سلم) بالنبي لأن هذا ما يتوافق و ما يساوق مهمته - بعد تبليغ الوحي الإلهي - و هي تنفيذ الأحكام و دعوة المؤمنين إلى مثل ذلك .

و عليه فإن الذي أتضح لي من خلال هذا العرض ، أن الخطاب بالنبي أو بالرسول ليس على سبيل الإطلاق ، للقول بمطلق عدم التفرقة بين النبي و الرسول ، و إنما كان هذا الخطاب محكوماً بضوابط السياق و تداعياته .

(1) المائدة : 67 .

(2) - التحريم - 1 .

(3) - الطلاق : 1 .

(4) - التوبة : 73 .

المبحث الثاني : حاجة البشر إلى النبوة:

الرأي الجامع الذي عليه جمهور العلماء، أن البشر لا غنى لهم ألبتة عن النبوة و الرسالة فقد جاء في (الوحي المحمدي) في بيان اشتداد حاجة العقل البشري إلى هداية الأنبياء و الرسل (عليهم السلام) قول محمد رشيد رضا: "فحكمة الحكماء و علومهم آراء بشرية ناقصة، و ظنون لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول، و هي عرضة للتخطئة و الخلاف، و لا يفهمها إلا فئة مخصوصة من الناس، و ما كل من يفهمها يقبلها، و لا كل من يقبلها و يعتقد صحتها يرجحها على هواه و شهواته، إذ لا سلطان لها على وجدان العالم بها، فلا يكون لها تأثير الإيمان و إسلام الإذعان و التعبد؛ لأن النوع البشري يأسى طبيعه و غريزته أن يدين و يخضع خضوع التعبد لمن هو مثله في بشريته، و إن فاقه في علمه و حكمته، و إنما يدين لمن يعتقد أن له سلطانا غيبيا عليه بما يملكه من القدرة على النفع و الضر بذاته دون الأسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون و نظامه"⁽¹⁾.

و أستخلص من كلام محمد رشيد رضا أن وجود حاجة العقل البشري إلى النبوة و الرسالة تتلخص في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: أن العقل البشري ليس من طبيعته و لا بإمكانه و مقدوره أن يخوض في مسائل الغيب، و هو ما يؤكد محمد رشيد بقوله: "فإن قيل: إن الإيمان بالغيب و وجود الرب غريزي في الفطرة البشرية كما حقتكم، أو إلهام من إلهاماتها يلقي في روع أفرادها عند نمو إدراكهم، و إن بعض الحكماء المفكرين قد ارتقوا في معارفهم العقلية إلى حيث أقاموا البراهين على وجود واجب الوجود و علمه و حكمته، و وجوب تعظيمه و شكره و عبادته، و قد قرّر بعضهم بقاء النفس بعد الموت و خلودها في نعيم مقيم أو عذاب أليم، و وضعوا للناس أصول الفضائل و الشرع و الآداب التي تصلح بها الإنسانية و روابط الاجتماع"⁽²⁾.

(1)- انظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص 54، 55.

(2)- المصدر نفسه، ص 48.

و يرد محمد رشيد رضا على كل هذه المزاعم بأنها أمر ثابت في التاريخ ، لا مناص لإنكاره و لا مشاحة فيه ، غير أن هناك فروقا بين هداية الأنبياء و حكمة الحكماء ، و ذلك بحسب مصدر كل منهما ، و في الثقة بصحته ، و في الإذعان لحقيقته ، و في تأثيره في أنفس جميع طبقات المخاطبين" (1) .

و ما ذكره محمد رشيد رضا هو ما يحقق الركن الأول الذي هو أصل من أصول دين الأنبياء و الرسل الكرام (عليهم السلام) ، و هو موضوع رسالتهم و لب عقيدتهم ، و الذي يتمثل في الإيمان بالغيب الذي لا تختص معارفهم المكتسبة بحواسهم و عقولهم به، فالإيمان بالغيب و رأسه توحيد الله سبحانه و تعالى و إثبات صفاته و آياته الدالة على كماله و تنزهة عن النقص ، فكل هذا لا يعرف إلا عن طريق الوحي الإلهي، و لا تفهم مقاصده إلا بالنبوة و الرسالة(2).

المسألة الثانية :

أن العقل لا يغني عن النبوة عما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت و الحساب و الجزاء على الإيمان و الأعمال ، و هو أكبر البواعث -بعد الإيمان بالله و معرفته- على اتباع ما شرعه من اتباع الحق ، و إقامة العدل ، و أعمال البر و الخير و الصدود عن أضدادها.

المسألة الثالثة:

أن الغاية من النبوة و الرسالة هو وضع حدود و أصول للأعمال التشريعية، التي لا مجال للأراء و الأهواء فيها ، لتكون جامعة للكلمة ، مانعة من التفركة ، متبعة في السر و العلانية ، و هو ما لا يرقى إليه إنسان بمحض عقله ، و لا نتاج حكمته (3).

ولقد عقد محمد رشيد رضا فصلا خاصا في " الوحي المحمدي " للبحث في أركان الدين السماوي ومنها النبوة ، وقد عرض فيه كثيرا من الآراء ، التي تتفق وتختلف تبعا لمنهج كل فريق من أهل التأويل .

(1) - محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 50 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 48 .

(3) - المصدر نفسه ، ص 50 .

و الإعراض عن النبوة كما ذكر محمد رشيد رضا في وضع الحدود و تاصيل الشرائع ، من شأنه أن يؤدي إلى الاضطراب و صراع الأهواء مصداقا لقول الله تعالى في ذلك : "ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ نَزَّلْنَا لَهُمُ الْقُرْآنَ فَأَعْتَمَلُوا فِيهِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الَّذِينَ هُمُ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَرَجَعْنَا إِلَىٰ يَوْمِئِذٍ لَّا يَخْتَلِفُ فِيهِ شَيْءٌ مِّنْهُ" (1).

و لقد ذم القرآن الكريم الاحتكام إلى الأهواء ، لأنها ضالة و مضلّة ، يقول الله تعالى : "أَفَرَأَيْتُ مَنِ اخْتَلَفَ إِلَهُهُ رَبَّهُ وَأَمْ لَمْ يَلِدْ وَأَمْ لَمْ يُنْشَأْ أُخِذَ الْفِتْنَةَ يَوْمَئِذٍ فَأُخِذَ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ" (2).

و جملة القول فيما ذكره محمد رشيد رضا أن تهذيب البشر بالدين مبني على الإيمان بالغيب و الوقوف فيه عند خبر الأنبياء (عليهم الصلاة و السلام) و لا يمكن تهذيبهم بالعقل وحده.

و لقد دلت بعض النصوص القرآنية أن النبوة عصمت الناس من غائلة الافتراق و الاختلاف بسبب الأهواء ، و من ذلك قوله تعالى : "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِمَّا إِلا الذِّبْنَ أَوْتَوْهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْدَ مَا يَهْتَدُونَ اللَّهُ الذِّبْنَ ، أَمْ نَأْمُرُ بِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِمَّنْ أَحَقُّ بِالذِّبْنِ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (3).

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : "اختلف في تفسير هذه الآية ، فقال بعضهم : كان الناس أمة واحدة أي على دين واحد حين عرضوا على آدم ففطرهم يومئذ على الإسلام و أقرروا له بالعبودية و كانوا أمة واحدة مسلمين كلهم ثم اختلفوا من بعد آدم فكان أبي يقرأ : كان الناس أمة واحدة فاختلَفوا فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين إلى فيما اختلفوا فيه و أن الله إنما بعث الرسل و أنزل الكتب عند الاختلاف" (4).

(1) - النحل : 63، 64.

(2) - الجاثية : 23.

(3) - البقرة : 213.

(4) - تفسير الطبري ، ج 2، ص 194، 195.

و يذهب محمد عبده (1) إلى أن حاجة البشر إلى النبوة و الرسالة يتخذ مسلكين اثنين :

المسلك الأول : و هو الاعتقاد الكامن و المستقر في الفطرة البشرية ببقاء النفس الإنسانية بعد الموت ، و أن لها حياة أخرى سرمدية بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم، و أن السعادة و الشقاء في تلك الحياة الباقية ، معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية ، و هذا الاعتقاد كما يضيف محمد عبده اتفقت حوله كلمة البشر موحدتين ووثنيين و فلاسفة إلا فئة نشازا منهم ، الذين أجمعوا على أن النفس الإنسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن ، و هم و إن اختلفت منازلهم و مشاربهم في تصوير ذلك البناء و طرق الاستدلال عليه، إلا أن الاتفاق حاصل بينهم في حقيقة ذلك البقاء ؛ و هو الأمر الذي لا يمكن معرفته بمظنة عقلية ، و لا نزعة وهمية و إنما السبيل إليه الأوحى هو هداية النبوة و الرسالة ؛ لأن العقل بطبيعته البشرية و لاستيلاء النقص عليه في الجملة لا يمكن أن يوقن باعتقاده و لا أن يوصل إلى حقيقة هذا الأمر الغيبي الذي هو من هدي النبوات و الرسالات (2).

المسلك الثاني: في بيان حاجة البشر إلى النبوة و الرسالة ، على نحو ما ذكر محمد عبده فيتجلى من خلال ما يؤخذ من طبيعة الإنسان نفسه كحبه للاجتماع و كراهيته للاعتزال و هي واقع يشهد به تاريخ الإنسان منذ بدء الخليقة ، و لا يمكن لهذه النزعات الاجتماعية أن تتحقق في المجتمع البشري إلا إذا كان لها رباط من الدين ، و هادٍ من نبوة أو رسالة ، لأن المعهود و المألوف في طبائع المجتمعات أن يحصل اجتماع الناس أفرادا و جماعات على أساس من الهدي السماوي ، و هي حقيقة كما يؤكد محمد عبده لا مرأء فيها (3).

و أستخلص من حديث محمد عبده عن حاجة الإنسان إلى النبوة و الرسالة أنه اعتمد في تأكيد هذه الحقيقة على مسلكين اثنين هما المسلك النفسي الفطري و المسلك الاجتماعي ، ففطرة الإنسان و الميل الاجتماعي في طبعه يقوي الحاجة إلى النبوة و الرسالة ، ليسدّ النقص العقلي الذي جبله الله سبحانه و تعالى عليه يوم خلقه .

(1) - انظر : محمد عبده ، رسالة التوحيد و مطبعة المنار - مصر ، ط 5 ، سنة 1346 هـ ص 105.

(2) - المصدر نفسه ، ص 106 ، وأخذت الشواهد و النصوص و الأقوال بنصرف.

(3) - المصدر نفسه ، ص 107.

و قال البغوي⁽¹⁾ شرحا على هامش الخازن في تفسير قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ"⁽²⁾ "و ما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله النبيين (مبشّرين) بالثواب من آمن و أطاع (و منذرّين) محذّرّين بالعقاب من كفر و عصى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، أي في الكتاب"

فالنّبوة ضرورة فطرية و عقائدية و اجتماعية لا محيص عنها ، و ذلك لأنه لا تستقيم حياة الإنسان بشقيها الدينيّ و الدنيوي إلا بها، فعقل الإنسان وحده غير كاف لبيان ما التبس عليه من أمر الدين و الدنيا ، و لهذا نجد الله سبحانه و تعالى يمتنّ على مشركي العرب ببعثة محمد (عليه السلام) في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"⁽³⁾

إنّ منطوق الآية يفيد أنه ليس من المعقول المبالغة في الاعتداد بالعقل ، و لكن في حدود كما تبيّن ذلك من أقوال العلماء و أهل الاختصاص.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"⁽⁴⁾ " قال ابن زيد في قوله : هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم [و يقصد بها أمة محمد (صلى الله عليه و سلم)] ، و إنما قال منهم ؛ لأن محمدا كان أمياً و ظهر من العرب ، و قوله : " يتلو عليهم آياته " ، يقول جل ثناؤه : " يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه ، و يزكّيهم يقول : و يطهرهم من نفس الكفر"⁽⁵⁾ .

(1)- انظر : البغوي (الإمام الجليل محي السنة أبو محمد الحسين الفراء البغوي ، معالم التنزيل) على هامش تفسير

الخازن) ، (مصر : مطبعة التقدم العلمية ، بدون تاريخ) ، ص 169.

البغوي هو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت - 516) نقل في تفسيره بالإسناد عن مفسري الصحابة و التابعين و من بعدهم.

(2) - البقرة : 213.

(3) - الجمعة : 2.

(4) - الجمعة : 2.

(5) - الطبري ، التفسير ، ج 28 ، ص 61.

و خلاصة القول مما تقدم :

1- رجة حاجة الإنسان إلى النبوة تتبع من تركيبته النفسية التي تجعله - لو ترك بدون هداية ربانية - ينزع إلى الأثرة و التملك و الإفراط في حب الذات ، فجاءت النبوة لترشيد هذه النزعات لتكون وفق حدود معقولة لا تستبد بالإنسان إلى الظلم و الكفر (1) .

2- إن النبوة طريق إلى تعريف الإنسان بالخير و الشر ، بالحلال و الحرام ، وهو ما يتعذر أن يهتدي إليه بعقله ، وكل هذا يدخل ضمن الاختبار الإلهي للإنسان لتمييز من أحسن ممن أساء عملاً (2) .

3- النبوة وسيلة لتحقيق الاجتماع البشري ؛ إذ لو وكل الله الناس إلى أنفسهم في هذا المجال ، فإنهم في هذه الحال لا يخلو وضعهم من أحد أمرين : إما أن يكونوا متكافئين بحيث تنوب بينهم مظاهرة الغلبة ، وهو الأمر الذي يسوق بعد ذلك إلى الصّراع ؛ وذلك لاختلاف المنازح و الأهواء ، لذلك كان لابد أن يقوم الاجتماع البشري على الأسس الإلهية النابعة من وحي الله تعالى ، فهو صبغة الله و من أحسن من الله صبغة (3) ، وإما أن يكون في الناس غالب و مغلوب ، وبذلك سوف يؤول وضع النظام الاجتماعي الذي يحكم العلاقة البشرية بعضها ببعض إلى أصحاب الغلبة و هم أولوا السلطة و النفوذ ، و بهذا يسود الخلل الاجتماعي ، الذي يفرق الناس بالضرورة إلى فريقين اثنين : فريق غالب قاهر و فريق مغلوب مقهور لا يقدر على شيء ؛ ففي ظل هذا الاختلاف القائم بين الفريقين - لو تركت الحياة للاجتهاد البشري لصل فيها الناس ، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصلح حالهم و مآلهم (4) .

4- إن العقل لا يغني عن هداية النبوة ، وذلك لأن استيلاء النقص على العقل ، يجعله غير مؤهل لحدّ الحدود ، ووضع الأحكام ، التي تبقى من اختصاص الرحي الإلهي .

(1) محمد قطب ، منهج علم التوحيد (الجزائر : مكتبة رحاب ، 1410 هـ / 1990 م) ج 3 ، ص 48 .

(2) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ؛ محاضرات في السيرة النبوية و رسالة الإسلام : تعريب محمد الندوي (جدة : الدار السعودية للنشر ، 1404 هـ / 1984 م) ص 23 .

(3) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، العقيدة الإسلامية و أسسها (بيروت لبنان : دار القلم ، 1415 هـ / 1994 م) ص 272 .

(4) محمد الغزالي ، عقيدة المسلم (باتنة : دار الشهاب ، 1405 هـ / 1985 م) ص 184 ، 185 .

5 - النبوة وسيلة لتحقيق الغاية الفطرية التي خلق الناس من أجلها، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى لقوله عز وجل: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي» (1). وهذه العبادة تقوم على التوحيد الخالص، الذي هو كفيل وحده بأن يبعد الإنسان عن الغواية والضلالة، اللتين آل إليهما حال الفرق الضالة التي فسد مفهوم الألوهية عندها لما نسج حولها من خيالات لا تتفق مع عقيدة التوحيد.

6 - بإرسال الرسل تقوم الحجة كاملة على الإنسان فيما لو استمر في انحرافه و مكابرتة و نكرانه للفتنة (2).

7 - إن النبوة هي الطريق الوحيدة التي يعرف بها الإنسان ما غاب عن بصره، ولم يدركه بعقله، وهو عالم الغيب و كل ما يتصل به من كلام عن الدار الآخرة و الجنة و النار، وأحوال الإنسان في المعاد.

(1) الذاريات: 56.

(2) علي سليمان يحفوفي، الرسل و الرسائل: بحث في نهج البلاغة (ط1)، بيروت: دار العالمية، 1403 هـ / 1982 م، ص14 إلى 16.

الباب الثاني : النبوة في التوراة .

تمهيد :

الفصل الأول : تعريف التوراة و تطور مفهوم النبوة في العهد القديم .

المبحث الأول : تعريف عام بالتوراة وأسفارها .

المبحث الثاني : تطور مفهوم النبوة في العهد القديم .

الفصل الثاني : ألواح موسى (عليه السلام) ونبوة الرؤى المنامية و الأحلام في التوراة.

المبحث الأول : ألواح موسى (عليه السلام) و مصدريتها للنبوة عند بني اسرائيل .

المبحث الثاني : نبوة الرؤى المنامية و الأحلام في التوراة .

المبحث الثالث : نقد النبوة القائمة على الرؤى و الأحلام .

الفصل الثالث : التنبؤات المستقبلية و الكهانة في التوراة .

المبحث الأول : التوراة و التنبؤات المستقبلية .

المبحث الثاني : النبوة و الكهانة في التوراة .

الفصل الرابع : نبوة محمد (ﷺ) و نتائج عقيدة النبوة في التوراة .

المبحث الأول : نبوة محمد (ﷺ) في التوراة .

المبحث الثاني : نتائج عقيدة النبوة في التوراة و نقدها .

إن الحقيفة التاريخية التي لا مندوحة عنها ، أن التوراة - قبل التحريف - ، هي شريعة موسى ، (عليه السلام) ، التي بعث بها لدعوة بني إسرائيل ، وهذا حقيقة تؤكدتها نصوص قرآنية كثيرة ، منها قوله تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ آسَلَمُوا لِلدِّينِ هَادُوا أَوَّالِي الرِّبَايُونَ " والأخبار بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء" (1) .

إن مفهوم منطوق الآية كما يقول الأصوليون (2) ، يؤكد أن التوراة في بداية أمرها كانت كتابا ربانيا خالصا ، وذلك بدليل نسبتها إلى الله (عز وجل) ، مما ينفي عنها - يقينا - صفة البشرية ، غير أن هذا الوضع لم يبق على ما هو عليه ، فقد تخلى الربانيون والأخبار عن التوراة التي استحفظهم الله إياها ، وأضافوا إليها وحذفوا منها كثيرا من النصوص ، أتباعا للهوى ، ووقوعا تحت طائلة النزعات الذاتية ، مما جعل التوراة عندهم موضوعا للاستزراق ، ضاربين عرض الحائط بكل تعاليمها الربانية ، وهو ما أشار إليه قوله تعالى : " فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِمْ ثَمَنًا تَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَيَلُهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ " (3) .

إن دراسة النبوة في التوراة ، ينبغي أن تأخذ في الحسبان ، هذه المعطيات والمتغيرات في تاريخ الشعب اليهودي ، وإن إغفالها أو إبعادها ، يجعل كل دراسة لغوا من القول ، لا يحقق نتيجة ، ولا يصل إلى حقيقة ، وهو ما أروم الالتزام به ، بهدف تحديد ملامح النبوة عند بني إسرائيل ، على تعاقب فتراتهم الدينية والتاريخية .

وسأضرب الذكر صفحا عن اعتقادات الفرق اليهودية في النبوة لأن عنوان الموضوع لا يتسع لهذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن إنكار بعض الفرق اليهودية للنبوة ، وإثبات البعض الآخر ، لا يعين على دراستها والمقارنة بينها .

(1) المائدة : 44 .

(2) أقصد بالأصوليين علماء أصول الفقه .

(3) البقرة : 79 .

الفصل الأول: تعريف التوراة و تطور مفهوم النبوة في العهد القديم.

المبحث الأول : تعريف عام بالتوراة و أسفارها.

التوراة⁽¹⁾ كما يذكر الدارسون⁽²⁾ للآداب و العقائد اليهودية ، هي قسم من أقسام العهد القديم ، الذي يطلق على الكتاب المقدس عند اليهود ، و يسمى بالعبرية "תורה" (توخ) ، و كل حرف من هذه الكلمة يرمز إلى قسم من أقسامه الثلاثة ، فحرف "א" يرمز إلى "תורה" (التوراة) ، و حرف "ל" يرمز إلى "נביאים" (الأنبياء) ، و حرف "כ" - الذي قلب في النطق العبري "ס" يرمز إلى "כתובים" (المكتوبات) .

و ليس يعني هنا - التوراة بموضوع البحث - إلا ذكر الأسفار⁽³⁾ التي تتكون منها التوراة ، التي هي أعظم كتاب ديني عند الإسرائيليين ، و تنقسم التوراة إلى خمسة أسفار⁽⁴⁾ معروفة عندهم باسم "أخماس" ، مفردتها : "אחת" ، و هي :
 1 - سفر التكوين (سفر التكوين) : و يتضمن خبر خلق العالم ، و قصة الإنسان في بدء الخليقة و على رأسها قصة آدم و حواء (عليهما السلام) كما تضمن هذا السفر الحديث عن قصة نوح و الطوفان ، و حياة إبراهيم الخليل و ولديه إسماعيل و إسحاق (عليهما السلام) ، و تاريخ يعقوب و أبنائه الاثني عشر الذين كوتوا فيها بعد (أسباط بني إسرائيل)⁽⁵⁾ ، و ينتهي هذا السفر بالحديث عن زيارة إخوة يوسف لـ عليهم السلام ، و ذهاب أبيه لرؤيته في مصر .

(1) و هي في أصلها اللغوي العبراني (תורה) ، و لفظ (التوراة) يعني في العبرية الشريعة و القانون و التعليم .

انظر : ربحي كمال ، دروس اللغة العبرية (بيروت لبنان : دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، 1978م) ، ص 434 .

و ربحي كمال هو أستاذ محاضر للدراسات الدوائية في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية و بجامعة دمشق و بيروت العربية .

(2) المصدر نفسه ، ص 434 و ما بعدها .

(3) (سفر) مأخوذة من الكلمة العبرية "ספר" و جمعها "ספרים" بمعنى كتاب و كتب ، و هي كلمة معربة وردت في القرآن الكريم في حديثه عن بني إسرائيل و عزوفهم عن التوراة و هو قوله تعالى : "سَأَلِ الَّذِينَ حَمَلُوا الصَّخِرَ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ مَاذَا كَانُوا يُصَلِّونَ" الآية 05 .

ماء ، في تفسير الإمامين الخليلين المعروف باسم " تفسير الحلالين " ص 741 : " كُنْتُمْ الْجَاهِلِيَّاتِ كُنْتُمْ أَسْفَارًا " أي : كتباً في عدم شعاعه بها .

(4) - ربحي كمال : المرجع السابق ، ص 434 ، 435 .

(5) - يعقوب عليه السلام الذي ينسب إليه بنو إسرائيل ، كما يذكر المؤرخون كان يقيم في أرض كنعان (الشام) و قد أنجب من الولد اثني عشر ولداً و هؤلاء هم أبناء يعقوب الذين سماهم القرآن الكريم بالأسباط ، في قوله تعالى : " قُولُوا إِنَّمَا يَلِدُنَا مَا آزَلُ إِلَٰهِنَا مَا آزَلُ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ ، الْأَصْطَفَىٰ " (البقرة : 136) .

انظر في هذا الصدد :

جمال حمدان ، اليهودية لتتروبولوجيا (دار الكتاب العربي ، المكتبة الثقافية بدون تاريخ) ص 97 .

2- **سفر الخروج** (سفر الخروج) : و يتحدث بإسهاب عن نشأة موسى (عليه السلام) في مصر ، و تاريخ العبرانيين فيها ، و ما سبب من تعذيب على أيدي الفراعنة ، ثم خروجهم بعد ذلك من أرض مصر ، و إنزال الوصايا العشر على موسى (عليه السلام) ، إذ ذكر هذا السفر طائفة من الشرائع الدينية و المدنية التي تلقاها موسى (عليه السلام) .

3- **سفر اللاويين** (سفر اللاويين) : " لاوي " من أولاد يعقوب (عليه السلام) ، و إليه ينسب اللاويون ، و هم الكهنة و سدنة الهيكل ، و يبحث هذا السفر في العادات و الشرائع الخاصة باللاويين و العبادة و القرابين .

4- **سفر العدد** (سفر العدد) : و يسرد تاريخ العبرانيين في أثناء مرحلة التيه في صحراء سيناء ، حتى وصولهم إلى أرض موآب .

5- **سفر التثنية** (سفر التثنية) : و يكرر بعض ما ورد من وصايا و شرائع خاصة بالعبادة و الصلوات ، و فيه خطب سيدنا موسى (عليه السلام) ، و هو يعظ بني إسرائيل حين جمعهم في الصحراء قبيل وفاته .

و التوراة هي الكتاب الذي أوحاه الله سبحانه و تعالى إلى موسى (عليه السلام) ، لتكون هدى و نورا لبني إسرائيل ، تهديهم و تربي ضمائرهم ، و تصلح نفوسهم ، و يذكر رواية الوحي أن التوراة تلقاها موسى (عليه السلام) من ربه و حيا إلهيا مباشرا ثم كتبها بعد (عليه السلام) ، و دون تعاليمها في أسفار و ألواح بعد انتهائه من مناجاة ربه عز و جل بطور سيناء ، و في هذا يقول محمود بن الشريف : " هي المشعل الذي تلقفه من يد موسى (عليه السلام) من جاء بعده من الأنبياء من بني إسرائيل و ليس معهم كتاب ، و إنما بعثوا للعمل بالتوراة هذه يحكمون بها فيما بينهم و يقيمون تعاليمها و ينفذون أحكامها " (1) .

(1) - انظر : محمود بن الشريف ، الأديان في القرآن . (ط 5) ، شركة مكتبات عكاظ للنشر و التوزيع ، 1984م

و قد تحدث القرآن الكريم عن معالم هذه التوراة في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: "وَكَيْفَ
 بِحُكْمِكُمْ وَبِعْدَمِ التَّوْبَةِ فِيهَا حُكْمٌ فَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
 حُكْمٌ وَنُورٌ بِحُكْمِهَا الشُّبُهَاتُ الَّتِي آسَلَمُوا إِلَيْهَا آتَادُوا وَالرَّيْبُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْضِرُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَ
 تَكَاوَرَتْ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ فَاصْبِرُوا لَهَا إِنَّهَا خِزْيَانٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (1).
 الحِكْمَةُ (2).

و التوراة ، ككل كتاب إلهي ، تفرّج وحدانية الله سبحانه و تعالى و الاعتراف باليوم الآخر و ما فيه
 من حساب و ثواب و عقاب ، و هي الشريعة التي أوحاها الله سبحانه و تعالى إلى موسى (عليه
 السلام) ، و هي مبرّاة من الغلوّ و التثوية الذي اعتراها فيما بعد ، و الذي يشير إليه قوله تعالى :
 "فَمَا تَتَّبِعُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ سُلَيْمَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامٌ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ آبَاءَنَا وَآبَاءَهُمْ وَمَا كُنَّا بِمُعْتَدِلِينَ عَلَيْهِمْ" (3).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم أي :
 أبعدهم عن الحق ، و طردهم عن الهدى : (و جعلنا قلوبهم قاسية) أي : فلا يتعظون بموعظة لغلظها
 و قساوتها ، (يحرفون الكلم عن مواضعه) أي : فسدت فهمهم و ساء تصرفهم في آيات الله ، و
 كتابه على غير ما أنزله ، و حملوه على غير مراده ، و قالوا عليه ما لم يقل ، عيادا بالله من ذلك ،
 (و نسوا حضا مما ذكروا به) أي : و تركوا العمل به رغبة عنه و قال الحسن: تركوا عرى دينهم و
 وظائف الله تعالى التي لا تقبل العمل إلا بها و قال غيره : فتركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة ، فلا
 قلوب سليمة ، و لا فطر مستقيمة ، و لا أعمال قويمة" (3).

و قد أوردت هذا القول لابن كثير للدلالة على وقوع التحريف في التوراة -قولا و فعلا- و الذي
 سرّ كل عقاندها الصحيحة المنزلة ، و منها عقيدة النبوة التي اختلف مفهومها في الفكر اليهودي عبر
 حقب متطاولة من تاريخ بني إسرائيل.

(1)- المائدة : 43، 44.

(2)- المائدة : 13.

(3)- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الأندلس ، ج 2 ، ص 33.

ابن كثير هو الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774

المبحث الثاني :

تطور (1) مفهوم النبوة في العهد القديم:

لقد استعملت مصطلح التطور أخذاً بمفهوم المخالفة⁽²⁾ ، و ذلك للدلالة على الاختلاف الكبير الحاصل حول مفهوم النبوة في الفكر الإسرائيلي ، كما يؤكد ذلك الدارسون لتاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل⁽³⁾.

- (1) تطور يتلوه تطوراً بمعنى تعدل و تحول من طور إلى طور ... ، و هذا قد يعبر عن التحول في المفهوم الذي عرفه مصطلح "النبوة" عند بني إسرائيل ، انظر : المعجم العربي الأساسي ، مرجع سبق ذكره ، ص 801.
- (2) المخالفة [المنطق] : معنى عكسي يوصل إليه بواسطة اللزوم العقلي ففي قولنا : الذي يعبد الله سبحانه و معاني وحده لا شريك له ، فله الجنة ، يفهم منه بالمخالفة أن الذي لا يعبد الله و يشرك به لا يدخل الجنة و هي نصح في مفهوم النبوة عند بني إسرائيل ، فالأصل في النبوة إثبات البوحى و العمسة للأنبياء فلماً لم تحققها صدق عليها ذلك.
- (3) سارجع في هذا الموضوع إلى البحث الذي كتبه المفكر اليهودي م.ص.سيجال و عنوانه : " تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل " و هو نسير علمي لسفر صموئيل (باللغة العبرية) ، 11 وارسو ، سنة 5682 يهودية ، و الذي ترجمه من اللغة العبرية و علق عليه حسن ظاطا ، الذي أورد في كتابه (أبحاث في الفكر اليهودي) ، دار العلم ، دمشق ، ط 1 ، 1407 هـ - 1987 ، ص 58 ، ترجمة لصاحب البحث أوردتها كما هي.

و الأستاذ م.ص.سيجال مؤلف هذا البحث من أبرز المفكرين اليهود ، و أكثرهم تبحراً في دراسات التوراة ، و أصول العقيدة و الشريعة عندهم ، و هو من يهود بولونيا الذين بدأوا حياتهم هناك بالدراسات الدينية المرسومة و الموجهة لتخريج الحاخامين الإسرائيليين ، ثم أدركته الصهيونية فهاجر إلى فلسطين ، و ما زال يكف على البحث و الإنتاج حتى آلت إليه استاذية دراسات المعهد القديم في الجامعة العبرية ، كما قام بتدريس العبرية في جامعات إنجلترا و أمريكا و اشتهر بكثير من المؤنات تذكر منها ، غير ما أشار إليه هو في مقاله هذا ، كتابا عن مناهج تفسير العهد القديم عند اليهود (بالعبرية) ، و آخر في النحو العبري في عهد " المشنة " ، و هي الشريعة الشفوية - " بالعبرية " و نشرها بالإنجليزية و الألمانية أيضا ، و ثالث في علم الصوتيات اللغوية التجريبي مطبقاً على اللغة العبرية " و قد نشر بالعبرية و الإنجليزية أيضا ، و له معجم عبري إنجليزي شائع مشهور ، عدا الكثير من المقالات و البحوث .

و أورد هنا التعريف بالبحث و منهج صاحبه فيه كما أوردتها حسن ظاطا ، و لكن بتصريف شديد : ظهر بحثه " تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل " في الكتاب التذكاري لبوع الحاخام (يوسف صبي هرتس) سن السبعين ، و هو من أبرز الشخصيات الصهيونية عند اليهود في العصر الحديث ، فقد كان يشغل منصب الحاخام لبريطانيا و إمبراطوريتها فيما وراء البحار في أثناء محاولة الصهيونية الاستمرار في فلسطين ، و كان له الدور الأكبر في ((وعد بلفور)) ، أما منهجه في هذا البحث فيتلخص فيما يلي :

- أ/ تقريره عقيدة النبوة عند بني إسرائيل كما هي في اعتقاد بني جلدته و وصفها وصفا علمياً دقيقاً مدعماً بالكثير من الأسانيد مما يعطي لهذا البحث قيمة فريدة في دراسة تاريخ الأيمان و مقارنتها.
- ب/ اكتفائه بالإشارة إلى مواضع النصوص العبرية الكثيرة من الكتاب المقدس إذ أخذ في هذا الحساب الذين وجه إليهم البحث ، و هم يهود لهم باع طويل في الفكر اليهودي ، و تاريخ بني إسرائيل كما أسلفت.

يذكر بعض محققي التوراة⁽¹⁾ أن بني إسرائيل لم يعرفوا لفظ (النبي) إلا في فترة متأخرة في تاريخهم ، إذ كان لفظ (الرائي) هو أول لفظ تداولوه قديما ، و هو ما ورد في الحاشية على سفر صموئيل الأول⁽²⁾.

يقول حسن ظاظا : " أما التحوّل الذي حدث في تسمية " رجل الله " من الرائي إلى النبي فقد حدث بعد صموئيل ، كما يظهر عند ما اتسع شأن " رجال الله " وقوي في أيام إلياس و اليسع ، وهذا التحوّل يحدد نهاية عصر وبداية آخر جديد في تاريخ النبوة ، ففي هذا العصر الجديد تغيرت صفات " رجل الله " ووظائفه ، ومن ثمّ تغير اسمه كذلك من " الرائي " إلى " النبي " ⁽³⁾.

ومعلوم أن الفترة التي أعقبت صموئيل تميّزت بأنها فترة الملوك وحسب العهد القديم⁽⁴⁾ فإنّها تبدأ من موت دواود (عليه السلام) ، وحكم سليمان (عليه السلام) حتى بدء السبي البابلي وخراب الهيكل على يد نبوخذ نصر عام 587 ق.م .

(1) ارجع في هذا الموضوع إلى م.ص سيجال ، تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل : ترجمة حسن ظاظا ، مرجع سبق ذكره ، ص 61 .

(2) النص الكامل في سفر صموئيل الأول : " ولما دخلا أرض صوف . قال شاول لعلامة الذي سمعه : تعال نرجع لئلا يترك أبي الأثني ويهتّم بكنا . وقال له : هو ذا رجل الله في هذه المدينة ، والرجل سكرم كل ما يقوله بصير . فلنذهب الان إلى هناك ، لعله يخبرنا عن طريقنا التي نآسلك فيها ، فقال شاول للعلامة : فلنذهب ، فماذا تقدم للرجل ، لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا ، وليس من هدية نقسمها لرجل الله ، ماذا معانا؟ فعاد العلامة و أجاب شاول وقال : إنه يوجد بيدي ربيع سنغال فضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا عن طريقنا قديما في إسرائيل ، هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله : هلم نذهب إلى الرائي ، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي فقال شاول لعلامة : كلامك حسن ، هلم نذهب فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله ' صموئيل الأول 10-5:9 .

- وسفر صموئيل الأول هو في العبرية (١٠ : ١ : ١٠) يحتوي على تاريخ حياة صموئيل النبي و الملك شاول الذي كان أول ملك ولسي على الإسرائيليين و الملك داود (عليه السلام) و هناك أيضا سفر صموئيل الثاني (١٠ : ١ : ١٠) .

انظر: ربحي كمال ، المرجع السابق ، ص 435 .

(3) حسن ظاظا ، أبحاث في الفكر اليهودي ، ص 62 .

(4) - ربحي كمال ، المرجع السابق ، ص 436 .

و قد جاء في الحاشية على سفر صموئيل الأول قول الناسخ (1) : " قديما في إسرائيل ، هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله : هلم نذهب إلى الرائي ؛ لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي " .
وتعد هذه الحاشية التي لا يعرف تاريخها على وجه التحديد ، مرجعا أساسا ومادة لكل الأبحاث والدراسات في تاريخ النبوة وتطورها عند بني إسرائيل (2) ، إذ أخذوا منها أن اسم " النبي " اسم مستحدث في حقبة من الحقب ، التي سبقت عصر الكاتب لهذه الحاشية ، وأنه قبل ذلك لم تكن التسمية " النبي " معروفة في بني إسرائيل ، وأن " رجل الله " إنما كان يدعى ويوصف بلفظ " الرائي " ، وصموئيل نفسه كان يدعى بها ، ويدعو نفسه " الرائي " لا " النبي " (3).

وليس من هذه الأقوال في الحقيقة ، ما يقطع بصحته ، ذلك أن اضطراب الروايات وكثرة التأويلات لنصوص العهد القديم ، وخاصة ما تعلق منها بتاريخ النبوة يجعل التزام الحيطة حيالها أمرا لازما توجها للموضوعية ، وبعدا عن الأحكام الارتجالية غير المعللة .

(1) حسن طائفا ، المرجع السابق ، ص 60 .

(هذه الآية ليست من صميم سياق القصة ، ولكنها حاشية من يدناسخ أراد أن يفسر لفظه ' الرائي ' التي وردت في الآيات : 11- 18- 19 ، وهي كما يفهم من السياق تقطع الحوار بين الغلام وبين شاول ، وكان من الضروري أن تتأخر إلى ما بعد الآية 10 ')

(2) الرجوع في هذا المجال إلى :

H. ROBINSON , A HISTORY OF ISRAEL , I, P 179.

H.JUNKEJ PROPHET AND SEHER IN ISRAEL (PARIS : 1930) p 513 .

(3) الرجوع إلى سفر صموئيل الأول الإصحاح التاسع الآيات 14. 18. 19 والآيات المشار إليها هي :

(الآية: 11) " وفيما هما صاعدان في مطلع المدينة ، صادفنا فتيات خارجات لاستقاء الماء ، فقالا لهن : أهنا الرائي ؟ " .

(الآية 18) : فتقدم شاول إلى صموئيل في وسط الباب وقال : أطلب إليك ، أخبرني أين بيت الرائي ؟

(الآية 19) : فأجاب صموئيل شاول وقال : أنا الرائي ، اصعد أمامي إلى المرتفع ، فتأكل معي اليوم ثم أطلقك صباحا ، و أخبرك بكل ما في قلبك

و يستنتج من النصّ الوارد في سفر صموئيل أن "الرائي" لم يكن إلا شخصاً يخبر عن المغيبات التي تتصلّ بحياة الناس ، و التي لا يقدر على فك رموزها ، و معرفة أسرارها إلا هو و ذلك بما أوتي من قدرة خارقة حسب علامات تلتقي دلالاتها و تأويلاتها عن سابقه (1) ، و ما يؤكد هذا الذي ذكرته هنا هو قول شاؤل لغلّامه " فقال شاؤل للغلّام: فلنذهب ، فماذا نقدم للرجل ، لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا ، و ليس من هديّة تقدّمها لرجل الله ، ماذا معنا؟ فعاد الغلام و أجاب شاؤل و قال : إنه يوجد بيدي ربع متقال فضة فأعطيه لرجل الله ، فيخبرنا عن طريقنا"(2).

و العجيب في هذه القصة أن "الرائي" الذي هو رجل الله كما جاء في هذا النصّ ، هو شخص يتعاطى على عمله أجراً ، و لو كان ثمنا بخسا في الأعم الغالب، و هذا ما يفسّر حالة الانحطاط الديني و العقائدي الذي كان عليه بنو إسرائيل في عهد صموئيل ، الذي لم تكن فيه النبوة فكرة راتقة و لارائجة في فكر بني إسرائيل ، و هذا في عهد الملك شاؤل ، الذي كانت تستهويه المادّة و السيطرة أكثر من العقيدة و الديانة ، و لم تزل آثار ذلك إلا بعد صموئيل ، عندما اتسع شأن "رجال الله" و قوي في أيام إلياس و اليسع ، و هذا التحوّل كان أمانة على بداية عهد جديد في تاريخ النبوة، ففي هذا العهد تغيّرت صفات رجل الله و وظائفه ، و من ثم تغيّر اسمه كذلك من "رائي" إلى "نبي"(3).

ولقد أكد القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن اليهود قد اشتروا آيات الله ثمنا قليلا ، بمعنى أنهم قد عمدوا إلى لي الحقائق حتى يلبسوا الحقّ بالباطل ، و عملوا جهدهم على تخفيف الأحكام - على غير الوضع الذي أنزله الله سبحانه و تعالى - إرضاء للأهواء، و انجزّ عن هذا العمل أن تحول الدين إلى تجارة احترّفها القوم للاستزاق ، و لأشياء غير ذلك ، فذمهم الله تعالى على ذلك و عتبّ عليهم تكبيرها و تقيحها ، و في ذلك يقول : "قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ آيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا" (4).

(1)- حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص62.

(2)- صموئيل الأول ، إص 3/9.

(3)- حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص62.

(4)- البقرة : 79

و إذا كانت وظيفة " الرائي " في المجتمع الإسرائيلي القديم هي التنبؤ بالغيب و ادعاء معرفة الأسرار ، فإنه لا شك أن هذه الصناعة كانت من صميم معتقدات العرب في الجاهلية فيما عرف عنهم بالكهانة و العرافة ، اللّتين لا تخرجان عن المعنى الذي أوردته عن الرائي ، فالعراف أو الكاهن هو الذي يدعى معرفة الغيب (1) ، و في الحديث الشريف : " من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) " (2) ، فالكهانة و العرافة لفظان لمعنى واحد و المراد بهما التنبؤ و استطلاع الغيب (3) .

و يذهب جرجي زيدان (4) إلى أن الكهانة دخيلة على العرب و لعلها أتت من الشعوب المجاورة و على الأرجح من الكلدان البارعين بعلم الفلك و النجوم ، فالكاهن و العراف يسمى " حازي " و " حزاء " (5) ، و هي كلمة كلدانية تعني " الناظر " و " الرائي " و " البصير " (6) ، و قد تكون لفظة كاهن قد دخلت بلاد العرب عن طريق اليهود ، الذين تواجدوا مع العرب و في أماكن شتى (7) ، غير أن السدي يفرق بين كهانة العرب و كهانة اليهود أن الرائي عند العرب لم يكن من الإنس بل من الجن و كان يعتاد الرجل فيخبره بالغيب و يمنحه الطيب و العرافة و الكهانة (8) .

لقد عرف العرب الكهانة نقلاً و محاكاة عن الأمم التي احتكوا بها ، وكانت الكهانة واحدة من جملة الثقافات و الأساطير التي آلت إلى العرب من غيرهم ، وهذا ما ذهب إليه جرجي زيدان ، غير أن منهجه في دراسة الحقائق التاريخية ، يجعلنا في حيرة من التسليم بهذه المسألة لعدم قيام الدليل عليها .

(1) - انظر : ابن منظور، لسان العرب ، ج 13 ، ص 363 .

(2) - الطحاوي ، شرح أصول العقيدة للإسلامية (الجزائر ، باقة : دار الشهاب للطباعة و النشر ، بدون تاريخ) ص 159 .
انطحاوي هو محدث فقيه ولد (239 هـ - بمصر ، وهو من أتباع مذهب أبي حنيفة وقد شرح المفيدة الإسلامية وفق مفاهيم السلف الصالح و اعتمدا على صحاح النصوص بلا تأويل و لا تعطيل .

و الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده وفي رواية مسلم : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) .

(3) - الأب جرجي داود ، أديان العرب قبل الإسلام و وجهها الحضاري و الإجتماعي ، (ط 2 ، بيروت ، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1408 هـ - 1988 م) ، ص 371 .

(4) - جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت ، لبنان : مكتبة الحياة ، بدون تاريخ) ، ج 1 ، ص 181 .

(5) - ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 237 .

(6) - جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص 181 .

(7) - جرجي داود داود ، المرجع السابق ، ص 25 .

(8) - ابن منظور ، لسان العرب ، ج 14 ، مادة رأى

و خلاصة القول في ذلك أن الكهانة و العرافة لا تمثل النبوة في شيء ، و لهذا كما يرى ابن خلدون خمنت و خفيت زمن النبوة و لو أنها لم تنقطع و لم تبطل (1) ، و على هذا الأساس فإن صموئيل حتى و إن ذكر اسمه في سفر الأنبياء (1 : 27 ، 28 ، 29) ، فإنه لم يكن نبيا بسلا راثيا ، و تكون صفة "النبى" التي أعطيت له في سفر صموئيل الأول (2) مستعملة لغير زمانها ، و هي من الزيادات التي ثبتها المتأخرون على الحاشية (3) .

و بقيت النبوة صفة غائبة عن الفكر الدينى اليهودي (4) ، حتى في الأجيال المتأخرة ، التي يطلق عليها -بأجيال الأنبياء- ، هذا إذا استثنينا بعض النصوص الإسرائيلية التي أشارت صراحة إلى نبوة بعضهم كنبوة موسى (عليه السلام) و ناثان و جاد (5) و غيرهم ، و هو ما يعطى فكرة عن التطور اللافت للنظر في مفهوم النبوة عند بني إسرائيل .

إن ما ذكره ابن خلدون تؤكد كثير من نصوص العهد القديم ، فإن نظرة فاحصة فيه تجعل الباحث يسلم بالرأي القائل بأن النبوة بمعناها الحقيقي كانت في الفكر الدينى اليهودي إلى عهد متطاولة .

و هناك من الباحثين في تاريخ النبوة الإسرائيلية من ذهب إلى أنه حتى هؤلاء من يسمون بالأنبياء الكبار ، لم يكونوا أنبياء بل رؤاه ، يقول حسن ظاظا " وكذلك جاد و ناثان و أخيا الشيلوني " و حتى موسى لم يكونوا أنبياء بل رؤاه " (6) .

-
- (1) - انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، (بيروت لبنان : دار القلم ، بدون تاريخ) ص 101 .
- (2) - صموئيل، الأول 20/3 و نصه : و عرف جميع إسرائيل من دان إلى بنر سبع ، أن قد أوتمن صموئيل نبيا للرب .
- (3) - انظر : حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص 63 .
- (4) - بالنظر إلى المفهوم الصحيح للنبوة كما جاء به الدين السماوي و البعيد عن العرافة و الكهانة .
- (5) - نبوة موسى (عليه السلام) ثابتة بالنص القرآني ، و من ذلك قوله تعالى : " وَاتَّخَذَ أَسْمَاءُ مُوسَى ابْنًا إِلَىٰ فُرْعُونَ وَأَمْلَأَهُ مِثْقَالَ أُوقِيَا " و أما في الأسفار اليهودية فوردت الإشارة إليها في سفر التثنية 34 : 10 و هو :
- و لم يقم نبي من بعد في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب و وجهها لوجه .
- أما ناثان فقد ورد بلفظ و اسم "ناثان النبي" في عدة مواضع من العهد القديم : الإصحاح الأول من سفر الملوك الأول الآيات 45،44،38،34،32،23،22،10،8 .
- وفي الآيات 45،44 : " وكان ناثان النبي و صادق الكاهن قد توليا طقوس تصليب سليمان ملكا بأمر من داود الملوك الأول 8/1 . " قال جاد النبي لداود : لا تقم في الحصن ن . انهب و ادخل أرض يهوذا ، فذهب داود وجاء إلى وعبر وحدث " وفي سفر الملوك الأول نفسه : " ولما قام داود صباح ، كان كلام الرب إلى النبي رائي داود ، قائلا ...
- (6) حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص 63 .

ومن النصوص التي أشارت صراحة أو ضمنا إلى نبوة موسى (عليه السلام)، والشاهد الأول في ذلك ما جاء في سفر العدد (1): "فقال اسمعا كلامي، إن كان منكم نبي للرب فالبرؤيا أستعلن لسه، وفي الحلم أكلّمه" ولقد ثبتت هذه في موسى (عليه السلام) "أما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي" "فما إلى فم، وعيانا أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين فلماذا تخشيان أن تتكلمتا على عبدي موسى". أما الشاهد الثاني ما جاء في سفر التثنية (2): "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك. من إخوتك مثلي له تسمعون". لم يبق نبي من بعد في إسرائيل مثل موسى، الذي عرفه الرب وجهها لوجه".

هذا هو حال النبوة في بداية عهدها في عهد صموئيل الأول، و من جاء بعده ثم تطورت بعد ذلك لتكون وظيفة كهنوتية قائمة بذاتها، ومعناها إقامة الأنبياء في الأماكن المقدسة حتى يتسنى للأتباع والرعايا المجيء إليهم للأخذ عنهم، بعد أن كانت النبوة عرافة يمارس طقوسها كل من هب و دب من أجل الكسب ولا شيء غير الكسب. يقول حسن ظاظا "فلا عجب والحالة هذه أن يدخل في فئة الأنبياء أناس لم يحل عليهم الروح القدس ولم تكن لهم تلك المواهب النفثانية والروحانية التي كانت للنبي الحق، المرسل من لدن الله، حتى لقد كان بينهم أناس أقبلوا على الكسب الحرام، ونبأوا و اشتغلوا بالعرافة لحساب كل من يدفع الثمن، ومنهم ظهر أنبياء الكذب الذين أضلوا الشعب" (3)، و مما يؤكد هذا التحول في وظيفة النبي من نبي للفرد إلى نبي للأمة جمعاء يدعو لها و يترجم من أجلها ما جاء في صموئيل الأول (4): "فقال صموئيل: اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة فأصلي لأجلهم إلى الرب، فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب، وصاموا في ذلك اليوم، وقالوا هناك: قد أخطانا إلى الرب".

و جاء في سفر يوثيل (5): "اجمعوا الشعب، قدسوا الجماعة". فهذان الشاهدان من سفر صموئيل و سفر يوثيل، يؤكدان مدى التطور الحاصل في مفهوم النبوة عند بني إسرائيل، وتدرجها في الانتقال من نبوة العرافة العمياء إلى نبوة الكهانة الجمعاء التي استطاعت أن تجمع الأمة الإسرائيلية عن بكرة أبيها لتعود بها إلى جادة الصواب و إلى سواء السبيل. (و هكذا عاد الأنبياء إلى اقتفاء أثر موسى و صموئيل في أيامهما، بإلقاء خطبهم و إعلان نبوتهم و مواظبتهم على الملا جاعلين من أنفسهم القادة الروحيين للأمة جمعاء" (6).

(1)- العدد 12 : 6 ، 7 ، 8 .

(2)- التثنية 18 : 15 ، والتثنية 34 : 10 .

(3)- حسن ظاظا ، المرجع السابق ، 94 .

(4) - صموئيل الأول 7 : 6،5 .

(5)- يوثيل 2 : 16 .

(4)- حسن ظاظا ، المرجع السابق . 94 .

أولاً: أن التطور الذي عبرت به عن اضطراب و تذبذب مفهوم النبوة في تاريخ بني إسرائيل ، حقيقة أكتتبا من خلال الشواهد الكثيرة التي اقتبستها بنصوصها الأصلية من بعض أسفار العهد القديم ، و على رأسها سفر صموئيل الأول ، و في ذلك ما يبرره و ذلك أن هذا السفر - كما ذكرت ذلك في النقول التي أخذتها عن شارحه م.ص سيجال - يعد بحق المرجع الأساس في فهم عقيدة النبوة و مدى التطور الذي اعترأها على مرّ العصور و كثرّ الدهور ، و قد شرحت هذه النصوص بما أراه قد سلط الضوء على المراد الذي قصدته في هذا البحث ، و هو إثبات مسألة التطور في مفهوم النبوة عند بني إسرائيل حسب تسلسل الحقب و تعاقب الأحداث ، و هذا ما يؤكد أنّ النبوة عند بني إسرائيل لم تكن أبدا تلتقي عند مفهوم واحد و موحد ، بين طوائف بني إسرائيل كما هو الشأن عندنا في عقيدة الإسلام.

ثانياً: إن إثبات بعض الأسفار اليهودية لنبوة بعض الأنبياء، و عبارتها الظاهرة في ذلك لا يخلو من ذكر ما لا يتفق مع خصائص هذه النبوة ، على النحو الذي هو عندنا في القرآن الكريم عن الأنبياء (عليهم السلام) ، و من أمثلة ذلك ما ورد عن داود (عليه السلام) ،

ثالثاً: إن صفة الرآني أو الحازي، أو الكاهن هي الفاظ تصبّ كلها في مفهوم واحد ، و معناها سلك سلوك الأنبياء و عمل عمل الأنبياء⁽¹⁾ ، و لا توحى إطلاقاً إلى ما يفيد معنى النبوة بأي حال من الأحوال.

رابعاً: إن ما ورد في أسفار العهد القديم من كلام عن النبوة عند بني إسرائيل أنّها كانت تفيد السؤال عن كل ما يخطر بالبال ، فكانوا يسألون أنبيائهم عن كل ما يتطلعون لمعرفة ممّا يتصل بحياتهم الخاصة و العامة.

هذا و يبقى الكلام في تطور مفهوم النبوة في الفكر الإسرائيلي يشير كثيراً من التحفظ على بعض الألفاظ و المصطلحات المتعلقة بعقيدة النبوة عند بني إسرائيل ، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة الأبحاث و الدراسات المتصلة بالفكر الإسرائيلي ، و التي تقوم في مجملها على التخمينات و التّرجيحات تبعاً لفهوم كل باحث ، و لقناعاته الفكرية.

(1) - يرجع في هذا إلى :

الفصل الثاني: ألواح موسى و نبوة الرؤى المنامية و الأحلام.

المبحث الأول

ألواح موسى (عليه السلام) ومصدريتها للنبوة عند بني إسرائيل

لقد ذكرت في مقدمة هذا البحث ، أن التوراة و الإنجيل و القرآن تتفق كلها على أن النبوة هي الوسيلة و الطريقة ⁽¹⁾ التي يؤدي بها الوحي الإلهي ، و تفسر على ضوءها نصوصه و موضوعاته، و لكن حقيقة النبوة و مفهومها يختلف باختلاف طبيعة كل دين ، و الذي يعنيني الآن هو الوقوف على حقيقتها في التوراة و هي السفر الأم ، و المصدر الأعم ، لجميع عقائد بني إسرائيل ، فقد ورد في التوراة ⁽²⁾ - التي هي في أيدي اليهود اليوم - أن موسى (عليه السلام) قد تلقى من الله لوحين قد كتبوا "بإصبع الله" ⁽³⁾ - على حد تعبير كتبة التوراة- ، و قد وجد في تراثنا الإسلامي - تحت تأثير الإسرائيليات- ما قد يشهد بصحة هذا الإخبار و لكن بطريقة أكثر ملانمة و أدق أداء، و ربما كان تمسك البعض به ، ليس تصديقا لما ورد في الأسفار اليهودية ، و لكن تمسكا بما ورد في القرآن الكريم بشأن الألواح التي تلقاها موسى (عليه السلام) عن ربه عز و جل ⁽⁴⁾ .

إن ألواح موسى (عليه السلام) التي ورد ذكرها في العهد القديم ، كانت تشتمل على الموعظة و تفصيل الأحكام ، حتى كانت إلى عهد طويل، الوثيقة الجامعة ، التي يحتكم إليها عند الاختلاف ، غير أن كثيرا من الروايات التاريخية بشأن هذه الألواح ، مطعون، في صحتها لعدم قيام الدليل عليها و يبقى أنؤكد أنها كانت مصدر شريعة موسى (عليه السلام) .

(1) - أنصد هنا الطريقة بلفظ العموم لا بلفظ الخصوص حتى لا يلتبس الأمر بشأن طرق الوحي التي فصلت فيها كتب الأصول و الأحكام.

(2) - المقصود بالتوراة هنا ليست التوراة الإلهية المنزلة على موسى (عليه السلام) وإنما اصطلاح أهل المقارنة بين الأديان على تسميته بالتوراة ، و هي الأسفار الخمسة ، التي يطلق عليها "الأسفار الموسوية" ، و هي سفر الخروج و التكوين و اللاويين و العدد و التثنية.

(3) - النص الذي رجعت إليه وورد في سفر الخروج : 31 : 9 .

و ورد في بعض المواضع من التوراة أيضا أن موسى (عليه السلام) كتب التوراة و دفعها للكهنة.

(4) - انظر :

محمد كمال جعفر : الإيمان و الأيمان - دراسة مقارنة- (ط1 ، ط2 ، ط3 ، ط4 ، ط5) : النوحة : نشر و توزيع دار القامة - 1406هـ - 1985م) ص 51، 54.

و إلى ذلك يشير ظاهر قوله تعالى: **وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ** (1) .
 و يشير القرآن الكريم إليها أيضا عند ذكره لغضبة موسى (عليه السلام) من قومه و من أخيه هارون
 لما انس منهم من ميل إلى عبادة العجل التي استخفت السامري عقولهم بها فاطاعوه ، و قد عبر موسى
 (عليه السلام) كما يذكر المفسرون عن شدة هذا الغضب الذي اعترى نفسه بعلامتين اثنتين؛ إلقاءه
 الألواح ، و أخذ هارون أخيه بجره إليه ، قال تعالى: **وَلَمَّا رَجِعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبًا أَن سَبَّأُوا آلَ مَرْيَمَ
 حَافِظِينَ مِنْ غِلْمِ اللَّهِ، أَعْلَجْنَا أَمْرَهُمْ وَكَلَّمْنَا الْوَاوِيحَ وَاللَّوَاهِ وَأَخَذْنَا مِنْ آلِ إِخِيمٍ لِمُؤْمِنِي إِسْرَائِيلَ** (2) .

فهذه النصوص سواء التوراتية منها أو القرآنية ، هي مثار جدل عريض بين العلماء و هي التي تعقل
 عند بعضهم (3) الأصل الإلهي للتوراة ؛ لما يترتب على ذلك من زيادة التوثيق و تقوية الحجّة ، على أنّ
 كثيرا من العلماء استنادا إلى ما صحّ من أخبار-يذكرون أنّ موسى (عليه السلام) قد أودع ما يسمّى
 عندهم بالتوراة (الموسوية) قبل وفاته عند يوشع ، و عند وفاته سرعان ما اختفت هذه النسخة الأصلية
 ، و ما صحب هذا الاختفاء من اضطراب كثير من أجزائها و آثارها ، و من ثمّ لا يمكن التحويل عليها
 في بيان حقيقة ثابتة هي عقيدة النبوة .

إن غياب النسخة الأصلية للتوراة ، يعلل بكل وضوح غياب الموضوعية ، و من ثمّ تكون كل
 الآراء بشأن ألواح موسى (عليه السلام) مجرد فرضية وليست حقيقة قائمة ، وهو ما أثبتته بيقين نقاد
 العهد القديم .

(1) - سورة الأعراف : 145 .

و يرى ابن كثير أنّ الألواح كان فيها التوراة و لكنّه ذكر رأيا آخر و هو أنّ هذه الألواح كانت قبل التوراة.
 انظر تفسير ابن كثير ج 2، ص 50. على أنّه قد ورد في القرآن الكريم فيما يتصل بما أعطى لموسى (عليه السلام)، وقد عبّر
 بالفاظ : صحف ، ألواح ، ثمّ لفظ التوراة و لم يقطع العلماء باتحاد هذه الثلاثة بمعنى عدّها شيئا واحدا ، أو تعدّها
 و اختلاف مصاصميتها هذا مع وضوح كون التوراة ذات صبغة تشريعية قانونية كما يدلّ اسمها أو أما الألواح فكما تذكر
 الآيات القرآنية تحوي الكثير من المواظ و التفاصيل .إبني أميل إلى عدّ التغيرات في الأسماء تضايرا في السدّات و في
 المضامين و في السنة النبوية ما يشير إلى أنّ التوراة نزلت مكتوبة بيد الله سبحانه و تعالى ، و هي التي أشار إليها
 القرآن الكريم في مواضع من الأحكام التي كان لليهود يربنون التخلّص و التملّص منها ، و كذلك في الإشارة إلى ذكر
 تضمّن التوراة أخبارا عن الرسول محمد (صلّى الله عليه و سلم) كقولسه تعالى: **الَّذِي جَاءَكُمْ بِكِتَابٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ . الأعراف : 157 .

(2) - الأعراف : 150 .

(3) - انظر في هذا الصدد :

محمد جمال جعفر : المرجع السابق ، ص 52 .

و أريد أن أبين هنا آراء بعض المفسرين بشأن الألواح و مدى دلالتها على التّوراة فقد جاء في تفسير الرّازي (1) في قوله تعالى: "وَكُتِبَ اللَّيْلُ مِنَ الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ" (2) قوله (رحمه الله): "إنه تعالى لما بيّن أنه أحسن موسى (عليه السلام) بالرّسالة ذكر في هذه الآية تفصيل تلك الرّسالة فقال: و كتبنا له في الألواح نفل صاحب الكشّاف عن بعضهم أن موسى (عليه السلام) خرّ صعفاً يوم عرفه و أعطاه الله تعالى التّوراة (3). و ذكر الرّازي أنّ التّوراة التي أنزلها الله سبحانه و تعالى على موسى (عليه السلام) لا شك في كونها من الله (عزّ و جلال) ، و أما كيفية الكتابة فقد عرض الرّازي أقوال لبعض العلماء فيها كقول ابن صريح أن جبريل كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر و هو القرآن الكريم، غير أن الرّازي عرض عن الخوض في هذه المسألة لقوله: " ما ثبت بدليل منفصل قوي و يجب القول به و الأوجب السّكوت عنه" (4). و أمّا احتوته هذه الألواح فيقول فيها: " و أمّا قوله: "من كل شيء" فلا شبهة فيه أنه ليس على العموم بل المراد من كل ما يحتاج إليه موسى و قومه في دينهم من الحلال و الحرام و المحاسن و المقابح و أمّا قوله " موعظة و تفصيلاً لكل شيء" فهو كالبیان للجملة التي قدمها بقوله " من كل شيء" و ذلك لأنه تعالى قسمه إلى ضربين أحدهما موعظة و الآخر تفصيلاً كما يجب أن يعلم من الأحكام فيدخل في الموعظة كل ما ذكره الله تعالى من الأمور التي توجب الرغبة في الطاعة و النفرة عن المعصية و ذلك بذكر الوعد و الوعيد، و لما قرر ذلك أولاً أتبعه بشرح أقسام الأحكام و تفصيل الحلال و الحرام فقال " و تفصيلاً لكل شيء" و لما شرح ذلك قال لموسى: " فخذها بقوة أي: عزيمة (5) قوية و نية صادقة ثم أمره الله تعالى أن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسنها .

و لقد اثرت نقل ما أورده الرّازي بشأن الألواح و ما تضمنته من وصايا و أحكام حفاظاً على أسلوبه في الاستدلال في بناء القضايا و الأحكام بناءً متسلسلاً متتابعاً يؤدي الإخلال بها إلى الإخلال بالفكرة التي يعرضها و الحكم الذي يريده ، و لكن ما تبين لي من خلال عرضه (رحمه الله تعالى) أن لفظة "الألواح" الوارد في الآية الكريمة: "وَكُتِبَ اللَّيْلُ مِنَ الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" (6) ، يقصد بها التّوراة التي أنزلها الله سبحانه و تعالى على موسى (عليه السلام) .

(1)- انظر:

محمد الرّازي (فخر الدين) ، مفاتيح الغيب (المشهور بالتفسير الكبير) (ط2 ، المطبعة العامرية الشرقية، 1324هـ) ص 290.

و كذلك تفسير أبي السعود رحمه الله تعالى) ، بهامش تفسير "مفاتيح الغيب".

(2)- الأعراف : 145.

(3)- الرّازي : المرجع السابق ، ص 290.

(4)- المصدر نفسه ص 290.

(5)- المصدر نفسه.

، إن الألواح التي كتبت فيها ليست لوحين كما ورد ذلك في سفر الخروج ، بل ألواح متعددة ، و أنها لم تكتب "باصبع الله" بطريقة التجسيم للذات الإلهية المعروف في الديانة اليهودية ، و إنما كتبت و لا يهمننا لاس الناحية الموضوعية و لا من الناحية التاريخية معرفة كيفية كتابتها.

و مسألة الألواح ، التي وردت الإشارة إليها في التوراة، و التي يعتقد كتبة التوراة أنها الأصل في إيت عقيدة النبوة عندهم حتى و إن سلمنا جدلا بنبوت دلالتها بطريقة أو بأخرى على التوراة ، فهذا لا يعني بأي وجه من الوجوه صفة التبديل و التحويل ، و لئى الألسنة ، و تحريف الكلم عن مواضعه ، التي أتيتها القرآن الكريم على اليهود أو على الأقل على طائفة خاصة منهم و هم الأجرار و الرهبان الذين تولوا كثيرها.

و عقيدة النبوة في التوراة تستمد أصولها و تعرف معالمها من الأسفار الخمسة الأولى (1) من العهد القديم المكونة لهذه التوراة ، و التي يطلق عليها في عرف مقارنة الأديان "الأسفار الموسوية" أو "الأسفار الخمسة المقدسة".

(1) أقصد بها أسفار التوراة و هي التكوين و الخروج و اللاويين و التثنية و العدد.

المبحث الثاني :

نبوة الرؤى المنامية والأحلام :

يمكن القول إجمالاً أن النبوة في الأسفار مرادفة للرؤى المنامية والتنبؤات المستقبلية ، وهي أهم نبوءات بني إسرائيل وأشهرها على الإطلاق ، وهي بذلك لا ترقى إلى درجة نبوة القرآن الكريم ، التي تقوم أساساً على مبدأ الوحي الإلهي ، وتستمد أصولها منه ، وهي السمة المفقودة في عقيدة النبوة عند بني إسرائيل ، والتي سأبينها بإذن الله في الباب الخاص بالنبوة في القرآن الكريم .

يقول محمد كمال جعفر : " وموضوع حقيقة الوحي عند أهل الكتاب تتضح جميع جوانبه باستعراض عقيدتهم في النبوة والأنبياء ، تلك العقيدة التي لا ترتفع إلى المستوى الذي يعقده الإسلام لهؤلاء الصنف من الخلق ، صلوات الله وسلامه عليهم ، [إذ أن حقيقة مبدأ الوحي في الإسلام] مستمدة من القرآن الكريم نفسه ومن السنة النبوية الصحيحة ، والقرآن الكريم يذكر أنماطه بصورة واضحة وجليّة " (1) .

و استناد النبوة إلى الرؤى والأحلام كانت سمة بارزة في نبوءات العهد القديم ولاسيما التوراة ، وهي لا تعدو كونها تخيلات مبهمه وكلها تقع لغيرهم ، وتذهب العقول في تفسيرها مذاهب شتى ، وقد كانت الرؤيا الصادقة مبدأ نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل وحي التشريع والذي كان له صور أعلى منها ، وسأبينها بعد . والرؤى صور حسية في الخيال تذهب الآراء والأفكار في تعبيرها وجهات مختلفة فلما يعزف تأويل الصادق منها غير الأنبياء كرؤيا ملك مصر التي عبرها يوسف (عليه السلام) ورؤياه وهو في صغره (2) .

ويجب التأكيد هنا أن النبوة عند نبي إسرائيل تقوم أساساً ، على الرؤى المنامية ، ولعلّ هذا كان مرتبطاً بأحوال اليهود التي مروا بها ، والتي جعلتهم يعيرون اهتماماً بالغاً للرؤى ، وهذا تبعاً لخوفهم من انكسار شوكتهم وزوال ملكهم ، وخاصة بعد الهزائم الكبيرة التي لحقت بهم على يد الغزاة .

(1) محمد كمال جعفر ، المرجع السابق ، ص 54 ، 55 و مجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة ، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد القديم مجازاً .

انظر : رحمة الله الهندي ، إظهار الحق (ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1406 هـ ، 1986 م) ج 1 ، ص 55 .

(2) يرجع في ذلك إلى قصة يوسف (عليه السلام) في القرآن الكريم من سورة يوسف .

ومما جاء في التوراة من الرؤى الأحلام ما ورد في سفر التكوين (1) عن يوسف عليه السلام :
 "وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيهِ ، لأنه ابن شيخوخته ، فصنع له قميصاً ملوناً ، فلما
 رأى إخوته أن آباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام وحلم يوسف
 حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضا بغضا له ، فقال لهم : اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت فهانحن حلزون
 حزما في الحقل ، وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي ، فقال له إخوته :
 لعلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا تسلطاً ، وازدادوا أيضا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه
 وبغضيف السقر : " ثم حلم حلما آخر وقصة على إخوته ، فقال : إني قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس
 والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي ، وقصته على أبيه وعلى إخوته ، فانتهره أبوه وقال له : ما هذا
 الحلم الذي حلمت ، هل تأتي أنا وأهلك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض فحسده إخوته ، وأما أبوه فحفظ
 الأمر " (2) .

إن من يرجع النظر في هذه القصة يدرك لا محالة مدى تفاهة التصور التوراتي لعقيدة النبوة إذ
 عبرت التوراة عن رؤيا النبي يوسف (عليه السلام) ، بالحلم ، والحلم - كما بينت - درجة دون الرؤيا
 في تخصيص الشرع ، وهو الذي تعتريه التخيلات وتختلف في مراده الفهم والتعبيرات ، وهذا
 التصور للنبوة هو - لعمري - تصور سخيف وساذج ، وهو مخالف لما جاء في القرآن الكريم الذي
 عبر عما راه يوسف (عليه السلام) في المنام بالرؤيا لا بالحلم ، على عكس ما جاء في التوراة ،
 وهي كما توحى به دلالة اللفظ أبلغ وصفا وأعمق فكرا ، وفي هذا يقول الله تعالى : " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ
 يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَبُّهُمْ لِي سَاجِدِينَ " (3) .

و القرآن الكريم يقدم تفسيراً لانقار رؤيا يوسف (عليه السلام) ، و يزيل عنها الغبش والنخن اللذين
 وردا في رواية التوراة ، مما لا يمكن تصديقه لمنافاته لخصائص النبوة ، ومجافاته لأصول الاعتقاد
 الصحيح .

(1) التكوين 37 : 3 ، 8 .

(2) التكوين 37 : 9 ، 11 .

(3) يوسف : 4 .

والظاهر من السياق القرآني من هذه القصة أن يوسف (عليه السلام) لم يقصص روياء على إخوته لنهي أبيه له عن ذلك : **قَالَ يٰٓأَبِيئِي لَا تَقْصُصْ رُءُوسَهُمْ عَلَىٰ إِبْرٰهٖمَ فَيَحْجِدُوا إِلَيْكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطٰنَ لِلْإِنْسٰنِ خٰدِرٌ مِّنْ دُونِهَا** (1). وهو يخالف ما ذكرته التوراة في سفر التكوين من أن يوسف (عليه السلام) قصص حلمه على أبيه وعلى إخوته وأن آياه انتهره و نهاه عن ذلك بعد الفعل لا قبله ، وهو ما يجعل النهي لغوا لا طائل من ورائه .

ويعني سفر التكوين (2) في سرد ما كان من تعبیر يوسف (عليه السلام) لرويا السجينين اللذين سجنا معه بمصر و هما رئيس السقاة و رئيس الخبازين (3) إذ جاء بشأنهما: "وحلم كلاهما حلما في ليلة واحدة كل واحد حلمه . كل واحد بحسب تعبیر حلمه ساقى ملك مصر و خبازه المحبوسان في بيت السجن . فدخل يوسف إليهما في الصباح و نظرهما و إذا هما مغتمان ، فسأل خصوبي فرعون اللذين سعه في حبس بيت سيده قائلا لماذا وجهاكما مكدان اليوم، فقالا له :حلمنا حلما وليس هناك من يعبره . فقال لهما يوسف اليست لله التعابير ، قصا عليّ ، فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف و قال له :كنت في حلمي و إذا كرمة أمامي وفي الكرمة ثلاثة قضبان، وهي إذا أفرخت طلع زهرها و أنضجت عناقيدها عنباً، و كانت كأس فرعون في يدي ، فأخذت العنب و عصرتة في كأس فرعون و أعطيت الكأس في يدي فرعون فقال له يوسف: هذا تعبیره الثلاثة القضبان هي ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك ... فلما رأى رئيس الخبازين أنه عيبر جيدا قال ليوسف :كنت أنا أيضا في حلمي و إذا ثلاثة سلال جواري على رأسي وفي السل الأعلى من جميع طعام فرعون في صنعة الخباز و الطيور تأكله من السل عن رأسي فأجاب يوسف و قال :هذا تعبیره الثلاثة سلال هي ثلاثة أيام في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك عنك و يعلقك على خشبة و تأكل الطيور لحمك عنك ."

(1) يوسف : 5.

(2) سفر التكوين إص 40 : 05 . 19 بتصرف مكان المحذوف .

(3) هكذا ورد ذكرهما في سفر التكوين " فسخط فرعون عليهما رئيس السقاة و رئيس الخبازين " التكوين 2:40.

وتذكر التوراة بعد ذلك أن تعبير يوسف (عليه السلام) لرؤيا السجينين كان كما حدثت ففي سفر التكوين : فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه صنع وليمة لجميع عبيده ورفع رأس السقاة ورأس الخبازين بين عبيده ورد رئيس السقاة إلى سقيه فأعطى الكأس في يد فرعون وأما رئيس الخبازين فعلفه كما عبر لهم يوسف، و لكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه (1).

ومعلوم أن القرآن الكريم عرض ماكان من رؤيا يوسف (عليه السلام) ومن رؤيا السجينين، ولكن بأسلوب مغاير للأسلوب الذي عرضنا بهما في التوراة علاوة على أن القرآن الكريم ذكر غاية الرؤيا، فالاجتناء بالرؤيا اجتناء بالنبوة لقوله تعالى : " وَكَذَلِكَ بَخَّيْتُكَ رَبُّكَ وَمَعْلَمُكَ مِنْ تَأْيِيدِ الْأَحْلَامِ وَبِمَنْ نَعَمْتَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْإِسْحَاقِ كَمَا أَنَّهُمَا عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ابْنِ رَبِّكَ سُبْحَانَ حَسْبِهِ (2) "

يقول الطبري : " يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول يعقوب لابنه يوسف لما قص عليه رؤياه وكذلك يجتبيك ربك : كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا فكذلك يصطفيك ربك (1) .

وقد خلت التوراة من ذكر هذه الغاية واكتفى سفر التكوين بالإشارة إلى تحقق هذه الرؤيا كما عبرها يوسف (عليه السلام) - وهذا مبلغ النبوة عندهم - وإن الرؤيا في عرف التوراة أن تتحقق في الواقع كما في الأحلام ، وهو ما يجعل الرؤيا دليلا على القدرة على الإخبار لكونها دليلا على استطفاء الهي واجتناء رباني .

فعدم اقتران الرؤيا بما يدل على أنها استطفاء واجتناء رباني خص الله سبحانه وتعالى به صفة خلقه ، وهم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) لإعدادهم لتلقي النبوة والرئاسة ، يجعلها مجرد رؤيا قد تحصل للأنبياء ، ولغيرهم من أصحاب الحظوة ، وهو غاية ما يستخلص من حديث التوراة عن الرؤيا والأحلام ، وهي بذلك بعيدة كل البعد عن التصور القرآني للنبوة ، التي لاتعني القدرة على الإخبار وحسب ، بل على قدرة الله المطلقة في اختيار من يصلح للنبوة والرئاسة .

(1) - سفر التكوين 40 : 20 / 22 .

(2) يوسف ، 6

(3) - الطبري . التفسير . ج 12 . ص 92

و ما نفهم من حديث التّوراة عن الرؤيا و الأحلام ، أنّها تجعلها صناعة أو مهنة يحترفها الأنبياء لا علاقة لها بالنبوة ، ففي قصة يوسف (عليه السلام) ما يدلّ على صدق هذه الفرضية ، فلقد أُلنّب سفر التكوّين كثيرا في تصوير مهمة يوسف (عليه السلام) على أنّه معبّر للرؤيا و مفسّر للأحلام لا غير ، كما يستخلص هذا من الحديث عن تعبير يوسف (عليه السلام) لرؤيا فرعون (1).

أما القرآن الكريم فقد تجاوز هذه الأوصاف الظاهرة من خلال الإرشاد إلى أنّ الرؤيا لم تك إلا جزءا يسيرا من أجزاء النبوة ، التي لا تحصل إلا بتكليف شرعي وأمر إلهي ، و بذلك يمكن أن أقدم خلاصة لهذه المسألة كمايلي :

1- إن اعتماد التوراة على الرؤيا ، و الأحلام في تفسير ظاهرة النبوة ، شين في غير محله ، إذ لا يمكن الاعتماد على الجزء في الاستدلال على وقوع الكلّ ، أو تسوية الجزء ب كله كما يقول المناطقة فالنبوة لا تثبت و لا تتأكد إلا بالوحي الإلهي .

2- إنّ الرؤيا في التخصّيص الشرعي أعلى درجة من الحلم ، الذي تختلف بشأنه التفسيرات و التعبيرات ، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم التعبير عن رؤيا الأنبياء إلا بلفظ الرؤيا .

3- إنّ التوراة تورد مسألة الرؤيا و الأحلام عارية من كل مقصد و هو ما يجعلها بعيدة عن مراد النبوة .

(1) سفر التكوين 40 : 20/1.

تأثر النبوة القائمة على الرؤى والأحلام :

إن التقسيمات التي أوردها علماء المقارنة بين الأديان لأنواع النبوات في التوراة يعين على تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين اثنين :

المطلب الأول :

من حيث المعنى الاصطلاحي للنبوة

الرؤيا في عرف أهل الاصطلاح⁽¹⁾ بمعنى الحلم⁽²⁾ وكل ما يرى في المنام ، و الحلم يكون على عين :

أولها : أضغاث أحلام ، وهو الحلم الذي تدركه النفس بواسطة الخيال، و الوسواس الشيطانية و هو اجس النفسانية التي تكون من إلقاء النفس و الشيطان ، و يقوم الخيال بتنظيمها و ترتيبها ، و هذه الأشياء لا تعبير لها.

ثاني: الحلم الحسن ، و هو الذي يسمونه الرؤيا الصالحة ، و هو جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة ، كما قال الرسول (عليه الصلاة و السلام) ،⁽³⁾.

الثالث: النهائوي : و الرؤيا الصالحة على ثلاثة أنواع⁽⁴⁾.

أول : لا يحتاج إلى تأويل أو تعبير مثل رؤيا إبراهيم عليه السلام، التي كانت صريحة " **إِنِّي أَبْرَأُ فِي الْمُنِيرِ** " **بِنِّي أَدْخُوكُ** " ⁽⁵⁾.

(1) - انظر :

التهانوي، المرجع السابق، مادة رأى، فصل الباء، ص 89 و ما بعدها.

(2) - قال التهانوي في اصطلاحات الفنون، ص 95 : " و يغلب إطلاق كلمة الرؤيا على الأحلام الجميلة ، أما الأحلام السيئة و سمي حلما- بنضم الحاء- و هذا عند طائفة الصوفية ، و هذا التخصيص شرعي أما في اللغة فهي بمعنى الحلم مطلقا ."

(3) و بيان ذلك هو أن مدة نبوة الرسول (عليه الصلاة و السلام) كانت ثلاثة و عشرين عاما ، منها ستة أشهر كان الوحى فيها جيا، في صورة رؤيا ، و على هذا الأساس تكون الرؤيا الصالحة جزءا من ستة و أربعين جزءا من النبوة. التهانوي ، المرجع السابق، ص 89.

و حديث : " الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة ."

هذا الحديث مروى في صحيح البخاري كتاب التعبير ، 2 و 4 ، و صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا حديث 6.

(4) - التهانوي ، المرجع السابق، ص 89.

(5) - الصفات : 102 .

الثاني : يكون بعضه محتاجا إلى تأويل ، أي يكون بعض ما رأى محتاجا إلى تأويل مثل رؤيا يوسف (عليه السلام) و هي : " إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا عَشْرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ " (1) فأحد عشر كوكبا و الشمس و القمر محتاجة إلى تأويل ، أما السجود بعينه فهو ظاهر ، لا يحتاج إلى تأويل لقوله تعالى " فَإِذَا سَوَّيْتَهُ فَخَضَّ يَدَيْهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعَا إِلَى سَاجِدِينَ " (2)

الثالث : يكون كله محتاجا إلى تأويل مثل رؤيا ملك مصر " إِنِّي أُرَى سَبْعَ بَنَاتٍ يَمِينٍ " (3).

يقول التهانوي: " و في الحقيقة أن الرؤيا الصالحة مطلقا ليست هي التي يكون تأويلها صحيحا و أثرها ظاهرا ، لأنها تكون للمؤمن و الكافر على السواء ، بل إن الرؤيا الصالحة هي التي تكون مؤيدة بالنور الإلهي ، و هي لا تكون إلا للمؤمن أو الولي أو النبي و هي جزء من أجزاء النبوة " (4).

و من المفيد أن نذكر هنا أن الرؤيا بتعريفاتها التي أخذتها عن أقوال العلماء هي غير الرؤية التي تعني المشاهدة بالبصر حيث كان ، أي في الدنيا و الآخرة (5) و لهذا عرفت أي "الرؤيا" و خصتها في الرؤيا المنامية تفريقا لها وتمييزا عن الرؤية الحسية ، و إن كان الفرق واضحا و جليا بحسب كل لفظ، و إنما لجأت إلى أسلوب التخصيص زيادة في الإيضاح و التمييز .

وليس هناك من آراء العلماء والمفسرين من أنكر رؤيا الأنبياء أو أخرجها عن مدلولها و حقيقتها وقد فرق علماء اللغة بين الرؤيا وبين أضغاث الأحلام التي يلعب فيها الخيال و الوسواس الشيطانية دورا أساسا .

(1) - يوسف : 4 .

(2) - ص : 72 .

(3) - يوسف : 43 .

(4) - انظر :

التهانوي ، المرجع السابق ، ص 90 .

(5) - الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف) ، التعريفات ، ص 123

المطلب الثاني :

من حيث دلالة (1) الرؤيا على النبوة:

في الحديث الذي سلف أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة ، وقد وقع الخلاف بين أهل اللغة و الرأي بخصوص دلالة الرؤيا على النبوة و الإشكال في ذلك يرجع إلى خمسة مسائل: (2)

المسألة الأولى : أن جزء النبوة يكون مع النبوة ، و على هذا - على حد قول بعضهم - يجب ألا تكون الرؤيا لغير نبي مع أن الرؤيا تكون لغير النبي أيضا.

المسألة الثانية: أن النبوة نسبة و صفة ، فما معنى كون الرؤيا الصالحة جزءا منها؟.

المسألة الثالثة : أن الرؤيا الصالحة مثل المعجزات و الكشف و الصفات و الحالات الأخرى التي تكون للأنبياء ، و هي من نتائج النبوة و آثارها لا من أجزائها فما وجه تجزئتها عن النبوة؟.

المسألة الرابعة: أن عصر النبوة مضى أما زمن الرؤيا الصالحة فباق فكيف يستقيم كونها جزءا من النبوة ، لأن وجود الجزء بدون الكل محال كوجود الكل بدون الجزء .

(1) - الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، و الشيء الأول هو الدال ، و الثاني هو المدلول ، و كنية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص ، و إشارة النص ، و دلالة النص ، و اقتضاء النص ، و وجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتا بنفس النظم أولا ، و الأول إن كان النظم مسوقا له فهو العبارة ، و إلا فالإشارة ، و الثاني إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لفة، فهو الدلالة ، أو شرعا فهو الاقتضاء، فدلالة النص عبارة عما تبين بمعنى النص ، لفة لا اجتهادا ، فنوله لفة أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل كالنهي عن التأنيف في قوله تعالى: "فَلَا تَتْلُوا هَٰذَا مِن دُونِ الْإِذْنِ" الإسراء : 23، يوقف به على حرمة الضرب و غيره معانيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد.

انظر : الجرجاني ، المرجع السابق ، ص ٦

(2) - الفهناوي ، المرجع السابق ، ص 90.91.

المسألة الخامسة : ما وجه تجزئة النبوة إلى ستة و أربعين جزءا و اعتبار الرويا الصالحة جزءا منها ، و قد اجاب ' التهانوي ' (رحمه الله تعالى) على هذا الإشكال و يمكن تلخيصه كما يلي :

1- أن المتصود في المسألة الأولى من أن الرويا الصالحة جزء من النبوة هو أنها من حق الأنبياء و هي الرحي لهم في المنام ، فقد جاء في حديث آخر : " رويًا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزءا " الحديث (1).

2- و أما بخصوص الإشكال الثاني و الثالث و الرابع ، أن الرويا جزء من أجزاء علوم النبوة ، بل من أجزاء طرق علوم النبوة و علوم النبوة باقية ، كما ورد في الحديث : " ذهب النبوة و بقيت المبشرات و هي الرويا الصالحة " (2).

و قد قال البعض : الرويا الصالحة ليست جزءا من النبوة ، بل هي اثر من آثارها ، و هي فيض إلهي و إلهام رباني ففي هذه الحالة لا يتأتى للوصف بالجزئية إلا باعتبار ما كان ، و قد قال البعض : النبوة هنا بمعنى الإنباء يعني الرويا الصالحة ، هي الأخبار الصادقة التي لا كذب فيها. و قال البعض : إن المتصود بالجزئية ليس ما هو متعارف عند أهل المعقول بل المقصود هو أن الرويا الصالحة صفة من صفات النبوة و فضيلة من فضائلها ، و توجد بعض صفات الأنبياء في غير الأنبياء أيضا.

(1) ارجع في هذا الحديث إلى صحيح البخاري كتاب التعبير 2 و 4 و صحيح مسلم كتاب الرويا حديث 6. و مسند الإمام أحمد ، ج 1 ، ص 219 و ج 3 ، ص 267.

قوله عليه الصلاة و السلام : " رويًا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزءا " .

لم يرد فيه تصريح أن الرويا جزء من النبوة ، و لكن يفهم هذا من مفهوم المنطوق كما يقول الأصوليون.

(2) - ذكر هذا الحديث في أمارات ختم النبوة و يرجع في هذا إلى صحيح البخاري ، كتاب التعبير 5 ، و صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث 207 ، 208 و اللفظ للبخاري و هو قوله (صلى الله عليه و سلم) : " لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : و ما المبشرات ؟ قال : الرويا الصالحة " .

و ايرادي لوجود التعريفات للرؤيا و الحلم و وجه العموم و الخصوص بينهما و مسائلهما بين يدي حديثي عن نبوة الروى و الاحلام في التوراة كان المقصد منه بيان المسألتين الآتيتين:

أولاً: بيان أن أكثر الروى أي روى الأنبياء التي وردت في أسفار التوراة لم تتحقق و هذا ما يخالف كونها روى تنطق بالنبوة و تعبيراً عنها ، بدليل أن الرؤيا كما تقدم يجب أن تكون صادقة ليجوز و يصح القول بعد ذلك أنها جزء من أجزاء النبوة أو اشارة من أماراتها ، كما جاء في بدء نبوة الرسول اعليه الصلاة السلام ، قول عائشة: " أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب له الخلاء" (1).

ثانياً : بيان أن الرؤيا التي هي أشهر نبوات العهد القديم، و الأساس الذي تقوم عليه لا تمثل في حقيقة الأمر إلا جزءا غير ذي بال من النبوة ، بل هي اشارة من امارات النبوة و إرهابا من إرهاباتها ، و ذلك للأحاديث و الأدلة التي سقتها في هذا المجال.

(1) يرجع في هذا الحديث إلى صحيح البخاري ،باب بدء الوحي عن عائشة (رضى الله عنها).

الفصل الثالث: التنبؤات المستقبلية و الكهانة في التوراة.

المبحث الأول : التوراة و التنبؤات المستقبلية:

لقد سبقت الإشارة إلى أن من أنواع النبوة عند بني إسرائيل التنبؤات، و هي الكلمات التصويرية لآي شين سيحدث في المستقبل و عندما يتحقق هذا الشيء فعلا فإننا ندرك بوضوح إنجاز هذه التنبؤات، تلك التي سبق الإخبار بها سلفاً⁽¹⁾. و التنبؤات ، كما يفهم من نصوص العهد القديم ظاهرة عامة لم يحل منها سفر من أسفاره ، فهي في التوراة كما في الأنبياء⁽²⁾ و المكتوبات⁽³⁾.

(1) أحمد ديدات، ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد (صلى الله عليه وسلم)، عين مليلة الجزائر : دار الهدى (1991)، ص 13.

(2) الأنبياء (I & II & III & IV) قسم من أسفار العهد القديم ، و هو قسمان I & II و III & IV أي الأنبياء الأولون و III & IV أي الأنبياء الآخرون. و يشمل القسم الأول أربعة أسفار:

1- I & II (سفر يشوع): و يسرد تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى (عليه السلام) ، و قيام يشوع خلفا له ، و قيادته بني إسرائيل ، و يختتم السفر بوفاة يشوع.

2- III & IV (سفر القضاة) : و يحتوي على تاريخ الإسرائيليين في عهد القضاة ، الذين حكموا الشعب بعد وفاة القائد يشوع.

3- V (سفر صموئيل الأول)، و VI (سفر صموئيل الثاني) و يحتويان على تاريخ حياة صموئيل النبي، و الملك شاول الذي كان أول ملك تولّى على الإسرائيليين و الملك داود (عليه السلام)، [إن داود (عليه السلام)، كان نبياً مرسلًا، و لم يكن ملكا كما يدعي العهد القديم].

4- VII (سفر الملوك الأول و II) سفر الملوك الثاني ، و يحكيان موت داود (عليه السلام)، و حكم سليمان حتى بدء السبي البابلي و خراب الهيكل على يد نبوخذ نصر عام 587 ق.م.

أما القسم الثاني فيحتوي على رسالات الأنبياء:

أ- I & II (إشعيا) ب- III & IV (إرميا).

ج- V & VI (حزقيال)، كما يشتمل هذا القسم على رسالات اثني عشر نبياً يسمون عادة صغار الأنبياء لقلّة ما أثار عنهم مثل: يونيل ، و عاموس و عوبديا، و يونس، و ناحوم ، و زكريّا.

(3) - المكتوبات I & II و تشمل على مزامير داود و على أمثال سليمان ، و على تاريخ أيوب (عليهم السلام) و في

هذا الجزء أيضا خمسة أسفار تدعى مجلات (I & II & III & IV & V)

1- تنيد الإنشاد 2- راعوث 3- مرثي إرميا 4- الجامعة 5- إستير.

و يحتوي على أسفار أخرى لا يفتتح المقام لذكرها.

انظر ربحي كمال، المرجع السابق ذكره ، ص 436 و ما بعدها.

ويرى بعض أعلام الفكر اليهودي (1) أنّ التنبؤات جمع مفردة تنبؤ وهي في عرفهم صيغة مزيدة مشتقة من لفظ "تبي"، و قد جعل العهد القديم استعمالها في الأغلب خاصاً بالأنبياء الكبار مثل: إرميا، و حزقيال، و عاموس، فقد جاء في إرميا: «إرميا تنبأ بهذه الكلمات» (2) و في حزقيال: «تنبأ كما أمرت» (3)، و في عاموس: " فأخذني الرب من وراء الضأن و قال لي الرب: اذهب تنبأ لشعبي (4) إسرائيل » .

و في عاموس أيضا حين قال أمصيا ملك يهوذا لعاموس: "أيها الرائي: اذهب واهرب إلى أرض يهوذا، و كل هناك خبزا، و هناك تنبأ" (5) .

و هناك صيغة أمر قريبة من هذه الصيغة، وهي أيضا مشتقة من "نتي"، وهي صيغة (ن فعل)، و قد استخدمت هذه الصيغة لغير الأنبياء الكبار، بل استعملت أكثر من مرة للأنبياء الكذبة و أنبياء البعل (6) .

ومثال ذلك ما ورد في إرميا: " و الأنبياء تنبأوا ببعل" (7) وكذلك في إرميا: " لم أتكلم معهم، بل هم تنبأوا" (8) وكذلك في إرميا: " الأنبياء المتنبؤون بالكذب" (9) .

فالنصوص التي أوردتها تجعل التنبؤ مهمة كان يقوم بها أنبياء العهد القديم، غير أن هناك تمييزا للأنبياء الكبار من الأنبياء الكذبة، الذين انتحلوا صفة النبوة و ما هم منها في شيء .

(1) انظر: م. ص. سيجال، المرجع السابق، ص 39 .

ويرى سيجال أن صيغة "تنبأ" مقصورة على الأنبياء الكبار فقط و يعطّل مجيئها مع الأنبياء الكذبة و أنبياء البعل بأن ذلك حدث من أجل المزوجة الصوتية فقط لافترانها بكلمة "ב'נ'א" وإذا لم تكن مقرونة بهذه الكلمة، فلا بد أن يتلوا مباشرة النص على أن نبوءاتهم كاذبة .

- المرجع نفسه، ص 39 .

(2) - إرميا 20 : 1 .

(3) - حزقيال 37 : 8 .

(4) - عاموس 7 : 15 .

و شعبي إسرائيل: ربما كانت إضافتها إلى إله إسرائيل، و إلا لوردت بصيغة الإضافة "شعب إسرائيل".

(5) - عاموس 7 : 12 ، 13 .

(6) - انظر: م. ص. سيجال، المرجع السابق، ص 39 .

(7) - إرميا 2 : 8 .

(8) - إرميا 23 : 21 .

(9) - إرميا 23 : 26 .

و يرى سيجال⁽¹⁾ أن التنبؤ غير النبوة ، و ذلك لأن صيغة "تفعل" (פִּעַל יִפְעַל) لا تدل على معنى نكلم كلام النبوة ، و لكن "سلك سلوك الأنبياء" و "عمل عمل النبي" ، مثل وصف زمرة الأنبياء في قصة تمليك شاول فهي منطوقة في النص " و هم متدبنون"⁽²⁾ يقول سيجال: " و صيغة تفعل هذه لم تستعمل في العهد القديم قط لأعمال"⁽³⁾ الأنبياء الكبار ، الذين أرسلهم الرب و حفظت لنا نبوءاتهم في الكتب المقدسة و يضيف : " إن هذه الصيغة وردت مرة واحدة فقط مستعملة لكلام نبوي و ذلك في سفر حزقيال"⁽⁴⁾. كما استخدمت صيغة "تفعل" في التوراة⁽⁵⁾ ، في التعبير عن عمل الشيوخ الذين حلت عليهم روح موسى ، كما حلت روح النبوة على شاول عندما مسح⁽⁶⁾ ملكا ، و كما حلت روح الله على داود عندما مسح ملكا⁽⁷⁾ ، و على القضاة كذلك"⁽⁸⁾.

و يختتم سيجال حديثه المفصل عن استعمال هذه الصيغة بقوله: " و الواقع أن استعمال صيغة تفعل أي تنبأ له لون واحد هو "صنع صنع النبي دون أن يكون بحق نبيا أي ادعى النبوة"⁽⁹⁾. و قد وردت أفعال في التوراة على هذه الصيغة تنيد ادعاء المرض دون أن يكون الفاعل في الحقيقة مريضا⁽¹⁰⁾ ، و ادعاء الغنى دون أن يكون الفاعل في الحقيقة غنياً.

(1) ارجع إلى مادكره في بحثه الذي سفت الإشارة إليه ، ص 37.

(2) حسونيل الأول 5:10.

(3) سيجال مرجع سبق ذكره ، ص 37.

(4) المصدر نفسه ، ص 37.

(5) العدد 11 : 25 ، 27.

(6) المسح إشارة إلى المسح بالزيت المقدس و هو من أعظم شعائر التقديس و التكريم عند أهل الكتاب ، فكل من يمسح بهذا الزيت يسير مقدسا لله ، و يكون للكهنة و الملوك و الأنبياء.

في سفر التكوين عن يعقوب أنه " بكر في الصباح و أخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه و أقامه عمودا ، و صبّ زيتا على رأسه ، و دعا ذلك المكان بيت إيل أي بيت الله " انظر: التكوين إس 28 ، و كذلك: محمد مجدي مرجان: المسيح إيمان أم إله ، هدية وحقبة و علق عليه عبد الرحمان دمشقية (بدون معلومات نشر) ، ص 30.

(7) حسونيل الأول 10 : 10 و 16 : 3.

(8) القضاة 3 : 30 ، 41 ، 29 ، 43 ، 5.

(9) سيجال ، مرجع سبق ذكره ، ص 37.

(10) عدد 11 : 27/25.

وقد ذهب علماء المقارنة بين الأديان إلى أن التنبؤات ، كانت تؤخذ دلالتها من عدة ألفاظ منها :
الرائي (רַאִי) ، والحازي (חַזִי) و النبي (נְבִי) ، وهو ما يفسر
كون النبي في درجة ومرتبة أعلى من الرائي والحازي ، وهو الوصف الذي لم يعرفه بنو إسرائيل
إلا في عهود متأخرة (1) .

والرائي كما يقول هنري (Henri): "إن الأنبياء كانوا يسمون بالرواة ولذلك سميت نبوءاتهم (رؤى) ".
فالرويا كما ذهب إلى ذلك هنري (Henri) هي ما يراه النبي بعيني عقله ، و ما يتكلم به قبل وقوعه
بواسطة الكشف الإلهي بوضوح تام ، كما لو كان يراه بعيني رأسه (2) .

أما " الحازي " (חַזִי) فمدلوها لا يختلف عن كلمة (חַזִי) و الكلمتان تقابلهما
في الإنجليزية كلمة SEER ، و (חַזִי) صيغة اسم الفاعل من الفعل (חָזַ)
بمعنى رأى ، و في العربية " حزى " بمعنى رأى رؤية داخلية باطنة و الحازي هو العراف أو المنجم
أو الفلكي (3) .

أما النبي فهو في العهد القديم مطلقا المخبر عن الله عز وجل ، وما استنتجه من هذه التعريفات
للرائي والحازي ، أن النبوة عند بني إسرائيل - كما هي في كل الأمم الخالية - كانت وظيفة لا تختلف
عن وظيفة الكاهن و العراف ، التي شاعت في المجتمع الإنساني ردحا طويلا من الزمن .

ويذهب حسن ظاظا (4) إلى أن لفظة " حوزيه وعراف" لم تجيء في نصوص العهد القديم
قرينة للرائي و إنما للنبي ، و الدليل في ذلك ماجاء في عاموس (5) : " فقال أمصيا لعاموس أيهما
العراف (حوزيه) : اذهب اهرب إلى أرض يهوذا و كل هناك خبزا وهناك تتبأ " .
ونلاحظ في هذا النص اقتران العراف هنا أيضا بالتنبؤ ، وهو ما يؤكد ما ذهب إليه من ارتباط الكهانة
و العرافة بالنبوة عند بني إسرائيل ففي الملوك الثاني (6) : " وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا
على يد جميع الأنبياء وكل عرافت « حوزيه » قاتلا : « ارجعوا عن طرقكم الرديئة ، واحفظوا
وصاياي " ، وفي هذا الشاهد تلاحظ مجيء العراف قرينة للنبي أيضا .

(1) - محمود أحمد المراغي ، إشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم ، (ط1 ، بيروت لبنان : 1412هـ ،
1992م) ، ص 117 .

(2) - انظر :

HENRI MATTEW, MATTEW HENRIS COMMENARY (NEW YORK U.S.A: 1612) p . 827 .

(3) - محمود أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ص 123 .

(4) - حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص 67 .

(5) - عاموس ، 7 : 12 .

(6) - الملوك الثاني 17 : 3 .

يقول المسعودي : " ولا أمة خلت إلا كانت فيها كهانة ، ويقصد بالكهانة هنا محاولة معرفة السيب بطرق شتى كالفحص في أكباد القرايين أو في الأزلام ، أو الأقداح أو الأنصاب ، أو عن طريق العيافة والقيافة و الزجر و السانح و البارح من الطيور ، أو عن طريق النظر في الأفلاك و الكواكب حسب علامات معروفة استُقيت أصولها وتأويلاتها عن سابقين في هذا المجال " (1) .

أما ابن خلدون فإنه يرى في العراف نوعا من أولئك الأشخاص الذين يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم ، يتميز بها طبيعهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليها بأثر من النجوم و لا من غيرها " (2) .

ولعل هذه المعاني التي أوردها المسعودي وابن خلدون ، للكهانة و العرافة تطبق تماما على ما كان من شأن و وظيفة الأنبياء في بني إسرائيل ، و هو ما يتأكد مما جاء في سفر الخروج (3) إذ ورد فيه على وجه الخصوص : " النبوة لفظة تفيد معنى الإخبار عن الله وعن الأمور الدينية ولا سيما عما سيحدث فيما بعد ، و سمي هارون نبيا ، لأنه كان المخبر و المتكلم عن موسى (عليه السلام) نظرا لفصاحته " .

ويستنتج من آراء الباحثين أن الكهانة و العرافة لفظان لمعنى واحد و المراد بهما التنبؤ و استطلاع الغيب ، وأنها ليست من صنع اليهود ولا من العرب الذين آلت إليهم "ولعلها أنتهم من الشعوب المجاورة ، وعلى الأرجح من الكلدانيين ، البارعين بعلم الفلك و النجوم ، فالكاهن و العراف يسمى " حازي " و " حزّاء " وهي كلمة كلدانية تعني الناظر و الرائي و البصير " .

(1) - المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجواهر (القاهرة : (بدون ناشر) ، 1346 هـ) ، ج2 ص82 وما بعدها .و المسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي .

(2) - ابن خلدون ، مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر (القاهرة : (بدون معلومات النشر) ، ص105 .

(3) - الخروج ، 7 : 1 .

تمّ يعلّق UNGER على ذلك و يفتّده فيقول: " و الانبياء العبريون لم يكونوا متميّزين يمتلّ هذه الخواص و لكنهم كانوا يتميّزون بروعي ذاتي عاقل ، و لم يفقدوا امتلاكهم لانفسهم ، بل يتكلّمون بإدراك كامل للظروف الكائنة ، و في نفس الوقت ، فإنّ عقل النبي يبدو كما لو أنّه ارتقى فوق حالته العادية ، و لا يكون عقل النبي سلبيا إلا عند استقباله الوحي في الرؤى و الأحلام أمّا عند إعلانهم لرؤاهم فإنهم يتوتون في حالة روعي تام " (1).

و لا شك أنّ الغياب عن الوعي حقيقة تعترف بها التّوراة ، بغض النظر عن طبيعتها و مسبباتها ، فقد ورد في سفر التكوين أنّ نوحا بعد انتهاء الطوفان و نجاته و من معه من الغرق شرب خمرا و حدث له ما حدث ، و هو كان غائبا عن وعيه فقد جاء فيه : " و ابتداء نوح يكون فلاحا و غرس كرما و شرب من الخمر فسكر و تعرّى داخل خبائه ... فلما استيقظ نوح من خمرة علم ما فعل به ابنه الصّغير فقال ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته ، و قال مبارك الربّ إله سام ، و ليكن كنعان عبدا لهم فيفتح الله ليفتّح فيساكن في مساكن سام و ليكن كنعان عبدا لهم " (2).

و عليه يمكن القول إجمالا أنّ النّبوة في التّوراة ، كان الأساس الذي قامت عليه التّنبؤات ، و هي لا تخرج بذلك عن معنى العرافة و الكهانة ، و هو الذي يستخلص من نصوص التّوراة التي تحدّثت عن انبياء بني إسرائيل ، و ما زال هذا المعنى متداولاً إلى اليوم بين اليهود و بناء النّبوة على حصيلة التّنبؤات ، و سدى تحقّقها و حدوثها في الواقع يجعلها تختلط بعمل العرافين و المنجمين ، و هو ما يدفعنا إلى القول بأنّ اليهود لم يعرفوا في تاريخهم إلاّ هذا النوع من التّنبؤات و هي نبوة الإخبار عن المستقبل و ما زالوا يبنون عليها كل اعتقاداتهم.

(1) Unger meville . Bible Dictionary in the 16Th Edition chicao . 1970 . p 893

(2) اسكوبن إيس 9 : 20 / 27 .

ويرى محمد رشيد رضا (1) أن أنبياء بني إسرائيل كما حدثت عنهم التوراة كانوا يرون الأمور المستقبلية بدون تمييز أزمنتها ، بطريق المقارنة و المقاربة ، إذ غالبا ما كانت تقترن في نبوءاتهم الحوادث القريبة العهد مع البعيدة كاقتران نجات اليهود من الأشوريين بخلص العالم بواسطة المسيح ، فالنبوة على هذا الأساس عند بني إسرائيل ، لا تختلف عن العرافة و التنجيم ، وفي هذا يقول محمد رشيد رضا : " إن نبوءة الإخبار عن الأمور المستقبلية - وهي التي يستدلون بها على كونهم مخبرين عن الله تعالى - كانت أحيانا كثيرة بدون تمييز أزمنتها ولا حوادثها ، فكان بعضها يختلط ببعض ، فلا يكاد يظهر المراد منها إلا بعد حملها على شيء واضح بعد وقوعه ، كما يعهد في كل عصر من أخبار العرافين و المنجمين و الروحانيين المكاشفين ، و منها ما ظهر خلافه " (2) .

ويضيف محمد رشيد رضا أن هذه النبوات التي كشفت عنها التوراة أنى لها أن تضاهي تلك الأخبار (النبوات) ، التي وردت في القرآن الكريم كقوله تعالى في أول سورة الروم : " الْمُرْعَلِيَّتِ الرُّومِيَّةِ أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئُونَ فِي بَعْضِ سِنِينَ " (3) . و قوله تعالى : " وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْخَلَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ " (4) . وابن هي من إنباء النبي (صلى الله عليه وسلم) المؤمنين بأنهم سيفتحون بلاد الشام وبلاد الفرس ومصر ، ويستولون على ملك كسرى وقيصر ، حتى إنه سمى كسرى عصره باسمه " (5) .

وعليه يمكن القول أن حصر النبوة عند بني إسرائيل في الإخبار عما سيكون في مستقبل الزمان يجعلها لا تختلف في شيء عن العرافة و الكهانة ، فما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) منها في حي القرآن و غيره أظهر و أوضح وأبعد عن احتمال التأويل ، وأعصى على إنكار المرتابين ويزيد عليه ما جاء به من أنباء الغيب الماضية (6) .

(1) - انظر: محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 62.

(2) - الفرع نفسه ، ص 64.

(3) - الروم : 1 ، 4.

(4) - التور : 55.

(5) - محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 65 .

(6) - المصدر نفسه ، ص 65، 66.

و من المهم هنا أن أذكر أن التنبؤ أي الإخبار عن المستقبل غالبا ما كان يقترن بالموسيقى و الشعر، إذ كانت تهيئة رجل الله للتنبؤ تتم أحيانا بمصاحبة الآلات الموسيقية كالدف و العود و الرباب و الناي و الصنوج ليستعر المتنبي بصفاء الروح و يمكنه استلهاهم الغيب؛ و هذه التهيئة و الإعداد كانت لا تتم إلا في مدارس خاصة يطلق عليها المدارس (النبوية) و كان يعلم في هذه المدارس تفسير التوراة و الموسيقى و الشعر ، و لذلك كان الأنبياء شعراء و أغلبهم كانوا يلغون و يلعبون على آلات الطرب ، و كانت الغاية من هذه المدارس أن يرشح الطلبة فيها لتعليم الشعب (1).

غير أن هذه المدارس لم تحقق الهدف المرجو منها ، و هي إعداد الأنبياء الذين يخبرون الشعب بما لا قبل له به و لا علم له بحدوثه ، و في هذا الصدد يقول محمد رشيد رضا : " و يظهر أن كثيرين من الذين تعلموا في تلك المدارس لم يعطوا قوة على الإنباء بما سيأتي ، إنما اقتصت بهذه الخصوصية أناس منهم كان الله يقيمهم وقتا دون آخر حسب مشيئته ، و يعدهم بتربية فوق العادة لمواجهة الخطيرة على أن بعض الأنبياء الملهمين كان يختصهم الله بوحيه و لم يتعلموا من قبل و لا دخلوا تلك المدارس ، كعاموس مثلا ، فإنه كان راعيا و جاني جميز" (2).

و ينتقد محمد رشيد رضا قيام النبوة على ما فصله من كون أهم وسائل تحقيقها الموسيقى و الشعر فيقول : " و مما يرد على نبوتهم أن أكثر أنبياء بني إسرائيل كانوا يتخرجون في مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها تفسير شريعتهم التوراة و الموسيقى و الشعر، و أنهم كانوا شعراء و مغنين و عزافين على آلات الطرب و بارعين في كل ما يؤثر في الأنفس و يحرك الشئور و الوجدان و يثير رواكد الخيال ، فلا عرو أن يكون عزرا و نحشيا من اعظم أنبيائهم ساقيين من سقاء الخمر لملك بابل (ارتحششتا) و مغنين له (3).

(1) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 62.

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه .

وأن يكونا قد استعانا بتأثير غنائهما في نفسه على سماحه لهما بالعودة لقومهما وإلى وطنهما وإقامة دينهما فيه " (1)

ويقدم محمد رشيد رضا خلاصة لذلك فيقول : " فالنبوة على هذا كانت صناعة تعلم موادها في المدارس ، ويستعان على الإقناع بها بالتخييلات والإلهامات الكلامية ، و المؤثرات الغنائية و الموسيقية ، والمعلومات المكتسبة ، يقول حسن ظاظا (2) : " ومن هنا يتأكد لنا أن التّعني بالأناشيد بمصاحبة آلات الموسيقى و الرقص كان من عمل الأنبياء ، ومن أجل هذا أيضا أطلق صاحب سفر أخبار الأيام (3) على اللاويين الذين يقومون بالإشاد في المعبد على آلات الموسيقى اسم " الأنبياء " كما دعا فعلهم هذا " عمل نبوة " ، فإن هي نبوة محمد الأمي (صلى الله عليه وسلم) الذي لم يتعلم شيئا و لم يقل شعرا ، و قد جاء مفردا ، بأعظم ما جاوزوا به كلهم أجمعون مجتمعا " (4) .

وإلى جانب الشعر و الموسيقى ، يذكر روبنسون ROBINSON (5) العديد من صور تهبنة رجل الل لاستقبال الوحي ، أو لاكتناه (6) الغيب ومنها حالات تشبه نوبات الصرع الحادة مثل توتر الأعصاب وتقلص العضلات و النطق بالفاظ لا تكاد تفهم ، هذا مع أن UNGER (7) ينفي هذه الحالة التشنجية عن أنبياء بني إسرائيل بقوله : " إن مثل هذه النظرية تعترف النبوة اليهودية بتعريف وثني ، فإن مدعي الغيب في العالم الوثني قد افترض أنهم حين يكونون في حالة عقلية عبر عنها الإغريق بكلمة ECSTASIS (8) ، فإن قواهم العقلية تكون معطلة تماما " .

(1) - انظر : محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 62 .

(2) - المصدر نفسه ، ص 69 .

(3) - أخبار الأيام الأول 25 : 1 .

(4) - المرجع نفسه ، ص 63 .

(5) THEODORE H. ROBINSON , PROPHECY AND THE PROPHETS IN ANCIENT ISRAEL (EDI NBURGH , 1950) , P 32 .

(6) - الاكتناه : معرفة كنه الأشياء أي حقيقتها كما هي .

(7) - UNGER MEVIL F , BIBLE DICTIONARY IN THE 16 TH (ED CHICAGO : 1970) P 893 .

(8) - ترجم حسن ظاظا هذه الكلمة بكلمة " شطحات " وكلمة ECSTASIS أو ECSTARY الأوروبية معناها الغيبوية ، التي يفتد فيها الشخص شعوره الحسي تحت تأثير عوامل روحية ، وهي تكون إما في صورة تشنجات عضلية أو غيبوبة هادئة ، وانطلاق لوقت ما عن مجال الحواس العادي ، وامتلاك كامل للفهم ، إذ أنهم يطفون رسالة إلهية بأمانة ، ولذلك فهم يستهلون كنماتهم النبوية بصيغة : " كانت على يد الرب " حزقيال 1 : 3 ، 3 : 14 ، 33 : 22 .

انظر في هذا الصدد .
حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي ، مرجع سابق ذكره ص 63 .

النبوة وانكهاة في التوراة

لقد بينت في المباحث السابقة صعوبة تحديد مفهوم النبي في التوراة ، وهو ما يرجعه الباحثون (1) في الأساس إلى تطور هذا المفهوم عبر حقب طويلة من تاريخ العبرانيين ، مما نتج عنه اختلاف رؤاهم بشأنه وتباين تفسيراتهم بعد ذلك للنبوة ، ولكن أستطيع أن أتبين مدلول هذا الاسم من معرفة وظيفة النبي في حياة الإسرائيليين ، ويتضح كل هذا من التوراة أو ما يعرف بالأسفار الخمسة المقدسة ، التي يفهم من بعض نصوصها أن النبي يؤدي وظيفة كهنوتية لكنه اللسان والترجمان بما يصدر عن الرب من أوامر وتوجيهات ووصايا لرعايا بني إسرائيل . ففي سفر الخروج (2) يقول الله لموسى : " انظر أنا جعلتك رباً (الوهيم) لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك " .

وظيفة هارون إلى جانب موسى (عليه السلام) مشروحة في مكان آخر من سفر الخروج (3) ، وهو قول الرب لموسى : " وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فماً ، وأنت تكون له رباً (الوهيم) ومن هذين النصين من الخروج ، أرى أن النبي ، - إن جاز لنا هذا التعبير - هو فم ربه الذي به يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام هذا الرب ، وبلغة وصاياه و تعاليمه ، تماماً كما كان هارون لموسى (عليه السلام) ، فهو فمه الذي يبلغ كلام ، ربه موسى (عليه السلام) إلى الشعب وإلى فرعون . (4)

ويظهر من النص الوارد في سفر الخروج أن موسى أكثر من نبي ، فهو في مرتبة الرب ، وهارون هو النبي ، ومعناه على ما يفهم من النص الذي يبلغ وصايا الرب إلى شعبه ، وتسمية هارون بأنه فم الرب يدل على فصاحته وإبانتة في منطقته ، وهي شروط لا يتحقق مراد النبوة إلا بها ، وقد تكرر ورود النبوة مرتبطة بهذه الشروط في نصوص كثيرة من التوراة .

(1) ارجع في هذا إلى ما ذكرته عن تطور مفهوم النبوة في العهد القديم ، قاموس الكتاب المقدس ، ص 108.

(2) الخروج 7 : 1 .

(3) الخروج 4 : 16 .

(4) حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي مرجع سبق ذكره ، ص 70.

و يستنتج من هذا ان النبي كما نلت على ذلك التوراة هو الواسطة بين الله وبين شعبه ، وهي بذلت لا تختلف عن الواسطة الكهنوتية التي عرفت بها المسيحية منذ نشأتها ، وهنا يمكن ان نلاحظ الفرق بين النبي وبين الرائي و الحازي ، و إن كانت هذه الألفاظ في حقيقة الأمر لا تعني نوعين من " رجل الله " ، بل هما تعنيان اتجاهين ، و علاقيتين لرجل نفسه يكمل كل منهما الآخر ، و هما يمكنان " " رجل الله " كما من يسمي عند بني إسرائيل من أن يقوم بوظيفته التي حدثت له من قبل الله .

فالاسم (الرائي الحازي) يعني صلة رجل الله بالله ، فالرائي و الحازي هو من يرى رؤيا الله وينظر بعين الله ، فينتسبا بحوادث قبل حدوثها ، وبالخير أو الشر قبل وقوعه ، كما بيّنت ذلك سابقا ، بينما النبي كما جاء في النص من سفر الخروج ، هو الذي يكون واسطة بين الرب وبين الأمة ، فهو لسان حالها و المتحدث باسمها بتفويض من الرب ، فهو فم الله الذي يتحدث و يسمع الشعب كلام الله كما يسمعه هو في رؤيا النبوة .

وعلى هذا أرى أن فريقا من أنبياء بني إسرائيل أو من سموا في عرف الفكر اليهودي بالأنبياء الكبار قد جمعوا بين كونهم منبئين من الله ومنتبين عنه ، ومن هؤلاء عاموس وأشعيا وأمثالهم⁽¹⁾ فقد كانوا رؤاه و حازين وأنبياء في أن واحد ، وبمعنى أنهم قد أتركوا صفة الكمال ، التي لا يوصل إليها إلا بالجمع بين طرفي المهمة النبوية ، فكانت لهم رؤيا النبوة وكانت لهم أيضا مهمة مخاطبة الناس وقيادة الأمة بالهام من الرب غير أن هناك من " رجال الله " في إسرائيل من لم يصلوا إلى درجة الكمال التي وصل إليها الأنبياء السابقون فكانوا رائين حازين ، وأكثر منهم أنبياء دعاة وهذا ما يرجح شيوع لفظ الرائي و الحازي في المجتمع الإسرائيلي من لفظ (النبي) .

وليس هناك من آراء نقاد التوراة ما يخالف هذا الذي ذهب إليه فالازدواجية في الجمع بين صفة النبي و صفة الكاهن ، أمر ظاهر تؤيده الأدلة الكثيرة في العهد القديم⁽²⁾ ، بل إن هناك من الباحثين من ذهب إلى حد التأكيد على أن النبوة عند بني إسرائيل ما عرفت إلا مرتبطة بالكهانة ، ولقد كانت الكهانة نحلة نحلتها كثير من الفرق اليهود ، ومنها فرقة " الصدوقيون " التي تدعى نسبتها إلى صادق الكاهن الأعظم في عهد الملك سليمان⁽³⁾ .

(1) حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص 70 .

(2) المصدر نفسه .

(3) هكذا ورد وصفه في العهد القديم ، وهو في القرآن الكريم نبي مرسل وليس بملك .

وقد أسببت التوراة في بيان تكلم النبي باسم الرب على لسان الأمة، ومن ذلك ما جاء في سفر التكوين (1) : "فتضرع إبراهيم إلى الرب كي لا يخسف سدوم . فتقدم إبراهيم وقال : أفتهلك البار مع الأتيم ، عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة فتهلك المكان ، ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه ، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر . إن تميت البار مع الأتيم ، فيكون البار كالأتيم حاشا لك ، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً فقال الرب : إن وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم فأجاب إبراهيم وقال : إني قد شرعت أكلّم المولى ، و أنا تراب ورماد ، ربما تنص الخمسون باراً خمسة ، أتهلك كل المدينة بالخمس فقال : لا أهلك إن وجدت هناك خمسة و أربعين ، فعاد يكلمه أيضا وقال : عسى أن يوجد هناك أربعون فقال : لا أفعل من أجل الأربعين فقال : لا يسخط المولى فاتكلم ، عسى أن يوجد هناك ثلاثون ، فقال : لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين فقال : إني قد شرعت أكلّم المولى ، عسى أن يوجد هناك عشرون فقال : لا أهلك من أجل العشرين فقال : لا يسخط المولى فاتكلم هذه المرة فقط عسى أن ، يوجد هناك عشرة فقال : لا أهلك من أجل العشرة"

ويؤخذ من هذا النص أن النبي لم يكن - إن جاز هذا التعبير - فما لله أمام الشعب بل كان ينوب عن الشعب في مناجاة الله والتضرع إليه ، وطلب العفو منه ، فلقد كان الناس لا يجدون ملجأ من العذاب المحيق بهم ولا ملجأ إلا في النبي ، ليقوم ضارعا أمام الله ليرفع مقته وغضبه عليهم ، فقد ورد في هذا الصدد أن إبراهيم صلى إلى الله بشأن ملك مصر و امرأته وجواريه فقد جاء في سفر التكوين (2) : "فصلى إبراهيم إلى الله ، فشفى الله أبيعمالك و امرأته وجواريه فولدن " كذلك صلى موسى (عليه السلام) - على حد زعم التوراة - من أجل فرعون والمصريين كما في سفر الخروج (3) ، ومن أجل بني إسرائيل بما كانوا فيه من الضراء (4) .

(1) التكوين 18 : 23 ، 33 .

(2) التكوين 20 : 17 .

(3) الخروج 9 : 33 ، 10 ، 18 .

(4) الخروج 14 : 15/15 ، 17/25 ، 32/4 ، 11 ، 31 .

والنسية 9 : 18 ، 28 .

والعدد 11 ، 14/2 ، 16/13 ، 21/22 ، 17 .

والعدد 12 : 13 ، والثنية 9 : 20 .

وقد وردت صلوات أخرى في الأسفار الأخرى ، لم أورد الإشارة إليها اكتفاء بما جاء في التوراة في أسفارها الخمسة التزاما بموضوع البحث .

و الظاهر من هذه النصوص أن النبوة في التوراة كانت تؤدي وظيفة الوساطة بين الرب وبين شعبه ، وأن هذه الوساطة في حد ذاتها كانت تحتاج إلى شد الأزر ، و تثبيت اللسان ، ولهذا كان الرب - على حد قول التوراة - يجري على لسان عبده ما يريد قوله إلى بني إسرائيل ، و من ذلك ما جاء في سفر الخروج : " فقال موسى للرب استمع أيها السيد ، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك ، بل أنا ثقيل الفم واللسان ، فقال له الرب: من صنع للإنسان فما أو من يصنع أخرسا أو أصمًا أو بصيرا أو أعمى أما هو أنا الرب ؟ فالآن اذهب وأنا أكون معك وأعلمك ما تتكلم به " (1) .

وفي سفر الخروج في موضع آخر : " ثم قال الرب لموسى : بكر في الصباح وقف أمام فرعون إنه يخرج إلى الماء وقل له : هكذا يقول الرب : أطلق شعبي ليعبدون " (2) .

وإن المتصفح للتوراة يجد نصوصا كثيرة ، يتكرر فيها الحوار بين الرب وبين موسى ، فيراجعه موسى في كثير من الأوامر والمنهيات ، وخاصة ما تعلق منها بإنزال العقوبة ببني إسرائيل ، وقد ورد في العهد القديم على لسان عيسى (عليه السلام) ، أنه قال : إنما بعثت لخراف بني إسرائيل الضالة .

إن ضلال اليهود ، وخروجهم عن الجادة ، هي التي جعلت الحوار يحتد ويستند بين موسى والرب ، و الذي يصل أحيانا إلى حد غضب الرب من موسى وغضب موسى من الرب ، فهذه الوساطة التي كان يمثلها موسى (عليه السلام) ، هي ما اصطلح على تسميته بعمل النبوة .

(1) - الخروج : إص 4 : 10 ، 12 .

(2) - الخروج : إص 8 : 16 .

ويذكر حسن ظاناً (1) أن أنبياء بني إسرائيل كانوا مرتبطين بالمعابد ، وكانوا يؤدون فيها وظيفة كهنوتية ، إذ كانوا يقيمون حولها وكان التجلي الإلهي يعتادهم داخل المعبد ، كما حدث لموسى على نحو ما جاء في سفر الخروج : " وأنا أجمع بك هنا ، وأتكلم معك " (2) وكان عمود الغمام إذا دخل موسى الخيمة ، ينزل ويقف عند باب الخيمة ، ويتكلم الله مع موسى فيرى جميع الشعب عمود الغمام ، وإذا عند باب الخيمة ، ويقوم كل الشعب ويستحون ، كل واحد في باب خيمته ويكلم الله موسى وجها لوجه ، كما يكلم الرجل صاحبه ، وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يوشع بن نون لا يبرح من داخل الخيمة " (3) .

وجاء في اللاويين : " ودعا الله موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً... " (4) .

وهذه الشواهد التوراتية التي سبقنا تدلّ دلالة واضحة على أن النبوة عند بني إسرائيل ارتبطت بالمعابد ، التي يمارس فيها الكهنة طقوسهم الدينية ، وهو ما يقوي الاعتقاد بأن النبي في إسرائيل ، كان يؤدي وظيفة كهنوتية ، لا تختلف عن وظيفة الكهان و الرهبان ، وإن كان النبي هو مثلهم وقدوتهم وما يمليه ذلك من واجب التقديس والتمجيد له و السأدب في حضرته ، وهو ما نلاحظه مما جاء في سفر الخروج : " ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته " (5) ، وهذا الأمر يدفع إلى القول بأن النبي - حسب نصوص التوراة - كان يمثل بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي الرئيس والملهم الروحاني للكهنة والسدنة ، الذين لا يمكنهم أن يخرجوا عن أمره ونهيه ، ولا أن يشقوا عصا الطاعة عليه ، وفي ذلك ما جاء في سفر الخروج : " وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يوشع بن نون لا يبرح من داخل الخيمة " (6) .

(1) حسن ظاناً ، المرجع السابق ، ص 74 .

(2) الخروج 25 : 22 .

(3) الخروج 33 : 9-11 .

(4) اللاويين 1 : 1 .

(5) الخروج 25 : 10 .

(6) الخروج 25 : 11 .

وارتباط الأنبياء بالمعابد حقيقة ينطق بها الواقع الديني للمجتمع الإسرائيلي ، فالمعبد هو المكان الذي تحصل فيه التجليات الإلهية ، و هو قبل هذا مكان تلقى فيه الأمة بأعيانها من الشخصيات اليهودية المرموقة و على رأسهم الأنبياء في أيام الأعياد و الزيتة ، و من الطبيعي أن يوجد الأنبياء من ظهري الأمة ، ليوجهوا الناس ، ويرشدونهم فيما خبا لهم الغيب ، ولكن من غير الطبيعي كما ذكر بعض الباحثين (1) أن يكون الكهنة أو الأنبياء الكهنة يصلون من أجل آخرين بل كانوا عادة على أكثر تقدير يباركون الشعب و ما يقدمونه من قرابين ، و يؤكد هذا الذي ذهبت إليه ماورد في سفر العدد : " وكلم الرب موسى قائلا : كلم هارون وبنيه قائلا : هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم : يباركك الرب و يحرسك ، يضيئ الرب بوجهه عليك ويرحمك ، يرفع الرب عليك وجهه ويمنحك سلاما ، فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم " (2) .

وهذا النص يفيد - تلميحا - إلى أن المباركة - إن صح التعبير - لا تختلف في مضمونها عن الصلاة التي هي الدعاء للشعب بأن ينصره الرب ويسدّ خطاه ، فالدعاء للشعب كان متضمنا في قول الرب لموسى : " هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين : يبارك الرب و يحرسك " (3) . وعلى هذا لا أجد من النص ما يفيد أن ما يقوم به الكهنة لا يتعدى حدود المباركة إلى الصلاة و الدعاء .

إن الصلاة في مفهومها الاصطلاحي العام الذي أجمع عليه العلماء معناها الدعاء ، غير أن الصلاة كما يفهم من نصوص التوراة لا تؤدي معنى الدعاء ، بل تتعداه إلى النيابة عن الشعب في طلب العفو من الرب ، ورجاء غفران الذنوب ، وهو ما يتعدى حدود الدعاء إلى الادعاء ، ومعناه ادعاء الوصاية على الناس تحت غطاء النبوة ، وهو ما يفهم من النصوص التوراتية التي أوردتها .

(1) حسن ظانطا : المرجع السابق ، ص 76 .

(2) العدد 6 : 22، 27 .

(3) العدد 6 : 22 .

ويجدر بي في هذا المقام أن أذكر أن الشّعائر التي كان يؤدّيها الأنبياء في المعابد كانت تتمّ بمصاحبة الموسيقى والرّقص لترانيم الأنبياء ومزاميرهم وما يؤكد هذا في التوراة ما جاء في سفر الخروج (1) : فأخذت مريم النبية أخت هارون (2) الدفّ بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورّقص". وفيه أيضا : " وكان عندما اقترب من المحلة (أي موسى) أنه أبصر العجل والرّقص فحمي غضب موسى وطرّح اللوحين بين يديه وكسّرهما في أسفل الجبل " (3) .

ومن هنا يتأكد لي أن التّعني بالاناشيد بمصاحبة آلات الموسيقى والرّقص كان من عمل الأنبياء ، ومن أجل هذا أيضا أطلق صاحب سفر أخبار الأيام (4) على اللاويين الذين كانوا يقومون بالإنشاد في المعابد على آلات الموسيقى اسم " الأنبياء " كما دعا فعلهم هذا " عمل نبوة " . كذلك عندما أرادت المرأة الشيعوية أن تذهب إلى اليسع النبيّ سألتها زوجها : " لماذا تذهبين إليه ؟ اليوم لاهو غرة شهر ولا سبت " (5) . ونفهم من ذلك أن العادة عند بني إسرائيل قد جرت بالذهاب إلى النبيّ ، أي إلى المعبد الذي يمارس فيه النبيّ مهمّته ، ولم تكن هذه الزيارة للتوسّل إلى الله على يد النبيّ أو سماع بركة النبيّ على الذبيحة بل كانت في الواقع أيضا شهود شعائر الله في تلك الأيام (6) المقدّسة حيث يؤم النبيّ الطقوس الإلهية بالصلاة وإنشاد الموسيقى .

(1) الخروج 25 : 20 .

(2) كذبت التوراة فيما ادعته من أن مريم (عليها السلام) هي أخت هارون فبينهما زمن طويل؛ فهي ابنة عمران وأما ما جاء في القرآن الكريم ما يفيد ظاهره أنها أخته في قوله تعالى : " يَاخْتِ مَرْيَمَ مَا كَانَ أَبُوكِ إِسْرَائِيلَ وَمَا كُنْتَ مِنْ بَنِيهِ " سورة مريم : 28 . فهي أختة الدين لأخوة النسب كما في قوله : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ الْحَجَرَات : 10 .

(3) الخروج : 32 : 16 .

(4) جاء في سفر أخبار الأيام الأول 25 : 1 " ... بني آساف ويدنون المتنّين [كذا كتابة الكلمة] وكذلك في الآية 2 (بالميدان والرباب و الصنوج) وفي الآية 2 نقرأ : " آساف المتنّين بين يدي الملك " وفي الآية 3 " ... تحت يد أبيهم يدنون للنتن بالعود لأجل الحمد والتسبيح للرب " .

(5) الملوك الثاني 4 : 13 .

(6) إشارة إلى غرة الشهر وبوم السبت والأيام الأخرى المقدّسة عند اليهود .

والأكثر من هذا أن المتصفح للتوراة يجد أناشيد وأغاني نسبها واضعوها لموسى (عليه السلام)
كنشيد البحر إذا جاء في سفر الخروج : " حينئذ رنم موسى و بنو إسرائيل هذه التسيحة للرب ،
وقالوا : نرنم للرب فإنه قد تعجد الفرس وراكبه طرحهما في البحر . الرب قوتي ونشيدي وقد صار
خلاصي ، هذا إلهي فأمجده إله أبي فاعظمه الرب رجل حرب اسمه "يهوه" مركبات فرعون القاهما
في البحر فغرق خير فرسانه في بحر ذي قصب تغطيم اللجج ، وقد هبطوا في الأعماق كحجر ،
يمينك يارب معتزة بالقدرة يمينك يارب تحطم العدو " (1) .

ومن هذا القبيل أيضا أغنية التابوت التي وردت في سفر العدد : " وعند ارتحال التابوت كان موسى
يقول : قم يارب ، وليتبدد أعداؤك ، ويهرب مبغضوك من أمامك و عند حلوله كان يقول : ارجع يارب
إلى الألف المولفة من إسرائيل (2) .

وكذلك النشيد الوعظي (انصتي) الذي ورد في سفر التثنية : " انصتي أيتها السموات فأتكلم ،
ولتسمع الأرض أقوال فمي ، ويهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي كالظل على الكلا ،
وكالوايل على العشب ، إني باسم الرب أنادي ، اعطوا مجدا لإلهنا ، هو الصخر الكامل صنيعه ،
وجميع سبله عدل ، إله أمانة ، لا جور عنده ، صديق وعادل هو " (3) .

وهذه النصوص تؤكد أن النبوة عند بني إسرائيل حتى عند أبي الأنبياء عندهم وهو موسى (عليه
السلام) ، كانت تقترن في كل الأحوال بالطبوس التي تؤدي في المعابد و في مقدمتها الأناشيد و
الأغاني ، ولم يكن موسى كما تؤكد التوراة بدعا من غيره من أنبياء العهد القديم في هذا الشأن .

وأقول بعد كل هذا إنه لا يجد عاقل حاجة لنبي إلى الأناشيد والأغاني ، ليثبت صدق دعواه ،
وحقيقة نبوته ، هذا علاوة على أن النصوص التوراتية التي تتحدث عن أن موسى كان يقوم بهذه
الطبوس في محرابه ، تبقى نصوصا تقتصر إلى الدليل الذي يعضدها ويؤكدها ، و من ثم فإنها تبقى
مسألة غير مقطوع بصحتها شأنها في ذلك شأن كل الروايات الإسرائيلية عن نبوة موسى ورسالته .

(1) الخروج 15 : 6/1 .

(2) العدد 10 : 35 / 36 .

(3) التثنية : إص 32 .

وهذا الذي ذكرته من نصوص التوراة من عمل الأنبياء في المعابد و الهياكل وما يؤدونه من وظائف وطقوس دينية ، يوضح لنا - مما لا يدع مجالا للشك - بان النبوة عند بني إسرائيل ارتبطت بالكهنة ، وهو ما جاء منفصلا في أسفار الأنبياء كما في إشعيا (1) وإرميا (2) وغيرهما .

وهذا الافتراض المتعلق بوظيفة الأنبياء في الطقوس الدينية ، التي كانت تقام في المعابد والهياكل يوضح لنا هذا الازدواج بين الأنبياء و الكهنة (3) .

والذي يستشف من هذه النصوص أيضا ان الكهنة يذكرون أولا وهو ما يعني ان النبي أقل أهمية وأضع درجة من الكاهن وأنه تابع له وملحق به ، و من أجل ذلك نقرأ في سفر يوشع : " إنه عندما يتعثر الكاهن يتعثر النبي أيضا ، كما أن تبعية النبي للكاهن ، و كونه دون الكاهن في المنزلة ، يظهران أيضا في إرميا (4) : " لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم ، كل منهم مولع بالربح ، و من النبي إلى الكاهن كل منهم يعمل بالكذب " فجاء بالنبي في مقابل " صغيرهم " و بالكاهن في مقابل " كبيرهم " وجاء في إشعيا أيضا بصريح العبارة : " قطع الله من إسرائيل الرأس و الذنب النخل والأسل في يوم واحد ، الشيخ ، و الكاهن ، وهو الرأس و النبي أستاذ الكذب ، هو الذنب (5) .

يقول حسن ظاظا (6) : " ويذكر الكهنة دائما أولا فيما عدا المواضع التي يدور السياق فيها عن النبوة ، لأن الحديث فيها أكثر اتصالا بالنبي منه بالكاهن (7) ، وذلك لأن الكهنة كانوا أكثر أهمية في المعبد ، و كان الأنبياء تبعاً لهم و ملحقين بهم .

(1) إشعيا 28 : 7 وردت فيه عبارة " كاهن و نبي " .

(2) إرميا 26 : 9 وردت فيه عبارة " الكهنة و الأنبياء " .

(3) حسن ظاظا ، المرجع السابق ، ص 84 .

(4) إرميا 6 : 13 .

(4) إشعيا 9 : 13/14 .

(5) المصدر نفسه ، ص 84 .

(6) إرميا ، 23 : 33 .

(7) يوشع ، 4 : 5 .

وفي ختام هذا البحث يمكن القول :

1- إن النبوة من حيث هي عقيدة الإخبار عن الغيب ، لم تكن في الفكر اليهودي جديرة بالإخبار عن القضايا المتصلة بعالم الغيب من توحيد الله سبحانه وتعالى والإخبار عن صفاته، ومآلده للمحسن من نعيم مقيم ، وللمسيئ من عذاب أليم ، أو تلك المتصلة بالتشريع من حيث وضع الحدود وإقامة الشرائع ، ولكن كانت مقتصرة على الإخبار عن بعض الحوادث والتي لا تتحقق في أغلبها ، وهو ما يجعل النبوة عند بني إسرائيل ضرباً من التنجيم والعرافة ، لاركنا من أركان العقيدة الصحيحة كما هي في عقيدة الإسلام .

2- إن النبوة عند بني إسرائيل ارتبطت بالكهانة ، فكان الأنبياء في غالبهم كهنة يعملون عمل الكهنة ، وهو ما يجعل النبوة عند بني إسرائيل معنى متهافت ، وتافه ومتساقط .

3- إن التوراة لم تعط مفهوماً صحيحاً للنبوة ، شأنها في ذلك شأن الأسفار اليهودية الأخرى مثل الأنبياء والمكتوبات ، فاضطراب مفهوم النبوة في العهد القديم حقيقة لا مراء فيها ، وهو ما دفع العقاد⁽¹⁾ إلى القول بأن اليهود لم يعرفوا للنبوة معنى ، ولم يقفوا لها على رسيم ، وإنما أخذوها من بني العرب في أيام اتصالهم بهم ، فلم يعرفوا من النبوة إلا الرؤى والأحلام والتنبؤ والكهانة .

(1) انظر : العقاد (عباس محمود) ، إبراهيم أبو الأنبياء (القاهرة : دار الهلال ، 1976) ، ص 160 ، 161 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السابع : نبوة محمد (ص) وتأثير عقيدة النبوة في التوراة المحدث الأولى : نبوة محمد (ص) في التوراة

ولاصحاب في الأسواق (1) ولا يدفع بالسيرة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيننا عميا ، وأذاننا صمًا وقلوبنا غلغلا .

وجاء في تفسير الشرييني (2) : " الَّذِينَ يَبْعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عَدُوًّا فِي الْتَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " قال : " و الضمير في يجدونه يعود على علماء بني إسرائيل ومكتوبا عندهم في التوراة " أي : باسمه ونعته ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ، ووقعوا في الذل والهوان (3) .

وهذه الأقوال تقطع الشك باليقين بخصوص ورود نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة ، وهذا اعتمادا على ماورد في القرآن الكريم عن صفته ونعته (صلى الله عليه وسلم) كما جاءت في التوراة ، التي يصمّر بنو إسرائيل على إخفائها إلى يوم الناس هذا .

غير أن المفسرين ذكروا أن ماورد من نبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) في التوراة لا يتعدى صفته ونعته ، و هذا اكتفاء بما ورد في حديث البخاري ، ويفهم من هذا الكلام أنه لم يرد في التوراة شئ عن سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ولا عن تفاصيل نبوته ورسالته .

و أقول تعليقا على ما ذكره المفسرون أن النص التوراتي الذي وردت فيه الإشارة إلى نبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) ، لم يدل ظاهر لفظه كما يؤكد نقاد التوراة على ما ينافي الحقيقة التي أكدتها في هذا الموضوع ، و يبقى هو الرأي الذي أجمع عليه جمهور العلماء .

(1) انظر : الأوصالي (أبو يحيى زكريا) ، فتح الرحمن لكشف مايتبس في القرآن الكريم (بدون معلومات نشر) ، ص 502 قال : اللفظ : السيئ الخلق و الغليظ الجاني القاسي والسحاب (بالسين و السمد) الكثير الصباح ، والاعوجاج ضد الاستقامة و الملة العوجاء الكثر ، و القلب الأظلف الذي لا يصل إليه شئ ينفعه كأنه في غلاف .

(2) انظر : الخطيب الشربيلي ، التفسير ، ص 501 .

(3) الاسم هو ما يسمى به الإنسان ، والنبت هو ما يوصف به كما جاء ذلك مفصلا في تفسير الآية " الَّذِينَ يَبْعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ " من سورة الأعراف : 157 .

وإد ورد تفصيل ذلك في عدة مواطن من القرآن الكريم ، و على وجه الخصوص سورة البقرة ، والمائدة .

و لقد وردت نصوص في العهد القديم (1) ، يفهم من فحواها أنها تتضمن خبرا عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة ، وهذا ما توصل إليه أحمد ديدات (2) ، من خلال مقابلاته المتكررة مع رجال الدين اللاهوتيين (3) ، والتي أثبت فيها صدق ما حكاه القرآن الكريم عن وجود اسم النبي صلى الله عليه وسلم و نعته في التوراة ، و من هذه النصوص ما جاء في سفر التثنية : " أقيم ليم نبيا من وسط إخوتهم مثلك و أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، و يكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا اطالبه" (4).

و ظن المسيحيون أن هذه النبوة تنطبق على يسوع (5) ، مع أن اسمه غير مذكور في المتن ، و يزعمون أن يسوع هو وحده الذي يشبه موسى (عليه السلام) أي أنه مثله ، وهو ما فنده أحمد ديدات في مقابلة له مع القس المسيحي (قأن هيردن GUN HIRDEN) بقوله : " بعد أن تلا النص أي (القس) أكد لي انطباقها انطباقا كليا على يسوع فسألت لماذا يسوع؟ إن اسمه غير مذكور هنا؟ أجاب القس: ربما أن النبوة هي الوصف التصويري أو الكلمة التصويرية لأمر ستحدث في المستقبل فإننا ندرك أن تعبيرات النص تصفه وصفا سديدا ، أنت ترى أن أعظم هذه العبارات في هذه النبوة هي (مثلك) أي مثل موسى فسألت : فهل يسوع مثل موسى؟ . بأي كيفية يشبه يسوع موسى؟.

(1) أقصد بالعهد القديم التوراة بأسفارها الخمسة و هي (التكوين ، و الخروج و العدد و التثنية و اللاويين) ، و كذلك الأنبياء و المكتوبات ، و قد أوردتها مفصلة في المبحث الخاص بالمعنى العام للتوراة و أسفارها.

(2) - انظر : أحمد ديدات، ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد (صلى الله عليه وسلم) (عين مليلة - الجزائر: دار الهدى، برون ناربخ) ص 10 و ما بعدها.

و أرسل الكتاب جملة من المقالات و المحاضرات التي ألقاها أحمد ديدات، و كذا المقابلات التي جمعتها ببعض التساوسة ، و منهم القس قأن هيردن (Gun hirden) الذي أدار معه هذا الحوار ، و الذي أخذت منه كثيرا من المقاطع التي تسلط الضوء على الموضوع الذي أبحثه .

(3) - أقصد بهم الأنبياء المسيحيين و رجال الكنيسة.

(4) - سفر التثنية 18 : 18، 19.

(5) - يسوع هو عيسى (عليه السلام)، هكذا يسميه الكتاب المقدس ، ورد في إنجيل لوقا: " أما يسوع فكان يتقدم في الحكمة و القامة و النعمة عند الله و الناس " (لوقا إص: 2: 52).

ارجع إلى : محمد مجدي مرجان ، المسيح إنسان أم إله ، المرجع السابق ، ص 63.

إن جواب القس : بادئ ذي بدء كان موسى يهوديا و كذلك كان يسوع يهوديا ثانيا : كان موسى نبيا و كذلك كان يسوع نبيا ؛ و من ثم فإن يسوع يشبه موسى و هذا بالضبط ما أخبر به الله موسى بقوله : "ملاك" ، سألت . استطيع أن تفكر تشابهات أخرى بين يسوع و موسى؟ ، قال القس : إنه لا يفكر شيئا فأجبت: إذا كان هذان هما المعيار لاكتشاف مرشح لهذه النبوة من سفر التثنية⁽¹⁾ ، إذن ففي مثل هذه الحالة يمكن انطباق المعيار على أي أحد ممن يلي من أنبياء الكتاب شخصيا يشابه موسى ، سليمان ، إشعيا ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يونيل ، ملاخي ، يوحنا المعمدان⁽²⁾... ذلك لأنهم جميعا يهود مثلما هم أنبياء ، فلماذا لا تطبق هذه النبوة على أحد من هؤلاء الأنبياء ، و لماذا يسوع فقط؟ فلم يجب القس فاستأنفت قائلا : " أنت تدرك استنتاجاتي و هي أن يسوع على الأغلب لا يشابه موسى⁽³⁾ .

و من ثم فإن النبوة الواردة في سفر التثنية⁽⁴⁾ -على ما ذكره أحمد ديدات- لا تنطبق على يسوع كما يزعم المسيحيون، لوجود نقاط اختلاف بينه و بين موسى بمقتضى عقيدة المسيحيين في يسوع و عقيدة اليهود في موسى (عليه السلام) و التي ترجع في الجملة إلى مسائل ثلاث هي :
أولا : إن مقتضى العقيدة المسيحية أن يسوع هو الإله المتجسد ، و لكن موسى لم يكن إلهًا، و بناء على ذلك فإن يسوع لا يشابه موسى (عليه السلام) .
ثانيا : بمقتضى عقيدة المسيحيين في يسوع أنه " مات من أجل خطايا العالم"⁽⁵⁾ ، و لكن موسى لم يكن يموت من أجل خطايا العالم ، و لذلك فإن يسوع لا يشابه موسى (عليه السلام) .

(1)- سفر التثنية : 18:18، 19.

(2)- يوحنا المعمدان هو يحيى بن زكريا عليهما السلام ، الذي ورد اسمه في قوله تعالى : "يُحْيِي خَلْقَ الْكِتَابِ بِتُورَةٍ"

سورة مريم: آية : 12.

و يسمى المعمدان تبعا لشعيرة المسيحيين و هي شعيرة التعميد.

ارجع في هذا إلى : محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية : توكيم عمار طالبي ، تصدير الشيخ محمد الغزالي ، (الجزائر : شركة الشهاب، 1989) ص 188 و ما بعدها.

(3)- انظر : أحمد ديدات ، المرجع السابق ، ص 14، 15 .

(4) - التثنية 18:18، 19.

(5)- رومية 5: 8.

ثالثاً : بمقتضى العقيدة المسيحية أن يسوع ذهب إلى الجحيم لثلاثة أيام (1) ، ولكن هذا لم يحصل لموسى (عليه السلام) ، ومن ثم فإنه لا يشابهه .

وبعد أن ردّ أحمد ديدات فرية المسيحيين القائلة باختصاص يسوع بالنبوة ، و ما جمعه من صفات التبجيل و الكمال ، طفق يؤكد أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كما يفهم من مقتضى وفحوى النص التوراتي هو أحق الأنبياء بهذه النبوة ، و بنى ما ذكره في بيان هذه الحقيقة ، على جملة من الاستدلالات و الاستنتاجات المنطقية أوردها فيما يلي ، مع شيء من الشرح و الزيادة على المتن لتوضيح الفكرة التي أنا بصددتها مع الالتزام بجوهر الفكرة التي بنى عليها أحمد ديدات آراؤه و مواقفه .

وهذه الاستدلالات التي آجاء بها أحمد ديدات هي وليدة اجتهاده الخاص ، في تأويل النص الوارد في سفر التثنية: " أقم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلمة ما أوصيه به " (2) وما يلاحظ على هذه الاستدلالات أنها جاءت مطابقة لمعايير الموازنة العقلية ، التي لا تعترف إلا بسلطان العقل و المنطق ، و من ثم جاءت خالية من كل أحكام مسبقة أو فكرة مكرّسة .

إن اعتماد أحمد ديدات على المنهج العقلي في الاستدلال على القضايا العقدية محل الموازنة بين التوراة و الإنجيل و القرآن ، لا يجب أن يفهم منه أنه قد أغفل المنهج الإسلامي في ذلك ، فقد أكد أحمد ديدات في كتاباته و مناظراته ، أنه يعتمد على النصوص القرآنية في نقد كثير من عقائد التوراة و الإنجيل .

(1) - جاء في إنجيل نيقوديموس أن آدم و إبراهيم والأنبياء في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم ينقوا الجحيم ، وهم : أخنوخ و إيليا و اللص الذي قيل إنه صلب مع المسيح وكان كريماً معه ، يقول هذا الإنجيل في نزول المسيح إلى الجحيم : " وجاء ملك المجد (المسيح) و وطأ الموت بقدميه وأمسك بأمير الجحيم وحرّمه من كل قوته و أخذ أبانا الأرضي آدم معه إلى مجده " 17 ، 13 * ولا شك أنه يوجد أساس قوي لعقيدة نزول المسيح إلى الجحيم التي كان يؤكد عليها بعض كبار علماء المسيحية القدامى مثل جيروم GEROUM انظر : جيروم GEROUM ، *الكتب المفقودة من الكتاب المقدس* (نيويورك : شركة النشر العالمية - ، 1926 م) ص 82 ، 85 . لهذا بولس يتكلم عن هزيمة الموت و الهاوية : أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ (كورنثوس أولى 15 : 55) .

انظر أحمد ديدات : المرجع السابق ، ص 16 .

(2) - التثنية ، 18 : 18

الاستدلال الأول :

الاستدلال بالولادة الطبيعية لموسى ومحمد عليهما السلام :

جاء في سفر الخروج أن موسى (عليه السلام) كان له أبوان ، أي الأب والام : " وأخذ عمارام بوكابد
عنده زوجة له فولدت له هارون وموسى " (1) ، وكذلك محمد (صلى الله عليه وسلم) كان له أب وأم ،
ولكن يسوع له أم فقط وليس له أب بشري وهذا بدليل القرآن الكريم : " فَمَرْيَمُ ابْنْتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا فَسَخَّانَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَوَدَعَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا كَبِيرًا وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ " (2) ، وقوله تعالى : " إِنْ مَثَلٌ
رَسُولٍ عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ أَدْرَكَ حَقْمَهُمْ مِنْ قُرْآنٍ " (3) .

فالثابت من الايتين السابقتين ان موسى (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ولدا ولادة
عادية بالاسلوب الطبيعي ، أي الاقتران الطبيعي بين الرجل والمرأة ، ولكن يسوع خلق بالقدرة الإلهية
المميزة وهو ما نطقت به الأيتان السالفتان .

وفي الإنجيل تأكيد لهذه الحقيقة ، وجاء في إنجيل متى : " أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما
كانت مريم امه مخطوبة ليوسف (4) قيل أن يجتمعا وجدت حبل من الروح القدس (5) ، وجاء في إنجيل
لوقا وهو يعرض مجادلة مريم للملاك بشان ولادة الابن القدوس (يسوع) : " كيف يكون هذا وأنا
ليس اعرف رجلا ، فقال الملاك : الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فكذاك أيضا القدوس
المولود منك يدعى ابن الله " (6) .

(1) الخروج 6 : 20 .

(2) اسمرم : 12 .

(3) ال عمران : 59 .

(4) حى أشار إلى علاقة مريم المعذراء بيوسف النجار ، وهي حرية كذبها القرآن الكريم الذي شهد ببراءة مريم (عليها السلام)
ومسئارها إذ لم تكن امرأة بغيًا ، ولهذه الصفات قال الله تعالى بشأنها : وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ مَرْيَمُ إِنَّ لِي إِسْمًا بِكَ وَطَهْرًا وَإِسْمِي
عَلَى نِيَابِ الْعَالَمِينَ " ال عمران : 42 .

اعلم في هذا ماكتبه : ول ديورانت . قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران . (بدون معلومات نشر) ، ج 3 ، ص 214 .

(5) متى : 18 .

(6) لوقا : 34 ، 35 .

إن القرآن الكريم يؤكد كالمعجزة الإلهية في ولادة يسوع المسيح بعبارات أكثر نبلا وروعة في الإجابة على استفسارها المنطقي فيقول الله سبحانه و تعالى : " إِذْ قَالَتُ الْمَلَكَةُ يُمُرُّ بِرَبِّ اللَّهِ يُسِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْبَدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (١) . وهذه الآية تمثل الرأي الإسلامي وهو الرأي المنطقي و الفطري و الصحيح بشأن مولد عيسى (عليه السلام) .

يقول أحمد ديدات : " عندما قارنت بين النص القرآني و النص الكتابي بشأن مولد يسوع المسيح مع رئيس جمعية الكتاب المقدس في مدينتنا الكبرى (2) و عندما طلبت منه : أي النصين تختار لتقدمه لابنتك ، النص القرآني أم النص الكتابي ؟ انحنى الرجل برأسه وأجاب : النص القرآني ، و باختصار قلت للقديس : " أحقا ولد يسوع ولادة معجزية كما أنها ضد الولادة العادية الطبيعية التي ولد بها موسى و محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ أجاب بكبرياء : " نعم " فأجبت من ثم فإن يسوع المسيح لم يكن مثل موسى و لكن كان محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل موسى وإن الله تعالى قال لموسى في سفر التثنية : " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك " أي موسى (عليه السلام) وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل موسى (عليه السلام) " (3) .

إن كل عاقل يدرك أن مولد يسوع (عليه السلام) لا يشبه بيقين مولد موسى (عليه السلام) ، فلقد كان ميلاد يسوع ميلادا معجزة ، بمعنى أنه لم يخضع لسنن الله في الخلق ، وتقلبه فيه في الأطوار المعروفة ، بل قفز على كل هذه السنن و النواميس ، و لم يكن هذا الخرق من الله إلا لإثبات قدرته القاهرة ، وإرادته الباهرة ، وبناء على ذلك فإن الموازنة الصحيحة تقضي أن يكون النبي المقصود في سفر التثنية هو - بلا مرأى - محمد (صلى الله عليه وسلم) لتشابهه مع موسى في ذلك .

(1)- آل عمران : 45 ، 46 : 47.

(2)- إشارة إلى مدينة ترنسفال وهي مقاطعة من جمهورية جنوب إفريقيا .

(3)- أحمد ديدات ، المرجع السابق ، ص 19 .

ولهذا أقول إن المثلية التي وردت في سفر التثنية تتحقق بين أكثر بين موسى (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وسلم) وليس بين موسى (عليه السلام) ويسوع ، وهو ما يؤكد أن المقصود في ذلك إنما هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك للأدلة التي سقتها في هذا المجال .

الاستدلال الثاني :

تشابه موسى ومحمد (عليهما السلام) أذى قومهما لهما :

ورد في التوراة أن اليهود اشتدّ أذاهم لموسى (عليه السلام) ومن آمن معه وتذمروا عليه ففي سفر العدد : " فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمّر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل " (1) . ولكن اليهود كأمة اعترفوا بأن موسى رسول الله إليهم وهو ما نلاحظه في سفر الخروج : " فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من المصريين ، ونظر إسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وأمنوا بالرب وبعبدوه موسى " (2) .

إن نجاة بني إسرائيل وخروجهم من مصر أرض العبودية إلى المنّة التي امتنّ الله بها عليهم وقرأ هذا في سفر الخروج : " أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك الهة أخرى أمامي " (3) .

وينبغي التذكير هنا أن توحيد الألوهية ، الذي يتبادر من ظاهر النص التوراتي ، لا يتفق - مطلقا - مع الألوهية التي نصّ عليها القرآن ، وذلك لأن توحيد الألوهية الوارد في سفر الخروج ، يقصد به حمل بني إسرائيل على عبادة يهوه وترك ما سواه من الآلهة ، فأنى لهذا الضرب من التوحيد أن يضاهي ما أثبتته القرآن الكريم لله سبحانه وتعالى من صفات التنزيه والتأليه ، وبناء على ما ذكرته يبقى الاستدلال بالنصوص التوراتية ، لا ينبغي أن يتعدى حدود ظاهر اللفظ إلى المضمون .

(1) العدد 14 : 1 ، 2 .

(2) خروج 14 : 30 ، 31 .

(3) خروج 20 : 2 ، 3 .

كان هذا حال موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل وهو يشبه حال النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وسلم) مع المشركين سواء بسواء فلقد لقي (عليه الصلاة والسلام) على أيديهم صنوف الأذى إلى أن اضطره هذا إلى الهجرة ، هو و ثلثه من المؤمنين إلى المدينة ، فراراً بعقيدتهم ونجاة بأنفسهم ، ولكن قبل وفاته (عليه الصلاة والسلام) كان الإسلام قد ضرب بجيرانه في الجزيرة ولم يمض وقت طويل حتى دخلت أمم كثيرة في الإسلام وسلمت به رسولا نبياً وهذا التشابه في الحال بين موسى (عليه السلام) وبين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، يدفعنا مرة أخرى إلى تأكيد أنه التصود في سفر التثنية: " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ⁽¹⁾؛ لأن هذا لا يمكن أن ينطبق على السيد المسيح ، لأن الكتاب المقدس يؤكد أنه لم تلق دعوته القبول من خاصة خاصته وهم اليهود ، وهذا ما جاء في إنجيل يوحنا: " إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ⁽²⁾، وحتى اليوم فإن اليهود برمتهم قد رفضوا دعوته وتكروا له.

(1) التثنية 18 : 18 : 19

(2) يوحنا 1 : 10

تشابه شريعة محمد و موسى عليهما السلام في القصاص :

إن إقامة الحدود وتطبيق القصاص أمر عرفت به الشريعة الموسوية⁽¹⁾ فقد أورد سفر العدد⁽²⁾ عقوبة الإعدام التي أنزلها موسى على الإسرائيلي الذي كان يحتطب في يوم السبت وأمر موسى برجمه حتى مات، وهناك جرائم أخرى مذكورة في الكتاب المقدس تم توقيع عقوبة الإعدام بالرجم عليها بإيعاز من موسى (قصة ابن الإسرائيلي الذي جذف⁽³⁾ على اسم الله⁽⁴⁾ هذا فضلا على أمر موسى بإعدام عبادة العجل⁽⁵⁾ . والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحادثة فيقول الله سبحانه وتعالى " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ يَأْتِكُمْ بِالْحَقِّ أَنْفُسَكُمْ يَخَذِلُ الْعَجَلُ فَنُزِّلُوا إِلَى الْبَارِئِكُمْ فَأَتَلْتُم مَّا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُذْخِرٌ لَكُمْ عَذَابًا إِنَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَابْعَثُوا عَلَيْكُمْ إِنَّمَا هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ⁽⁶⁾ " .

والحق أن القرآن الكريم تحدثت عن كل هذه الأمور في شريعة موسى والتي كان يؤخذ فيها بالقصاص لقوله تعالى " وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نَسُفَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرْحَ بِالْجُرْحِ قِصْلًا ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِمَنْ أُرْسِلَ بِكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ⁽⁷⁾ . وهذا الأمر التشريعي هو شبيه بما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ذلك قوله تعالى " ذَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُوا بِمَا نَحْكُمُ لِمَا شَجَرِ يَهْرُؤُا فِيهِ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا⁽⁸⁾ " .

- (1) - أقول هذا من باب المشاكلة فقط حسب ماورد في التوراة .
- (2) - سفر العدد 15 : 36 .
- (3) - جذف - يجذف - جذفا - الشخص في مشيه ، والظائر في طيرانه بمعنى أ سرع وجذف يجذف تجذيفا . انظر أحمد العابد وأخرون ، المرجع السابع ، ص 236 .
- (4) وفي مجد الطالط (نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد إفرام البستاني (ط 31 بيروت : دار المشرق - بدون تاريخ -) ، ص 76 . جذف جذفا وأجذفت الظائر : أسرع وجذفت وأجذفت المرأة : قصرت الخطو . وجذفت الشئ : قطعه ، وهو هنا بمعنى قصر في حق الرب وتجاوز عليه . انظر :
- (4) اللاويين 24 : 10 / 10
- (5) خروج 32 : 6 / 27 .
- (6) البقرة : 54
- (7) السائدة : 45
- (8) الصاء : 65

وتجدر الإشارة هنا أن ما جاء به السيد المسيح عليه السلام بعد ذلك لم يكن إلا تصديقا بما جاء في
 لتوراة، يقول الله تعالى: "وَقَسِينَا عَلَيَّ ابْنِي مَرْكَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ، وَإِنِّي
 ابْنِي نِيرَ مَدَى وَنورَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ، وَهُدَى وَمَوْجِزَةً لِلْمُتَّقِينَ" (1)، وهي الحقيقة نفسها
 التي شهد بها الإنجيل، فقد جاء في إنجيل يوحنا: "لاتظنوا أنني أشكوكم إلى الأب، يوجد الذي
 يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني؛ لأنه هو
 كتب عني، فإن كنتم لا تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامي" (2). وبناء على ما ذكرته تكون
 النبوة الواردة في سفر التثنية هي يقين النبوة الخاتمة.

(1) ثنائه : 46

(2) يوحنا 5 : 45 / 47

الاستدلال الرَّابِع :

تشابه شريعة موسى ومحمد (عليهما السلام) في الإصلاح النفسى و الإجتماعى :

كانت الشريعة التي بعث بها موسى (عليه السلام) شريعة بديلة ارتضاها الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل ، ليصلح بها نفوسهم ويقوم بها اعواجهم ، فلم يبق الدين - بعد ذلك - محصورا في الوصايا العشر ، بل تعداه إلى شريعة كاملة وطقوس شاملة، تتحقق بها هداية الناس ، وكذلك كانت الشريعة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم) شريعة بديلة عن شريعة الغاب و الجاهلية التي كان عليها المجتمع العربي قبل البعثة المحمدية ، و كانت شريعة الإسلام شريعة عامة وناسخة لكل الشرائع ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا " (1) وقوله تعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " (2) وقوله تعالى " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ الْآخِرَةُ مِنَ الْخَيْرِينَ " (3)

وبناء على ما تقدم أرى أن الشريعة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم) ، هي الشريعة التي جاء بها موسى (عليه السلام) ، وهو ما يبين أن ما جاء في سفر التثنية ، هو دليل على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، لأن المسيح (عليه السلام) لم يأت بشريعة جديدة ، بل جاء مصدقا للتوراة وهو ما يؤكد الإنجيل : " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنني أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (4) .

إن التشابه القائم بين شريعة موسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) ، أمر يثبت المحققون في مجال التشريع المقارن ، وهذا التشابه ليس له من تفسير عدا كونه دليلا على وحدة الدين السماوي ، التي تأتي في مقدمتها وحدة التشريع ، وهو ما يؤكد قوله تعالى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " (5).

(1)- المائدة : 3 .

(2) - آل عمران : 19 .

(3) - آل عمران ك 85 .

(4)- متى 5 : 17 ، 18 .

(5)- الثوري: 13 .

الاستدلال الخامس :

أمية موسى ومحمد (عليهما السلام):

لقد ورد في القرآن الكريم ان محمداً (صلى الله عليه وسلم) ذكر في التوراة والإنجيل بأنه " النبي الأمي " مصداقاً لقوله تعالى : **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُنُهُمْ إِلَى مَكَانٍ مَكُونًا عِنْدَهُمْ فِي الْوَرْدَةِ الْأُولَىٰ** (1) .

ولقد ثبتت أمية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غير هذا الموضوع من القرآن الكريم منها قوله تعالى : **قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَأَمَّا اللَّهُ فَمُرْسَلِي النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْتِيكُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَأَكَلِمْتُم بِالنُّورِ وَأَتَّبِعُهُ لُغَتَكُم فَأَنبَأكُم بَأخبارهم** (2) .

يقول احمد ديدات " ان اعتكاف محمد وتعبده في غار حراء المعروف اليوم بجبل النور استجابته لبهاء التنزيل وجب عن طريق جبريل الملاك انما هو انجاز النبوة في سفر اشعيا " (3) . وهذا نصها : او يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا فيقول: لا اعرف الكتابة " (4) ، وهذا فعلا ما حدث له عند نزول الوحي عليه " (5) .

ويعلق احمد ديدات على ذلك الذي ورد في سفر اشعيا باليشارة بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقول في بيان ملزم ومنطوق محكم : " ومن الزم اللزوميات ان تعلم انه لم تكن هناك نسخة عربية موجودة في القرن السادس عشر الميلادي (6) . عندما عاش محمد (صلى الله عليه وسلم) ودعا إلى سبيل الله فضلاً عن ذلك انه كان على الإطلاق أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة وما علمه أحد كلمة كان معلمه خالفة لقوله تعالى : **" وَمَا يَطْرُقُ عَلَى الْهَبْرَىٰ إِذْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ النَّبْوَىٰ "** (7) .

(1) الاعراف : 157 .

(2) الاعراف : 158 .

(3) سفر اشعيا 29 : 12 .

(4) اسطر : احمد ديدات ، المرجع السابق ، ص 34 .

(5) المصدر نفسه و انظر صحيح البخاري . بدء الوحي 3 صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث 252 (أول ما يدعى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)

(6) نسخة من قرن الرسول صلى الله عليه وسلم .

والآن و في الختام أقول:

1- إن النبوة الواردة في سفر التثنية تنطبق تماما على محمد (صلى الله عليه و سلم) ، و ذلك لما تقدمته من شروحات و تفسيرات و خرجت به من استنتاجات تدل كلها على هذه الحقيقة و أن ليس هناك ما يناقضها ، و إن الأمر يثبت إذا لم يوجد ما ينقضه.

2- إن ما ورد في سفر التثنية هو تأكيد لما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: "الَّذِينَ بَيَعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي جَاءَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَأُولَئِكَ سَيَجْزِي اللَّهُ" (1).

هذا و يبقى الحديث عن نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) ، يحتاج إلى كثير من الاهتمام للبحث في شأيا العهد القديم لبيان كل ما يتصل بهذه النبوة و ما يدل عليها تصریحا أم تلمیحا.

(1) الأعراف: 157.

المبحث الثاني :

تناج عقيدة النبوة في التوراة و نقدها.

إن عقيدة النبوة، على التفصيل الذي عرضته وبينته أخذاً من أسفارها الخمسة، هي يتيقن ببناء عن النبوة الصحيحة التي جاء بها الأنبياء والرسل الكرام (عليهم السلام)؛ وعلة ذلك أنها قدمت ركنين من الأركان التي تقوم عليها النبوة كما عرضتها الرسائل السماوية والتي يمكن تلخيصها كما يلي :

المطلب الأول : إنكار عصمة الأنبياء (1)

من المتفق عليه بين العلماء أن العصمة ثابتة للأنبياء (2) عليهم السلام، ومعناها الشرعي عصمة الله لهم من الوقوع في كل مثلبة أو معصية تتنافى مع طبيعتهم النبوية، وكونهم مسنونة الله سبحانه وتعالى وخاصته، وسفراءه إلى الناس، والعصمة دليل الاصطفاء والاجتباء، وهي لا تنفي صفة البشريّة عنهم، ولا كونهم أرقى طبيعة ولا أفضل جنساً، فالطبيعة الإنسانية واحدة بدليل قوله تعالى: "بِأَنبِيَائِ النَّاسِ إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ وَأَفْضَلِيهِمْ كَانَتْ بِتَكْلِيفِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَهُم بِالنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ" (4).

(1) العصمة في اللغة "المنع"، عصم الله عبداً بمعنى منعه مما يوبقته، وعصمه بمعناه عصما منعه وقاه وفي التنزيل: "ذَكَرْنَا لَكُمْ آيَاتِنَا مِنْ قَبْلُ فَذَرَأْتُمْ نُحُورَكُمْ مِنْهَا لَوْلَا رِزْقُ رَبِّكُمْ كُنْتُمْ أَهْلًا عَذَابٍ" وفي قوله تعالى: "قَالَ سَتَرْنَا لِي جِبِلِّي كَعْرُومِي مِنَ الْمَاءِ" هود: 43. أي: يمنعني من الماء والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فأنعصم و اعتصمت بالله إذا امتعت بلفظه من المعصية وعصمه الطعام: منعه من الجوع.

انظر: ابن منظور: لسان العرب ج 33 ص 2976-2979. والعصمة في الاصطلاح: معناها القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية على ما يقوله الأشاعرة، بينما هو عند الزيدية "عبارة عن لطف يقع معه المظوف فيه لامحالة حتى يكون المرء معه فلا يدفع إلى أن يرتكب الكبائر وهذا لا يطلق إلا على الأنبياء".
انظر: القاضي عند الجبار، شرح الأصول الحسنة، تعليق الإمام أحمد بن حسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له عبد الكريم عثمان (ط2، القاهرة: مكتبة وهبة 1408هـ/1988م)، ص 583.

(2) للعلماء أقوال في العصمة بكونها تكون للأنبياء عليهم السلام قبل النبوة أم بعدها.
انظر: الرازي، عصمة الأنبياء (ط 2، مصر: 1391 هـ / 1977م) ص 15.

و ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: تحقيق محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، (ط1) شركة مكتبات عكاظ، 1402هـ/1972م) ج 4، ص 13.

و الأسمري، مقالات الإسلاميين (بدون معلومات نشر) . ج 1، ص 272 .

و القاضي عند الجبار، المقنى في أصول الدين، تحقيق محمد محمد خطير، ج 15، ص 307.

(3) الحجرات: 13.

(4)-الصف: 110 وصفت 06.

ويأتي الحديث عن العصمة في الباب الخاص بالنبوة في القرآن الكريم ، والمهم أن أثبت هنا أن التوراة - كما يفهم هذا من نصوصها - تنفي عصمة الأنبياء ، إذ ذكرت بعض الأنبياء ، بل أنكر الصفات ، و أشنع النعوت ، فالتوراة لم تكتف بنسبة المعصية إلى أنبياء الله وعدم الاعتقاد بعصمتهم بل إنها جعلت منهم قادة وروادا للفجور والدعارة وارتكاب أعظم الآثام والشرك والكفر بالله .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : " إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم و يستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى ، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) أهلا لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم ، و التزام الشرائع والآداب التي يتقونها عن ربهم ، ومن ثم قال علماءنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والردائل ، وهذا ما أثبتناه مقرونا بالأدلة في الصفحات السابقة ، وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها وبعضهم جعل العصمة من الصغائر بما كان باعته الخسة والدنساء ، وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة وكتبهم المقدسة - عندهم - ترمي بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة بل المجرئة على الشرور و المفاسد(1) .

بيد أن كتب العهدين القديم والحديد لا تشهد لأهل الكتاب برمي جميع أنبيائهم بالذنوب فضلا عن المعاصي ، التي هي أشد من الذنوب ، فإن يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا (عليه السلام) - لم يوسم بخطيئة قط ، بل شهدت له الأناجيل بما يدل على أنه كان أعظم من المسيح في عصمته ففي إنجيل لوقا: " إنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس " (2) .

وفي الجملة فإن هناك أنبياء آخرين شهدت لهم نبوات العهد القديم بالبر ولم ينسب إلى أحد منهم أدنى خطيئة وإنما أثبت إنكار عصمة الأنبياء في التوراة لكونها الصفة الغالبة ، لا لكونها صفة نافية أي مانعة من وقوع مثل هذا التنزيه للأنبياء كما وردت الإشارة إليه .

(1) - محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 50، 51.

(2) - 1 : 65 .

وما يؤكد ما قاله أحمد رشيد رضا رحمه الله ، ما جاء في التوراة (1) - المحرفة تبعا - أن
 نبي الله لوط عليه السلام ، سجد وسكن في الجبل وابنتاه معه لئلا تخاف أن يسكن في صرغر
 فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل
 علينا عادة كل الأرض فلم نسمي أبانا خيرا ونضطجع معه فنحي من أبنائنا نسلا ... فسمتتا أبائنا
 خمرأ في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بتيامها وحدث
 في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة معه فلم نسميه خمرأ الليلة أيضا
 فادخلي واضطجعي معه فنحيي من أبنائنا نسلا فسمتتا أبائنا خمرأ في تلك الليلة أيضا وقامت
 التمسرين واضطجعت معه ... فحدثت ابنتا لوط من أبيهما " (2) . وهكذا تهم التوراة المحرفة نبي الله
 بالزنا والخنا وشرب الخمر - وحاشاه - وهي من الكبائر .

لقد نسب القرآن الكريم للنبي لوط ، عليه السلام ، كل صفة حسنة وابتعد عنه كل صفة ذميمة ، إذ
 يقول عنه: **وَإِذْ لَوْطُ الْمُرْسَلِينَ** (3) فلا يتبل أن يكون لوطا صاحب رسالة و صاحب خيانة كما
 ذكرت التوراة . وكيف يأتي الناحية و من الذي نهى قومه عن إتيانها ، و هجرهم لأنهم برحوا عليها
 عاكفين

و كيف يكون النبي الذي اختصه الله ، برسالته قابلا في الرذيلة و مستهجنا لها في أن واحد . إن هذا ليس
 له من تفسير إلا كونه منحرفا عن الاتراء الذي أمر به نفوس كتبة التوراة .

ليس غريبا أن يحدث هذا التناقض الظاهر ، في نظرة التوراة إلى الأنبياء تارة على أنهم أمل صلاح ،
 وتارة أخرى على أنهم قادة الفجور و المناسد . إن هذا التناقض مرده كما يذكر نقاد التوراة ، إلى عامل
 التدريبات ، الذي أدى إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، و هي صناعة احترفها أهل الكتاب ، ليكفوا بالسنتهم
 وطمعنا في الدين .

(1) التكوين 19

(2) التكوين 19

(3) الصفات 133

أما نوح (عليه السلام)، فجاء في التّوراة أنه بعد الطوفان شرب خمرا حتىّ الثّمالة ثم وقع له ما وقع إذ جاء في سفر التكوين: "و ابتدأ نوح يكون فلاحًا و غرس كرما ، و شرب من الخمر مسكر و تعزى داخل خبانه . فابصر حام أبوكنعان عورة أبيه و أخبر أخويه خارجا . فأخذ سام و يافث الرّداء و وضعاه على أكتافهما و مشيا إلى الوراء و سترّا عورة أبيهما و وجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته و قال: مبارك الربّ إله سام ، و ليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، و ليكن كنعان عبدا لهم" (1) .

و هذا النصّ يطّيح بأقبح الأوصاف لنبيّ الله نوح (عليه السلام)، و هو يتناقض مع ما جاء عن نوح (عليه السلام) في موضع آخر من هذا السّفر و الذي ورد فيه: "قال الربّ لنوح ادخل أنت و جميع بيتك إلى الفلك، لأنني إياك رأيت بارًا لدي في هذا الجيل". فهذا اعتراف من التّوراة بأنّ نوحا (عليه السلام) كان بارًا -بالربّ- أي منفذًا لوصاياها و تعاليمه ؛ فإذا به ينقلب من بارّ إلى أثيم ، و من مطيع إلى عاص ، و هو ما يدلّ على تهافت التّوراة ، و موقفها المشين من الأنبياء (عليهم السّلام) ، فهكذا نبي الله يتّكر فيهدّي و لا يدري ما أحدث ولاما حدث به .

إن القرآن الكريم ذكر نوحا (عليه السّلام) أجمل ذكر، و وصفه خير وصف إذ يقول فيه: "قِيلَ
لنوح اهبط بسلام ربنا و نركب" (2).

إن القرآن الكريم من الآية السالفة يؤكد أنّ من حفته البركات ، لا يمكن أن يكون عاقرا لخر و لا فاعلا لشر .

(1) - سفر التكوين 9: 27/20.

(2) - هود: 48.

و مما جاء في التوراة عن إبراهيم (1) ما حكاه سفر التكوين (2) "و أما ساراي (3) امرأة أبرام فلم تلد له و كانت لها جارية محصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لأبرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة، ادخل على جاريتي لعلني أرزق منها بنين ، فسمع أبرام لقول ساراي : فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريته من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان و أعطتها لأبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ، و لما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها ، فقالت ساراي لأبرام : ذلني عليك ، أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضي الرب بيني و بينك . فقال أبرام لساراي: هي ذا جاريتك في يدك ، افعلي بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي، فهربت من وجهها".

ثم يذكر سفر التكوين أن ملاك الرب التقى هاجر في الطريق "فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور ؛ و قال يا هاجر جارية ساراي: من أين أتيت و إلى أين تذهبين ؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي ، فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك و اخضعي تحت يديها ؛ و قال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، و قال لها ملاك الرب: بما أنت حبلتي فتلدن ابنا و تدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك ، و أنه يكون إنسانا و حشيا ، يده على كل واحد عليه ، و أمام جميع إخوته يسكن ، فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رنسي ؛ لأنها قالت أههنا أيضا رأيت بعد رؤية ، لذلك دعيت البئر بئر لحي رنسي؛ ها هي بين قادش و بارد ، فولدت هاجر لأبرام ابنا ، ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل و كان أبرام ابن ست و ثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام" (4).

(1) هو في توراہ أبرام (אֲבְרָם) .

(2) - التكوين 16 : 6/1 .

(3) ساراي : هي سارة و هي في الأصل اللغوي العبري (שָׂרַי) .

(4) - التكوين 16 : 16/7 .

و هكذا تدعى التوراة أن إسماعيل ابن زانية ، و هو الذي يقول القرآن الكريم بشأنه : **وَادْبُرْغِ إِيرَامِيسِرُ**
التوراة من اليبس إسماعيل مرتين تقريبا **مَا أَتَكَ أَذْتُ السَّحْبِ الْعَلِيمِ** مرتين و **اجْعَلْنَا مَسْلُوبِينَ لَكَ** و **مِنْ ذِكْرِنَا أَنَّهُ**
سَلَامَةٌ لَكَ و **إِيرَامِيسِرُ** و **تَبَّ سَلْبًا** إنك أنت الرب الرحيم (1).

فإذا كان إسماعيل ابن زانية -وحاشاه- فمعنى ذلك أن الذرية التي خلفها تكون بالضرورة قد توارثت الزنا إما عن جدها ، فهذا الوصف كما جاء في صريح العبارة في سفر التكوين ، لا يمكن أن يقال معه ، إن اليهود أهل النبوة ، فالذرية لا تعني الزنا و لا تعني الخنا ، و هو الذي جوزته التوراة في حق الانبياء بدون استثناء. إن قول التوراة على إسماعيل. "أنه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد و يد كل واحد عليه" : هو قول يجافي الحقيقة و ينافي المشاب ، و هو الذي حكى القرآن الكريم عنه أنه كان على خلق عظيم و أنبى جهم يقول الله تعالى: **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَسَّىٰ إِنِّي أَمْرِي فِي الْمُسْلِمِينَ أَذْخُكُ فَاسْرُ مَاذَا بَرَىٰ. قَالَ يَا بَيْتَ إِسْمَاعِيلَ مَا نَوْمٌ سَمِعْتُمُونِي إِنْ شَاءَ لِلدِّينِ الْقَائِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُمُ الْبُحْبُوحُ وَ نَدَّبْنَاهُ أَنْ يَأْتِرَ إِسْمِيرُ فَذَرَفَتْ أَرْبَابًا إِنْكَالِكُ جَزِيٍّ الْحَبِيبِينَ** (2). فهذا النص القرآني يبطل دعوى التوراة ، و يؤكد أن إسماعيل (عليه السلام) كان إنسانا متساميا و رعا ، و لم يكن أبدا إنسانا وحشيا لا يسلم الناس منه و لا يسلم هو من الناس.

إن هناك في الحقيقة بونا شامسا بين حديث القرآن الكريم عن إسماعيل (عليه السلام) و بين حديث التوراة ، فلم يتورع كتابة التوراة من الافتراء على نبي الله ، و الزعم بأنه ابن زانية ، و هم الذين يدعون توقيهم للأنبياء (عليهم السلام) .

إن القرآن الكريم ، هو وحدة الذي رسم مسورة مشرقة ، تفيض نبلا و طهارة للنبي إسماعيل (عليه السلام) ، شأنه في ذلك شأن سائر أنبياء الله .

(1) - البقرة: 125 - 128

(2) - الصافات: 102، 103، 104، 105

وتتمادى الثوراة في تشويه سريرة إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، فدعي و تزعم أن إبراهيم يبيع عرضه لأنه على حد قولهم بسبع زوجاته⁽¹⁾ إلى أبيمالك ملك سسر⁽²⁾ ، وهذه فرية انبرى تضانف إلى الكم الهائل من الإفتراءات التي نسحت خرمطها التوراة ، و سن ثم فإن أي باحث منصف يربا بنفسه أن يسمى هذا الإفتراء نبوة!! و لكن كثرة التوراة لا يتورعون على ذلك .

وهذا الذي ذكرته التوراة عن لوط و نوح و إسماعيل و إبراهيم ، يتناقض مع الوصايا الواردة في سفر الخروج و التي يدعي اليهود نسبتها إلى موسى ، عليه السلام ، و الذي جاء فيها: " اكرم أباك و أمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يملكك الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك و لا عبده و لا أمته و لا ثوره و لا حماره و لا شيئاً مما لتريك"⁽³⁾ . في هذه الوصايا - كما جاء في التوراة - صدر أمر الرب إلى موسى بان لا يزني و لا يسرق و لا يشته بيت قريبه و لا امرأته و لا عبده و لا أمته و لا ثوره و لا حماره و لا شيئاً مما له . فكيف إذن يباح هذا في حق الانبياء اعليهم السلام ؛ و هم أولى الناس بالتزام هذه الوصايا ، و سمياً أوامر الله عز و جل .

إن هذا الذي ذكرته لا يمكن تفسيره إلا بالتناقض الذي عرفت به التوراة - و كذا الإنجيل على حد سواء ، و من دليل قوي على تحريفها كما حكى القران الكريم ، لأن العمل البشري لا يسلم من التناقض والإضطراب

إن علماء المقارنة بين الأديان لا يستبعدون أن تكون هذه المواقف، التي سحبر عنها السوراة إزاء بعض أنبياء الله عز و جل ، من وضع بعض النرق اليهودية ، التي تقوم عقيدتها على إنكار النبوة ، فهذا وحده هو التفسير الذي يتأتى لكل باحث منصف أخذاً من نصرة التوراة .

(1)-هي في نفس الثوراة هاجر

(2) التكوين 26-14-21

(3) -الخروج 20 . 12-17

و في التوراة⁽¹⁾ أيضا أن هارون -أخ موسى عليهما السلام- هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه ، و أنه هو الذي حثهم على سرقة الحلبي و الجواهر من المصريين .
 و الحق الذي أخبر عنه القرآن الكريم أن بني إسرائيل هم أنفسهم الذين صنعوا العجل و عبدوه عند ذهاب موسى (عليه السلام) لسيفات ربه ، يقول الله تعالى في ذلك : "وَ اخذ قوم موسى من بعديه من حلبيهم عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرِيقَا أَنَّهُ لَا يَكْلِبُهُمْ فِي لَأْيَدِيهِمْ سِيلًا أَخَذُوا وَ كَانُوا ظَالِمِينَ وَ لَمَّا سَفَّطْنَا فِي أَيْدِيهِمْ مَرَاةَ أَنهَمُ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّرِجْنَا زُرَّانًا وَ يَغْفِرَ لَنَا لُكُورُنَا مِنَ الْخِشْيَانِ" (2).

و يذكر القرآن الكريم أن قارون (عليه السلام) كان مبرأ من هذه القرية ، و أنه لم يامر قومه بعبادة العجل -كما ادعت التوراة - ، بل كان مستضعفا فيهم ، و قد تأمروا على قتله و في هذا يقول الله تعالى : "وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبًا أُسِفًا قَالَ بئسما خلقتني من بعدي أعجلتني من ربك و التفتي الألواح و أخذت من أخيه بجره إليهم قال ابن أمير القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء . وَ لا تجعلني مع القوم الظالمين . قَالَ رَبِّ اغفر لي و لأخي و ادخلنا في رحمتك و أنت أرحم الراحمين" (3).
 ثم ذكر القرآن الكريم جزاء عبدة العجل : "إِنَّ الَّذِينَ اخذُوا العجل سبباً لهُمُ غَضَبًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَمُوا فِي الحَيوةِ الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ جَزَى الْمُتْرِبِينَ" (4).

إن مما يفهم من حديث التوراة عن هارون (عليه السلام) أنها تجعله هو من تولّى كبير الفتنة الكبرى ، التي أركس أتباع موسى (عليه السلام) في حماها ، عند ذهابه لمنجاة ربه ، وهذا الادعاء لا يقوى أمام النقد التاريخي ، الذي يرجح أن الفتنة التي وقع فيها اليهود بعد موسى (عليه السلام) - وهي عبادة العجل - كانت من تدبير السامري ، وليست من وضع هارون ولا من تدبيره كما تزعم التوراة .

(1)- خروج 32 : 1 - 6 .

(2)- الأعراف : 148 ، 149 .

(3)- الأعراف : 150 ، 151 .

(4)- الأعراف : 152 .

و هذا الذي ذكرته عن إنكار التوراة لعصمة الأنبياء (عليهم السلام) ، لا يختلف عما ورد في الأسفار الأخرى للعهد القديم ، و التي تتفق كلها في صفة الإنكار ، و من ذلك ما ورد في سفر صموئيل الثاني عن داود (عليه السلام) أنه (كان يتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تسحّم و كانت المرأة جميلة جدا فأرسل داود و سأل عن المرأة.... فقال واحد : امرأة أوريسا . فأرسل داود رسلا و أخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي في مطهرة من طمئنها ثم رجعت إلى بيتها و حبلت المرأة من داود فكتب داود مكتوبا يقول فيه : " اجعلوا أوريسا في وجهه الحروب الشديدة و ارجعوا من ورائه فيضرب و يموت" (1).

هذا بعض ما نسيه اليهود كذبا و افتراء إلى نبي الله داود (2) الذي قال فيه الله تعالى: " نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (3) و قال عنه أيضا: " إِنَّ لَكَ عِنْدَ الرَّبِّ رُحْمًا يُبْدِيهَا لَكِ بِأُجْرَتِكِ كَمَا تُبْدِي الثَّوْبَ لِأُجْرَتِهِ" (4) و قال عنه كذلك: " وَ أَتَيْنَا الْحِكْمَةَ عَلَى قُلُوبِ الْحَطَّابِ" (5).

و جاء في المزمير (6) أن داود ينادي ربه في الحروب و يطلب منه النصر: " يا رب إله الجنود : اسمع صلاتي و اصغ يا إله يعقوب و انتفت إلى وجه مسيحك " . و إذا ما حاقت به الهزيمة في إحدى المواقع ، نادى داود ربه معاتباً إياه على غضبه عليه: " إنك رفضت و رذلت و غضبت على مسيحك" (7).

إن هذه العتاب الوارد في هذا النص ، يمثل مدى الاستخفاف بمقام الألوهية الذي صبغ الفكر اليهودي ، فهل يعقل أن يعاتب مخلوق خالقه ؟ و أن يلج عليه في العتاب ، لكن في عرف كتبة التوراة أمر سائغ ، لا يتنافى مع أدب العبودية و لا وقار الألوهية ، و هذا - لعمرى - هو محض الافتراء و الادعاء .

(1) صموئيل الثاني : إص 11 .

(2) انظر : محمود ماضي ، عصمة الأنبياء بين اليهودية و المسيحية و الإسلام . (الإسكندرية ، القاهرة : مكتبة الإيمان للطبع و النشر و التوزيع ، 1990 م) ، ص 52 .

(3) - ص : 30 .

(4) - ص : 25 .

(5) - ص : 20 .

(6) - مزمور 84 : 8-9 .

(7) - مزمور 89 : 38 ، و هذا الكتاب المنسوب إلى داود (عليه السلام) لا سبيل إلى تصديقه مطلقا ، فالأنبياء يضرب بهم المشا في الأدب مع الله ، و في الروايات شتى الأحوال و التناقد .

و إن كانت للتوراة من حسنة تذكر بشأن موقفها من عصمة بعض الأنبياء ، فذلك ما ورد في سفر التكوين عن يوسف (عليه السلام) ، الذي يتوافق في عمومته مع ما ذكره القرآن الكريم عن هذا النبي الصديق إذ جاء في هذا السفر : " و كان يوسف حسن الصورة و حسن المنظر ، و حدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف و قالت : اضطجع معي فأبى و قال لامرأة سيده : هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت و كل ما له دفعه إلى يدي . ليس هو في هذا البيت أعظم منك ، ولم يمك علي شيئا غيرك لأنك امرأته ، فكيف أصنع هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله ... ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله و لم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت ، فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معي ، فترك ثوبه في يدها و هرب و خرج إلى خارج . و كان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها و هرب إلى خارج ، أنها نادت أهل بيتها و كلمتهم قائلة : انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا ، دخل إلى ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم ، و كان لما سمع أنني رفعت صوتي و صرخت أنه ترك ثوبه ، بجانبه و هرب و خرج إلى خارج" (1).

ثم يواصل سفر التكوين ما كان من إخبار امرأة العزيز زوجها بما حدث - بهتانها و زورا - وليا للحقائق و الوقائع ؛ و حدث بعد ذلك أن سجن يوسف (عليه السلام) إلى أن ثبتت براءته (2) .

و هذا الذي يسرده سفر التكوين عن قصة يوسف مع امرأة العزيز يتوافق كما ذكرت في كثير من جوانبه مع ما ذكره القرآن الكريم ، عن استعصام يوسف (عليه السلام) عن فعل المعصية ، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان امرأة العزيز : " و لقد مرأوتن عن نفسي فاستعصم" (3).

إن التوافق القائم - من حيث الشكل و المضمون العام - بين حديث القرآن الكريم عن يوسف (عليه السلام) وبين حديث التوراة ، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون حجة لتبرير ما اتفق عليه اليهود بيوسف (عليه السلام) مما هو منه براء ، وهو كثير لا يحصى في التوراة .

(1) - التكوين 39: 6-15 بتصرف مكان المحذوف .

(2) - التكوين 39 ، 40 .

(3) - يوسف: 32 .

1- إنه معروف عن التوراة جرأة مدونيتها و محرفيها على أنبياء الله و رميهم لهم بالمكر و الخديعة و السرقة و ارتكاب الفواحش ، إلى غير ذلك من الأخبار الواجب تكذيبها -و إن كنا لا نصدق أهل الكتاب و لا نكذبهم- لأننا نقطع بسمو الأنبياء و نزاهتهم عن أن يهبطوا إلى هذه المستويات التي يتنزه عنها حتى غير الأنبياء.

2- إن نفي العصمة نفي للنبوة ؛ فالعصمة هي دليل النبوة و من ثم فإن النبوة لا تثبت إلا ببناتها و لا تتحقق إلا بتحققها و إنكار العصمة في عقيدة التوراة يزيد من قوة حجة المحققين و أهل المقارنة بين الأديان بأنها من استساخ الأيدي البشرية ، و ليست وحيا إلهيا منزلاً من عند الله سبحانه و تعالى.

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : عدم صلة النبوة بالوحي الإلهي .

إن من يطلع على التوراة ، و ما ينقله المحققون في تاريخ النبوات من نصوص يدعي اليهود أنها نصوص موحى بها من عند الله إلى موسى ، يكاد يجزم بأن هذا محض الادعاء و الافتراء ، و أنها لا تمت إلى الوحي الإلهي بصلة ، و إنما نسبتها كتبة التوراة إلى موسى (عليه السلام) وحيًا من عند نفسه أو نقلًا عن أشباهه و نظائره ، و هذان اتجاهان قائمان في علم مقارنة الأديان .

- أصحاب الاتجاه الأول :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن موسى (عليه السلام) أعظم أنبياء بني إسرائيل في علمه و عمله ، و في شريعته و هدايته قد نشأ في أعظم بيوت الملك لأعظم شعب في الأرض و أرقاه تشريعًا و علماء و حكمة و فنا و صناعة ، و هو بيت فرعون مصر ، و رأى ما كان عليه قومه من الاستعباد و الاستبداد على يد هذا الملك الذي ذبح أبناءهم و استحيا نساءهم ، تمهيدًا لإبادتهم و محوهم من الأرض ، ثم أتته - أي موسى عليه السلام - مكث بضع سنين في مدين و كان نبيًا - أو كاهنًا كما يقولون - فمن ثم يرى منكر و الوحي أن ما جاء به موسى (عليه السلام) من الشريعة الخاصة بشعبه ليس بكثير على رجل كبير العقل ، عظيم الهممة ، ناشئ في بيت الملك و التشريع و الحكمة (1) .

- أصحاب الاتجاه الثاني :

و يرى أصحاب الاتجاه الثاني أنه في أوائل القرن الميلادي الحالي ظهر أن شريعة التوراة موافقة في أكثر أحكامها شريعة حمورابي ملك الكلدان الذي كان قبل موسى معاصرًا لإبراهيم (عليه السلام) و قد قال الذين عثروا على هذه الشريعة من علماء الألمان في حفائر العراق : إنه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها لا وحي من الله تعالى ، و أقل ما يقوله مستقل الفكر في ذلك : إنه إن لم تكن التوراة مستمدة منها ، فلا تعد أحق منها بأن تكون وحيًا من الله تعالى ، و لم ينقل أن حمورابي ادعى أن شريعته وحي من الله تعالى (2) .

(1) - انظر : محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 67 .

(2) - المرجع نفسه ، ص 67 .

و إن المدارس للعهد القديم ، يمكنه أن يدرك أن سائر أنبياء العهد القديم كانوا تابعين للتوراة متعسدين بها ، و أنهم كانوا يتدارسون تفسيرها في مدارس خاصة بهم و بأبنائهم مع علوم أخرى ، و أن المسيح نفسه و هو أعظم الأنبياء قدرا ، و أعلاهم ذكرا عند المسيحيين لم يأت بشريعة جديدة بل كان تابعا لشريعة التوراة مع نسخ قليل من أحكامها ، و إصلاح روحي و أدبي لجمود اليهود المادي على ظواهر أفضاها ، فامتحن بعد ذلك لجاحدي الوحي أن يقولوا : إته لا يكثر على رجل مثله زكي الفطرة ، زكي العقل ، ناشئ في حجر الشريعة اليهودية و المدنية الرومانية ، و الحكمة اليونانية ، غلب عليه الزهد و الروحانية ، أن يأتي بتلك الوصايا الأدبية (1) ، و يقول بهذا جموع من النصرانيين و اليهود ، و المراد منها عندهم أن شريعة موسى كانت طفرة و قفزة في ميدان التشريع ، و أنها لم تكن إلا من إنشاء موسى ، و أنها لم تكن إلا من وحي نفسه ، و خلاصة لتجربته في الحياة ، لأنه سبر كثيرا من الحقائق ، و عاش كثيرا من الوقائع التي ولدت عنده هذا الإنتاج العقلي و التشريعي الكبير و المتمثل في التوراة ، التي بقيت معنا يستلهم منه من جاء بعده من المسيحيين و غيرهم ، و الذين لم يزيدوا عليه شيئا إلا ما كان متصلا ببعض الجوانب الروحية التي طبعت الفكر اليهودي ، و كلامهم هذا لا يستند إلى شئ بالنظر إلى طبيعة الشريعة التي جاء بها موسى (عليه السلام) التي لم تكن كما نكر القرآن الكريم إلا وحيًا من الله سبحانه و تعالى ؛ لأن الخطاب و الأمر فيما يتصل بأحكامها كان صادرا عن الله عز و جل ، فالله هو الذي أنزل التوراة ، و هو الذي فصل فيها الأحكام ، يقول الله تعالى : " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور " (2) ، و يقول أيضا : " و كتبنا عليهم فيها أن الناس بالنسب و العين بالعين و الألف بالآلف و الأذن بالأذن و السن بالسن و الجرح قصاص نفس فتصدقوا به فهو كلمة له و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " (3) .

إن تصدير هذه الآيات بعبارة " أنزلنا " و " و كتبنا " مغزى و معنى ، و هي إشارة صريحة إلى أن التوراة من وضع أحد ، بل هي شريعة أنزلها الله سبحانه و تعالى على موسى (عليه السلام) ، فأحكامها وحي إلهي ، و ليست اجتهادا وصل إليه موسى بعقله كما يدعي أهل الكتاب .

(1) - محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 68 .

(2) - المائدة : 44 .

(3) - المائدة : 45 .

والقرآن الكريم يؤكد أن موسى (عليه السلام) ، لم يكن إلا مَنفذا لأوامر الله عز وَّ جَل ، متبعا
 أو صاياه، إذ يقول الله سبحانه و تعالى عنه: **مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ
 تَهْتَزًّا جَارًا فَلَئِمَّا دَامَ يُعْتَبِبُ مُوسَىٰ لَأَخْفَىٰ لِي لِيَخْفَىٰ لِلَّذِينَ الْمَرْسَلُونَ، إِنْ مَسَّ ظُلْمٌ نَّمُرْ مَبْدُلًا حَسَنًا بَعْدَ سُورٍ
 فَإِنِّي مُتَوَلِّئٌ مَّرْحَمَةٌ أَدْخَلَ بِذَلِكَ فِي هَيْبِكَ خُرُوجَ بَيْضَاءَ مَسٍّ غَيْرِ سُورٍ فِي تَسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّمَا كَانُوا قَوْمًا
 سَافِلِينَ (١١)**

فالتصوّر القرآني الذي سلف ، يظهر موسى (عليه السلام) ، و هو أضعف من أن يملك نفسه عند
 تأييده بأية من آيات الله ، و يملك عليه الخوف أقطار نفسه ، و لا يجد بدا من الإذبار فيهدأ الله سبحانه
 و تعالى من روعه ، و يثبت فؤاده ، فكيف يبشر لا يقوى على تحمل آية من آيات الله ، من أن يكون
 صانعها و مبدعها، إن هذا - لعمري - يعرّي صفحة اليهود ، القائلين بأن التوراة بأسفارها الخمسة
 من تأليف موسى (عليه السلام) ، و أنها من فيض عبقريته ، و من محض تجربته.

و لكن هذا الذي ذكرته هنا ، إنما هو ما يجب أن يذكر عن المصدر الإلهي للتوراة ، و أن ليس
 لموسى (عليه السلام) يد فيها ، و لكن من الناحية العملية ، أي بالنظر إلى حقيقة التوراة المحرفة
 اليوم ، و ما يعتقده فيها أتباعه و المنتسبون إليها ، فإن هذا واقعا قائما لا يمكن لأحد من الباحثين أن
 ينكره ؛ لأن التوراة الآن تمثل إرثا دينيا و فكريا قائما بذاته ، و أن صورتها الحالية تختلف كثيرا ، بل
 جوهريا عن صورة التوراة التي أنزلها الله سبحانه و تعالى على موسى (عليه السلام) ، و التي سلف
 ذكر أوصافها و طبيعتها ، و هي حجة القائلين اليوم بأن التوراة كتبها موسى (عليه السلام) قبل أن
 يدركه الموت ، أو أنه دفعها إلى الكهنة و السدنة الذين أعادوا تدوينها و كتابة الوصايا الواردة فيها ، و
 ما اعترى ذلك من تصحيف و تحريف أثبتته علماء المقارنة بين الأديان.

إن الادعاء بأن موسى (عليه السلام) ، هو كاتب التوراة و واضع أصولها و أحكامها ، هي فرية
 يهودية ، ظهرت و قويت في زمن الفرق المغالية ، التي أذعت التثبيت بالإرث التاريخي لليهود ، وفي
 مقدمته التوراة ، فلم يجدوا بدا من ترويح هذا الادعاء الباطل ، و القول المزعوم المتهاقت .

من يخطر في فمهم آدم و نوح و إبراهيم و لوط و إسحاق و يعقوب و يوسف من سفر التكوين ، و
 ميرة موسى و داود و سليمان و غيرهم من الأنبياء (عليهم السلام) في سائر أسفار العهد القديم ، يرى
 كما بينت ذلك سابقاً- وصف الأنبياء- (عليهم السلام) بما لا يليق بهم من المعاصي مما هو قدوة
 سوء تتنافى مع نبوتهم و رسالتهم ، هذا زيادة على أن أخبار الأنبياء في التوراة ، أو في كتب العهد
 القديم ، شبه إلى حد كبير الأساطير القديمة ، التي يرد فيها الحوار بين الرب و بين رجاله كأي حوار
 بشري لا شيء فيه يدل على أنه وحي من الله تعالى ، و أضرب لذلك مثالا بما ورد في سفر التكوين
 عن قصة آدم (عليه السلام) ، و زوجه إذ جاء فيه بشأنهما: " و جبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض
 و نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية ، و غرس الرب الإله جنة في عدن شرقا ، ووضع هناك
 آدم الذي جبله . و أنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر و جيدة للأكل و شجرة الحياة في
 وسط الجنة و شجرة معرفة الخير و الشر . و أخذ الرب الإله آدم و وضعه في جنة عدن ليعملها و
 يحفظها و أوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، و أما شجرة معرفة الخير و
 الشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتا تموت . و قال الرب الإله ليس جيد أن يكون آدم وحده
 فأصنع له معينا نظيره... و أوقع الرب الإله سبانا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه، و بنى الرب
 الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة و أحضرها الى آدم... و كانا كلاهما عريانين آدم و امرأته و
 هما لا يخجلان " (1).

فحديث سفر التكوين عما كان من شأن آدم (عليه السلام) و زوجه، ليس فيه ما يوحي أنه كلام الله
 إلى نبي، ولكنه يقترب كثيرا من حديث البشر بعضهم إلى بعض، فليس فيه باختصار رهبة الربوبية
 و لا سمة النبوة ، والتي يلمسهما المنتبغ لحديث القرآن الكريم عن آدم (عليه السلام) .

إن حديث سفر التكوين عن آدم (عليه السلام) لا يخرج في خطة العام ، و لا في سياقه المجمل
 عن أي حديث بشري عن شخصية أدبية أو تاريخية . إن هذا الحديث ليس فيه خصائص الخطاب
 الإلهي الذي يسمو عن الخوض في سفساف الأمور كالتي ذكرت في النصل الوارد في سفر التكوين ،
 و ينصرف إلى ما ينظم العلاقة بين العابد و المعبود ، و الخالق و المخلوق ، وهو ما لا يلمسه أي باحث
 منصف من استقراء نصوص التوراة في هذا الشأن .

(1) التكوين 2 : 7-25 تصرف مكان المحنوف .

إذ جاء بشأته قول الله تعالى : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَيُقَرِّبُ الذُّمَّ وَيُبَعِّدُ النِّعَمَ ؟ فَقَالَ رَبُّكَ لِمَنْ شَاءَ قَالَ إِنِّي أُعَلِّمُهُمُ الْكَلِمَةَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْإِسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُمْ فَجَاءَ آدَمَ فَأَسْبَحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ حِينَ سَارَ فِي الْأَرْضِ فَأَلَمَ الْأَرْضَ أَنَّهَا تَعْبُدُهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ " (1).

وجاء فيه أيضا قوله تعالى: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَأَكْمَرُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (2).

و يحدد القرآن الكريم مهمة آدم (عليه السلام) في الأرض وهي إقامة شرع الله عز وجل، واتباع هدايته وهو ما خلت التوراة من ذكره أو حتى التوبيخ به، فيقول الله سبحانه وتعالى: " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا يَا آدَمُ اسْكُرْ مِنْهَا يَا نُوحًا قَدْ جَعَلْنَا لَكَ مِنْهَا ذُرِّيَةً كَتَابًا لَكَ وَسَلِّمْ عَلَيْنَا وَبَارِكْ فِي الْأَرْضِ كَرِيمًا " (3).

وبناء على هذه النصوص القرآنية يتبين أن مهمة آدم (عليه السلام) لا تنتهي بعمل الأرض وحفظها، كما جاء في التوراة في سفر التكوين: " وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير و الشر، و الآن لعله يمد يده و يأخذ من شجرة الحياة أيضا و يأكل و يحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها" (4).

إن مهمة آدم (عليه السلام) كما بينت، هي مهمة رسالية تستغرق الزمان والمكان، وتعبّر عن غاية الوجود الإنساني وهي تحقيق الاستخلاف في الأرض، فأين هذه المهمة العارمة والشاملة من مجرد عمل الأرض وحفظها كما جاء في التوراة.

(1) - البقرة : 30 - 32 .

(2) - البقرة : 35 - 37 .

(3) - البقرة : 38 .

(4) - التكوين 3 : 22-23 .

وما يمكن أن استشفه من التوراة أن الأمر الإلهي الذي تبني عليه عقيدة النبوة فيها، كان يأتي في الغالب بصيغة الوصية لا بصيغة الأمر الحازم، وقد تكرر هذا في مواضع كثيرة من التوراة وفي سفر الخروج ذكر الوصايا العشر التي يزعى اليهود أن موسى (عليه السلام) قد تلقاها عن ربه عز وجل والتي جاء فيها: "تم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك الهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما ممثا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأنني أنا الرب إلهك إله غيور أفقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع إحسانا إلى الوف من محبي وحافظي وصاياي . لا تتطرق باسم الرب إلهك باطلا لأن الكذب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا . اذكر يوم السبت لتقدس ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل . لا تزني . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شينا ممثا لقريبك" (١).

و يمكن القول أن ما تضمنته هذه الوصايا ، من أوامر ونواهي ، كان أحيانا بدافع الغيرة وأحيانا أخرى بدافع العصبية الجنسية ، وهذا ما يقطع بكونها عقيدة بشرية عشائرية ، لا نبوة بأي حال من الأحوال ، هذا علاوة على أنها تعترف وتقر بإثم الخطيئة الأولى ، وهو قدح صريح في ندوة آدم (عليه السلام) .

إن الإقرار بالألوهية مسألة واردة في هذه الوصايا غير أنها - من السياق الذي جاءت فيه - لا ترقى إلى عقيدة تنزيه الذات الإلهية . كما هو الحال في عقيدة الإسلام - بدليل ما تضمنته من أوامر ونواهي تكرر نظرة بني إسرائيل إلى الألوهية ، ليس لكونها عقيدة منزلة ، ولكن لكونها فكرة متبصرة صبغت الفكر اليهودي على مرّ العصور .

(١) المروج 20 : 1 - 17 بصرف مكان المحذوف.

فيها قارنا هذه الوصايا الواردة في التوراة ، بالوصايا الواردة في سورة الأنعام ، فسنجد البون
لنفسنا ، فوصايا القرآن الكريم في هذه السورة ، ينطق مبناها ومعناها بأنها وحي من الله لا وحي
من الذات يقول الله تعالى : " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُلِّ بَشَرٍ مَّا هَوَّيْنَا بِهِ الْأَلْبَابَ لَا يَهْوَىٰهُ إِلَّا الْفِئَةُ الْأُولَىٰ لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا بِأَمْرٍ مِّنِّي يَتَوَلَّىٰ فِتْرَةَ رَبِّيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغُيُوبِ " (1) . ثم ذكر الله عزَّ و جلَّ الغاية من هذه الوصايا ، وهي
دعوة المؤمنين إلى اتباع سبيله ، و معلوم أن الاتباع لا يكون إلا بهدي من نبوة أو رسالة . يقول الله
تعالى : " وَأَن مَّدَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصِيكُم بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (2) ، ثم وردت إشارة في عقب هذه الآيات إلى أن اليهود حرقوا هذه الوصايا ، و ركبوا
رؤوسهم بشأنها ، و هو ما يفهم من قوله تعالى : " ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا
لِمَا نَشَاءُ فِي الذِّكْرِ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ يَلْتَأَمُّوا مَرْحَمَةً يُؤْمِنُونَ " (3) . و من قوله تعالى : " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ
صَدَّقَ بِهَا بِسُجُورٍ الَّذِينَ يَصْدَقُونَ عَنِ الْإِنْسَانِ مَا كَانُوا بِصُدُوقٍ " (4) ، و هي غابة ما فعله اليهود
من تحريف عقائد التوراة ، من الوهية و نبوة و غيرها .

إن الوصايا العشر في التوراة تضمنت أحكاما إلهية ، باقية على أصلها كالدعوة إلى التوحيد وعدم
الإشراك ، وهي - في نظري - البقية الباقية ، التي سلمت من تحريف الضالين ، وتأويل المبطلين من
أهل الكتاب ، و إلى جانب هذا تضمنت أحكاما أخرى يظهر فيها الوضع من سياقها العام ونظما
المتبادر إلى الذهن .

(1) - الأنعام: 151، 152 .

(2) - الأنعام: 153 .

(3) - الأنعام: 154 .

(4) - الأنعام: 157 .

ومما يشهد كذلك على انتماء التوراة ركن الوحي الإلهي ، ما أورده سفر الخروج عن خروج بني إسرائيل من مصر والذي يدل بنفسه على ان ما جاء فيه لا يمت إلى الوحي بنسب و لا يتصل به بسبب إذ استعد بنو إسرائيل لتترك مصر ، و انتقوا على أن يتسللوا منها في جنح الظلام ، حاملين معهم ثرواتهم وخيراتهم و كل نعمل إليه أيديهم و بكل وسيلة ، بالسرقة و السلب ، و الخديعة و النهب، وأكثر من ذلك لقد أشركوا الله في مواسرتهم الشنيئة ، فجعلوه مديرها و راعيها و الداعي إليها ، لقد دس بنو إسرائيل في ثوراتهم و في كتبهم المقدسة نصوصا مزيفة نسيوها إلى الله رب العالمين ، يدعوهم فيها - على حدز عمهم - إلى سلب المصريين الذين أحسنوا إليهم ، و إلى نهب ثرواتهم و أموالهم . تروي التوراة في سفر الخروج (1) قول الله لبني إسرائيل : " فيكون حينما تمضون أنتم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها و من نزيلة بيتها أمتعة فضة ، و أمتعة ذهباً و ثياباً و تخضعوه بينكم و بناتكم لتسلبوا المصريين" . و ينفذ بنو إسرائيل وصية يهوه (2) إله إسرائيل ، فيسلبون المصريين ما أعاروه إياهم بنية حسنة من أموال و خيرات ، كقول التوراة : إنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضة و أمتعة ذهباً و ثياباً ، و أعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين (3) .

يقول مجدي مرجان: " هكذا تتم المواصلة تحت رعاية الله الذي يدبر لشعبه المختار سلب شعب مصر الكريم ، الذي أراهم مئات السنين ، و أعقد عليهم خيرات أرضه ، و أنقذهم من الهلاك و الضياع ، منادوه بسباب ثرواته و نهب أمواله " (4) .

فيها الذي سره سفر التكوين لا يمكن أن يسميه عاقل مستقل الفكر و حيا إلهيا ، بل هو فكر طائش نمجة كل العقول ، و ترذة كل الفطر السليمة .

(1) انظر: سفر الخروج : إص 13 .

(2) - يهوه ثلثة عشر اية الأصل (١٣ : ١٥)

و ورد في سفر الخروج الإصحاح 13-15 " فقال موسى لئله: ها أنا آتي إلى بني إسرائيل و أقول لهم: إله أبائكم أرسلني إليكم فاذا قالوا لي ما اسمك فاعاذا أقول لهم: فقال الله لموسى: أخيه الذي أخيه ، و قال هكذا تقول لبني إسرائيل أخيه أرسلني إليكم ، و قال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله أبائكم إله إبراهيم و إله إسحاق و إله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد و هذا ذكرني إلى دور فدور" .

(3) - سفر الخروج: إص 13 .

(4) - لمقال لمحمد مجدي مرجان بعنوان " التوراة بين الزيغ و الحقيقة " ، مجلة منبر الإسلام، لسنة 1387 هـ عدد حمادي الأول ، ص 136 و ما بعدها .

و محمد مجدي مرجان كان نصرانيا من أقباط مصر نشأ مسيحيا ، ثم أصبح من دعاة عقيدة الثالوث تحت إمرة إحدى الكاتدرائيات ، منافحا عن " الإله الثالوث" مستميتا في نشر طوقسه و تعاليمه ، و لكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على عقيدة الإسلام و إيمان النظر و الفكر فيها حتى اعتنق الإسلام ، و أصبح داعية من دعائه. ألف كثيرا من الكتب في الدفاع عن عقيدة الإسلام عنها كتابه " المسيح إيمان أم إله " الذي أخذت منه بعض النصوص ، و استعنت به في شرح بعض الأفكار المتصلة بالفكر المسيحي و كذا كتابه : الله واحد أم ثلاثة .

و الآن ، و في الحتام يمكن أن أقول كخلاصة لما ذكرته:

1- إن فساد عقيدة النبوة عند بني إسرائيل تابع لفساد الركن الأول من أركان الدين و هو الإيمان بالله تعالى ، فلقد صورت التوراة و معها كل أسفار العهد القديم الله بصور غير لائقة بذاته القدسية ، فادعت أنه يتعب كسائر البشر⁽¹⁾ و أنه يغضب؛ إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا تليق بل لا تجوز في حق الله عزّ و جلّ ، فلا عروء أن تأتي عقيدتهم في النبوة تابعة لهذا التصور العام عن الألوهية.

2- إن عقيدة النبوة عند بني إسرائيل لا تستند إلى أي أساس من الوحي الإلهي ، بل غاية ما فيها أنها جملة من المأمورات و المنهيات في أسلوب حوار قصصي لا ينطوي على شيء من صائص الوحي الإلهي.

3- إن القول بعدم استناد عقيدة النبوة عند بني إسرائيل إلى الوحي الإلهي ، يدفع إلى القول بأن النبوة بهذا المعنى فكرة متبعة لا عقيدة منزلة و هو ما أثبتته من استقراء النصوص التوراتية.

الباب الثالث :

النبوة في الإنجيل

تمهيد :

الفصل الأول : تعريف عام بالإنجيل و العقيدة النصرانية .

المبحث الأول : الأنجيل المسيحية .

المبحث الثاني : العقيدة النصرانية ومصدريتها للنبوة في الإنجيل .

الفصل الثاني : الوحي و النبوة و خوارق المسيح في الإنجيل و موقف القرآن منها .

المبحث الأول : المفهوم العام للوحي و النبوة في الإنجيل .

المبحث الثاني : خوارق المسيح و دلالتها على النبوة في الإنجيل .

المبحث الثالث : نقد النبوة القائمة على الخوارق .

المبحث الرابع : موقف القرآن من معجزات المسيح (عليه السلام) .

الفصل الثالث : الإخبار عن المغيبات و نبوة محمد و نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل .

المبحث الأول : نبوة الإخبار عن المغيبات في الإنجيل .

المبحث الثاني : نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) و المسيح في الإنجيل .

المبحث الثالث : نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل .

الحديث عن النبوة في الإنجيل ، حديث ذو شجون ، ذلك أن اختلاف الأناجيل باختلاف رو
يؤدي بالضرورة إلى صعوبة تحديد مفهوم النبوة عند النصاري ، و هذه حقيقة ألقت النظر إليها
من الباحثين في علم مقارنة الأديان .

فالإنجيل في واقع الأمر ، ليس إنجيلا واحدا ، ففي إنجيل برنابا - على سبيل المثال - نظرة إلى
النبوة تختلف اختلافا جوهريا عنها في الأناجيل المسيحية الأربعة الأخرى ، و هو ما يجعلني لدوافع
موسوعية أفرد إنجيل برنابا بدراسة مستقلة .

إن مفهوم النبوة في الإنجيل ، لا يخرج في خطه العام ، عن المفهوم الذي شاع في التوراة ، فلقد
بقي النبي في عرف المسيحيين ، ذلك الشخص الذي زود بقدرات خارقة ، لتبليغ كلمة الله و عهده إلى
الناس ، بيد أن الذي يفرق الإنجيل عن التوراة في هذه المسألة ، هو أن الإنجيل لا يعترف بتعدد
الوسائط النبوية ، كما هو الحال في التوراة ، و إنما يؤكد في أكثر من موضع ، أن الوساطة النبوية
الوحيدة و الفريدة ، هي وساطة السيد المسيح (عليه السلام) .

فالنبوة في الإنجيل ، - نظرا لكل هذا - جاءت في قالب التفسير الكهنوتي ، و بعيدة بذلك عن
التفسير الإلهي ، و هو ما يجعل النبي في الإنجيل ، لا يختلف كثيرا في وظيفته عن وظيفة الكاهن و
العراف ، و هو ما يبزر الرأي الجامع عند علماء المقارنة بين الأديان ، أن النبوة في الإنجيل ارتبطت
في كل مراحل التاريخ المسيحي بالكهانة و العرافة ، و هو ما يجردتها من صبغتها الدينية و مصدرها
الرباني .

جامعة الأمير
عبد القادر للعالم الإسلامي

الفصل الأول: تعريف عام بالأناجيل والعقيدة النصرانية

المبحث الأول: الأناجيل المسيحية

و مكان الأناجيل من المسيحية مكان القطب و العماد ، فإذا كانت شخصية المسيح ر عليه السلام وسانتصل بها من عقائد الفداء و الخلاص و التثليث ، هي شعار المسيحية، فإنه يمكن القول إن هذه الشخصية لا تعرف معالمها ، ولا تدرك حقيقتها إلا من الأناجيل، التي وسعت حياة المسيح ر عليه السلام (وأخباره من زمن الميلاد إلى زمن الصلب⁽¹⁾) في اعتقادهم ، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ثم رفعه بعد أربعين ليلة ، فالأناجيل بهذا -تتضمن على كل هذه الأمور ، أي أنها بالأحرى تتضمن على لب المسيحية بعد المسيح ، بل أكثر من ذلك لا تفهم عقائدها إلا بها ، وهذه الأناجيل المسيحية الأربعة التي تحبقت الإشارة إليها ، هي التي تعترف بها الكنائس المسيحية ، وخاصة بعد الانقسام و الانفصام الذي حدث بين الكنيسة الكاثوليكية و الكنيسة البروتستانتية ، و ما كان بينهما من صراع على سلطة الدين و تمثيل المسيحية ، و يجدر بي هنا أن أسجل هذه الملحوظات :

1- أن الكنيسة المسيحية في آخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الثالث أرادت أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في اعتقادها ، فأختارت هذه الأناجيل الأربعة ، من ذلك الزخم الهائل من الأناجيل ، الذي ظهر في تاريخ المسيحية عند طوائفها ، التي لم يكن يجمعها إلا ذلك الإرث المشترك المتمثل في كلمة المسيح ووصاياه وحكمه ، التي اختلفت حولها فهمهم ومشاربهم.

ويذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود إنجيل متى و مرقس ولوقا و يوحنا قبل آخر القرن الثاني وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أربنيوس في سنة 209 ثم جاء من بعده كليمنس اسكندر يانوس في سنة 216 ، وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم ، و لم تكف الكنيسة باختيار هذه الأناجيل الأربعة ، بل عملت على جمع الناس عليها ، واستمالتهم لقبولها واعتقاد صحتها ورفض ما خلاها ، وقد تم لها ما أرادت⁽²⁾.

(1) انظر: محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 112.

(2) المرجع نفسه، ص 113.

2- إن الثابت تاريخياً - كما يؤكد علماء المقارنة بين الأديان ، أن الأناجيل الأربعة لم يحلها المسيح ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى إليه ، ولكنها بيقين كتبت من بعده ، وقد تضمنت بإطناب لافت للنظر أخبار يحيى الذي هو عند المسيحيين يوحنا المعمدان (1) ، و ما كان من أمر مريم البتول و ابنها المسيح عيسى (2) ، وما أحاط بولادته من عجائب و غرائب ، أكثرها عملت فيه يد التفسيق عملها ، عبر مراحل متطاولة من تاريخ المسيحية ، والذي نتجت عنه بعد ذلك عقائد الخلاص و الفداء و التثليث، التي صبغت المسيحية ، إلى فترة طويلة من الزمن ، وما زالت تمثل ثلاثة الأثافي ، و قطب الركن في عقيدة المسيحيين إلى يوم الناس هذا . وفي الجملة فالأناجيل الأربعة تشتمل على أخبار المسيح و صلواته ، واقواله و عجائبه ، من بدايته إلى نهايته في هذا العالم كما يعتقد المسيحيون .

إن هذه الأناجيل - كما يؤكد علماء المقارنة بين الأديان - هي التي جمعت العقيدة المسيحية ، وهي وإن اختلفت في بعض العبارات - تبعاً لاختلاف النص المنقول - فإنها تلتقى كلها في هذه الخاصية الجامعة التي أشرت إليها ، و من ثم فإن أية دراسة للعقيدة المسيحية - ومنها عقيدة النبوة - ينبغي أن تنطلق من دراسة هذه الأناجيل .

ومن ثم سوف أتحدث عن كل إنجيل من هذه الأناجيل على حدى قبل التفصيل في المسائل الأخرى المتصلة بالعقيدة المسيحية ، وعلى رأسها مسألة النبوة التي لا تستفاد إلا من وحى هذه الأناجيل .

(1) هو في القرآن الكريم يحيى بن زكرياء .

(2) الواقع أن هذا اللقب يرجع إلى الشعائر التي تدرجت عليها الأمة اليهودية منذ أجيالهم الأولى فهو ليس لقباً خاصاً بالمسيح (عنه السلام) ، وإن كان قد عرف به المسيح أكثر من غيره ، فقد كان هارون مسيحاً و كذلك اليسع ، فالمسيح مطلقاً هو الممسوح بالزيت المقدس ، والتي كانت من أعظم شعائر التقديس و التكريم للناس و الأماكن ، فكل ما يمسح بهذا الزيت يسمى مقدساً لله . ولا يمسح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة و الملوك و الأنبياء ، لذلك سمي هؤلاء مسحاء الله أي المختارين و المباركين من الله .

انظر : معهد مجدي موحان : المسيح إيمان أم إله ، ص 31-30.

وقد كتبه متى . وهو أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر ، ويسميهٔ المسيحيون رسلا (1) ، وهذا ما يستفاد ممَّا جاء في إنجيله : " وفيما يسوع (2) يجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية (3) واسمه متى ، فقال له اتبعني ا فقام وتبعه ، وبينما هو متكئ في البيت إذ عشارون و خطاة كثيرون قد جاءوا ، واتكؤا مع يسوع و تلاميذه ، فلما نظر الفريسيون (4) قالوا لتلاميذه : لماذا ياكل معلمكم مع العشارين (5) و الخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، ائتني أريد رحمة لا ذبيحة ، لأنني لم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة (6) .

و قد أسهب محمد أبو زهرة في ذكر الروايات بشأن متى و إنجيله ، و التي يجمعها شيء واحد هو البعد عن الحقيقة ، و لعل هذا مركّذ إلي الاضطراب الذي ساد هذه الروايات ، و الذي يرجّح عند المحقّقين عدم الركون إليها و الاعتماد عليها وقد أكدّ محمد أبو زهرة (7) - حسب هذه الروايات - أن متى لزم المسيح وأخذ عنه .

(1) - لعل المقصود بهم الحواريون ، أصحاب السيد المسيح (عليه السلام) وأنصاره وقد ذكرهم القرآن الكريم وأثنى عليهم في دونه تعالى : " فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصرتي إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله أما بالله واشهد أنا مسلمون مرثا " . انظر : تاريخ الإسلام للذّهبي ، ج 1 ، ص 405 .

و عند الحواريين اثنا عشر رجلا وأسماءهم وردت في إنجيل متى . إص 10 ، ومن تلامذته برنابا وقد حذفته الكنيسة من الحواريين لأنني عشر ، وذلك لأنه لايقول بالوهية السيد المسيح و سيأتي الحديث عنه لاحقا .

انظر : محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 6 ، ص ص 25 .

عند الوهاب النجار ، قصص الأنبياء والمرجع السابق ، ص 405 .

(2) - هو بالعبودية (يسوع) و معناه المخلص .

و في الإنجيل يدعى (يسوع) بالمسيح المهملة بدل الشين المعجمة ففي يوحنا 11 : 45 : " فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم و نظروا ما فعل يسوع آمنوا به " و في يوحنا 11 : 54 : " فلم يكن يسوع أيضا يمضي بين اليهود علانية " .

و هو في القرآن الكريم عيسى أو السيّد المسيح و يكتئ ابن مريم نسيبه إلى أمه مريم بنت عمران ، لأنه ولد من غير أب .

(3) - يعتقد مورخو المسيحية أن متى كان جاييا من جباة الصراكتب في كثر ناحوم بالجليل بأرض فلسطين في عهد الدولة الرومانية .

انظر : محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص 115 .

(4) - الفريسيون هم المذكورون في يوحنا 11 : 47-53 : "... فجمع رؤساء الكهنة و الفريسين مجمعا " ، فمن ذلك اليوم تشاوروا نيلوه .

(5) - العشار هو العامل في الجباية و لذلك سمئ متى متى العشار نسبة إليها .

(6) - إنجيل متى ، الإصحاح التاسع .

(7) - محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص 115 او ما بعدها .

ولم يصعد المسيح إلى ربة جال متى للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة ، ومات سنة 70 ببلاد الحبشة
والحديث عن انجيل متى النسخة في المحاور اللاتينية :

1- فقد اتفق جميع مورخي المسيحية (1) على أن متى كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية ، كما اتفقوا
على أن أقدم نسخة عرفت شائعة راجعة كانت باليونانية (2) ، ولكنهم اختلفوا في تاريخ تدوينه و مدونه.

2- أن كتبه المحققين و المؤرخين بتاريخ تدوين هذا الإنجيل ، و جهل النسخة الأصلية منه ، كل هذا
يؤدي إلى تقوية الشكوك حول صحة هذا الإنجيل وصحة نسبته إلى متى .

2- إنجيل مرقص :

يقول المورخون أن اسمه يوحنا و يلقب بمرقص ، و لم يكن من الحواريين الاثني عشر الذين
تلمذوا على يد المسيح (عليه السلام) ، و أصله من اليهود ، و كانت أسرته بأورشليم (3) في وقت
ظهور السيد المسيح ، و هو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، و ألهما التبشير بالمسيحية في اعتقاد
المسيحيين ، و جاء في سفر الأعمال (4) : أن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في
بيت .

ولم يتضح من هذا النص الإنجيلي - كما هو الشأن بالنسبة لكل النصوص الواردة في الإنجيل -
للاعتبارات و الأسباب التي ذكرتها الرسل المراد ذكرهم ، وقد اختلفت آراء علماء المقارنة بين الأديان
حولهم ، فذهب أكثرهم إلى أنهم تلامذة المسيح ، الذين أخذوا عنه ، و حملوا لواء التبشير بالمسيحية -
أي تعاليم المسيح - بعده ، و يبقى هذا الرأي يفتقد إلى الدليل التاريخي الذي يؤكد و يفند ما يناقضه .

(1) محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص 115

(2) يذكر بوسست في قاموس الكتاب المقدس ، مخالفاً بذلك جمهور المؤرخين المنقذين أن إنجيل متى كتب بالعبرية أو السريانية
على رأي بعض المؤرخين ، أو أنه كتب باليونانية على رأي البعض الآخر ثم يرجع هو أنه - أي إنجيل متى - ألف باليونانية .
انظر : جورج بوسست ، قاموس الكتاب المقدس ، مادة إنجيل .

(3) اورشليم هي مدينة القدس وهي مركبة من كلمتين (اور) بمعنى مدينة و (شليم) بمعنى سلام أي مدينة
السلام كما يطلق عليها الإسرائيليون .

(4) انظر : سفر الأعمال

وقد اختلف المؤرخون بشأن كاتب هذا الإنجيل و تاريخ تدوينه، تماما كما هو الحال بالنسبة للأناجيل المسيحية ، التي لا يعرف كاتبها ولا تاريخ تدوينها على وجه التحديد ، وهي الأمانة غير الموضوعية ، التي سجلها نفاذ الأديان على الأناجيل ، مما يعزّي مسفحتها لكل قول أو حتى على افتراض بأن ما جاء فيها علاوة على أنه ليس من كلمات المسيح و لا دعوته و لا دعوة أتباعه من بعده ؛ إنما هو خليط من شعائر و أشعار كتبت على مراحل متطاولة من تاريخ المسيحية.

وسما جاء في كتاب "إظهار الحق" (1) أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو و أستاذه بطرس الحواري ، و أنه صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية ، و كان في ذلك يقترّب في نظرته إلى شخصية المسيح من إنجيل برنابا (2).

3- إنجيل لوقا:

ينهم من رسالة بولس إلى كولوسي أن لوقا كان طبيبا إذ جاء فيها : "و يسلمّ عليكم لوقا الطبيب الحبيب" (3) ، و في رسالته الثانية إلى أهل تيموثاوس يقول بولس: "لوقا وحده معي" (4). و في رسالته إلى أهل فلبيمون يقول "مرقص و ارسترخس و ديماس و لوقا العاملون معي" (5) . من هذا كله يفهم أن لوقا كان مرافقا لبولس (6) في أسفاره و أعماله ، إذ في رسائل بولس ما يشير إلى هذه الرقعة.

(1) انظر رحمة الله الهندي ، إظهار الحق. إخراج و تحقيق عمر الدسوقي (منشورات دار الكتب ، 1988م) ج 1، ص 254

(2) إن إنجيل برنابا يخالف الأناجيل المسيحية في نفي ألوهية المسيح و تأكيد بشريته .

انظر : محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، مرجع سابق ص 118 .

(3) انظر : رسائل بولس ، إ ص 4 ، من رسالته إلى كولوسي .

(4) رسالة بولس الثانية إلى أهل تيموثاوس ، إ ص 4 .

(5) رسالة بولس إلى أهل فلبيمون .

(6) في سفر أعمال الرسل تفصيل لعياة بولس ، و قد أخذت أعماله من ذلك السفر الشطر الأكبر ، و قد جاء فيه أن مولده كان في طرسوس و تربى في أورشليم ، و اسمه الأصلي شاول و هذا نص الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني و العشرين حكاية عنه: أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كلبكة ، ولكن تربيت في هذه المدينة (أورشليم) ، و لقد جاء أنه من الفريسيين الذين يقولون إن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح في الدنيا فقد جاء في الإصحاح الثالث و العشرين: " و لما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون ، و الآخرون فريسيون صرّح في المجمع : "أيها الرجال الإخوة: أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم".

و مهما يكن من أمر جنسه ، فقد كان بولس هذا في صدر حياته من أشد أعداء المسيحية ، و أبلنهم كيدا لها كما يدل على ذلك ما جاء في سفر الأعمال في مواضع كثيرة منه منها الإصحاح الثامن منه.

ثم انتقل بولس من مرتبة المعاداة مع المسيحية إلى مرتبة الرسل المدافعين عن تعاليمها ، و بذلك كان -على حد اعتقاد

المسيحيين - بحق مجدد المسيحية .

و يؤكد محمد أبو زهرة هذه الفرضية بقوله: "من هذا يفهم أن لوقا هذا هو لوقا الأنطاكي ، الطبيب ، و مثل هذا ما جاء في تاريخ ابن البيطريق . وسبب التمسك إبراهيم سعيد من كون لوقا طبيباً رحاني كثيرة تسمو بإنجيله ، فيقول : " و كان لوقا طبيباً ، و هذه المهنة لها قيمتها الخاصة لأنها تلقي على حياة لوقا نوراً ساطعاً ، فترينا إياه الرجل العلمي المدقق المحقق . الرقيق الأسلوب ، الجميل الذباجة ، فكونه طبيباً قد سرد ولادة المسيح من غير أب سرداً طبيعياً هادئاً من غير محاولة التذليل على جواز القول بالميلاد المعجزة للمسيح" و هذا الإنجيل اكتشفه الغموض حول كاتبه و تاريخ تدوينه كما هو الشأن بالنسبة للإنجيل التي سبقته⁽¹⁾.

4- إنجيل يوحنا :

يقول المهتمون⁽²⁾ بالدراسة النقدية للكتاب المقدس أن لهذا الإنجيل خطراً و شأناً أكثر من غيره من الإنجيل الأخرى في نظر الباحث ؛ لأنه الإنجيل الذي ورد فيه ذكر الوهية المسيح ذكرها صريحاً من خلال إثبات عقيدة التثليث التي هي جوهر المسيحية و نقطة الخلاف الشديدة و الوحيدة في الأعم الغالب بينها وبين ديانات التوحيد ، و يقول جمهور النصارى⁽³⁾ : " إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بن زبدي الصياد الذي كان يحبه السيد المسيح ، حتى أنه استودعه والدته ، و هي فوق الصليب ، كما يعتقدون ، وقد نفى في أيام الاضطهاد الأولى ، ثم عاد إلى أفيس ، و لبث يبسر فيها . حتى توفي شيخاً هرماً ، و لكن هناك بجوار هؤلاء من محققي المسيحية ، من أنكر كل هذه الفرضيات أو حتى المسلمات ، إذ أنكروا أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة روحية .

(1) انظر : محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص 147 .

(2) - هناك باحثون مسلمون كثيرون اتفقوا في نقد النسخانية و الرد عليها .

و منهم :

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ) في كتابه : المختار في الرد على النصارى تحقيق محمد عبد الله الشرفاوي ، دار الصحوة ، القاهرة 1984 .

- الإسكافي (محمد بن عبد الله (ت240هـ) له ما يقرب من سبعين كتاباً في علم الكلام .

- بن خلد (أبو علي) مساحب كتاب الأصول و الفروع من الطبقة العاشرة من المعتزلة .

انظر : القاضي عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، (بيروت : الدار العربية للطباعة و النشر و التوزيع ، 1386هـ / 1966م) ، ص 198 .

و من رواد الحركة النقدية للكتاب المقدس من الأوروبيين اليهودي باروخ اسبينوزا SPINOZA (ت1673م) ، و النطراي و القس الفرنسي ريتشارد سيمون RICHARD SIMON .

انظر في هذا الصدد :

فؤاد حسين علي ، التوراة اليهودية ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، بدون تاريخ) ص 55 نقلاً عن :

A- VON HARNACK , N DIE STUDIENZU MARCION, 1923.

(3) - مأخوذ من مقال لمحمد أبي زهرة في كتاب محاضرات في النسخانية ص 122 ، 123 .

و لقد جاء في دائرة المعارف البريطانية (1) ما نصّه : " أما إنجيل يوحنا فإنه لا مريّة و لا شكّ كتاب مزور أراد صاحبه مضادّة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، و هما القديسان يوحنا و متى ، و قد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحوارى النبى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علّتها ، و جازمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، و وضعت اسمه مع الكتاب نصّاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، و لا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها ، و بين من نسبت إليه ، و إنا لنرأف و نشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، و لو باوهى رابطة ذلك الرّجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى ، بالحوارى يوحنا الصّيد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخطبهم على غير سدى .

هنا قول بعض علماء المسيحية من كتبهم ، و هو ينطق بواقع الخلط و الشطط الذى عليه المسيحيون ، ليس بشأن إنجيل يوحنا و حسب ، بل امتدّ هذا ليشمل كل عقائد المسيحية و مصادرها ، و هو الذى يجعلنى أؤكد حقيقة وردت فى النص ، و اجتمعت عليها كلمة علماء المقارنة بين الأديان ، و هي أن كتب المسيحية لا تخرج عن كونها مثل كتب التوراة لوجود نسبة مشتركة بينهما ، و هي افتقارها إلى رابطة موضوعية تربط بينها ، و هو ما يجعل مهمة المسيحيين صعبة فى إقناع غيرهم برسالة المسيحية ، حتى أبعد الناس عن المنطق ، و الذين مازالوا على ختم الله لهم ، ليس عندهم خبر عن كتاب و لا أثر من علم .

إن التفسير القرآنى لظاهرة الاضطراب الذى سادت الأناجيل المسيحية ، مرده إلى ضياع الإنجيل الحقيقى الذى أنزله الله سبحانه و تعالى على عيسى (عليه السلام) ، و الذى فتح الباب بعد ذلك إلى أحقاب طويلة ، للزيادة و النقصان ، و الحبك و السبك ، الذى تتوع بتتوع المشارب و الأهواء ، و خاصة بعد ظهور الفرق المسيحية .

(1) انظر دائرة المعارف البريطانية ، حرف الألف مع النون . و محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين (بيروت دار الفكر) ، م 1 ، حرف الألف مع النون ، ص 655 .

بعد إنجيل برنابا أقرب الأناجيل المسيحية على الإطلاق إلى العقيدة الإلهية الصحيحة ، لمخالفته لها في مسائل جوهرية في العقيدة تتصل بشخصية المسيح (عليه السلام) ، مما يجعله يقترّب في نظرته إلى نظرة القران الكريم إلى المسيح (عليه السلام)؛ وهو الذي كان حافزا و ذريعة للكنيسة لإتكاره. يقول محمد أبو زهرة: " و إنجيل برنابا هذا يمتاز بقوة التصوير و سمو التفكير و الحكمة الواسعة و الدقة البراعة . و العبارة المحكمة والمعنى المنسجم ، حتى أنه لو لم يكن كتاب دين لكان في الأدب و الحكمة من الدرجة الأولى لسمو و براعة التصوير ، و لماذا أنكروه المسيحيون ؟ على أن قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة في كتبهم الأربعة ؟ و الجواب عن ذلك : أن المسيحيين رفضوه ، لأنه خالف إنجيلهم و رسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة " (1).

و الأمور التي خالف فيها إنجيل برنابا الأناجيل المسيحية هي :

أولا : إثبات نبوة المسيح (عليه السلام) ونفي نبوته لله - كما يزعم النصارى - وهو ما جاء في مقدمة هذا الكتاب : " يا أيها الأعداء : إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين ، و خصه بمعجزات اتخذتها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين ، فأخذوا يبشرون بتعاليم ممعنة في الكفر داعين المسيح ابن الله و رافضين الختان الذي أمر به الله ، و مجوزين كل نجس ، و قد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسف و الأسى ، و هذا مادعاني لأن أسطر ذلك الحق الذي رأيته " (2).

و يؤخذ من هذا النص ، أن برنابا يؤكد نبوة المسيح (عليه السلام) من جانبين :

الجانب الأول : تأكيده أن نبوة المسيح (عليه السلام) هي كسائر النبوات - اختصاص إلهي ورحمة ربانية ، و هو ما يستفاد من قول برنابا : " إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح " ، و هذا لا يختلف في أساسه عما أكده العلماء من أن النبوة تقوم على الاصطفاء والاجتباء .

الجانب الثاني : تأكيده أن من يسمون دعاء المسيحية ، الذين ظهرُوا في حقبة من حقبة لا يمثلون دعوة ولا عقيدة المسيح (عليه السلام) في شيء .

(1) محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ص 137 . 138

(2) إنجيل برنابا : المقدمة ، تعقق سيف الله أحمد فاضل (ط 2 ، الكويت : القلم 1983م) ، ص 37 ، 38 .

وهذا الذي صرح به برنابا في مقدمته بشأن المسيح (عليه السلام) ، يتفق اتفاقا كبيرا مع ما صرح به الفران الكريم في قوله تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يبيسر ائيل اعبدوا الله ربِّي وربكم" (1).

ثانيا : تأكيد بشرية المسيح (عليه السلام) ونفي الوهيته كما تدعي الطوائف المسيحية، فقد جاء في إنجيل برنابا : أنه قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني و الملك هيرودوس الملك، فذكر له كبير الكهنة أن قريفا من الناس يقولون إنه إله و أن قريفا آخر يقولون إنه ابن الله وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي تارت من أجله ،وقال له يسوع : وأنت يارئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟ وهل جننت أنت أيضا؟ وهل أمسك النبوات و شريعة الله نسيا منسيا ؟ ثم قال : إني اسيد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قاله الناس عني من أنني اعظم من بشر ، لأنني مولود من امرأة وعرضة لحكم الله و أعيش كسائر البشر " (2) .

وهذه الشهادة من المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) على بشريته هي ما أكدها قوله تعالى :
 وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اخذوني وامي اليه من دون الله قال سبحك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في قلبك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أنت اعبدوا الله ربِّي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (3).

إن هذا النص القرآني ، ينفي عن المسيح (عليه السلام) جملة من الشبهات ، التي الصقها السجّلون به و بدعوته و منها :

1- نفي الوهيته و تأكيد بشريته ، و ذلك بالإمعان في سرد حياة المسيح ، التي تنفي عنه كل ادعاء بشأن الوهيته، أو كونه اقنوما من اقانيمها الثلاثة كما يزعم المسيحيون .

2- نفي اطلاع المسيح (عليه السلام) على الغيب ، من خلال التأكيد على أن هذا مما استأثر الله سبحانه و تعالى بعلمه فلم يظهر عليه أحدا من الناس إلا من ارتضاهم لتبليغ دعوته ورسالته إلى الناس .

(1) المائدة : 72 .

(2) برنابا فص 93 : من 154.155 .

(3) المائدة : 116 .

ثالثاً : تأكيد أن الذبيح الذي أمر الله به إبراهيم الخليل إنما هو إسماعيل (عليه السلام) وليس إسحاق كما هو مذكور في التوراة، إذ جاء في سفر التكوين (1) : " وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له يا إبراهيم: فقال ما أناذا ، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك، فبكر إبراهيم صباحا وشد على حساره فأخذ اثنين من غلماناه معه وإسحاق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله .

وهذا الافتراء هو الذي نفاه إنجيل برنابا : " الحق أقول لكم إنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبت كتبنا وفقهائنا لأن الملاك قال : يا إبراهيم سيعلم العالم كلمة كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله، فأجاب إبراهيم: ما هو ذاعبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك واصعد إلى الجبل لتقدمه ذبيحة ، فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين . (2)

وهذا الذي ذكره إنجيل برنابا بشأن إسماعيل ، هو الذي يتوافق مع ما جاء عنه في القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : " فَبَشِّرْهُ بِعَلِيِّ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْخُوكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَا بَتِ إِنْعَلِمَ مَا فُؤَمِرُ سَجْدَنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَكَلَّمُوا لَجِينًا وَنَدَيْتَهُ أَنْ يُرِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ لَجَزِيءُ الْحَسِينِ (3) . فإسماعيل جاء متقدما على إسحاق، الذي ورد ذكره لاحقا في قوله تعالى : " وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نِكَاحًا صَالِحًا وَابْرَكَ لَهُ عَلِيُّ وَعَلِيُّ إِسْحَاقُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ . (4)

(1) سفر التكوين 22 : 1 / 3 .

(2) إنجيل برنابا، فصل 44 : 5 ، 11 .

(3) الصافات : 101 إلى 105 .

(4) الصافات : 112 .

فهذه النصوص القرآنية تؤكد حقيقة مات فيها كثيرا المصدر اليهودية و المصادر المسيحية على حد سواء . بشأن مسألة الذبيح ، فميلاد إسماعيل كان الأول وهو ما أكده إنجيل برنابا في معرض تنفيذ لفرية أهل الكتاب من أن الذبيح هو اسحاق لقوله في اوجز عبارة وأصدق بيان : " فكيف يكون اسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين (1) .

رابعاً: ففي فريضة صلب المسيح ، إذ جاء في إنجيل برنابا : " الحق أقول إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه (يسوع) كذلك خرج بعضهم عن تعاليم المسيح يسوع معتقدين أنه كان نبياً كاذباً ، وأن الخوارق التي ظهرت على يديه إنما ظهرت بصناعة السحر " (2) .

ثم يذكر أن يسوع طلب من الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره و من اعتقاد بأنه صلب إذ يقول : " وربح كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات وقال لهم : إن الله قد وهبني أن أعيش ، اتحسبوني أنا و الله كاذبين؟ و الحق أقول لكم : إنني لم امت ، بل الذي صلب هو يهوذا الخائن ، احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده ان يخذلكم ، و كونوا شهودي في كل إسرائيل و في العالم أجمع على جميع الأشياء التي رأيتموها و سمعتموها " (3) .

فإنجيل برنابا كما يتبين ذلك من هذه الأقوال ينفي زعم القائلين بصلب المسيح ، و حصر التضحية في إلقاء الشبه كما حكا ذلك القرآن الكريم ، إذ يقول الله تعالى في ذلك : " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ طَرَاهُ (4) .

- (1) - إنجيل برنابا ، نص 11/44 ، ونص 3.2: 67 ونص 13:15 ونص 31.43:20 ، نص 95 .
 في تك 17:25 : (كان إسماعيل ابن ثلاثة عشر سنة ، أما بناتمه تك 16:16 مع تك 21:5 فقد كان ابن أربعة عشر سنة ، وفي القرآن الكريم تأكيد أن الذي كان سيدبح هو إسماعيل عندما بلغ السعي ، و أن ولادة إسحاق كانت هبة من الله لإبراهيم على شديده ابنه إسماعيل (عليه السلام) ، قال تعالى في هذا السند : " طَمَأَنَّنَا اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا إِنَّ فِي الْحَنَانِ لَأَعْلَامًا لِمَا دَا بَرْنَا الْمَسَافَاتِ : 102 .
- (2) - إنجيل برنابا 217 : 81/80 .
 (3) - المصدر نفسه 221 : 19/18 .
 (4) - النساء : 157 .

خامساً : تأكّده أن المسيح المنتظر ليس يسوع كما يدعيّ كُتبه الإنجيل، بل محمّد (صلى الله عليه وسلّم) إذ ورد باسمه ونعته في هذا الإنجيل ، ولقد جاء التصديق - كما يذكر إنجيل برنابا - على لسان المسيح نفسه : " إن الآيات التي يظهرها الله على يدي تظهر أنّي أتكلّم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه ، لأنّي لست أهلاً لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله هذا الذي تسمونه " مسيا " الذي خلق قبلي ، وسيأتي بعدي بكلام الحقّ ، ولا يكون لدينه نهاية " (1) .

في هذا النصّ من إنجيل برنابا يوافق ما جاء في القرآن الكريم عن بشاره عيسى (عليه السّلام) بمحمّد (صلى الله عليه وسلّم) ليكون خاتماً للأنبياء و الرسل (عليهم السّلام) ، وبرسالاته لتكون خاتمة للرسالات والنبوات ، يقول الله تعالى : " و إذا قال عيسى ابن مريم لبيّ إسرائيل إني مرسل الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " (2) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : واذكر أيضاً يا محمّد إذ قال عيسى ابن مريم لقومه من بنى إسرائيل: يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشراً بأشركم برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " (3) .

وقد نقل الطبري عن عرياض بن سارية عن عبد الأعلى بن هلال السلمي قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ، والرؤيا التي رأت أمّتي وكذلك أمّهات النبيين يرين أنها رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشّام " (4) .

(1) برنابا 96 : 7 ، 15 ، و 97 : 1 ، 5 .

(2) الصف : 6 .

(3) الطبري ، التفسير ، ج 28 ، ص 57 .

(4) المصدر نفسه ، ص 57 .

و في الختام ، يبقى أن أقول: إنه بالرغم من الموافقات القائمة بين ما ذكره إنجيل برنابا ، و بين ما قرّره القرآن الكريم في المسائل التي عرضتها و التي تمثل حقيقة العقيدة النصرانية، و لكن مع هذا يجب أن أسجل هنا حقيقة ملحة و هي أن الإسلام ليس في حاجة إلى شهادة هذا الإنجيل و لا إلى شهادة غيره من الكتب ، فهو الدين الذي ثبتت حقايقه بالوحي ، و بالنقل المتواتر. يقول عبد الواحد وافي: "إن الإسلام ليس في حاجة إلى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة لتأكيد ما يذكره القرآن الكريم عن المسيح و حقيقة ديانته و تبشيره بالرسول ، فالقرآن و هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و هو الذي نتخذة دليلا في الحكم على أناجيلهم المزعومة و مبلغ تحريفها للإنجيل ، الذي أنزله الله على عيسى (عليه السلام) ، و لا ينبغي أن نتخذ سفرنا (1) مشكوكا في صحة نسبه إلى صاحبه دليلا على ذلك ، و لا أن نعتمد عليه لإقناع المسيحيين ببطلان ما أقروه من أناجيل" (2).

-
- (1) - سدر: أي كتابا كما في قوله تعالى: "كُنْتُمْ الْخَمِيرُ الْجَبَلِ أَسْمَاءً" أي كتابا في عدم انتفاعه بها ، الجمعة: 5.
اسطر : تفسير الجلالين، ج2، ص 741.
- (2) - علي عبد الواحد وافي، الأسطر المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، مرجع سابق، ص95.

العقيدة النصرانية ومصدريتها للنبوة في الإنجيل .

لما كان عنوان الفصل " النبوة في الإنجيل " كان لزاما علي من الناحية المنهجية والموضوعية أن أتبع التعريف بالإنجيل المسيحية التي هي مصدر هذه الدراسة بالتعريف بالعقيدة النصرانية ، لأن النبوة في الإنجيل لا يمكن تحديد مفهومها ، وإدراك حقيقتها إلا في إطار هذه العقيدة .

ومن المعروف عند علماء المقارنة بين الأديان أن العقيدة النصرانية تقوم في جوهرها على ركنين مهمين هما : التثليث والصلب والفداء وما يتفرع عنهما بعد ذلك من معتقدات أخرى تتصل بالمسيح كالقيامة والدينونة .

أولا : عقيدة التثليث :

عقيدة التثليث عند النصارى تزخر بمزاعم ما أنزل الله بها من سلطان؛ وهي من نتاج التحريف الذي أوقعه النصارى على الإنجيل الإلهي ، و خلاصة هذه العقيدة هي الزعم بأن الله ثالث ثلاثة ، وأنه بلغة المسيحين ثالث أقانيم متساوية الأب والابن و الروح القدس ، ووفق هذه العقيدة النصرانية يكون المسيح إلهًا ، وهو ابن الله ، وفي الوقت نفسه هو بشر وإله ، وهو لاهوت و ناسوت يقول عبد الوهاب النجار : " أما جماعة النصارى فقد خلقوا لهم عقيدة هي أن الله مركب من ثلاثة أقانيم : الأب و الابن و الروح القدس ، وهذه كلها واحد فأنحدر الله الذي هو الأب و الابن - على اختلاف أقوالهم - وحل في مريم وتجسد إنسانا ، وولد منها وهو « يسوع » إلى آخر ما يقولون (1) .

(1) عبد الوهاب النجار ، مرجع سبق ذكره ص 117

ثم يعلق عبد الوهاب النجار بعد عرضه لعقيدة التثليث عند النصارى، أن ما يزعمونه في ذلك هو بدع من القول، لم يقل به المسيح ولم يدع إليه يقينا، بل هو من ابتداع أنفسهم ووحى أمواتهم بعد اختلاطهم بالوثنيين الذين كانوا يدينون بالأقانيم وتجسد الآلهة و الصلب و الغداء .

و يضيف عبد الوهاب النجار أن الذين دخلوا من هذه الفرقة في المسيحية أحبوا أن يوقفوا بين ما ألفوه من عقيدة وبين هذا الدين الجديد فأخذوا يؤلهون المسيح و يقولون: "إن الله انحدر منه اتقوم الابن المتحد مع الأب و الروح القدس و تجسد في رحم مريم ثم خرج إنسانا إليها" (1)

هذه باختصار هي معالم عقيدة التثليث عند النصارى ، التي حكم القرآن الكريم بكفر معتقياها و من ذلك قوله تعالى: "لَقَدْ كَرَّمْنَا الْدِينَ الْقَوْلَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مِنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا خَلُقُ مَا يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (2) وقوله تعالى: "لَقَدْ كَرَّمْنَا الْدِينَ الْقَوْلَ إِنَّ اللَّهَ نَالِفٌ ثَلَاثَةٌ قَامِينَ مِنَ الْإِلَهِ الْأَكْبَرِ أَحَدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ وَلِلَّهِ عَرْشٌ جَبَرٌ" (3). ففي هذه الآيات البيّنات يبطل القرآن الكريم ، في حكم صريح عقيدة التثليث والأوهام التي نتجت عنها، ويؤكد حقيقة التوحيد التي قامت عليها كل دعوات الأنبياء (عليهم السلام) يقول رحمة الله الهندي: "إن أول الوصايا التي هي مصرح بها في التوراة و في جميع كتب الأنبياء و هو الحق و هو سبب قرب الملوك أن يعتقد أن الله واحد و لا إله غيره و لو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيّنا في التوراة ، و في جميع كتب الأنبياء ؛ لأنه أول الوصايا" (4).

(1) عبد الوهاب النجار ، المرجع السابق ، ص 123 .

(2) المائدة : 17 .

(3) المائدة : 74، 73 .

(4) رحمة الله الهندي، المرجع السابق ، ص 118 .

لموضوع كل الرسائل السماوية هو التوحيد الخالص ، و لا تمتنع عقيدة التثليث إلا ركنا دخيلا على العقيدة الدينية ، شاع وسط محفّرات مرتبطة بحياة الإنسان منها طول العهد ، و الفصام الذي حدث بين الإنسان و بين عقيدة السماء .

و لقد اهتم الجاحظ بالعقيدة النصرانية ، و يرجع ذلك إلى الجدل الإسلامي المسيحي الذي احتدم في عصره ، و رسالته في الردّ على النصارى هي أبرز أعماله في هذا الميدان ، إذ هدم فيها عقيدة التثليث من أساسها باستدلال سديد و منطوق فريد ، يقول الجاحظ : " القاعدة الثانية و هي الإيمان بالتثليث ، فعندهم لا يمكن دخول الجثة إلا بالإيمان به فيؤمنون بأن الله ثالث ثلاثة و أن عيسى هو ولد الله و أن له طبيعتين : ناسوتية و لاهوتية ، و تلك الطبيعتان صارتا شيئا واحدا ، فصار اللأموت إنسانا محدثا تاما مخلقا ، و صار الناسوت إليها تاما خالقا غير مخلوق و بعضهم يقول : الثلاثة : هم الله ، و عيسى و مريم " (1) .

و بعد أن عرض الجاحظ هذه الأقوال في عقيدة التثليث عند بعض الطوائف النصرانية ، طفق يردّ على هذه الأقوال بقوله : " مقتضى قول النصارى أن المسيح ابن الله يقضي أن تكون ذاته كذات الله ، وله علم كعلم و قدرة الله إلى سائر الصفات الأزلية ، وإذا اعتمدنا على هذه المعطيات فإننا نحكم ببطلان عقيدة التثليث بنصّ الإنجيل ، الذي يميز بين الصفات الإلهية . و هو للإله الأزلي و بين الصفات الخاصة بالمسيح الذي لا يمكن أن يرقى إلى هذه المرتبة من العظمة ، ففي إنجيل ماركوس (2) أن الحوارين سألوا عيسى (عليه السلام) عن الساعة التي هي القيامة ، فقال لهم إن ذلك اليوم لا يعلمه إلا الملائكة الذين هم في السماء . و لا يعلمه إلا الأب وحده و يعني به الله تعالى فهذا النصّ الإنجيلي فيه إقرار من عيسى بأنّه ناقص علم عن الملائكة

(1) انظر : الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، قيس الأنوار في الرد على النصارى و الكفار (مخطوط بدار الكتب المصرية) ص 19 .

(2) إنجيل ماركوس أو مرقس : 11 .

وان الله هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها وكيف يتقرر في عقل إنسان أن الله مازج بعض مخلوقاته حتى صارت شيئا واحدا ؟ .

ويواصل الجاحظ نقده لعقيدة التثليث فيسوق هذه العبارة : " أين كان لاهوته لما مات ناسوته؟ ولا سيما على قولهم إنهما اتحدا وتمازجا ، و التحما ، فما الذي فرق بينهما عندما ضرب جسده بالسياط على زعمهم ؟ وعصب رأسه وصلب على خشبة وطعن بالرمح حتى مات ، وهو يصبح خوفاً ، و جزعا ، فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد مع الممازجة والاتحام -على قولهم- وهم يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصلب والقتل وهبط إلى جهنم فأخرج منها الأنبياء ، وكان ناسوته في القبر مدفونا ورجع إليه لاهوته فأخرجه من قبره ورجع إليه وصعد به إلى السماء فكل هذه دعاوى باطلة " (1) .

ويعتق الجاحظ على هذه الدعاوى التي لا تقوم على أساس من الصحة بقوله : " حاشا أن يكون الخالق الأزلي قد استحال لحما و دما ويكون له ولد في الأرض أو في السماء ، وتعالى الله أن يحل في بشر ويموت كيف وهو الحي الذي يموت ؟ أو يصير بذاته القدسية في بطن امرأة وهو الذي وسع كرسيه السموات والأرض ، لا بد في الذي صير لأحدهما آبا وللآخر ابنا أن يكون غيرهما فمن الذي خصص هذا بالأبوة وهذا بالنبوة دون التعاكس ؟ " (2) .

فالقول بالتثليث - كما بينت - قول متهافت يجافي العقل والمنطق وفي هذا يقول أبو زهرة : وترى أنهم (أي النصارى) ، لم يعتمدوا في إثبات تلك العقيدة على أي دليل عقلي بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحملونه من انفال المعاني ما تنوء به الجبارات ولا تحتمله أبعاد الإشارات ، وأنهم إذا حاولوا أن يربطوا قضية التثليث بالعقل حاولوا جهد الطاقة أن يجعلوا العقل يستسيغها في تصوّره ، ويحسون أن العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التصور " (3) .

(1) الجاحظ ، المرجع السابق ، ص 19 .

(2) المرجع نفسه .

(3) محمد أبو زهرة ، محاضرات في التصوّرية ، ص 179 .

وخلص القول في التثليث ، أنها بدعة مسيحية لا تعبر عن حقيقة دين المسيح (عليه السلام) القائم على التوحيد الخالص ، مصداقا لقوله تعالى : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ الْقِيَامَةَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مُنِيرٍ ، فَأَمَّا نَا بِاللهِ فَمَرْسَلُهُ وَلَا تَقُولُوا لَكُم مَّا أَخْبَرَ الْكُفْرَ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَ أَنْ يَكُونَ لَكُمُ وَلَدٌ ، لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَكُنِيَ بِاللهِ وَكَلَامًا (1) .

ثانيا : عقيدة الصلب والفداء :

عقيدة الصلب والفداء ، هي قطب الرحى في العقيدة النصرانية ، إذ تقول أكثر الطوائف النصرانية بها ، والتي معناها عندهم أن عيسى (عليه السلام) صلب تكفيرا لخطيئة آدم (2) الأزلية ، وفداء للبشر من بعده بحكم الدينونة.

يقول أحمد ديدات : " إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب العقيدة المسيحية ، إن كل النظريات المسيحية عن الله ، وعن الخليقة ، وعن الخطيئة ، وعن الموت تستمد محورها من المسيح المصلوب ، وكل النظريات المسيحية عن التاريخ ، وعن الكنيسة ، وعن الإيمان ، وعن التطهر ، وعن المستقبل ، وعن الأمل إنما تتبع من " المسيح المصلوب " [الذي هو عندهم بمنزلة إله المصلوب] (3) .

(1) النساء : 171 .

(2) معنى ذلك أن الفصاري يقولون التوبة عن آدم من خطيئة - حسب زعمهم - إذا لو ثبتت التوبة لبطلت عقيدة المسيح المخلص ، ولذلك فقد اتهموا آدم (عليه السلام) بالتمرد على أمر الله تذبوا لفكرة الكفارة والصلب ، وهذا ما يتناقض مع عصمة الأنبياء ، التي تحدثت عنها المصانير الإسلامية ، وينقل محمد مجدي مرجان في كتابه :

المسيح إنسان أم إله ، ص 123 عن القس لبيب ميخائيل ، قضية الصلب ، ص 81 ، قوله : لقد كان آدم نائبا وممثلا لجميع الجنس البشري الذي كان في صلبه يوم تعدى وصية الله ... فبعد طرده من الجنة ولد نسلا ساقطا نظيره في حالة الفساد الروحي والأدبي ، وتحت حكم الموت والدينونة التي استحقها بعصيانه وتمردة على الله وقد ورث هذا النسل عن أبويه الأولين حياة العداوة لله والتمرد على شرافته ووصاياه . فهذا النص يحمل إساءة أيضا لإساءة لآدم (عليه السلام) الذي وصفه لبيب ميخائيل بأنه ولد نسلا ساقطا والحق أن آدم (عليه السلام) كان نبيا ، ولم يكن ساقطا كما يدعي هذا المفتري .

(3) يعتقد المسيحيون أن المسيح عيسى هو الله مجسدا الله على صورة الإنسان ، وحسب التصور المسيحي فإن عيسى يجب أن يموت ، لأن آلاف التضحيات لا يمكن أن تخلص الإنسان من إقامه لكن تضحية المسيح وحدها هي التي تخلص البشرية من خطاياها .

انظر : أحمد ديدات مسألة صلب المسيح ، ص 10 .

، غيبة الصلب في جوهرها تدور حول خطيئة آدم ، وهو ما تقول به أكثر الفرق المسيحية ومن أجل
ذلك يرى كتاب المسيحية أن هذه الخطيئة الأولية لم تقتصر على آدم وحواء ، بل امتدّت بحكم التناسل
إلى جميع بني جنسه على مرّ الأجيال ، فكانت مصدر جميع الشرور التي حاقت بالبشرية على مرّ
العصور وكرّ الدهور (1) ، والتي لا يمكن - في نظرهم - التخلص من رجسها إلا بالصلب ، ومن ثمّ
صلب المسيح (2) للتكفير عن خطيئة آدم (عليه السلام) وخطيئة أبنائه من بعده .

يقول محمد أبو زهرة : " يعتقد المسيحيون أن الله سبحانه وتعالى أوصى آدم بالأكل من الشجرة ،
فأكل منها بإغواء إبليس ، فاستحقّ هو وذريته الفناء ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده جسّد
كلمته ، وهي ابنه الأزلي جسداً ظاهراً ، ورضى بموته على الصليب ، وهو غير مستحقّ لذلك ، لكي
يكون ذلك فداء للخطيئة الأولى وعدلها ، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله
و ابن الإنسان معا ، وكان ذلك الابن ، وهذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العنراء " (3) .

(1) إيلون بولس : من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع
الإنس إذ أخطأ الجميع .
نظر : رومية 5 : 12 .

وهذا باطل فإن الله تعالى أخبر أنه سيجعل آدم خليفة في الأرض قبل ارتكابه المعصية ، أما ما يذهب إليه النصارى من أن الله
سخط على الخلق بسبب خطيئة أبيهم آدم (عليه السلام) فهذا أمحل المحال لوجود عديده منها ؛
إن الله أرسل رسلا كثيرين في الفترة الممتدة بين نزول آدم ومجيء عيسى (عليهما السلام) ولو كان غضبا على البشر لما
أرسل إليهم رسلا يعلمونهم من الأعمال ما يرضيه ويوجب محبته لهم .
أنه بمقتضى عدل الله أنه لا يؤاخذ زيدا بما فعله عمرو ، والقول بمقولة النصارى مشتمل على نسبة الظلم إلى الله فما علاقة
الواحد منا بما فعله أبونا آدم (عليه السلام) .

- النول بتعذيب واحد - وهو المسيح - لنحصل مغفرة الله ورضاه على الناس بكلّ ما اقترفوه من الذنوب فيه نسبة الظلم إلى الله
أيضا ، إذ ما نذب هذا الواحد حتى يتحمّل أخطاء البشر بجملتهم فيقترفوا من الذنوب والآثام ما شاوروا وبلا شعور بالنثم لأن
أخطاءهم مهما كثرت فإنّ هناك من تحملها عنهم وتعبّ بسببها نيابة عنهم والحقّ أن هذا هراء لا يلتفت إليه .
(3) نظر محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية: تقديم عمار طالبي تصدير محمد الغزالي (الجزائر شركة الشهاب ، 1989م)

ص 99 .

ويكفي ما ذكرته عن عقيدة الصلب والنداء في اعتقاد النصارى. ويبقى أن أقول: إن القرآن الكريم أبطل هذه الدعوى وذلك انطلاقاً من نظرتهم إلى المسيح (عليه السلام)؛ لأنه لم يصلب، وإن الله قد رفعه إليه، وكذلك نظرتهم إلى الأنبياء التي تقوم على إثبات العصمة لهم وفي ذلك يقول أبو الحسن الندوي: "لقد كان في هذه العصمة والأمانة والنزاهة التي اتصف بها الأنبياء ضمان لسلامة أتباعهم وأمتهم في العقائد والشرائع وأمان مما استهدفت له الأمم والأجيال البشرية الماضية من الوقوع في المهالك والتورط في الشبهات والحيرة في أمر هؤلاء القادة" (1).

ولابد أن أشير هنا دفعا لكل التباس إلى أن الغداء كما هو في العقيدة النصرانية يختلف عن الشفاعة، التي تحدث عنها الأحاديث الصحيحة (2)، ذلك أن هذه الشفاعة لا تعني أن يتحمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) أوزار العباد، ولا أن يضع عنهم سيئاتهم وإنما معناها أن الإنسان قد تبقى في ذمته مع إصراره على التخلص من الخطيئة بعض الكيثر، ويشفع الرسول له عند الله، فالشفاعة إذن منحة من الله عز وجل، وليست - بأي حال من الأحوال - منحة ولا توسطاً من الرسول (صلى الله عليه وسلم) خلافاً لعقيدة النصارى في المسيح.

(1) أبو الحسن الندوي، النبوة والانباء في ضوء القرآن (بدون معلومات نشر)، ص 69.

(2) روى الشيخان في الصحيحين، حديث الشفاعة وفيه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينظرهم الناظر، ويسمهم داعي وتدوسهم الشمس، فيبلغ الناس من العم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما أنتم عليه، ألا تغفلون من يشفع لكم؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوك آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول آدم (عليه السلام): إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن المتجرعة فعميت، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عبري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً (عليه السلام) فيقولون: يا نوح أنت أول المرسل إلى أهل الأرض وقد سآك الله عبداً شكوراً ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل فيقول: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي... إلى آخر الحديث - متفق عليه.

وبريد محمد رشيد رضا هذه القضية وضوحا حيث يقول: "وأما مسألة الشفاعة، التي كان مشركو العرب يثبتونها لمعبوداتهم في الدنيا، و أهل الكتاب يثبتونها لأنبيائهم وقد يسيهم في الدنيا والآخرة فقد نفاها القرآن الكريم و أبطها و أثبت أن الشفاعة لله جميعا، و أنه لا يشفع عنده أحد إلا بئذ. (1) : "يَعْلَمُ مَا فِي سُلُوبِهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَنْتَعُونَ إِلَّا الْمُنِ ارْتَضَىٰ لَهُمْ مِنْ خَيْرِهِمْ وَيُنْفِقُونَ" (2) وَمَنْ قُلْتُ مَهْرًا بِي الْبُرْسِ دُونَهُ بِذَلِكَ يَخْرُجُ مِنْكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَخْرُجُونَ الْفَالِغِينَ" (3).

وهذه النظرة القرآنية إلى المسيح (عليه السلام) لها ما يؤيدها عند بعض المسيحيين فلقد انكرت بعض العقول المسيحية المتحررة فكرة صليب المسيح، كما قال عوض سمعان (3) : على الرغم من الأدلة الواضحة، التي تثبت أن موت المسيح كان كفارة عتًا إلا أن بعض الفلاسفة انتمى إلى المسيحية أمثال : مرقيون (4) وستروس وريمان (5)، وهولتزمان ينكرون هذه الحقيقة. وقال في موضع آخر : ظهر في القرن الثاني للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم (الغوسيين) (6) فانكروا صليب المسيح وقالوا : "إن شمعان القيرواني رضي أن يصلب عوضا عن المسيح لذلك جعل الله هيبته مثل هيئة المسيح، وترك شمعان ليصلب عوضا عنه، وقال الذوكيون : إن المسيح لم يصلب مطلقا، إنما تراءى للناس أنهم صلبوه وقد أطلقوا على أنفسهم هذا : لأنه مشتق من فعل يوناني معناه (يظهر) أو (يتراءى) للدلالة مع عقيدتهم هذه، وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن فكرة الصليب لم تندثر كما اندثر غيرها من أفكار الفلاسفة التي ظهرت في القرون الأولى للمسيحية، بل كانت تظهر من وقت إلى آخر في بلدان متعددة بواسطة أشخاص كانوا يدعون العلم و المعرفة، ففي سنة 175 م قام فريق من نسل كهنة طيبة الورعين الذين اعتنقوا المسيحية وقالوا : "حاشا للمسيح أن يصلب، بل إنه رفع إلى السماء سالما".

(1) انظر : محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص 202.

(2) الأنبياء : 28 ، 29 .

(3) عوض سمعان، قضية الفجران في المسيحية (مصر: النهضة الجديدة بالجبل، 1951) ص 128

(4) يقول أبو زهرة : محاضرات في التصوفية، ص 225 : "و لعل هذه النحلة من آثار المجوس، لأنهم هم الذين

يقولون بإله الخير وإله الشر، وذلك لقولهم بأن هناك آلهة ثلاثة : طالع، صالح، وعدل بينهم".

(5) ريمان أرنست (1239 - 1310 هـ / 1823 - 1892 م) هو مستشرق فرنسي اهتم بالدراسات الإسلامية و

خاصة ما يتعلق بشقها التاريخي المتمثل في السيرة النبوية المطهرة و التاريخ الإسلامي عموما .

(6) فرقة من الفرق المسيحية لا تقول بعقيدة صليب المسيح كما هو الشأن بالنسبة للفرق المسيحية الأخرى.

قصة موضوع الصلب و النداء في النصرانية :

1- ان هذه العقيدة لا تتفق مع العدالة الإلهية ، و المنطق السليم ، إذ ليس من العدل أن يُطوّق
إنسان بريئ اثم جريمة جناها غيره ، وهو ما قرره القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : "وَأَنْ لِّيْسَ
النَّاسُ إِلاَّ مَسْعَىٰ" (1) وقوله أيضا : "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ" (2).

2- لقد نصّ القرآن الكريم على أن المسيح (عليه السلام) لم يصلب ، ولكن شبه لهم ، لقوله
تعالى : "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ، وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (3) . ومع تأكيد القرآن الكريم استحالة صلب المسيح
فإنه بيّن أن المسيح (عليه السلام) قد رفعه الله إليه ، قال الله تعالى : "بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (4) . ولكن
لقرآن الكريم لم يعط تفصيلات أخرى عن هذا الرفع ، وهل هو بالجسد و الروح ؛ أو بالروح
وون الجسد ، و هذه القضية قد أثارت جدلا كبيرا بين المفسرين ، يقول سيد قطب : " ولا يدلي القرآن
الكريم بتفصيل في هذا الرفع ، أكان بالجسد و الروح في حالة الحياة ؟ أم كان بالروح بعد الوفاة ؟ و
متى كانت هذه الوفاة و أين؟ وهم ما قتلوه و ما صلبوه ، وإنما وقع القتل و الصلب على من شبه له
سواه ، لا يدلي القرآن بتفصيل اخر وراء تلك الحقيقة" (5) .

(1) النجم :39.

(2) المدثر :38.

(3) النساء :157.

(4) النساء :158.

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج2 ، ص 802.

جامعة الأمير
عبد القادر للعالم الإسلامي

الفصل الثاني : الوحي والنبوة وخوارق المسيح في الإنجيل وموقف القرآن منها
المبحث الأول : المفهوم العام للوحي والنبوة في الغنجيل

ويفهم من النص الإنجيلي السابق أن تكون القدس - عند النصاري - مسوقا من الروح القدس لا ، أنه يفقده شيئا من شخصيته ، وإنما يؤثر فيه الروح الإلهي بحيث يستعمل ما عنده من القوى و قّات وفق إرثه شعاني و يهذه ترى في كل مولف من الكتاب الكرام ما امتاز به من المواهب بعية و نمط التأليف و ما شابه ذلك . و يعقب محمد رضا على هذا بقوله : " وقد اختلف العلماء فيما دوه من شرحه ، غير أن جميع المسيحيين يتفقون على أنّ الله قد أوحى لأولئك الكتاب ليدونوا دته و يفيدوا الإنسان ما يجب عليه من الإيمان و العمل لكي ينال الخلاص الأبدي (1) .

يمكن أن نقرر موقف النصاري من الوحي و مفهومهم له ، أن الوحي عندهم لا يخرج عن كونه آية شعبي غير أن هذا لا يتأتى في نظر المسيحيين إلا بوجود و سطاء كهنوتيين ، يحققون هذا تنفيذًا إرادة الله ، لتهيئة عقل الإنسان للإيمان بعقيدة الخلاص الأبدي ، التي هي قطب الرّكي في المسيحية .

وجاء في تفسير " نبي ، أنبياء ، نبوة " من قاموس الكتاب المقدس (2) ما نصه : " النبوة لفظة تفيد معنى الإخبار عن الله و عن الأمور الدينية أو لا سيما عما سيحدث فيما بعد ، و النبوة عند النصاري لا تختلف عنها عند بني إسرائيل ، و هذا راجع إلى تأثير المسيحية باليهودية ، و التي أخذت منها كثيرا من أصول العقائد و التراتج ، فلقد كانت اليهودية مصدرا تاريخيا لكل هذا، وامتدّ هذا إلى الشعائر حيث جاء القانون الكنسي صورة مطابقة لقواعد الشعائر الدينية اليهودية " .

ولقد جاءت النبوة عند النصاري على أنواع مختلفة أهمها على الإطلاق الإخبار عن الأمور المستقبلية ، و التي ترتبط عندهم بعقيدة الخلاص ، و من ذلك اقتران نجاة اليهود من الأشوريين بخلاص العالم بواسطة المسيح ، و كانتصار إسكندر ذي القرنين بإتيان المسيح ، و كاقتران انسكاب الروح القدس يوم الخميس بيوم الحشر (3) ، و من هذا القبيل اقتران خراب أورشليم بحوادث يوم الديتوية ، و قد أرسل الله الأنبياء الملهمين ليعلموا مشيئته ، و ليصلحوا الشؤون الدينية ، و على الأخص ليخبروا بالمسيح الآتي لتخليص العالم ، و كانوا القوة العظيمة الفعالة في تعليم الشعب ، و تنبيههم وإرشادهم إلى سبيل الحق ، و كان لهم دخل عظيم في الأمور السياسية (4) .

(1) - محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 61 .

(2) - قاموس الكتاب المقدس ، مادة النبوة .

(3) - المصدر نفسه .

(4) - المصدر نفسه .

و بناء على ما تقدم من تفسير قاموس الكتاب المقدس للوحي و النبوة ، يمكن أن أقدم خلاصة لهذا الموضوع ، و التي أجعلها الأساس الذي أبنى عليه جميع الأحكام و المواقف المتصلة بقضية النبوة عند النصاري و بيان ذلك:

1- ارتباط النبوة -عند النصاري- بعقيدة الخلاص و الحقيقة أن الخلاص ليس غرضاً خاصاً بالنبوة وحدها ، بل هو غرض عام في جميع العقائد و الشعائر المسيحية.

2- أن النبوة عند النصاري ، كما نصت على ذلك الأناجيل الأربعة ، هي لفظة مرادفة لمعنى الإخبار عن الله و عن الأمور الدينية بإلهام من الروح القدس.

و على العموم فإن معنى الخلاص عند المسيحيين هو اعتقادهم عودة المسيح في آخر الزمان ، لتخليص بني الإنسان من إثم الخطيئة الأولى و تقديم نفسه فداءً لهم.

يقول بولس : "لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، و مولوداً تحت الناموس (1) ليفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبرير" (2).

و قضية الخلاص هي القضية الأساس التي يقوم عليها الدين المسيحي كله ، يقول القس بولس إلياس : "إن موت المسيح و بالتالي - سرّ الفداء- يمثل نقطة الدائرة من الدين المسيحي ، لقد تمّ مفصول الوساطة بموت المسيح و سفكه دمه ، الذي به كفر عن خطايانا و أرضى الله أباه" (3).

(1)- و قد بلغت بولس الجراءة بعدما كثر كلامه عن المسيح المخلص و المضحي بنفسه، بلغت به الجراءة أن وصف المسيح عليه السلام بأنه صار ملمعونا حين علق على خشبة و صلب عليها ، يقول بولس : " يسوع الذي صار لعنة من أجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة" غلاطية الثاني 3 : 13 .

و بولس هو شاوّل اليهودي الفريسي في الحقيقة كما يعترف بذلك . انظر: أعمال الرسل 31 : 39) و قد كان بولس من أشد الناس على النصرانية و اضطهاداً لأبنائها (أعمال الرسل 8 : 3) ثم زعم أنه رأى نورا عظيماً في السماء و سمع صوتاً يناديه: شاوّل لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت ياسيد؟ فقال : أنا يسوع الرب الذي أنت تضطهده (أعمال الرسل 9 : 7/1) فدعنى القوية عن اضطهاد أتباع المسيح.

(2)- بولس ، غلاطية 4 : 4 .

(3)- بولس إلياس ، يسوع المسيح . (بدون معلومات نشر) ، ص 94.

إن ما يجب تأكيده بعد كل هذا أن نبوة المسيح (عليه السلام) لا تؤخذ إلا من تعاليمه و وصاياه و سيرته ، وليس هناك مصدر يُوثق به في بيان ذلك إلا ما حكاه القرآن الكريم ، وفائدة هذا التأكيد من الناحية الموضوعية أن المسيحيين اضطربت فهمهم بشأن نبوة المسيح (عليه السلام) ، فأطنبوا فيها و حملوها ما ليس منها وما لا يمت إليها بصلة . يقول أحمد ديدات : " المتحمسون للإنجيل و الحرفيون لا يملون من اقتباس نصوص يزعمون صدورها عن يسوع مؤداها إلى أورشليم (1) ليموت و أنه سيعود إلى الحياة في اليوم الثالث ، وسوف يؤكد أي دكّاس للمسيحية أن الإنجيل إنما دونت بعد قرون وحقب من وفاة المسيح (عليه السلام) وفي حياته لم يكتب كلمة ولم يأمر أي شخص أن يكتب عنه كلمة ذلك أن كتّاب الإنجيل اخترعوا كلاما و أقوالا و أجروها على لسان يسوع كما لو كان قد تنبأ بوقوع الأحداث " (2) .

ويضيف أحمد ديدات في هذا السياق : " لقد دخل عيسى (عليه السلام) مدينة أورشليم منتصرا انتصار الملوك ، و وراءه حاشية فرجة متحمسة ، تساورها الآمال العريضة في إقامة " مملكة الله " ، و قد جاء راكبا أتانا ليحقق النبوة (3) ، " قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان و الجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق ... و الأغصان فرشوها على الطريق ... و الجموع يصرخون : " أوصنا لا بن داود مبارك الآتي باسم الرب ، (أوصنا) في الأعلى " (4) .

(1) أورشليم هو الاسم العبراني لبيت المقدس (ירושלים) وهو مركب من كلمتين : أور و معناها مدينة و شاليم وهي مأخوذة من اللفظة العبرية : شاليم فيكون معنى أورشليم بذلك : أي مدينة السلام ولم يرد نكرها بهذا الاسم في القرآن الكريم ، وإنما سماها القرآن الكريم الأرض المقدسة كما جاء على لسان موسى (عليه السلام) في سورة المائدة : 21 قوله تعالى لبني إسرائيل على لسان موسى (عليه السلام) : " بئرا ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تقولوا على أيديكم كذبوا " (2) أحمد ديدات ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة و الافتراء (مصر : دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير ، و تعريب علي الجوهرى ، 1989 م) ، ص 134 .

(3) المصدر نفسه ، ص 24 .

(4) متى 21 : 5 .

خوارق المسيح عليه السلام ودلالاتها على النبوة في الإنجيل .

جاء في تعريف العجائب وأنواعها من قاموس الكتاب المقدس (1) ما نصّه : " عجيبة : حادثة تحدث بقوة إلهية خارقة مجرى العادة الطبيعية لإثبات إرسالية من جرت على يده أو فيه (والعجيبة الحقيقية هي فوق الطبيعة لا ضدها تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لا بمعاكستها وهي إظهار نظام أعلى من الطبيعة يخضع له النظام الطبيعي ، ولنا في فعل الإرادة مثال يظهر لنا حقيقة أمر العجائب ، إذ بها ترفع إليه وبذلك ناموس الثقل (2) ، ويتسلط الله على قوى الطبيعة ويرشدها ويمد مدارها ، ويحصره ، لأنها عوامل لمشيئته ، ويناط فعل العجائب بالله وحده أو بمن سمح له بذلك .

ويقدم قاموس الكتاب المقدس أدلة على ضرورة التسليم بالعجائب والخوارق ؛ لأن هذا التسليم هو الذي من شأنه أن يثبت قدرة الله ، وصدق من أرسلهم الله لتعزيز الديانة ، فقد جاء فيه : " وإذا آمننا بالله القادر على كل شيء ، لم يعسر علينا التسليم بإمكان العجائب ، وكانت العجيبة الأولى خليفة الكون من العدم بإرادته تعالى ، أما المسيح فأقنومه عجيبة أدبية عظيمة ، وعجائبه لم تكن إلا لإظهار هذا الأقنوم وأعماله ، وإذا آمننا بالمسيح ابن الله العديم الخطيئة لم يعسر علينا تصديق عجائبه أما الشيطان فعجائبه كذابة (3) .

وقاموس الكتاب المقدس من وضع جماعة من اليسوعيين وهو يحتوي في مجموعه على كثير من عقائد المسيحية ومنها الخوارق التي تعد الركن الأساس فيها ؛ من ثم فإنه - حسب هذا القاموس فإن نفي وإنكار الخوارق هو إنكار بالضرورة لتعاليم المسيح .
والحقيقية أنه يجب الفصل بين تعاليم المسيح (عليه السلام) وبين الخوارق ، التي هي مما زاده الكتابة في نص الإنجيل وليس هو من عقيدة المسيح في شيء .

(1) قاموس الكتاب المقدس ، مادة العجائب والخوارق .

(2) أي سنة جأ نبية الله التي تتلخص سقوط الأجسام إلى مركز الأرض .

(3) قاموس الكتاب المقدس - مرجع سابق .

أما عن ضرورة الخارقة لتعزيز الديانة فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس : "ولابد من العجائب لتعزيز الديانة ، فكثيرا ما يستشهد المسيح بعجائبه لإثبات لا هوته وكونه المسيح ، كان يفعلها لتمجيد الله ولمنفعة نفوس الناس وأبدانهم ، وكان يفعلها ظاهرا أمام جماهير أصحابه وأعدائه ، ولم ينكرها أعداؤه غير أنهم تسيبوا ليعلّز بول (1) ، وسواء امتحناها بالشهادة من الخارج وبمناسبتها إلى إرساليته الإلهية ، ظهرت لكل من كان خاليا من الغرض صحيحة ، فإذا لم نسلم بصحتها ، التزمنا أن نقول بأن مقرريها كذابون ، الأمر الذي لا يسوغ ظنه بالمسيح والرسل : (2) .

" وبقيت قوة العجائب في عصر الرسل ، ولما امتدت الديانة المسيحية زال الاضطراب إليها (3) ، ولا يلزمنا الآن سوى العجائب الأدبية الحاصلة من هذا الديانة مع الشواهد الداخلية على صحتها غير أنه يمكن لله تعالى أن يجددتها في أي وقت شاء " .

وخلاصة ما جاء في قاموس الكتاب المقدس عن الخوارق :

- 1 - أن الخارقة ضرورية لتعزيز الديانة ، بمعنى أنه لا يثبت الدين إلا بها ، ولهذا كان أول أصل قامت عليه المسيحية الإيمان بالخوارق .
- 2 - أن الخارقة - على حدّ زعم كتبة الإنجيل - إثبات للطبيعة اللاهوتية للمسيح (عليه السلام) .
- 3 - أن الذين أنكروا خوارق المسيح رجحوا صدورها عن ليلغربول ، وهو رئيس الشياطين كما جلس في الإنجيل ، ومن ثمّ قالخارقة أجريت للمسيح ولم يجزها هو .

(1) هو رئيس الشياطين كما جاء في الإنجيل ، والأنجيل ثبت العجائب للشيطان كما صرّح به ، بل يبالفون في عجائبه وتصرفه في العالم ، من أسمائه عندهم : إله هذا الدهر . قال في قاموس الكتاب : " قلنا في شخصيته نفس البراهين التي لنا في شخصية الروح القدس والملائكة " راجع : قاموس الكتاب المقدس ، ج 1 ، ص 650 .

(2) قال محمد رشيد رضا في الموجع السابق ص 73 تعليقا على ذلك : " هذا استدلال غير منطقي ، فلا تقوم به العجة على المنكر ، ولا يحتاج إليه المعترف المقلد و حاصله لما أن نسلم بصحة هذه العجائب وإما أن نقول : إن روايتها كاذبون ، لكن كذب روايتها ، لا يسوغ أن يظن بالمسيح والرسل ، فثبت أنها صحيحة والمنكر يسوغ كذب الناقلين لها وله أن يسلم للشرطية المنفصلة ، ويمنع الاستثناء وبعد مصادرة إذ جعل كلام من ثبوت كونه مسيحا من الله وكونهم رسلا متوقفا على صحتها ، وصحتها متوقفا على ثبوت ذلك ، وهذا دور محال " .

(3) هذا مذهب البروتستانت ، ويلزمهم أن عجائب الشيطان باقية بدون معارض ، أما الكاثوليك فيدعون وجودها في كل عصر .

وقد ذكر محمد رشيد رضا⁽¹⁾ أن مؤلف قاموس الكتاب المقدس أحصى فيه عجائب العهد القديم من خراب سدوم وعمورية على قوم لوط إلى " خلاص يونان (يونس) بواسطة حوت " فبلغت 67 عجيبة، وفتى عليه بجدول العجائب المقرونة بحياة المسيح من الحبل به - بفعل الروح القدس - إلى - الصفود إلى السماء - فبلغت 37 وعزز الجدولين بثالث في (العجائب التي جرت في عصر الرسل) أي: الذين بثوا دعوة المسيح من تلاميذه وغيرهم من (انسكاب الروح القدس يوم الخمسين) إلى (ثناء أبي بوليبوس)⁽²⁾، فكانت عشرين، وقد صرح بأن يوحنا المعمدان⁽³⁾ لم يرد في الكتاب أنه صنع عجائب.

وقد كثرت عجائب المسيح كما تذكر الأناجيل، وهي عند المسيحيين دليل قوي على صدق نبوة المسيح (عليه السلام).

وابتني الخضر رواية الأناجيل بشأن ذلك بذكر أمها وهو إحياء الموتى، وما يقوله فيها منكرو العجائب. جاء في إنجيل لوقا: " شاب من مدينة نايين كان محمولا في جنازة وأمه تبكي، فاستوقف الثعش، وقال: أيها الشاب لك أقول. قم، فجلس وأبتدا يتكلم فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وافقد الله شعبه"⁽⁴⁾.

وفي إنجيل متى (صبيئة ماتت، فقال له أبوها وكان رئيسا: ابنتي الآن ماتت ولكن تعال، فضع يدك عليها فتحيا، فجاء بيت الرئيس ووجد المزمريين والجميع يضجرون، فقال لهم: " تتحوا فإن الصبيبة لم تم، لكنها نائمة، فضحكوا عليه، فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبيبة"⁽⁵⁾.

(1) محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ص 74.

(2) رئيس جزيرة كان مريضا فراه بولس وصلى له فشفي (أعمال الرسل : 27).

(3) وهو عندنا في القرآن الكريم يحيى بن زكريا (عليهما السلام) وسمي المعمدان لأن المسيح هتده، والتعميد شعيرة مسيحية تقتضي أن يغمس من يراد تعميده في الماء المقدس، ويمسح بالزيت، ولذلك سمي يوحنا المعمدان John The Baptist مأخوذاً من الفعل الإغريقي Baptizieu بمعنى يغمس.

(4) لوقا 7: 11 / 16.

(5) متى 9: 18 / 24.

وفي إنجيل يوحنا قصة مثيرة وطريفة مؤداها أن كيعازر حبيب المسيح (عليه السلام) وأخواه مرثا ومريم حبيبتيه ، مرض في قريتهم (بيت عنيا) فأرسلتا إلى المسيح قائلتين : هو ذا الذي تحببه مريض ، فمكث يومين وحضر ، فوجد أنه مات منذ أربعة أيام ، فلاقتهم مرثا وقالت : يا سيدي لو كنت هنا لم يمك أخي ، ثم دعت أختها مريم ، فلما رأته خررت عند رجله قائلة كما قالت مرثا ، وكانوا قد ذهبوا إلى عند القبر للبيكاة فلما رآها تبكي واليهود الذين جاؤوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال : أين وضعتموه ؟ فدلوة عليه ، فبكى فانزعج في نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر ، فأمر برفع الحجر فرفعوه ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك قمي كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتني ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : " ليعازر هلم خارجا ، فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطتان بأقطة ، ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : خلوه ، ودعوه يذهب (1) .

وقد بالغ المسيحيون في الربط بين النبوة والمعجزة ، فعدوا النبوة شيئا فوق المعجزة أو بعبارة أدق هي عندهم . أي النبوة - معجزة من طراز فريد ، ولقد أطلعنا القرآن الكريم بصدق هذه الحقيقة ، حيث جاء فيه أن اليهود قد أرفقوا موسى (عليه السلام) بجدلهم وكانوا قد سبوا له كثيرا من المتاعب وماهم أولاء لا يقلون شغبا في ذلك مع المسيح (عليه السلام) .

ومعروف عن بني إسرائيل أنهم أكثر الأمم جدلا وأعظمها مراء ، فقد جادلوا موسى (عليه السلام) فأكثروا جداله ، إذ سأله عن شؤون الحياة والموت وحتى عن الذات الإلهية ، وكثرة الجدل والمراء ، من استقراء النص القرآني هي أمانة من أمارات التكذيب ، لأن الإيمان من حيث هو تصديق لا يتطلب كل هذا الزخم من الجدل .

ولقد تكررت كثيرا - في القرآن الكريم أساليب الرد على هذا الاعتقاد الفاسد الذي صبغ العقلية اليهودية ، فكان هذا هو المعيار والأساس الذي احتكم إليه القرآن الكريم في نقض عقائد اليهود سواء المتصلة منها بعقيدة النبوة أم غيرها .

(1) ملخص من الفصل 11 من إنجيل يوحنا

ويعتقد المسيحيون أن " الآية " هو اللفظ الذي تكرر كثيرا في الإنجيل ، وهو وحده الذي يعبر عن النبوة ، لأن الآية عندهم أبلغ من المعجزة ، ولذلك نقرأ في إنجيل متى أن اليهود - في خضم هوسهم - بالأسئلة الحرجة يأتون إلى المسيح (عليه السلام) مظهرين كل أدب واحترام ليقولوا له : " يا معلّم نريد أن نرى منك آية " (1) ، ويفهم من هذا الإلحاح في طلب الآيات أن كل ما بشر به المسيح (عليه السلام) وكل تعاليمه ومعجزاته لم تكن كافية في نظرهم ، لتقنعهم أن المسيح (عليه السلام) كان رجلا مرسلا من الله عز وجل ، وأنه كان المسيح المرسل إليهم ، إنهم يطلبون معجزة - كالطيران في السماء أو المشي فوق الماء و باختصار يريدون منه أي شيء يبدو مستحيلا (2) ، ويؤكد أحمد ديدات (3) أن كلمة " آية " في النص الإنجيلي آسالف يفهم منها أنها معجزة ولكن آية معجزة ! فهذه الكلمة وردت في إنجيل جيمس (4) الذي ينقل عنه معظم مترجمي الإنجيل عن الإنجليزية ، تولد صعوبة في حصر وفهم معناها .

ومن الضروري في هذا المقام أن نحدّد المقصود من كلمة " آية " وأصدق تعريف لها هو ذلك الذي قدمه ليتلتون (5) بأنها : " عمل فيما وراء ، أو شيء يفوق قدرة الإنسان " .

إن تحديد مفهوم الآية في النص الإنجيلي أمر تتطلبه مناقشة أي مسيحي ، وذلك لأن الآية عند المسيحيين معناها المعجزة ، يقول أحمد ديدات : " هذه الكلمة [البسيطة] الموجودة بالفعل في إنجيل الملك جيمس James الذي ينقل عنه معظم مترجمي الإنجيل (عن الإنجليزية) تخلق صعوبة في حصر وفهم معناها ، وفي الطبعة العالمية الجديدة من الإنجيل التي توافقت عليها جميع الطوائف المسيحية كاثوليك وبروتستانت و إصلاحيين وغيرهم يتحدّد معنى كلمة " آية ليصبح " آية إعجازية " وليس أي آية "

(1) متى 12 : 38

(2) أحمد ديدات ، المرجع السابق ، ص 65

(3) المصدر نفسه ، ص 65 .

(4) وفي الطبعة العالمية الجديدة من الإنجيل التي توافقت عليها الطوائف المسيحية كاثوليك وبروتستانت وإصلاحيين وغيرهم يتحدّد معنى كلمة " آية " ليصبح " آية إعجازية " وليس آية أو علامة فارقة الدلالة أو عديمة المعنى انظر : أحمد ديدات ، المرجع السابق ص 65 .

(5) انظر هذا في كتابه مكان المعجزات من الدين THE PLACE OF MIRACLES IN RELIGION .

واعتقد أن هذا بالضبط هو ما كان يريد اليهود من عيسى (عليه السلام) ، عمل لا يستطيعون بكل طوائفهم أن يأتوا به ، وهو طلب يبدو في ظاهره سويًا للغاية ، ولكن في حقيقة الأمر يدل على عقلية مريضة تفتح الباب على مصراعيه لكل مادّي لا يؤمن بدين إلى الطعن في نبوة المسيح (عليه السلام) و التشكيك فيها ، على أنها مجرد خدعة أو رؤية خالية لا يمكن تحققها ولا تصديقها بأية حال من الأحوال (1) .

وقد ورد في إنجيل متى أن عيسى (عليه السلام) يردّ على سائليه الذين قالوا له : " يا معلّم نريد أن نرى منك آية " (2) بقوله : " ...جبل شريبر وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية (3) يونان النبي (4) ، فما هي الآية التي أتيت ليونان ويريد اليهود شبيها لها ؟ ولنتعرف على هذه الآية ، لا أجد مندوحة من الرجوع إلى سفر يونس (عليه السلام) بالكتاب المقدس (5) .

إن التشابه القائم بين يونس وعيسى (عليهما السلام) ، في بعض جوانب الدعوة ، كمسألة الاستعصاء والعصيان ، التي واجهها النبيان ، تبرّر هذا التلازم بين ما طلبه اليهود من المسيح من الآيات ، وبين ما حصل من مثيلاتها لقوم يونس (عليه السلام) ، و إن معرفة تفاصيل هذه المسألة يكون بالرجوع إلى سفر يونس .

(1) هذا التصور الخيالي للمعجزات يجعل المعجزة كما أرادها أمرا غارقا للناموس الكولي ، لا أمرا غارقا للعامة ، وهو المخلول الصحيح للمعجزات وقد أورد القرآن الكريم شيئا من هذا القبيل حكاية عن المشركين : " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدًا مِّنَ السَّمَاءِ مِثْلَ الْوَيْسِقِ فَجَعَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّسَكًا فَذَلَّلْنَا بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ نَزْلًا مَّاءً عَذْبًا فَرَسًا وَقَدَّرْنَا لَهُم مِّنَ الْجِبَالِ أَنْزَالَ مَاءً غَدَقًا فَجَعَلْنَا لِيُونَانٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُفِّطُوا فِيهِ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنَ الْغَمِّ وَرَدَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ لَعِينِينَ وَجَعَلْنَا لِيُونَانٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُفِّطُوا فِيهِ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنَ الْغَمِّ وَرَدَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ لَعِينِينَ " (سورة هود : 93) .

(2) متى 12 : 38

(3) هو في العهد القديم (9 و 7 و 7) ويقابله اسم يونس (عليه السلام) في القرآن الكريم ويطلق عليه اسم صاحب الحوت .

(4) متى 12 : 39 .

(5) هذا السفر من أسفار الأنبياء الآخرين أو صفار الأنبياء كما يسمون في العهد القديم ، وهو يتكوّن من أربعة فصاحات قصيرة .

فقد جاء فيه أن الله جلّت قدرته يأمر يونان (عليه السلام) بالذهاب إلى مدينة نينوى (1) و يحذرهم
منايا إليهم أن يتوبوا إلى الله ، وأن يرتدوا المسوح الخشنة ويجلسوا على الرماد ، وذلك تحقيرا
لأنفسهم أمام بارئهم ، ليتوب عليهم ولا يحق بهم العذاب (2)

ويستعمل السفر (3) أن يونان يشعر باليأس والقنوط خشية ألا يطيعه أهل نينوى الماديون الغلاظ
القلوب ، فيسجروا منه ، ولذلك بدلا من أن يذهب إلى نينوى ، ذهب إلى جوبا ليجر منها إلى بلدة
نرشيث (ليركب البحر ضاربا الصفاح عن الذهاب إلى نينوى مخالفا أمر ربه إليه) وتهب عاصفة
هوجاء ، و وفقا لخرافات البحارة ، فإن من يعصي الله أمرا يكون هو السبب في هذه العاصفة و
يبدوون البحث فيعرف يونان أنه المذنب ، لأنه كنى الله فهو من جنود الله ، وكونه جنديا لله كان يلزمه
أن يطيع أمر الله إليه ، وليس له الحق في أن يتصرف حسب هواه ، ولذلك يتطوع بالرجوع عن
غلطته إذ كان يخشى أن يكون الله يريد دمه ولكي يقضي الله عليه ، فإنه سبحانه يغرق القارب و يميت
أناسا أبرياء ويقترح يونان أنه من الأفضل أن يقذف به في البحر وبذلك تتجلى هذه الكارثة التي حلت
بهم وبسفينتهم (4)

إن الذين ركبوا البحر مع يونس (عليه السلام) ، وهم كثرة كاثرة كما تؤكد المصادر التاريخية ، لم
يخطر ببالهم أو يتع بحسبهم أنهم مناط الاختبار و الانتقام بسبب عصيانهم ليونس (عليه السلام) فقلبوا
الأمور ، ورحوا يتصرفون تصرف الحكماء لدفع عذاب محيق وشر مستطير ، وهذا هو منطق
الخارجين عن الجادة .

(1) - (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) أو نينوى حسب تعريب الكلمة ، هي مدينة عظيمة كان تعداد سكانها يبلغ مائة ألف نسمة. أحمد

ديبات ، المراجع السابق ، ص 65 وما بعدها .

(2) سفر يونان الإصحاحات 1 ، 2 ، 3 ، 4 . بتصرف .

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

يقول أحمد ديدات تعليقا على ماجاء في سفر يونان : " هؤلاء الناس الذين عاشوا ثمانية قرون قبل المسيح (عليه السلام) كان لديهم إحساس بالعدالة و التحقق بها أكثر ممّا لدى إنسان العصر الحديث؛ ذلك أنهم شعروا أن يونان كان يريد أن ينتحر، و ربما كان بحاجة إلى عونهم و مساعدتهم و لم يكونوا ليساعدوه في حماقته التي أبدت لهم ، و لذلك فإنهم يقولون له : " إن لديهم نظاما يعرفون به الصّواب من الخطأ ، بعمل قرعة على نحو ما (مثل إلقاء عجلة معدنية) و وفقا لنظامهم البدائي ذاك كانت القرعة تستقر على يونان و لذلك أخذوه و ألغوه في البحر" (1).

و يمكن القول خلاصة لما ذكرته أن النبوة في الإنجيل قامت على الخوارق ، و هي أول أصل قامت عليه المسيحية يقول محمد عبده: "أول أصل قام عليه الدين المسيحي ، و أقوى عماد له هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح (عليه السلام) دليلا على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق و عددها في الأناجيل يطول شرحه ، ثم إنه جعل ذلك دليلا على صحّة الدين لمن يأتي بعده ، فجعل لأصحابه ذلك كما نراه في الإصحاح العاشر من إنجيل متى و غيره، فإن المتنبّع لجميع ما أثار عن المسيحية يجد خوارق العادات من أظهر الآيات ، على صحّة الاعتقادات" (2).

(1) أحمد ديدات، المرجع السابق ، ص 66.

(2) محمد عبده ، الإسلام و النصرانية بين العلم و المدنية (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988م) ، ص 20.

المبحث الثالث :

نقد النبوة القائمة على الخوارق.

يجمع الباحثون - بناء على ما تقدم - أن الإنجيل لا يحمل بين دفتيه دليلا واضحا يمكن أن يعتمد عليه في إثبات نبوة المسيح (عليه السلام) ، و هو ما يسوغ لنا القول بأن الإنجيل لم يشتمل على ذكر صريح لهذه النبوة ؛ لأنه حتى هذه المعجزات و الآيات التي يستدل بها بعض المسيحيين على نبوة المسيح نقلت رواية و لم تحدث كفاحا ، حتى يطمئن إلى صحة الاستدلال بها.

و يمكن نقد هذا النوع من النبوة القائمة على الخوارق من الإنجيل و أقوال الباحثين :

المطلب الأول :

بيان المصدر الإلهي للخوارق من نصوص الإنجيل

يقول محمد مجدي مرجان: "تروي السير المسيحية أن عيسى (عليه السلام) قد صنع كثيرا من المعجزات ، و هذه المعجزات كانت دليل عيسى الأول ، و برهانه على صدق نبوته و صدق رسالته... غير أن هذه المعجزات التي لجأ إليها عيسى لتأييد دعواه ، و لحمل الناس على تصديقه كانت بابا نفذت منه دعوى القول بتأليهه"⁽¹⁾.

و يهمني في هذا المقام أن أتساءل : هل كان عيسى (عليه السلام) يعزو هذه المعجزات إلى نفسه و هو الدليل القوي على صحة دعوى القول بتأليهه كما ذهب إلى ذلك محمد مجدي مرجان ، أم كان عيسى (عليه السلام) مجرد منفذ لها ؛ لأنها ليست إلا مظهرا من مظاهر تأييد الله له، و من ثم فلا أرى مندوحة من تتبع معجزات عيسى (عليه السلام) كما روتها الأناجيل ، و كذا الملابس التي أحيطت بها حتى يمكنني - بناء على ذلك - ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر ، لقوة أدلته و وضوح طريقه.

(1) محمد مجدي مرجان، مرجع سبق ذكره ، ص 71، 72.

تحدثنا الأناجيل المسيحية عن معجزة إشباع الآلاف من الجياح بخمسة أرغفة و سمكتين فتقول :
فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة و السمكتين و رفع نظره نحو السماء ،
و بارك و كسر ، و أعطى الأرغفة للتلاميذ ، و التلاميذ للجموع ، فأكل الجميع و شبعوا، ثم رَفَعُوا مَا
فَضَلَ مِنَ الْكُسْرِ اثْنَيْ عَشَرَ قَفَّةً مَمْلُوءَةً و الأكلون نحو خمسة آلاف رجل ماعدا النساء و الأولاد⁽¹⁾.

يقول محمد مجدي مرجان: " هنا نرى عيسى قبل أن يقوم بالمعجزة و قيل أن ييسارك الخبز و
يقطعه آلاف القطع لإشباع الناس ، يرفع نظره نحو السماء فلماذا يرفع عيسى نظره إلى السماء ؟ و لمن
يتجّه؟ و من الذي يطلب منه عيسى العون على إثبات المعجزة؟ هل كان يتطلع إلى أحد النجوم أو
الكواكب؟ أو إلى الشمس أو القمر؟ أو أحد المخلوقات في السماء يلتمس منها التأييد لإتمام المعجزة؟ أم
كان يدعو خالق الأرض و السماء ليمنحه القوة على تحقيق المعجزة⁽²⁾.

و لنن كان محمد مجدي مرجان في أول الأمر لم يقطع في طبيعة الجهة التي أجرت هذه المعجزة
على يدي عيسى (عليه السلام) ؛ إلا أنه عاد و ذكر النصوص الإنجيلية الأخرى التي تؤكد في صريح
العبارة أن عيسى (عليه السلام) كان يأتيه ذلك بإلهام من الله الخالق.

يقول محمد مجدي مرجان معقبا على ذلك: " و مع استطرادنا في ذكر المعجزات التي قام بها
عيسى (عليه السلام) يتضح لنا صاحب هذه المعجزات، و المصدر الذي استمد منه عيسى القدرة على
إثباتها ؛ يتضح لنا ذلك كما اتضح للجموع الذين شاهدوا هذه المعجزات ، بل و المرضى الذين
كانوا محللا لهذه المعجزات⁽³⁾.

و لنن كان قول محمد مجدي مرجان قد اشتمل على التلميح إلى المصدر الحقيقي لهذه المعجزات و
هو الله فإن هذا التلميح يعضده و يقويه ما ورد في إنجيل لوقا⁽⁴⁾ و يوحنا ، و ما ورد في أعمال الرسل
، و مواضع أخرى من الإنجيل.

(1)- متى 14 : 15 ، 21 . مرقس 6 : 34 ، 44 . لوقا 9 : 7 ، 11 . يوحنا 6 : 5 .

(2) محمد مجدي مرجان ، المرجع السابق ، ص 74 ، 75 .

(3) المصدر نفسه .

(4)- لوقا 9

يروى لوقا قصة شفاء عيسى لصبي كان به روح نجس ، كان يتقمصه شيطان فيصرخ الصَّبِّي فرعاً ، و ينتابه الصرّاح و الهوس ، و لا يتركه الشيطان إلا و قد أنهك قواه ، يقول لوقا: "فانتهر يسوع الروح النجس و شفى الصَّبِّي و سلمه إلى أبيه ، فبهت الجميع من عظمة الله"⁽¹⁾.

و مرة أخرى ، يروي لوقا أن عيسى (عليه السلام) رأى امرأة مقوسة الظهر ، ظلت منحنية طوال ثماني عشرة سنة ، تسير و قد أنهكها الضعف و أجهدتها الخور و الهزال ، فيرق لها قلب عيسى فيقوم بشفائها ، يقول لوقا: "فلما رآها يسوع دعاها و قال لها : يا امرأة إنك محلولة من ضعفك ، و وضع عليها يديه ففي الحال استقامت و مجدّت الله"⁽²⁾.

و يحدثنا إنجيل متى عن مفلوج أتوا به إلى عيسى مشلولاً على فراشه لا يستطيع السير و الحركة: وحينئذ قال للمفلوج: قم حمل فراشك و اذهب إلى بيتك ، فقام و مضى إلى بيته ، فلما رأى الجموع تعجبوا و مجدّوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا"⁽³⁾.

و في إنجيل لوقا قصة شحاذا أعمى يعيد إليه عيسى (عليه السلام) قوة الإبصار ، و حين تتفتح عينا الأعمى يمجّد الله و جميع الشعب إذ رأوه سيحوا الله"⁽⁴⁾.

إن هذه الخوارق التي ذكرت في الإنجيل ليس هناك من دليل تاريخي يقويها ويعضدها ، و من ثم تبقى مجرد روايات ، و لا يؤخذ بها - أصلاً - ولكن قياساً على الأصل ، و أقصد بذلك أن نقيسها على ما ذكره القرآن الكريم من معجزات عيسى (عليه السلام) ، بأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ، فما وافق من الخوارق التي ذكرها الإنجيل هذه أخذنا به و ما لم يوافق ، و ظهرت عليه أمارات التلقين و رددناه و أعرضنا عنه .

(1) - لوقا 9 : 37 ، 43 .

(2) - لوقا 13 : 11 .

(3) - لوقا 13 : 10 ، 13 .

(4) - لوقا 18 : 35 ، 43 .

و نبيّن لي من النصوص الإنجيلية التي ذكرتها أن "عجرات المسيح (عليه السلام) لم تكن إلاّ من عند الله ، لتعزيز نبوّته ، فهذا نيقوديموس أحد اس... يهود ، و صديق عيسى (عليه السلام) الحميم يشهد لعيسى بأنه مرسل من قبل الله و بأنه لو لا تأييد الله له لما استطاع أن يقوم بشيء من المعجزات، و رواية يوحنا في ذلك : " كان إنسان من الفريسيين (1) اسمه نيقوديموس رئيسا لليهود ، جاء إلى يسوع ليلا و قال له: يا معلّم نعلم أنك قد أتيت من الله معلّم لأن ليس أحدٌ يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه" (2).

و الحقيقة نفسها التي أثبتتها يوحنا في روايته ، يصدع بها بطرس (3) ، خليفة عيسى (عليه السلام) و صديقه الصدوق كما يقول الإنجيل ، يقول بطرس : " أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال ، يسوع الناصريّ رجل قد برهن من قبل الله ، بقوات و عجائب صنعها بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون" (4).

و في إنجيل يوحنا أن عيسى (عليه السلام) نفسه النبيّ الصادق الأمين ، لم يخدع الناس و لم يوهمهم أنه صاحب المعجزات أو مصدر الآية ، بل كاشف الجموع من تلاميذه و مريديه بالحقيقة كاملة، و هي كونه رسولا أرسله الله لخدمة الحقّ و منحه المعجزات لتأييد رسالته.

وهذه هي الحقيقة التي تكررّت في ثنايا الإنجيل ، وهي توافق ما ورد في القرآن الكريم ، بأن المسيح بحكم بشريته و عبوديته لله ، لا يمكن أن يأتي بشيء خارق للعادة ، و لا أن يصنع ما صنع من معجزات و خوارق إلا بإذن الله .

(1)- إرقة من الفرق اليهودية ، و الفريسي معناه : مستقيم الرأي ، و حقيقة هذا الاسم أنهم قوم تجرّدوا لطاعة الله تعالى و ملك عليهم حبّ مشاعرهم ، فانقطعوا للعبادة و انقطعوا عن العباد .

انظر : عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، ص 394 .

(2)- يوحنا 3 : 1- ، 2 .

(3)- هو أحد تلامذة المسيح (عليه السلام) كما ينكر الإنجيل .

(4)- أعمال الرسل 2 : 22 .

في يوم ما أنه بينما عيسى (عليه السلام) يسير في الطريق مع حواربيه إذ رأى إنسانا أعمى منذ ولادته : وسأله الحواريون معلمهم ، لماذا ولد هذا أعمى؟ هل لخطأ ارتكبه هو أم لذنوب جناه أبوه؟ اجاب يسوع : لا هذا خطأ ولا أبوه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه... ينبغي أن أعمل أعمال الذي أعمى (1)

ان ما ورد في إنجيل يوحنا يؤكد ما ورد في الأناجيل الأخرى أن الأعمال أعمال الله ، و المعجزات من عند الله و ليس أمام عيسى (عليه السلام) إلا أن ينفذ ما أوحاه الله إليه، و أن ينجز العمل الذي كتبه سبحانه به.

و في لوقا رواية أخرى تؤكد هذا و فيها يقول لوقا عن المسيح (عليه السلام) : " و فيما هو داخل إلى قرية استقباه عشرة رجال يرمون فوقوا من بعيد و رفعوا صوتا قائلين : يا يسوع يا معلم ارحمنا ، نتلمذ و قال لهم : اذهبوا و أرووا أنفسكم للكهنة ، و فيما هم منطلقون طهروا فواحد منهم لما رأى أنه لم يرجع يمجّد الله بصوت عظيم ، وخرّ على وجهه عند رجله شاكرًا له و كان سامرًا فاجاب يسوع و قال : اليس العشرة قد طهروا ، فأين التسعة؟ ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنسي ثم قال له: قم و استمسك و إيمانك قد خلصك" (2).

و يتبين من هذا كله أن عيسى (عليه السلام) لم ينسب الخوارق و الآيات التي أتاها إلى نفسه ، و لأنه ردها إلى صاحبها ، إلى الله مرسله و خالقه ، فليس لعيسى (عليه السلام) فيها من الأمر شيء، و في إنجيل يوحنا يعلن عيسى (عليه السلام) في صدق : "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً" (3).

(1) يوحنا 9 : 1 ، 5 .

(2) لوقا 17 : 11 ، 19 .

(3) يوحنا 5 : 30 .

خطأ التعويل على الخوارق لتحقيق غرض النبوة .

إن النصوص الإنجيلية السابقة تبين بما لا يدع مجالا للشك أن عيسى (عليه السلام) يعترف بأن هذه المعجزات التي أيده الله بها ، لم تكن مقصودة لذاتها ، بل لدفع الناس إلى الإيمان بالرسالة ، و من ثم فهي ليست غاية في ذاتها ، و لكن مع هذا أقول ، إنه رغم ضرورة المعجزة في بعض الظروف و الأوقات ، فإنها ليست الوسيلة المثلى و لا الوحيدة ، لإقناع الناس بصحة الرسالة و صدق النبوة .

و الذين اكتفوا بمعجزات عيسى (عليه السلام) دليلا وحيدا على نبوته ، اخفوا بموقفهم هذا حقيقة نبوة المسيح (عليه السلام) ، التي قامت على الموعظة التي كان يعظها أتباعه مبينا لهم جمال الطاعة و منية المعصية ، فلم يكن اللجوء إلى المعجزة إلا إذا عمي هذا على القلوب. يحدث يوحنا أن خادما للملك كان ابنه مريضا فاتى إلى عيسى (عليه السلام) و طلب منه أن يذهب إلى بيته و يشفي ابنه ، و تبرم عيسى (عليه السلام) من طلب الرجل و ضاق بأن تكون مهمته في الحياة تطيبب الناس و شفاء المرضى فقال له يسوع: " لا تؤمنون إن لم تروا آيات و عجائب؟" (1) ، و لكن الرجل ازداد إلحاحا و رجاء مما اضطر عيسى (عليه السلام) إلى الذهاب معه و شفاء ابنه ، و هنا فقط آمن الرجل و أهل بيته برسالة عيسى (عليه السلام) .

و حسب ماورد في الإنجيل دائما ، فإن عيسى (عليه السلام) كثيرا ما يزداد به الضيق و التبرم من هذا الأسلوب لحمل الناس على الإيمان فيرفض تماما القيام بأية معجزة مهما طلب القوم و ألحوا في الرجاء .

يقول مرقس: " فخرج الفريسيون و ابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه فتهده بروحه و قال: لماذا يطلب هذا الجيل آية ، الحق أقول لكم إن يعطى هذا الجيل آية ثم تركهم و دخل السفينة و مضى إلى العبر" (2) .

(1) - يوحنا 4 : 36 ، 53 .

(2) مرقس 8 : 11 ، 13 .

بل كثيرا ما يصل الضيق و التبرم بعيسى (عليه السلام) إلى مدهاء ، فلا يكتفى فقط بعدم القيام بالمعجزة بل ينهر طالبها و يعنفهم يقول إنجيل متى: " حينئذ أجاب قوم من الكتبة و الفريسيين قائلين: يا معلم نريد أن نرى منك آية ، فأجاب و قال لهم : جيل شرير و فاسد يطلب آية و لا تعطى له آية (1) .

و هذا النص الإنجيلي يؤكد على لسان المسيح (عليه السلام) أن المعجزة لا تفعل شيئا في النفس التي آتورها الفسق و الفجور ، فلو تطهر الناس من شرهم و فسوقهم لما احتاجوا إلى الخوارق و المعجزات لمعرفة طريق الإيمان ، و لاهتدوا إلى الحق بعقولهم و فطرتهم السليمة ، و هذه هي الحقيقة التي يؤكدها القرآن الكريم: " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ إِهْتَدَى فَإِنَّمَا يَنْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِشَهِيدٍ (2) "

إن المعجزة لا تنفع مع صلاب الرقاب ، و غلاظ القلوب ، لأنهم ليس لهم بصيرة ، تنفذ إليها الكلمات ، و تصل إليها الدعوات .

إن الحق لا يهتدى إليه بكثرة ما يحشد له من الخوارق المخالفة للطباع ، و المناقضة للناسوس ، وإنما يهتدى إليه باستعداد نفسي و فطرة سليمة ، و هي الحقيقة التي ألفت القرآن الكريم النظر إليها فهي أكثر من موضع ، و لعل هذا هو الذي جعل النبوة الخاتمة لا تركز كثيرا على المعجزات الحسية ، بقدر ما تعمل على إصلاح النفوس و إعدادها لتقبل الإيمان ، و إفراغها من الشرك و الجاهلية ، و هو الأسلوب الذي أتبعه النبي الخاتم (صلى الله عليه و سلم) ، فحقق الانتصار و لدينه الانتشار الذي لم يسبقه أحد إليه .

(1) - متى 12 : 38-39 . لوقا 11 : 29 .

(2) - يونس : 108 .

و يرجع الباحثون الذين يميلون إلى عدم التعويل على الخوارق وحدها لتحقيق غرض النبوة إلى قصة يونان كما وردت في الإنجيل فيقولون كما نقل ذلك أحمد ديدات (1) : " و الآن لنطرح السؤال : هل كان يونان ميتاً أم حياً عندما ألقى به في البحر- و هو مليم- و الإجابة التي تجمع عليها المصادر الإسلامية و المسيحية و اليهودية على حد سواء أنه كان حياً ، فلقد جاء في إنجيل يونان أن يونان عندما ابتلعه الحوت كان يسبح و يصلي لله طلباً للنجدة و لتفريج الكربة ، و هو ما ذكره القرآن الكريم : " فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلبِئْسَ لِلَّيْلِ بَطِينٌ إِلَىٰ بَوْمِ رَبِّعُنَا " (2) ، فالنسيح و الصلاة لا تكون إلا من إنسان حي ، و في اليوم الثالث ينفذه الحوت بالمراء حياً و في القرآن الكريم : " فَبَدَّلْنَا بِالْعُصَاةِ سُوءَهُمْ " (3) ، إن هذا الذي حدث ليونان كما يقول المسيحيون و يجاريهم في ذلك اليهود هي معجزة المعجزات ، و يحاول المسيحيون بذلك أن يثبتوا أن القدر قد ساق لعيسى (عليه السلام) مثلها ، وهو ما أولوا به ما ورد في إنجيل متى بشأن هذه المسألة : "... جيل شرير و فاسق يطلب آية و لا تعطى له آية إلا آية يونان النبي " (4) . فمحاولة المسيحيين الربط بين معجزة يونان و معجزة عيسى ظهرت لهم من المقابلات الواقعية بين ما كان من أمر يونان وما كان مثله من أمر عيسى (عليه السلام) ، فيونان يلقي به في البحر و هو مزبد و مربد و لايفارق الحياة ، و البديهة لعتية أنه عندما يلقي إنسان أو أي كائن آخر في بحر هائج فإنه يموت حتماً ، و لأن يونان لم يموت فإنها معجزة و كذلك كان الحال بالنسبة لعيسى (عليه السلام) ، فیسوع كما يذكر الإنجيل كان ينترض أنه بعد صلبه أن يكون قد مات ، أو كان يجب بداهة أن يموت لتوافر أسباب الموت و لو كان قد مات لما كانت ثمرة معجزة ، و ها هي ذي كلمات المسيح تقول : "... لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام و ثلاث ليال كذلك سيكون ابن الإنسان " (5) .

(1) أحمد ديدات ، المرجع السابق ، ص 69 و مابعدھا .

(2) المسافات : 143 .

(3) المسافات : 145 .

(4) متى 12 : 39 .

(5) متى 12 : 40 .

يقول المسيحيون (1) إن يسوع الناصري أقام في قبره مدة تماثل المدة التي لبثها يونان في بطن الحوت و هي ثلاثة أيام و ثلاث ليال و كان يفترض أن يبقى يسوع مع كل ذلك حيًا ، لكن القول بموته يوقع المسيحيين في تناقض صريح ؛ لأن الموت ينافي الخلاص ، الذي هو لبّ العقيدة المسيحية ، و من تهافت المسيحيين أنهم أولوا ما كان يؤكد يسوع فيما تتبأ به بخصوص شبهه بيونان تأويلاً خاطئاً و غريباً ، حينما ذكروا أن النبوة الواردة في إنجيل متى لا تتعلق بكون يسوع حيًا أو ميتًا بعد الصلب مجازاة ليونان ، و إنما تتعلق فقط بشأبه عنصر الوقت.

يقول أحمد ديدات : " يقول الصليبيون [تنا قد اخطانا تناول المسألة ، إنهم يقولون: إنه عنصر الوقت و حسب، هو ذلك الذي كان يؤكد يسوع فيما تتبأ به بخصوص شبهه بيونان ، ولا تتعلق النبوة بكونه حيًا أو ميتًا و يقولون : ألا تستطيعون أن تدركوا أنه كان يؤكد على عامل الوقت إنه يكرّر كلمة ثلاث* أربع مرات | إنهم رجال غرقوا و يحاولون التعلق بأذيال الحياة ولو بقشور غشاء] . (2)

و لعل النص من إنجيل متى الذي يقصده المسيحيون هو قول المسيح: " لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاث أيام و ثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام و ثلاث ليال " (3).

ويقول أحمد ديدات تعليقاً على ذلك : " إنه لا إعجاز هنالك فيما يتعلق بعامل الوقت ، فلقد كان اليهود يطلبون من يسوع معجزة ، وليس ثمّة شيء يجعل من ثلاثة أيام أو ثلاث ليال أو ثلاثة أسابيع أو ثلاثة شهور معجزة ، بأي حال ، ومن ثمّة ، فإن معجزة المعجزات أو الآية التي يتبجح بها المسيحيون لإثبات نبوة عيسى (عليه السلام) لم تكن في واقع الأمر إلا موجة ركبوها لتضليل الراي العام المسيحي والتسرية عنهم (4) .

(1) نقل ذلك أحمد ديدات في المرجع السابق ، ص 69.

(2) المصدر نفسه ، ص 69 وما بعدها.

(3) متى 12 : 40.

(4) أحمد ديدات ، المرجع السابق ، ص 69 وما بعدها.

و السؤال الذي أطرحه بعد هذا العرض هو : هل نجحت معجزات عيسى في دعوة الناس إلى الإيمان؟ و هل أثلحت في إرشاد الناس إلى الطريق القويم؟ من المؤسف - كما يؤكد المحققون - أن الوقائع قد أثبتت عكس ذلك ، فلم تفلح المعجزة في إقناع المكابر ، و لم تصلح الآية لتوجيه الغافل ، و لم تجد التوارع في إرشاد من عميت أبصارهم و قلوبهم فعاشوا كالتوائم عن الحق غافلين، و تعترف الأناجيل بهذه الحقيقة ، و تفرّز في صراحة أنه لم يؤمن برسالة عيسى سوى نفر قليل، أما الكثرة الغالبة فقد أنكروا نبوته و حاربوه (1).

و ليت الأمر اقتصر على الجحود و النكران ، إذ لم يكتف اليهود بتكذيب عيسى (عليه السلام) و إنكار معجزاته بل عدوا عيسى من الأنبياء الكاذبين و الدعاة المخالفين ، الذين يلجؤون إلى الحيل و الالاعيب لتأييد دعواهم، و الذين يتحالفون مع المردة و الشياطين لتدعيم شأنهم فكذبوا عيسى و نسبوا معجزاته إلى الجن و الشيطان ، بل جعلوه حليف "يعلزبول" رئيس الشياطين ، انضوى عيسى تحت لوانه ليسخر له قوى مملكة الشيطان ، و يخدع بالاعيبه بني الإنسان.

و تحدثنا الأناجيل أنه احضر إلى عيسى (عليه السلام) مجنون أعمى و اخرس فشفاه عيسى فأبصر و تكلم و لما سمع اليهود بهذا الخبر قالوا: "هذا لا يخرج الشياطين إلا يعلزبول رئيس الشياطين" (2) ، و كان هذا رأي من أوعزوا معجزات عيسى (عليه السلام) إلى الشيطان ، و كان دون هذا الرأي رأي من أرجع معجزات عيسى (عليه السلام) إلى درايته بالطبّ و تمرسه بشفاء الأمراض و الأوجاع يقول جبران خليل جبران (3): "عاش الناصري بين قومه شيخا للنطاسيين ، و لم يكن غيره يعرف الكثير الذي وعاه هو عن الأجساد و عناصرها و خواصها ، و كم من مرضى برنوا (4) على يديه من أمراض استعصت على الإغريق و المصريين و يقال : إن عيسى زار الهند و بلاد ما بين النهرين ، و إن الكهنة في تلك البلاد قد أطلعوه على ما يعلمون من أسرار تتصل بالأجساد... و بذلك يمسح (أبولو) (5) على القلب الفارغ (يقصد قلب عيسى (عليه السلام) فينطقه بالحكمة".

(1) يوحنا 12: 37.

(2) متى 12: 23-24.

(3) انظر : جبران خليل جبران ، عيسى عليه السلام ، ترجمه ثروة عكاشة (بدون تاريخ) ، ص 20.

(4) يقصد تماثلوا.

(5) أحد الالهة اليونان في العهد الوثني.

و هناك رأي ثالث ينكر معجزات عيسى (عليه السلام) أكثر ممّا يؤيدّها ، وعزوها إلى الإيحاء والتوهم ، يقول ول ديورانت : " أكبر الظن أن هذه المعجزات كانت تحدث في أكثر الأحوال بقوة الإيحاء أي بتأثير روح قوية واثقة من نفسها ، في روح قابلة للتأثير ، و هناك عاملان يدلّان على أنّ هذه المعجزات ظاهرة نفسانية ، أولهما أن المسيح نفسه كان يعزو شفاء المرضى على يديه إلى إيمان من يتّبعهم وثانيهما عزوه عن القيام بمعجزات في الناصرة ؛ لأنّ أهلها فيما يظهر كانوا ينظرون إليه على أنه ابن النجار (1) و لا يؤمنون بقواه غير العادية" (2).

و يضيف ول ديورانت : " و يقال لنا عن مريم المجدلية إن سبعة شياطين قد أخرجت منها ، أي أنها كانت تشكو الأما و نوبات عصبية ، و يذكرنا هذا باعتقاد البعض أن الشياطين تتقمص أجسام الناس و الظاهر أن هذه الآلام كانت تخف في حضرة عيسى ، و من أجل هذا كانت أمرا لا غنى عنه لسلامة عقلها لاعتمادها أنه أعاد إليها الحياة" (3).

و الذي يمعن النظر و يعمل الفكر في هذه الآراء ، يصل إلى قناعة وهي أن من يصغي إلى قلبها يرى أن المعجزة انقلبت على عيسى (عليه السلام) ، و تحسب عليه وليس له ، و بدل أن تكون دليلا على نبوته ، أصبحت عنوانا للخرافة و الكهانة ، و لذلك فإن أحسن ردّ على هذه الآراء المتهافنة هو أن التعويل على الخارقة وحدها لا يكفي لإثبات النبوة بأي وجه من الوجوه .

(1) إن القرآن الكريم نسب عيسى (عليه السلام) لأمه ، فقد تكررت عبارة (عيسى ابن مريم) في أكثر من موضع ؛ لأنه ولد من غير أب ، أما القول بأنه ابن النجار إشارة إلى يوسف النجار كما ورد ذلك في الإنجيل ، فزعم زعمه أهل الكتاب و هو مردود عليهم

(2) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ج3 ، ص 221-222 .

(3) المسرر نفسه ، ص 222 .

موقف القرآن الكريم من معجزات المسيح (عليه السلام)

إن موقف القرآن الكريم من معجزات المسيح (عليه السلام) يتحدد من قوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام) لقومه بني إسرائيل: "وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أُعَلِّمُ الْكُتُبَ وَالطِّينَ كَهَيِّئِ الطَّيْرِ فَاتَّبِعُوا فَمَا تُفَكِّرُونَ طَرَفًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِأَنَّكُمْ تَكْفُرُونَ" (1).

يذكر محمد مجدي مرجان أن القرآن الكريم قد كتم أفواه المكذبين وقطع دابر المشككين والمشككين ورفع عن عيسى (عليه السلام) شبهات المضللين، و تأويلات الجاهلين الذين لمزوه بالسحر والشعوذة وزعموه بالإفك والعرافة، و اتهموه بمعاودة الشيطان، يأتي القرآن الكريم فيمحو عن عيسى هذه التهم والأباطيل ويشيد بمعجزاته التي أيده الله بها، كخلق الطير من الطين والإنباء بالغيب، كل ذلك ذكره القرآن الكريم لعيسى بوحى من الله عز وجل، ولا شئء غير هذا الوحي الإلهي، فأعز به قدره، ورفع شأنه، فجعل المعجزة آية من آيات الله، و مدعاة إلى الإيمان، لا مجرد خارفة من الخوارق خالية من كل معنى من معاني الإيمان (2).

وللمفسرين آراء متباينة بشأن معجزات المسيح (عليه السلام) و مدى دلالتها على نبوته، و لكن الراي الجامع عندهم أن هذه المعجزات ليس دليلا على الوهيته، و لا حجة على تميزه و تفردّه كما يدعى المسيحيون، بل هي بأصدق تعبير دليل على صدق نبوته، لإزالة الغبش و الدخن الذي اعتورها بسبب التأويلات و التفسيرات غير اللائقة التي اعتمدها أكثر الطوائف المسيحية.

(1) آل عمران : 49.

(2) محمد مجدي مرجان، المرجع السابق، ص 86.

و لقد كان مدار حديث المفسرين عن نبوة المسيح (عليه السلام) من خلال معجزاته التي أيدها الله سبحانه وتعالى بها ، لمواجهة من أجمعوا أمرهم على مناواته و تكذيبه بمطالبته بما يؤيد رسالته ، و يصدق نبوته ، و الآية الجامعة لكل هذا هي قوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام) : " أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ قَائِلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَبرأُ الْأَكْمَثُ وَ الْأَرْحَمُ وَ أَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم مِّنْ كَثِيرٍ مَّرِيبٌ (1)

جاء في تفسير الخازن : " إن عيسى بن مريم (عليه السلام) كان آخر أنبياء بني إسرائيل فلما بعث إليهم قال (أني قد جئتكم بأية من ربكم)، يعني : بعلامة من ربكم على صدق قولي و إنما قال : بأية و قد جاء بآيات كثيرة ، لأن الكل دل على شئ واحد و هو صدقه في الرسالة " (2).

و بعد أن ساق الخازن صنوف المعجزة التي أظهرها الله سبحانه وتعالى على يد عيسى (عليه السلام) طلق يؤكد أن المعجزة إنما هي من الله سبحانه وتعالى في الأصل ، فأجراها الله سبحانه وتعالى على يده مجرى القول الفصل الذي يدفع شبهة كل متوهم و ذريعة كل مدعي بتأليه المسيح عليه السلام ؛ و هذا الرأي للخازن هو ما يوافق النصّوص الصريحة في الإنجيل التي تحدّثت عن رسالة المسيح و نبوته ، و قد أورد الخازن (3) منها رواية لابن عباس (رضي الله عنهما) تفسيراً لقول المسيح (عليه السلام) : " و أحیی الموتی بإذن الله " قال : قد أحيا أربعة أنفس عازر و ابن العجوز و ابنة العاشر و سام بن نوح ...

(1) ال عمران : 49.

(2) انظر : الخازن ، التفسير ، ص 294.

(3) المصدر نفسه ، ص 294.

فلم يحرر فكان ، خيق عيسى (عليه السلام) فأرسلت إليه أخت عازر: إن أخاك عازر يموت
 رثن بينهما مسيرة ثلاثة أيام فاتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته:
 انطقتي بنا إلى قبره فطلقت بهم إلى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا بإذن الله فخرج من قبره
 وعاش وولد له وأما ابن العجوز فإنه مرّ به وهو ميت على عيسى (عليه السلام) يحمل على السرير
 فدعا الله عيسى فجلس على سريريه ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وعاش وولد له . وأما ابنة
 العنبر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالأمس فدعا الله عيسى فأحيها بدعوته فعاشت
 وولد لها، وأما سام ابن نوح فإن عيسى جاء إلى قبره ودعا الله باسمه الأعظم فخرج من قبره وقد
 شاب (1) نصف رأسه خوفا من قيام الساعة . ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان ، فقال : قد قامت
 الساعة فقال عيسى (عليه السلام) : لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم ثم قال له: مت فقال: بشرط أن
 يعيدني من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل " (2).

و يؤيد البيضاوي (3) رحمه الله ، ما ذهب إليه الخازن في تفسيره من أن المعجزة لا تخرج عن
 التصديق بعيدا عن دعوى الألوهية إذ يقول في ذلك : [قول عيسى (عليه السلام) : " وأحيي الموتى
 بإذن الله] (4) فقد كرر بإذن الله دفعا لتوهم الألوهية؛ لأن الإحياء ليس من جنس أفعال البشرية ،
 وقد فسّر البيضاوي كلمة الآية التي وردت في سياق قوله تعالى : " اني قد جنتكم بأية من ربكم "
 بالعلامة الفارقة التي تفرق بين النبوة والسحر (5).

(1) أمّ يسا من جنس ما أخبر به الله سبحانه و تعالى من أحوال البشر يوم القيامة لقوله : " فَكَيْفَ تَقُولُونَ إِن كُنتُمْ رَوَيْتُمَا بِعَمَلِ
 كُفْرًا تَقُولُونَ لَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَوْتَ مِن سَمَاءٍ لَّأَنزَلْنَاهُ عَلَيْكُمْ وَكُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ " .

(2) تفسير الخازن ، ص 294.

(3) انظر : تفسير البيضاوي ص 74.

(4) كلام حسنة زائد على متن القول ، و قد جنت به للحفاظ على الوحدة الموضوعية.

(5) البيضاوي ، التفسير ، ص 95.

وذكر القرطبي في الجامع (1) الرواية التي ساقها ابن عباس والتي أوردتها الخازن في تفسيره مثل الثلاثة الذين أحياءهم عيسى (عليه السلام) بمشيئة الله وعظيم قدرته ، وهي في نظر القرطبي مثل من أصل النبوة وأماراة من أماراته ، وقد فصل القرطبي وأضاف إلى رواية ابن عباس ما يمكن أن يعتمد عليه في تأكيد هذه الحقيقة إذ يقول القرطبي من رواية عن السيد المسيح لسام بن نوح قال: " فسأله عن النزاع - أي عيسى (عليه السلام) - فقال : يا روح الله إنّ مرارة النزاع لم تذهب عن حجرتي وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة ، فقال للقوم : صدقوه فإنه نبي ، فامن به بعضهم وكذب بعضهم وقالوا : هذا سحر " (2) .

وحاء في حاشية الصاوي (3) على تفسير الجلالين في قوله تعالى عن عيسى (عليه السلام) : " أني قد جئتكم بآية من ربكم " ما يؤكد اقتران المعجزة بالنبوة وانتفاء وصف الوهية المسيح (عليه السلام) بها، إذ يقول الصاوي شارحاً قول الناظم (4) : " قوله : لنفي توهم الألوهية فيه - أي في عيسى - بهذا الوصف الذي لم يشارك الله فيه أحد صورة فقوله: بإذن الله: ردّ عليهم فالمعنى : لو كان دليلاً على ألوهيته لكان بإذنه " (5) .

وقد أورد ابن كثير - رحمة الله - في تفسيره (6) . المعنى الصحيح ، الذي لا تؤخذ نبوة المسيح (عليه السلام) إلا منه ، وهو المعنى الذي يساوق المعنى الذي استنبطه من سبقه من المفسرين من ارتباط المعجزة بدعوى النبوة ، والتي لا تفهم إلا في ضوء هذا ، ولا تفسر إلا بناءً عليه .

(1) إدار الترمذي ، الجامع لأحكام القرآن ، (مجلد ٤ ، مصر : دار الكتب المصرية ، 1967م) المجلد 4 ، ص 94 .

(2) المصدر نفسه ، ص 95 .

(3) الملر : حاشية العلامة أحمد الصاوي المالكي على تفسير الجلالين (بيروت لبنان : دار إحياء التراث العربي) ج 1 ، ص 155 .

(4) أفصح بالتألم هنا صاحب تفسير الجلالين ، إذ الحاشية هي الشروح التي شرح بها الصاوي متن تفسير الجلالين ولذلك سبقت حاشية الصاوي على تفسير الجلالين .

(5) الحاشية ، ص 155 .

(6) الملر تفسير ابن كثير (أبو الغدلا إسماعيل العريضي الدمشقي) (دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البياضي الحلبي وشركاه) ج 1 ، ص 364 ، 365 .

وعليه فإنه يمكن القول خلاصة لما ذكرته أن الحديث عن المعجزات النبيّ جاء به السيّد المسيح ، لا يجب أن تنقسم عن نبوته وذلك :

1- لأنّ القرآن الكريم ربط بين معجزاته (عليه السّلام) ونبوّته لقوله تعالى " دَرَسُوا إِلَىٰ نَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي عَزَمْنَا الْمَوْعِدَ لَهُمْ لَقَدْ أَخْرَجْنَاهُم بَابِلَ مِنْ رَبِّكَ هُودًا (1) .

2- لأنّ الاستنباط الصحيح من الإنجيل يؤكد هذا الرّبط الذي ذهب إليه أكثر العلماء و المفسرين .

3- يجب النّصل بين المعجزات من حيث هي مثبتة للنبوة عن دعوى الألوهية ، فإنّ المسيحيين يروا قوّة المعجزة من حيث قوّة حجتها أنّها لا يمكن أن تكون عملاً بشرياً ؛ لأنّ العمل البشري في نظرهم لا يمكن أن يرقى إلى هذه المرتبة ، فكانت هذه مطيّة ركبوها لتبرير القول بالوهية المسيح (عليه السّلام) ، وحشد الأدلّة حولها.

(1) آل عمران : 49 .

جامعة الأمير
عبد القادر للعالم الإسلامي

الفصل الثالث : الإخبار عن المغيبات ونبوة محمد واتباع
عقيدة النبوة في الإنجيل
المبحث الأول : نبوة الإخبار عن المغيبات في الإنجيل

وجاء في الإنجيل متى : تقدمت إليه أي: المسيح (عليه السلام) ابن زبدي مع ابنيها وسجدت
وظلّت منه تويهاً فقال لها ماذا تريدين : قالت له: قل ان يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر
عن يسارك في سكونك فأجاب يسوع : الجلوس عن يميني وعن يساري ليس لي أن أعطيه إلا للذين
اعدلهم من ابني (1)

يقول رحمة الله الهندي : فنفي عيسى عليه السلام ههنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله كما نفى
عن نفسه علم الساعة وخصصه بالله ولو كان لها لما صح هذا (2) .

وفي إنجيل مرقس قول المسيح (عليه السلام) : " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد
ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن أو الاب (3) .

يقول رحمة الله الهندي : وهذا القول يناهض على بطلان التثليث لأن المسيح (عليه السلام)
خصص علم القيمة بالله، ونفاه عن نفسه كما نفاه عن عباد الله الآخرين وسوى بينه وبينهم في هذا،
ولا يمكن هذا في صورة كونه لها (4) .

و هذه الأقوال تفنضي الفصل بين نبوة المسيح (عليه السلام) وبين الألوهية التي هي مرتبة لا
يتركها البشر ولا ينبغي لهم ولا يستطيعون تحصيلها.

التناقض الصريح في الإنجيل في الخلط بين دعوى النبوة أي نبوة المسيح (عليه السلام) لله ، و
بين دعوى الألوهية ، أمر لا يقبله عقل ولا يستسيغه منطق ، ويتأكد هذا الأمر أكثر من النصوص التي
يرد فيها المسيح (عليه السلام) شبهة تاليهه ، ويؤكد أنه ليس إلا عبداً من عبيد الله .

(1) متى : الباب 20، 21، 22 .

(2) رحمة الله الهندي ، المرجع السابق ، ص 28 .

(3) مرقس 13 : 32 .

(4) المصدر نفسه . ص 29 .

وفي إنجيل يوحنا وردت هذه العبارة على لسان المسيح (عليه السلام) : " الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني " (1) ، ففي هذه العبارة تصريح برسالة المسيح (عليه السلام) ، وبيان الكلام الذي يسمعونه ليس من وحيه بل من وحي الله عز وجل .

وقد ورد وصف المسيح (عليه السلام) بالمعلم في الإنجيل ، ويفهم من سياق القول أنها مرادفة للنبوة ، فقد جاء في إنجيل متى قول المسيح (عليه السلام) في خطاب تلاميذه : ولا تدعوا لكم أبا على الأرض ؛ لأن آباكم واحد الذي في السموات (2) " ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد هو المسيح " (3) فههنا أيضا صرح | بأن الله واحد واني معلم لكم | (4).

في هذه النصوص الإنجيلية التي سنفتها تؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - بأن التفسير الصحيح لأقوال المسيح (عليه السلام) كما جاءت في الإنجيل تجعل النبوة مختصة بالمغيبات ، لا بالغيب وهو رد على الذين توهموا أن النبوة ضرب من علم الغيب، وهذا بسبب التأويلات والقراءات الخاطئة لنصوص الإنجيل.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن علم الغيب مرتبة لا يمكن أن يدركها البشر ، وما زعمه بعض الباحثين من أن ما تنبأ به المسيح (عليه السلام) أو أخبر عنه غيب ساقه إليه قوة بصيرته ، وسمو نفسه ، يبقى زعماً باطلاً ، لا يسنده دليل ، وقد نطقت كثير من نصوص الإنجيل ببطلانه وزيفه .

(1) -- يوحنا 14 : 24 .

(2) -- متى 23 : 9 .

(3) -- متى 23 : 10 .

(4) -- لعنه من كلام رحمة الله الهندي . ولهذا نصصت عليه تنبيها إلى ذلك ؛ لأنه زائد عن المتن .

ويحدثنا الكاتب إميل لودفيج عن تصور عيسى لنفسه فيقول : " لم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي
 و ليس بتليل اي يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي و لم يحدث أبدا من يسوع ما يُخيل به إلى
 السامع أن له خواطر و امالا فوق خواطر البشر و آمالهم ، و ما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك
 فيدعي انه السنّة المنتظر. فإذا ما قال الناس إنه أحد قدماء الأنبياء رافقه ذلك موجها أفكارهم إلى ملكوت
 السموات ، و الآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه إنّه " ابن
 الإنسان " و قدما أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى النهوة الواسعة التي تفصلهم عن الله ، فكانوا يسمون
 أنفسهم بأبناء الإنسان و من هؤلاء دانيال و حزقيال اللذان ظهر لهما الرب مخاطبا كلّ واحد منهما " بابن
 الإنسان اي بادمي ضعيف هالك ولد ليفنى ، و لكن مع استعداد نيل عفو الرب " (1) ، و إذا ناداه
 التلاميذ باللقب الذي كان يحلو لهم إطلاقه عليه أي : (المعلم) مرّ به و دعا أتباعه أن يعتبروا الله أباهم
 و ان يعتبرود معلمهم ، يقول عيسى : " لا تدعو لكم أبا على الأرض لأنّ أباكم واحد الذي في السموات
 و لا تدعوا لكم معلمين لأنّ معلمكم واحد المسيح " (2) .

و هذا المعلم ابن الإنسان - كما يظهر في النص - لا يعلم من عنده ، و لا يتكلم من ذاته ، و لا
 يعلمي من نفسه ، فليس التعليم تعليمه و ليست الرّسالة رسالته ، و ليست الشريعة شريعته ، و إنّما هو
 تعليم الله ، و رسالة الله و شريعة الله ، و ليس عيسى إلاّ مبلغا و مذكّرا و رسولا ، فمن قبل تعاليمه
 فإنما قبل تعاليم الله ، و من يؤمن به فقد امن بالله ، و من قبله قبل الله ، و هذه الحقيقة - على لسان
 عيسى (عليه السلام) - تردت كثيرا في الإنجيل فقد جاء في إنجيل يوحنا : " ما أتيت لأضع مشيئتي ،
 بل مشيئة من أرسلني " (3) ، و في موضع آخر من إنجيل يوحنا وردت هذه العبارة : " و كما أنّ تعليمي
 ليس لي بل للذي أرسلني " (4) لذلك فإنّ " من قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني " (5)

(1) اسطر : اسيل لودفيج ، ابن الإنسان ، ترجمة عادل زعيتر (بدون معلومات نشر) ، ص 95.

(2) متى 26 : 18 .

(3) يوحنا 6 : 38 .

(4) يوحنا 7 : 16 .

(5) مرقس 9 : 37 .

وفي إنجيل يوحنا في موضع آخر ، والذي يؤمن بي لا يؤمن بي بل بالذي أرسلني . (1)

وبعد استعراض كل هذه النصوص الإنجيلية ، يجدر بي أن أطرح هذا السؤال ، هل في الإنجيل إشارة صريحة إلى مصدر نبوة المسيح (عليه السلام) ؟ ، ففي محاوراة بين عيسى (عليه السلام) وبعض اليهود يعنى عيسى (عليه السلام) ان مرسله هو الله ربه و رب العالمين ، و أنه لا ينطق إلا بما أمره الحق تبارك و تعالى ، يقول يوحنا : فقال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم و لكنكم الآن تطالبون أن تقتلوني ، و أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله ، هذا لم يعمل إبراهيم انتم لا تعملون أعمال ابيكم ، فقالوا له : إننا لم نوك من زنا ، لنا أب واحد و هو الله ، فقال لهم يسوع : لو كان الله اباكم لكنتم تحبونني ؛ لاني خرجت من قبل الله و أتيت لاني لم آت من نفسي بل ذلك الذي أرسلني . (2)

وفي يوحنا يطلب عيسى (عليه السلام) من تلاميذه أن يؤمنوا به رسولا و نبيا من عند الله ، يقول يوحنا : " ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ، اجاب يسوع و قال لهم : هذا هو عمل الله: ان تؤمنوا بالذي هو أرسله " . (3)

و يؤكد عيسى في الإنجيل انه جاء ينفذ مشيئة الله و يبلغ شريعة الله و يدعو و دائما لله و لا يفعل من نفسه شيئا و لا يدعو لنفسه أبدا ، و إلا كان كاذبا دعيا، يقول عيسى: " إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أنكلم أنا من نفسي ، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه و أمّا من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق (4) و ليس فيه ظلم " (5).

(1) يوحنا 12 : 44 .

(2) يوحنا 8 : 39 ، 42 .

(3) يوحنا 6 : 38 ، 39 .

(4) و المسيح عليه السلام هنا لا يريد تعبد نفسه أثبتة ، و إنما تعبد الرسالة الإلهية التي أرسل بها ، لكن النصارى لم يجدوا الرسالة و لا صاحبها ، حتى أن الرسالة حُرقت و مجد المسيح من دون الله ، فخالفوا بذلك مراد المسيح الذي عبر عنه في هذه العبارة .

(5) يوحنا 7 ، 17 ، 18 .

ويشبهه عيسى (عليه السلام) نفسه بالأنبياء قبله ، بيوتان و يوحنا و غيرهم من الأنبياء ، فهو نبي من أنبياء الله ، و رسول من رسله الصالحين ، يقول عيسى كما جاء في الإنجيل : " كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضا لهذا الجيل " (1) .

و يقول عيسى (عليه السلام) تيبو : " سمعوه يوحنا من أين كانت ؟ من السماء أم من الناس ... ولا أنا أقول لكم باني سلطان أفعل هذا " (2) . أتى عيسى (عليه السلام) مرة لزيارة أورشليم فطلبوا منه أن يغادروها ، لأن الحاكم هيرودوس يريد قتلته " في ذلك الوقت تقدم بعض الفريسيين قائلين له : اخرج و اذهب من هنا لأن هيرودوس يريد أن يقتلك ، و يتضايق عيسى من هذه المعاملة السيئة ، و يتبرم بهؤلاء القوم الذين طالما أساءوا معاملة إخوته الأنبياء السابقين ، فحاربوا من شأواوا بلا ذنب و لا جزيرة ، يردّ عيسى على أهالي أورشليم موضّحا لهم صفته كنبي من الله ، معاتباً المدينة التي طالما قتل فيها الأنبياء قبله فيقول " ينبغي أن أسير اليوم و غدا و ما يليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن أورشليم ، يا أورشليم : ياقاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين إليها " (3) .

ولقد أورد القرآن الكريم هذه الحقيقة ، إذ خاطب مكذبي الرسل وقاتلي الأنبياء فيقول لهم متوعداً :
أَنكُمَا جَاكُم رَسُولٌ مِّمَّا لَا تَهْوَىٰ أُنفُسُكُمَا اسْكُرْتُمَا فَفَرِقْتُمَا كَذِبْتُمَا وَفَرِقْتُمَا تَقْتُلُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَتَلِيَ مَا يَكْفُرُونَ (4) .

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : " ... وَفَرِقْتُمَا تَقْتُلُونَ " قال : " يعني جل ثناؤه بقول : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أي اليهود من بني إسرائيل إذ يقول : يامعشر يهود بني إسرائيل : لقد أتينا موسى الثوراة و تابعنا من بعده بالرسل إليكم و أتينا عيسى بن مريم البيّنات و الحجج إذ بعثناه إليكم و قويناه بروح القدس ... فكذبتم بعضا منهم و قتلتم بعضا فهذا فعلكم أبدأ يرسلني " (5)

1 لوقا : 11 : 30

2 متى : 21 : 23

3 لوقا : 13 : 31

4 البقرة : 87 : 88

5 الطبري ، ج 1 ، ص 321

وذكر الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) تنزه حتى من بعض الأوصاف التي لا غبار عليها ولا تتعارض مع دعوى النبوة، مما التريفة ترفعه عن مرتبة النبوة يقول محمد مجدي مرجان: " وابن الإنسان عيسى كان مثال التواضع ، ورفض أن يرفعه الناس فوق مرتبته ، أو يمنحوه سلطة ليست له أو يدعو به بوصف ليس فيه (1) .

أتى رجل إلى عيسى ووصفه بالصلاح ، و في ذلك يقول متى : " وإذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح: أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ، فقال له : لماذا تدعوني صالح ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله (2) .

وما ألاحظه من هذا النص الإنجيلي أنه حتى صفة الصلاح رفض عيسى (عليه السلام) أن يتصف بها ، فإن الإنسان شأنه كسائر إخوته البشر ، قد يصيب وقد يخطئ ، قد يحسن وقد يسيئ ، وقد يسلح (3) وقد يفسد ، وليس صالح إلا الله ، رب عيسى ورب الناس أجمعين (4) .

ولقد أكد القرآن الكريم نبوة عيسى (عليه السلام) وعبوديته لله ، وأنه يتلقى دعوته من الله عز وجل عن طريق الوحي ، الذي هو الناموس الذي أنزل على كل الأنبياء والمرسلين منذ بدء النبوات والرسالات .

يقول الله سبحانه وتعالى عن عيسى (عليه السلام) : " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مَرْسُومًا إِنْ كُنْتُ مِنْكُمْ مَا كُنْتُ وَأَوْسِي بِالْعَسَاكِرِ وَالرَّكُوزِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَإِنِّي نَبِيٌّ مِثْلَ نَبِيِّكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخَذَ مِنْكَ مِثْلَ سِجَانِهِ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا بِقَوْلِهِ لَكُنْ فَيَكُونُ ، وَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ حَسْبُكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (5) .

(1) انظر : محمد مجدي مرجان ، المرجع السابق ، ص 208 .

(2) متى اص من 21 إلى 27 ،

(3) إن فالصلاح صفة يمكن أن تتحقق في البشر ، ولاشك أن عيسى (عليه السلام) في الذروة منه ، كيف لا وهو واحد من أولي

العزم من الرسل ، ثم إن صفات الله وليس فيها صفة الصلاح

(4) محمد مجدي مرجان ، المرجع السابق ، ص 208

مريم : 30 ، 36

المطلب الثاني : النبوة و الملكوت في الإنجيل.

إن المراد بملكوت الله كما ينهم من نصوص الإنجيل ، هو المجيئ الثاني للسيد المسيح للدينونة فقد جاء في الإنجيل : "وقال لتلميذه : سنأتي أيام تستهون فيها أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان فلا ترون" (1) . "وسيتولون لكم إنه هنا وهناك ، فلا تذهبوا ولا تتبعوهم" (2) ؛ لأنه كما أن البرق الذي يبرق في ناحية من السماء يضيئ في الناحية الأخرى منها ، هكذا سيكون مجيئ ابن الإنسان في يومه (3) .

وفي إنجيل مرقس ولوقا حديث عن أمارات هذا الملكوت إذ جاء فيهما : "ولكنه ينبغي أولاً أن يعاني الأما كثيرة وأن يرفضه هذا الجيل" (4) وفي التكوين ومتى : "وكما كان في أيام نوح هكذا سيكون أيضاً في أيام ابن الإنسان" (5) . فقد كانوا يأكلون ويشربون ويتخذ الرجال زوجات وتتخذ النساء أزواجاً ، إلى يوم أن دخل نوح الفلك ، فجاء الطوفان وأهلك الجميع . وكما كان في أيام لوط ، إذ كانوا يأكلون ويشربون ويشتررون ويبيعون ويغرسون ويبنون" (6) ، ثم يوم أن خرج لوط من سدوم أمطرت السماء ناراً وكبريتاً فأهلكت الجميع" (7) هكذا يكون في اليوم الذي فيه سيظهر ابن الإنسان" (8) .

(1) متى 9 : 15 ، يوحنا 17 : 12 .

(2) متى 24 : 23 ، مرقس 13 : 21 ، لوقا 21 : 8 .

(3) متى 24 : 27 .

(4) مرقس 8 : 31 ، 9 : 31 ، 10 : 33 ، لوقا 9 : 22 .

(5) التكوين 1 : 7 ، متى 24 : 37 .

(6) التكوين 19 .

(7) التكوين 19 : 16 ، 25 .

(8) نساويكي 1 : 7 .

ويواصل الإنجيل الحديث عن يوم الدينونة الذي أخبر عنه السيد المسيح (عليه السلام) فقد جاء في الإنجيل: أقول لكم أنه في تلك الليلة سيكون اثنان في فراش واحد، فيؤخذ أحدهما ويترك الآخر (1). وستكون اثنان تطحنان معا، فتؤخذ أحدهما وتترك الأخرى فأجابوا وقالوا له: أين يارب؟ فقال لهم: حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النور (2).

ولست هنا لإثبات عقيدة مجيء المسيح فإن هناك آراء مضطربة بشأنها، ولم يتفق أولها مع آخرها، حتى بين المفكرين المسلمين أنفسهم، وذلك راجع إلى سكوت القرآن الكريم عن هذه المسألة، وما سكوت عنه القرآن فهو داخل كما يتولى العلماء في حكم ما لا يسأل عنه لقوله تعالى: "بِأَيِّ آيَاتِنَا لَا تُحَدِّثُوا أَنَّ آلَ اللَّهِ كَمَا تُحَدِّثُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا" (3).

لهذه الأسباب التي ذكرها العلماء المحققون: فإنه من دواعي الموضوعية العلمية الإعراض عن مسألة تفتقد إلى أدلتها، و تنتقصها الحجة.

وإذا كان لا ينبغي الخوض في مسألة مجيء المسيح للدينونة فإن الأخرى عدم السؤال عن ميقاته، فقد جاء في الإنجيل أن الفريسيين (4) سألوا المسيح (عليه السلام): "متى يأتي ملكوت الله؟"، فأجابهم وقال: "إن ملكوت الله لا يأتي لترقب (5) فلا يقال: هو ذا هنا أو هو ذا هناك؛ لأن ملكوت الله إنما يترقى داخلكم" (6).

(1) متى 24: 40، 41، تسالونيكي 4: 17.

(2) أيرت 29: 30، متى 24: 28.

(3) المائة: 101.

(4) فرقة من فرق أهل الكتاب.

(5) لوقا 14: 1.

(6) يوحنا 1: 36، روما (رومية) 14: 17.

غير أن الإنجيل يذكر أن المسيح (تلميذه السلام) أوصى تلاميذه وأولياؤه بالاستعداد لمجيئه الثاني إذ جاء فيه: لا تخف أيها القطيع الصغير، فإنه قد حسن لدى أبيكم أن يعطيكم الملكوت (1)، بيعوا ما تملكون وتصدقوا (2)، واعدوا لأنفسكم أكياسا لا تبلى وكنزا في السماء لا ينفد، حيث لا يقربه سارق ولا يفسده سوس (3)؛ لأنه حيث يكون كنزكم، هناك يكون قلبكم أيضا. لكن أخفاؤكم مشدودة ومصاييحكم موقدة وكونوا كأناس يترقبون عودة سيدهم من العرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له على الفور سعداء أولئك الخدام الذين متى جاء سيدهم يجدهم يقظين (4). الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويجلسهم إلى المائدة ثم يقف ويخذهم.

ريزاسل الإنجيل الحديث عن وصية المسيح لاتباعه بالاستعداد لمجيئه الثاني إذ جاء فيه: "وإذ جاء في الهزيع الثاني أو جاء في الهزيع الثالث (5) ووجدهم يفعلون هكذا، فطوبى لأولئك الخدام ولكن اعملوا أنه لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي اللص لظل ساهرا، فلم يسمح لأحد بأن يقتحم بيته فكونوا أنتم أيضا مستعدين، لأنه في ساعة لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان، فقال له بطرس: يارب: اتقول لنا نحن هذا المتل أم للجميع فقال الرب: بل للجميع (6).

وهذه النصوص الإنجيلية التي سقتها في هذا المقام تؤكد أن عقيدة الدينونة التي يؤمن بها المسيحيون هي - كما بينت - عقيدة مضطربة وغير واضحة المعالم حتى في الإنجيل نفسه، وهذا الاضطراب والغموض الذي يكتنفها هو الذي لا يجعل أحداً من الباحثين يطمئن إلى صحتها، فضلا عن أن يسارع إلى حشد الأدلة لتقريرها وتثبيتها.

(1) متى 11 : 25 ، 26 .

(2) متى 19 : 21 الأعمال 2 : 45 ، 4 : 34 .

(3) متى 6 : 20 . لوقا 16 : 9 . تيموثاوس 6 : 19 .

(4) متى 2 : 46 .

(5) الهزيع فترة من الليل قدرها ثلاث ساعات، فالهزيع الثاني هو الفترة ما بين الساعة التاسعة مساءً ومنتصف الليل والهزيع الثالث هو فترة الساعات الثلاث التالية لمنتصف الليل .

'نظر: الإنجيل للتقديس لوقا (القاهرة : دار المعارف، 1978 م) ، ص 88 .

(6) متى 13 : 24 .

المصطب الثالث :

النشوة في الإنجيل و عقيدة الإخبار عن موت المسيح و قيامته .

إن موت المسيح لا يعنى مجرد الموت الطبيعي الذي يحصل لنبي البشر ، وإنما هو في اعتقاد المسيحيين موت على الصليب ، تكبير الخطينة ، و نجاة المسيح من الصلب ، كما جاء في الإنجيل يجعله الحي الوحيد بين الأموات ، وذلك لأنه قام من قبره بمجرد ان وري التراب ، و لم يحدّد الإنجيل بعد ذلك مصير المسيح (عليه السلام) ، و اكتفى بخبر مجيئه للخلاص و الدينونة .

جاء في الإنجيل ان المسيح (عليه السلام) انتحى بالاثني عشر (1) وقال لهم : ها نحن أولاء صاعدون إلى ورسليم (2) سيتم كل ما هو مكتوب بالانبياء عن ابن الإنسان (3) ؛ فإنهم سيسلمونه إلى الوثنيين ، يهزءون به و يهينونه و يصفقون عليه (4) ، و بعد ان يجلدوه يقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم ، فلم يفهموا من ذلك شيئا إذ كن هذا القول محجوبا عنهم فلم يفقهوا شيئا مما قاله لهم (5) .

وقد نسج المسيحيون أقوالا غريبة من هذه الحادثة التي أخبر عنها السيد المسيح ، و دفعهم هذا القول بقيامة المسيح (عليه السلام) في قبره بعد ثلاثة أيام و ثلاث ليال (6) ، و ما تبع هذا القول من اعتقاد تفردّه و تميزه من نبي البشر .

(1) إشارة إلى الحواريين وهم تلاميذ المسيح (عليه السلام) . و عددهم اثنا عشر حواريًا .

(2) متى 16 : 21 ، 17 : 22 ، 20 : 17 و 18 ، مرقس 10 : 32 .

(3) المزمور 22 ، اشعيا 53 .

(4) متى 27 : 2 ، لوقا 23 : 1 ، يوحنا 18 : 28 ، الاعمال 3 : 13 .

(5) مرقس 9 : 32 ، لوقا 2 : 50 ، 9 : 45 ، يوحنا 10 : 6 ، 12 : 16 .

(6) يقول أحمد ديدات : " و حاول ما استطعت لن تجد أبدا ثلاثة أيام و ثلاث ليال كما كان يسوع قد قال وفقا لرواية الكتب

المقدسة لدى المسيحيين " .

انظر أحمد ديدات ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة و الافتراء ، مرجع سعي ذكره ، ص 148 ، 149 .

في الفصل الرابع والعشرين من الإنجيل أن السيد المسيح (عليه السلام) قام فعلا وظهر
 من القبر، ومما جاء فيه: "وفي يوم الأحد أول أيام الأسبوع، جنن مبكرات عند مطلع الفجر
 من مسلات العطور التي أعدتها (1) ومعهن نسوة أخريات فوجدن الحجر قد دحرج عن القبر (2)
 ولم يجدن جسد الرب يسوع (3)، وفيما كن متحيرات في ذلك، إذا برجلين قد وقفا بهن في
 راية (4) وإذا اتابهن الخوف ونكسن وجوههن إلى الأرض قال لهن: "لماذا تطلبن الحي بين
 ميتات؟ إنه ليس هنا، وإنما قد قام، اذكرن ما كلمكن به وهو بعد في الجليل قائلا: إن ابن
 ناس ينبغي أن يسلم إلى أيدي أناس خطاة ويصلب، وفي اليوم الثالث يقوم (5)، فتذكرن كلامه
 من القبر راخبرن الأحد عشر والباقيين جميعا بهذا كله (6) "

وفي أثناء قيامة المسيح (عليه السلام) كما يروي الإنجيل، ورد وصف يدل على نبوته، فقد جاء
 في إنجيل على لسان عيسى (عليه السلام): "ثم أجاب أحد هما وكان اسمه كليوباس (7)، وقال له:
 - السعير الوحيد في أورشليم الذي لا يعلم الأمور التي حدثت هناك في هذه الأيام؟ فقال لهما:
 يا نهر؟ قال له: تلك المختصة بيسوع الناصري، الذي كان نبيا مقدرًا في الفعل والقول لدى
 رؤس الشعب (8)، وكيف أن رؤساء الكهنة وحكامنا قضوا عليه بالموت وصلبوه (9) "
 - النبوءات التي كانت للسيد المسيح (عليه السلام) إنما هي أمور اختص بها الأنبياء جميعا كما
 في تلك كل الأسفار المقدسة، ففي سفر التكوين: "ثم أخذ يفسر لهما مبتدئا من موسى ومن
 مع الأنبياء الأمور المختصة به في كل الأسفار المقدسة (10) "

1- متى 28 : 1 ، مرقس 16 : 1 ، لوقا 23 : 26 ، يوحنا 20 : 1 .

2- متى 28 : 2 ، مرقس 16 : 4 .

3- متى 16 : 5 ، لوقا 24 : 23 .

4- يوحنا 20 : 12 ، الأعمال 1 : 10 ، لوقا 24 : 7 ، 18 .

5- متى 16 : 21 ، 17 : 23 ، مرقس 8 : 31 ، 9 : 31 ، لوقا 9 : 22 .

6- لوقا 9 : 22 .

7- يوحنا 19 : 25 .

8- الأعمال 7 : 22 .

9- لوقا 24 : 1 ، الأعمال 13 : 27 ، 28 .

10- التكوين 3 : 16 ، 22 : 18 ، 26 : 4 ، 49 : 10 وكذلك ورد في العدد 9 : 21 والتتية 18 : 15 وأسفار أخرى .

نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) و المسيح في الإنجيل .

لقد حكم: القرآن الكريم بأن الإنجيل والتوراة قد بشر كل منهما بمحمد النبي الأمي ، وذلك في

قوله تعالى : وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (1) وفي قوله تعالى: الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة و الإنجيل (2) .

وهذه الآيات تشير في وضوح إلى أن صفات النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وسلم) مدونة ومكتوبة وبجدها كل من يبحث في استقصاء في التوراة والإنجيل قبل أن ينالهما التحريف والتبديل .
وعن هذه البشارات تحدثت كتب كثيرة (3) منها ما أورده الشيخ رحمة الله الهندي (4) في إظهار الحق حيث أورده ثماني عشرة بشارة وفصلها في استقصاء وتتبع كل ما جاء صريحا في الأناجيل المسيحية واكترفا تناولنا ذلك إنجيل برنابا ، وسوف أرجو الحديث عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في إنجيل برنابا ، لأن هذا الإنجيل يمثل حالة خاصة ألقت النظر إليها من قبل ، من حيث اختلافه عن الأناجيل الأخرى في تقرير العقيدة المسيحية ، وما يتخصل بشخص المسيح (عليه السلام)، أو بالنبوة الخاتمة .

(1) المصف (1) .

(2) الأعراف 157 .

(3) ارجع في هذا إلى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، (بدون معلومات بشر) ، فصل التبشير بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ج 2 ، ص 219 .

وارجع أيضا إلى كتاب الفصل في الملل والأديان والتحل لأن حزم (طبعة محمد صبيح ، بدون تاريخ) ج 1 ، ص 536 .
وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، ط 1 ، ص 295 .

ومحمد رسول الله في بشارات الأنبياء لمحمد عبد الغفار الهاشمي .

و كتاب قصص الأنبياء لميد الوهاب المنجار ، مرجع سابق ، ص 293 .

وكتاب الملل والنحل للشهرستاني (طبعة مطبعة الإنجلو ، بدون تاريخ) ج 1 ص 193 ، 194 .

المطلب الأول :

نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في الأناجيل الأربعة .

لقد تحدثت الأناجيل الأربعة عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) و هو ما استتبته علماء المقارنة بين الأديان من استقرار نصوصها .

يقول محمود بن شريف : " ففي هذه الأناجيل الحالية عبارات وإشارات عددها البعض بشارات بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ونحن نقف من هذه العبارات والإشارات موقف الحيدة لانهدم ، ولا نهضم ، لانهدم اتجاهاتها ، ولا نهضم تبريراتها . إن هذه الأناجيل في رأينا ورأي الكثيرين غير سليمة ونقد السني لا يعطيه على أنها في الوقت نفسه قد يوجد بها أثارة من صحة ، أو إشارة إلى حكمة ، أو قول حق ، غير أننا لا نسلم بها ولا نعترف بجل ما جاء فيها " (1) .

وإني أناظر محمود بن شريف هذه الرأي الذي ذهب إليه ، وذلك لسبب معروف ، وهو أن الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عيسى (عليه السلام) ، قد طواه النسيان ، و أعززه التحريف ، ومن ثم فإن الحقيقة الوحيدة التي نملكها هي تلك التي صرحت بها الآية للربيعية : " وَمُسْرًا رَسُولِي بَاتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحَدٌ " . وأنذا فإبنتي أخضع النصوص الإنجيلية المتعلقة بالبشارة بمحمد (صلى الله عليه وسلم) إلى صريح القرآن من باب إظهار الحق وإقامة العدل .

و في إنجيل متى : " قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب ؟ الحجر الذي رفضه البنّاعون هو قد سار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثماره ، ومن سقط على هذه الحجر يتعرض ومن سقط هو عليه بسحقه " (2) .

(1) محمود بن شريف ، مرجع سبق ذكره ، ص 285 . (2) الهدف : 6 .

(3) ص 23

وقد علق إبراهيم خليل أحمد ورحمه الله الهندي (1) على هذا النص الوارد في إنجيل متى إذ أجمعا على أن جل العلماء على أن الحجر الذي رفضه البناءون هو كناية عن محمد (صلى الله عليه وسلم) والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمة (صلى الله عليه وسلم) مستدلّين بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): متأيومثل الأنبياء من قبلي كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة . ختم بي النبيان وختم بي الرسل (2) وفي رواية أخرى: فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون : ألا وضعتها هنا لبنة فيتم البناء؟ قال (صلى الله عليه وسلم): فإن اللبنة جنت فختمت الأنبياء.

ومما جاء عن الإشارة بنبوّة محمد (صلى الله عليه وسلم) في إنجيل يوحنا : " إن كنتم تحبّونني فاحفظوا وصايا وانا اطلب من الرب ان يعطيكم معزيا اخر ليملك معكم الى الابد بروح الحق " (3)

يقول محمد بن شريف قالوا ان معنى المعزى ، البار قليط ، والبار قليط نبي تراد في شريعته أحكام بالنسبة الى الشريعة العيسوية ، وذلك النبي هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا يشابه ما جاء في القرآن من ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين (4) .

في الحقيقة ان التعبير بالزيادة و النقصان ، بالنسبة للشريعة ، شئ في غير محله ، و لا يعبر عن حقيقة الدين السماوي ، ذلك ان أحكام الله الى الناس واحدة ، منذ بداية الوحي الإلهي ، وإنما تختلف بحسب شموليتها أو توسعها أو ضيقها .

(1) أنظر: إبراهيم أحمد خليل، محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة والإنجيل، (مكتبة الوعي العربي، بدون معلومات

نشر)، ص 41

رحمة الله الهندي، إظهار الحق، ص 153

(2) رواه البخاري و مسلم.

(3) يوحنا: ص 14

(4) محمود بن الشريف، الأديان في القرآن ص 286

وفي الإنجيل يوحنا : " أما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم

كل شيء (1)

وهذا النص الإنجيلي يوافق ما صرحت به الآية الكريمة في قوله تعالى : " وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا
لِكُلِّ شَيْءٍ (2) .

ويواصل يوحنا حديثه عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ جاء فيه في موضع آخر : " إن
لي أموراً كثيرة أيضاً لا أقول لكم ولكن تستطيعون أن تحتملوا الآن ولكن متى جاء ذلك روح الحق
فهو يرشدهم إلى إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما يأتي (3) .
وهذا يتفق مع قول الله سبحانه وتعالى : " وَمَا يَنْتَظِرُ عَلَى الْهَرَىٰ إِنَّهُ هُوَ الْوَّاحِيُ يَوْحِي (4) ومع قوله
ص

تعالى : " وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً (5)

ولقد تناول الجاحظ مسألة بشاراة الأناجيل بمحمد (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول : " إن الأربعة
الذين كتبوا الأناجيل قد اتفقوا على أن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين حين رفع إلى السماء :
أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم وأبشركم بنبي يأتي من بعدى اسمه " البار قليط " وهذا الاسم
هو باللسان اليوناني ، وتفسيره بالعربية محمد (صلى الله عليه وسلم) . قال الله في كتابه العزيز :
" ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد (6) وهو في الإنجيل باللغة اللاتينية بارقليط وهذا الاسم
الشريف هو اسم اسلامي (7) .

(1) يوحنا : 14 : 26 .

(2) البقر : 89 .

(3) يوحنا : 16 : 12 .

(4) البقر : 3 : 4 .

(5) الإسراء : 81 .

(6) الصف : 6 .

(7) اسطر : الجاحظ ، تحفة اللبيب في الرد على أهل الصليب ، (مخطوطة ، بدون معلومات نشر) وكذلك مخطوطة " قيس
الأنوار في الرد على النصارى والكفار لمؤلفها عبد الله الحلبي (مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم 222 مجامع .

وهذا الذي ذكره الجاحظ هو عينه ما ذكره يوحنا في إنجيله من أن عيسى عليه السلام قال: " البارقليط الذي سيرسله أبي في آخر الزمان هو الذي يعلمكم كل شيء " (1) .

وفي رأبي أن هذا يكون بما أوحى الله إليه في القرآن العظيم الذي فيه علوم الأولين و الآخرين، و
ومن ثم فإن العلم بهذه البشارة كما أجمع على ذلك العلماء لا يؤخذ إلا مما قرره صريح القرآن الكريم .

الم يظهر بعد المسيح نبي مرسل بهذه الصفات غير نبيينا محمد (صلى الله و عليه وسلم) فهو
المراد بهذه الإشارة (2)

(1) يوحنا : الفصل 15 .

(2) لجاحظ : المرجع السابق ، ص 42 .

انتظب الثاني :

نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم في إنجيل برنابا :

جاء في إنجيل برنابا : " فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس فصارت لأبيه إلا الله محمد رسول الله ففتح آدم فاه و قال : أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني و لكن أضرع إليك أن تتبينني ما معنى هذه الكلمات محمد رسول الله ؟ فأجاب الله : " مرحبا بك يا عبدي آدم و إني أقول لك إنك أول إنسان خلقت ، و هذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد ١٢٠٠ سنة و سيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء الذي منها جاء " (1).

و في إنجيل برنابا في موضع آخر سأل اليهود عيسى عليه السلام : من أنت ؟ قال : " الحق أقول أنا ست مسيا " و لست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه ؛ لأنني لست أهلا لأن أحل رباط جرموقه و سبر حذائه . رسول الله الذي تسمونه " مسيا " الذي خلق قبلي و سيأتي من بعدي و سيأتي بكلام الحق لا يكون لدينه نهاية " (2) .

و جاء برنابا أينما : " قال عيسى : ... لذلك أقول لكم رسول الله بهاء يسير كل ما صنع تقريبا لأنه مزان بزوح النهم و المشورة ، و روح الحكمة و القوة و روح الخوف و الرجاء و المحبة ، ما أسعد المؤمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . صدقوني أنني رأيته و قدمت له الاحترام كما رآه كل نبي ، و لما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يا محمد ليكن الله معك و يجعلني أهلا لأن أحل سير حذائك ؛ لأنني إذا نلت هذا سررت نبييا عظيما قدوسا لله " (3) .

(1) برنابا . الفصل 97 و 98 بتصريف .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه .

ويواصل برنابا حديثه : " أجاب المسيح إن اسمه " مسيا " عجيب لأن الله نفسه سقاه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي قال: اصبر يا محمد لأنني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمما كثيرا من الخلق التي أميا لك ، حتى إن من يباركك يكن مباركا ومن يلعنك يكن ملعونا و متى أرسلتك إلى العالم اجعلك رسول الخلاص و تكون كلمتك صادقة حتى إن السماء و الأرض تهينان و لكن إيمانك لا يهين أبدا . اسمه " محمد " حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا لله أرسل لنا رسولك محمدا سرورا للخلاص " (1).

و قد شرح إنجيل برنابا أن ما تداوله النصارى و تناقلوه جيلا عن جيل من أن المسيح المنتظر أو سائمي عندهم " مسيا " هو يسوع ليس كذلك ، بل هو محمد صاحب الرسالة و النبوة الخاتمة ، و قد ذكر إنجيل برنابا - كما مر بنا - محمدا بلفظ صريح خلافا لما عليه سائر الأناجيل ، وقال إنه رسول له ، وإن آدم لما طرد من الجنة رأى سطورا فوق بابها بأحرف من نور " لإله إلا الله محمد رسول له " ، ولقد قال المسيح كما جاء في إنجيل برنابا " إن الآيات يفعلها الله على يدي تظهر أنني أتكلم بما يريد الله و لست أحسب نفسي الذي تقولون عنه؛ لأنني لست أهلا لأن أحل رباطات أو سيور حذاء ، رسول الله الذي سمونه " مسيا " الذي خلق قبلي و سيأتي بعدي بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية " (2).

ولعل هذه العبارة الأخيرة التي ذكرها برنابا من أن دين محمد (صلى الله عليه و سلم) لا يكون له نهاية تتوافق توافقا كاملا مع ما قررته الآيات القرآنية بهذا الشأن. فدين الله سبحانه وتعالى الذي أكمله محمد (صلى الله عليه وسلم) هو دين مهيم على سائر الأديان .

(1) برنابا: فصل 97 - 98

(2) المصدر نفسه.

و لقد اثر رحمة الله الهندي برنابا على سائر الأناجيل المسيحية في مسألة الحديث عن النبوة
للختمه إذ يقول في هذا الشأن : " و أما البشارات التي توجد في كتب أخرى فهي ليست معتبرة عندهم
في زماننا و لكن أنقل عنها بشاره واحده أيضا على سبيل الأنموذج فأقول : القسيس " سيل " نقل في
مقدمة ترجمته للقران المجيد من إنجيل برنابا بشاره محمدية (1).

وقد حُفِقَ رحمة الله الهندي بورد هذه البشارة كما وردت في إنجيل برنابا : " اعلم يا برنابا أن الذنب
و ان كان صغيرا يجزي الله عليه لأن الله غير راض عن الذنب و لما أحببتي أمي و تلاميذي لأجل
الدين سخط الله لأجل هذا الأمر ، و أراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه العقيدة غير
اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ، و لا يكون لهم أذية هناك ، و إني و إن كنت بريئا لكن
بعض الناس نما قالوا في حقي : أنه الله و ابن الله كره الله هذا القول و اقتضت مشيئته بأن لا تضحك
الشياطين يوم القيامة علي و لا يستهزئون بي فاستحسن بمقتضى لطفه و رحمته أن يكون الضحك و
الاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا و يظن كل شخص أنني صلبت ، لكن هذه الإهانة و الاستهزاء
يَقِيَانُ إلى أن يحيى محمد رسول الله فإن جاء في الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط و ترفع هذه
التشبيهة من قلوب الناس " (2)

و فعلا فقد جاء محمد (صلى الله عليه و سلم) بالشرعية الخاتمة ، وأبطل شبيهة صلب المسيح
(عليه السلام) في رد القرآن الكريم على من تولوا كبرها بقوله تعالى : " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ " (3)

و يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يعني بذلك جل ثناؤه بقولهم: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ فَقَالَ : وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ يَعْنِي وَمَا قَتَلُوا
عِيسَى وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ " (4)

وقد طفق الطبري يسرد أقوال أهل التأويل في صفة التشبيه التي شبّهت لليهود في أمر عيسى و
ليس هنا مجال للحديث عنه .

(1) رحمة الله الهندي ، المرجع السابق ، ص 164 .

(2) برنابا : 98 .

(3) النساء : 157 .

(4) الطبري ، التفسير ، ج 6 ، ص 6 و .

ويزيد رحمة الله الهندي ان شهادة بعض أحيار اليهود و النصارى تعضد ما جاء في إنجيل برنابا عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول: " و من أسلم من علماء اليهود و النصارى في القرن الأول سيد بوحود البشارات المحمدية في كتب العبيدين مثل عبد الله بن سلام و ابن اسعية " وبنيامين و مخيرق و كعب الأحبار و غيرهم من علماء اليهود و مثل بحيرى و نسطور الحبشى و خنفاطر و هو الأسقف الرومي " الذي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه و الجارود (1) و النجاشي و ثوس و الرهبان الذين جاءوا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه و غيرهم كما اعترف بصحة نبوة هرقل قيصر الروم و متوقس صاحب مصر و ابن صوريا و حي بن أخطب و أبو ياسر بن أخطب و غيرهم ممن حملهم الحسد على الشقاء و لم يسلموا " (2) .

(1) و الجارود هو الجارود بن العلاء كان من علماء النصارى جاء في قوله الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و قال له: يا محمد انى بعثت بالحق و انى بعثت بالصدق و انى بعثت بالحق نبياً لقد وجدت وصفت في الإنجيل و بشرتك ابن البتول فقول التحية بك يا محمد ليس أكرمك لا أثر بعد عين و لا شك بعد وفين مديوك فأنا الشهد أن لا إله الا الله و أنك محمد رسول الله .

(2) رحمة الله الهندي . المرجع السابق ج 2 من 164 .

المطلب الثالث : إنجيل برنابا و نبوة المسيح .

يقرر إنجيل برنابا ان المسيح (عليه السلام) ليس له من وظيفة يوديتها إلا وظيفة النبوة انه سبلغ عن الله و مخبر عنه (1) ، و لقد تكررت الإشارة إلى هذا في فصول كثيرة من إنجيل برنابا ، فقد جاء فيه في سياق الحديث عن الفتنة الكبرى : " كان جيش الرومان في ذلك الوقت في اليهودية ، لأن بلادنا كانت خاضعة لهم . بسبب خطايا أسلافنا ، و كانت عادة الرومان ان يدعوا كل من فعل شيئا حديدا فيه نفع للشعب إليها و يعبدوه ، فلما كان بعض هؤلاء الجنود في نابين ، و بخوا واحدا بعد آخر ، قائلين " لقد زاركم أحد الهتكم و أنتم لا تكثرثون له ؟ حقا لو زارنا الهتنا ، لأعطيناهم كل مالنا ، و انتم تنظرون كم نخشى الهتنا ، لأننا نعطي تماثيلهم أفضل ما عندهم ، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام ، حتى أنه أثار شعبا بين شعب نابين ، ولكن يسوع لم يحدث في نابين ، بل تحول إلى كفرناحوم ، و بلغ الشقاق في نابين مبلغا ، و قال معه قوم : " إن الذي زارنا إنما هو إليها (2) . و قال آخرون " إن الله لا يرى ، فلم يره أحد حتى و لا موسى عبده ، فليس هو الله . بل هو بالحري ابنه . و قال آخرون " إنه ليس الله و لا ابن الله ، لأنه ليس لله جسد ، فيلد من هو نبي عظيم من الله ، و بلغ من وسوسة الشيطان ، أن كاد ذلك يجز على شعبنا في السنة الثالثة من وظيفة يسوع النبوية خرابا عظيما " (3) .

- (1) سموعه على دراسة الثقافة الروحية في إنجيل برنابا (ط2) . سلسلة الروح الجامعية 1983 م (ص 98 او ما بعدها .
- (2) سبحان الله و عالى شأنه يفرعون علوا كبيرا .
- (3) رابع ص 76 من إنجيل برنابا و ذكر في الهامش .

و قد صرح إنجيل برنابا بنبوذة المسيح في موضع آخر ، إذ جاء فيه : "...الحق أقول لكم متكلما من
 قلب الله ، لأن العالم يريد عوني إليها ، و على أن أقدم لأجل هذا حسابا ، لعمر الله الذي نفسي
 رافعة في حضرته ، إني رجل فان كسائر الناس على أنني وان أقامني الله نبيا على بيت إسرائيل
 لأجل صفة الضعفاء و إصلاح الخطاة - خادم الله و أنتم شهداء على هذا ، كيف أنني أنكر على هؤلاء
 الأشرار ، الذين بعد انصرافي من العالم سيطلبون حق إنجيلي بعمل الشيطان ، و لكني سأعود قبل
 النهاية ، و سيأتي معي أخوخ (1) و أيليا ، و تشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة " (2) .

و لقد نص القرآن الكريم على ان المسيح (عليه السلام) لم يكن إلا نبيا مرسلا ، و أنه لا يملك من
 الأمر شيئا بل ينفذ أوامر مليكه و هو الله سبحانه و تعالى . و هذا ما يقوله الله تعالى مما يكون من
 عيسى يوم القيامة ، من مجاوبة بينه وبين ربه : " وَإِذْ قَالَ لِلدُّبُّرِيِّسِيِّ ابْنِ مَرْيَمَ ، أَنْتُ قُلْتُ لِلنَّاسِ اخذوني
 و أني أبلغ من دوني ، قال سبحانه ، كما يحسون لي أن أقول ما ليس لي بحقي ، إن كنت قلته ، فقد علمته ، تعلم ما
 في نفسي و لا أعلم ما في قلبك ، أنت علم الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرني به أن أقول ، لقد مررتهم و
 كنت عليهم شهيدا ما أدركت بهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، و أنت على كل شيء شهيد " (3) .

فهذا النص القرآني يفيد بوضوح ان المسيح (عليه السلام) لا يتلقى الأمر إلا من الله سبحانه و
 تعالى ، و هو ما يسمي في عرف الاصطلاحيين بالنبوة ، ثم هو لا ينفذ هذا الأمر و يبلغه إلى الناس إلا
 بأمر الله ، و هو ما يسمي في عرفهم بالرسل .

و من ثم و بناء على هذه النصوص فلا حجة لمتوهم ان المسيح (عليه السلام) قد جاوز صفة
 النبوة إلى صفة الألوهية كما يزعم المسيحيون القدماء منهم و المحدثون .

(1) أخرج حر إدريس (عليه السلام) .
 (2) برنابا الفصل 5.2 .
 (3) ثلاثة 116 .

والآن و بعد عرض عقيدة النبوة في الإنجيل ، حرّني بي أن اقدم خلاصة تتضمن نتائج عقيدة النبوة في الإنجيل والتي تتمثل في أمرين اثنين :

المطلب الأول : إثبات العصمة للمسيح دون غيره من الأنبياء .

إن إقرار الإنجيل نبوة وحيدة و فريدة هي نبوة عيسى (عليه السلام) لزم عنه القول بعصمته وحده و غيره من الأنبياء الذين لا يعترف لهم الإنجيل بعصمة و لا نبوة ، إذ يعتقد المسيحيون أنّ المسيح (عليه السلام) له أو ابن الله و أنه قتل و صلب فداء للبشرية و هم يتخذون من خطيئة آدم دليلاً على حكمة الصلب و الفداء و تجريح الأنبياء عامة و آدم خاصة و أنّ توبة آدم - على حدّ زعمهم - لم تكفر خطيئته و من ثم كان لا بد من فداء .

لما كان آدم أبو البشر قد أخطأ و لم يقبل الله تعالى - فيما يزعمون - توبته و أنّ هذه الخطيئة تلزم منه كراهة بمن فيهم الأنبياء - عداً المسيح طبعاً - لأنه عندهم إله و ابن الله ، و من ثم فلا عصمة لأحد من البشر على الإطلاق ، و إن كان لا بد من مخلص و المخلص لا يكون مذنباً و لما كان المسيح له العصمة المطلقة فإنه هو المخلص للبشرية من ذنب لم يأتوه (1) .

و في ذلك يقول نظمي لوقا: " إن قول الله تعالى : **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**" (2) ففي ذلك نفض لعقائد الشرك و تصحيح لعقائد أهل الكتاب ... فقد صار اتباع المسيح إلى القول بالوهيئة و أنه ابن الله ... و لم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حواريه في الأناجيل إشارة إلى شيء من ذلك ، بل كان يدعو نفسه على الدوام بابن الإنسان " (3) .

(1) انظر محمود ماضي ، **عصمة الأنبياء بين اليهودية و المسيحية و الإسلام** (مصر مكتبة الإيمان 1990 م) ص 54 .

(2) الإخلاص : 3 ، 4 .

(3) نظمي لوقا، محمد الرسالة و الرسول (بدون معلومات نشر) ، ص 73 - 75 - 86 - 85 .

و الحقيقة ان قول النصارى نبوة المسيح (عليه السلام) تتناقض صراحة مع القول بألوهيته ، و لا
يسته سيج ترد في النبوة ، و هي الحقيقة التي اشار إليها قوله تعالى : " إِنَّمَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولٌ
مِّن رَّبِّكَ .

يؤكد القرآن الكريم لرسالة المسيح ، إنما الغرض منه دفع هذه الشبهات التي ألصقها المسيحيون
بمسيح (عليه السلام) ، و التي أفسدت بذلك معنى النبوة في الأساس .

المطلب الثاني :

عده ووضوح مفهوم النبوة في الأناجيل .

ان الدارس المتمعن للأناجيل يشرك حقيقة لامندوحة عنها و هي أن هذه الأناجيل أخلطت كثيرا في
حديث عن نبوة عيسى (عليه السلام) ورسالته ، إذ كثيرا ما يأتي الكلام فيها عن المسيح (عليه السلام)
بأنه المخلص ، المعلم ، واضطراب هذه الأوصاف ، أدى بالضرورة إلى وجود غموض كبير يكتنف
نبوة المسيح (عليه السلام) - كما جاء ذلك في الأناجيل - فلم يرد فيها صراحة نبوته ، و لا فيها نص
واحد غير متناقض يمكن ان يعول عليه الباحثون في إعطاء مفهوم محدد لنبوة المسيح (عليه السلام) .
و ان أعلى مراتب نبوة المسيح كما جاء في الأناجيل هي ما كان يصنع من عجائب و ما يأتي من
معجزات ، و ما أخبر عنه من مغيبات ، غيبت حقيقة النبوة بعد هذا كله ، و توارت من وراء حجاب
لذلك الدارس للأناجيل يقف على وظيفة رسالية محددة للمسيح (عليه السلام) في الإنجيل .

و لعل هذا الغموض الذي يكتنف مفهوم النبوة في الإنجيل مرده كما ذكر المؤرخون إلى ضياع
الإنجيل الحقيقي ، أو التحريف الذي جعل كل ما جاء فيه ضربا من الظنون التي لا ترقى إلى اليقين ، و
بما الأمر ليس نافذة من القول ، بل هي حقيقة أكدها العلماء ، و من شأن أي كتاب محرّف ألا يجد فيه
البحث ضالته ، و ان يفرضي منه إربته في محاولة معرفة ما انطوت عليه الأناجيل من حديث عن
حياة المسيح (عليه السلام) و نبوته .

و هذا الأمر هو الذي يدفع كل باحث منصف إلى الاعتقاد بأن النبوة لم ترد واضحة المعالم ،
محددة الطبيعة و الوظيفة إلا في القرآن الكريم .

الباب الرابع :

النبوة في القرآن الكريم

تمهيد :

الفصل الأول : معنى القرآن و مصدره الرباني و صلته بالنبوات و الرسالات .

البحث الأول : معنى القرآن و مصدره الرباني .

البحث الثاني : صلة القرآن بالنبوات و الرسالات : وحدة المصدر و الغاية .

الفصل الثاني : العصمة و فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة في القرآن .

البحث الأول : عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : معناها و أدلة وجوبها

البحث الثاني : القرآن و بوقفه من فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة .

الفصل الثالث : النبوءات الغيبية و إرهابات النبوة الخاتمة في القرآن الكريم .

البحث الأول : النبوءات الغيبية في القرآن .

البحث الثاني : إرهابات النبوة الخاتمة : الفرض منها و دلالتها على النبوة .

الفصل الرابع : دلائل ختم النبوة و خصائص النبوة الخاتمة .

البحث الأول : دلائل ختم النبوة .

البحث الثاني : خصائص النبوة الخاتمة .

تقديم :

النبوة في القرآن الكريم موضوع تناولته علماء التنز الإسلامي ، وقد ذكروا لها من السمات والخصائص ما يجعلها تتميز عن النبوة في التوراة والإنجيل ، فقد خلت من الوساطة الكهنوتية ، وأثبتت وسلطة الأنبياء (عليهم السلام) وسلطه لا كنبوت فيها ، بما يجعلهم واسطة بين الخالق والمخلوق ، وهذا مع صفتهم البشرية ؛ ومن ثم انتقد القرآن الكريم فكرة النبوة البشرية الخارقة ، وبيّن في أكثر من موضع أن بشرية النبي لا تعارض في شئ مع نبوته ، وهو الأمر الذي لم يستسهه كتبة التوراة والإنجيل ، إذا النبي عندهم يجب أن يكون مزوداً بالطاقت الخارقة ما يجعله بشرا غير عادي ، أو بشرا من طراز خاص .

ولقد بين نقاد الأديان أن هذه النظرة نظرة متيافته ، لا يصح أصحابها أمام النقد الموضوعي ؛ لذلك أن النبوة ليست إلا مهمة بشرية يضطلع بها صفة من خلق الله ، وهم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ومن ثم فإن التوافق البشري بين المرسل و المرسل إليه ضرورة تقتضيها طبيعة النبوة ، وإلا لأصبحت أمراً لا معنى له ، ولا فائدة ترتجى منه ، غير أن القرآن الكريم برده لفكرة النبوة البشرية الخارقة ، قد اثبت للأنبياء (عليهم السلام) من العصمة ما يجعلهم أملا للنبوة ، والرسالة ، وهو الأمر الذي أنكرته التوراة ، وأثبتته الإنجيل للمسيح (عليه السلام) دون غيره من الأنبياء ؛ ومن هنا فإن دراستي للنبوة في القرآن الكريم تسبب في هذا الاتجاه وتلتزم بهذا الخط المنهجي الذي رسمته في هذا التمهد سواء من سواء .

إن حديث القرآن الكريم عن النبوة - كما يؤكد العلماء المحققون - ، هو أمر لا يتحقق إلا على ضوء النظرة ، و الحقائق الكبرى التي بنيت عليها قضية الاستخلاف البشري ، فتكون النبوة تبعاً لهذه الاعتبارات نابعة من كل هذا ومعبرة عنه ، و هو ما يجعلها بمنأى أن تكون مجرد كهانة أو وساطة على النحو الذي شاع في المسيحية و اليهودية .

الفصل الأول :

معنى القرآن ومصدره الرباني وصلته بالنبوات و الرُسلات.

المبحث الأول : معنى القرآن ومصدره الرباني.

لما كان عنوان الفصل (النبوة في القرآن الكريم) ، فإنه حرري بي ان أحدد معنى كلمة قرآن بشقيها اللغوي والاشتقائي قبل ان أبدا في بيان المسائل المتصلة بعقيدة النبوة في القرآن الكريم من حيث طبيعتها وما يلحق بها من مسائل الغيبيات .

المطلب الأول : المعنى اللغوي و الاصطلاحي .

الفرع الأول : المعنى اللغوي .

ذكر محمد عبد الله دراز (1) أقوالا في تحديد المعنى اللغوي للقرآن الكريم ، وهي في مجموعها لا تخرج عما ذكرته معاجم اللغة ، غير أنه لا يعول كثيرا على هذه المعاجم في تحديد المعنى ، ويضيف إليها بعض الاستنباطات التي اعتمد فيها على المقابلة بين النصوص للوصول إلى معنى أقرب إلى حقيقة القرآن الكريم .

يقول عبد الله دراز : " القرآن في الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم ، كالغفران والمسكران والتكلان كقولنا : قرأته قرأ وقرأه وقرأنا بمعنى واحد أي تلوته تلاوة ، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى : " *إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعٌ مِّنْهُ فَأُكْفِئُهَا لَكِنَّا غَدَقْنَاهُ مِن دَرَجَاتٍ أَعْيُنُهُمْ* " (2) أي: قرأته ، ثم صار علما شخصا (3) لذلك الكتاب الكريم ، وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى : " *إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ* " (4) .

(1) انظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (مصر: مطبعة السعادة، 1960م)، ص 7 .

(2) القيامة: 17، 18 وما بعدها .

(3) ذكر محمد عبد الله دراز أن هذا العلم الشخصى يطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع الكتاب ، وعلى كل قطعة منه فإذا

سمعت كما يضيف دراز رحمه الله من يتلو آية من القرآن الكريم صح أن تقول : إنه يقرأ القرآن لقوله تعالى : " *وَإِذَا قُرِئَ*

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَسْمِعُوا أَعْرَافًا " الأعراف : 204 .

(4) الإسراء : 9 .

وَد طلق عبد الله دراز بعد هذا البحث في وجوه تسميته قرآنا وكتابا وهي التي تردت كثيرا في قرآن الكريم ، وارتبطت دون غيرها من الألفاظ في الدلالة عليه فيقول : " روعي في تسميته قرآنا كونه مثلوا (1) بالأسن ، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا (2) بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شئ بالمعنى الواقع عليه " (3) .

ويذهب عبد الله دراز إلى أن السبب الكامن وراء هذه التسمية بهذين الاسمين القرآن والكتاب إلى القرآن الكريم عهد الله سبحانه وتعالى إلينا حفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ، اعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا .

وجاء في لسان العرب تعريف مستفيض لكلمة القرآن ، وقد أرجأته من باب اعتماد طريقة تقديم المفهوم الخاص على العام ، لأن معاجم اللغة كما ذكر دراز تقدم في عمومها معنى لغويا عاما للكلمة ومن ثم فهي تحتاج الى ما يعضدها من تفسيرات الكلمة و ملاساتها تبعا للسياق، ومعنى القرآن في اللسان لا يخرج عن معاني الجمع والقراءة .

إن مفردات الجمع والقراءة ومرادفاتها كما يؤكد علماء اللغة ، كلها تجتمع في معنى القرآن ، و الدارس لأسلوب القرآن الكريم يمكنه أن يدرك هذه الحقيقة ، و هو ما يتوافق مع رأي ابن منظور و هو الذي عرف عنه أنه يقترن بين الشاهد اللغوي والشاهد القرآني في أكثر من موضع ، وحتى أن المفسرين لم يخرجوا - في تفسيرهم للقرآن الكريم - عن هذا ، فكان تأويلهم لقوله تعالى : " إن علينا جمع القرآن " (4) ، ينصرف إلى المعنى الظاهر و هو الجمع أكثر مما ينصرف إلى غيره .

(1) و (2) يشرح محمد عبد الله دراز هذا بأنه بيان لوجه الصلة بين التلاوة والتدوين أي بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه ، وهو مبني على ما اشتهر من استعمال القراءة في خصوص التلاوة ، وهي ضم الألفاظ بعضها إلى بعض في اللفظ ، واستعمال الكتابة في خصوص الرسم ، و هو ضم بعضها إلى بعض في الخط ، ويضيف عبد الله دراز أنه إذا رجعنا إلى الأصل للتسمية بالقرآن والكتاب ، في اللغة وجدنا صانتي (ك ت ب) و (ق ر أ) تدوران على معنى الجمع ولمس مطلقا ، وقد أسهب دراز في تأصيل هذا الكلام وسياق الأئمة التي تعضده ، وهو ما يأتي بيانه في المعنى الاشتقاقي .

عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 7 .

(3) المصدر نفسه ، ص 7 .

(4) النبیة : 17 .

يقول ابن منظور : " ومعنى القرآن الجمع ، ويسمى قرآنا لأنه بجمع الصور ، فيضمها وقونه تعالى : " إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ " (1) أي: جمعه وقراءته " فإِذَا قَرَأْتَهُ فَذَكِّرْ أَنْتُمْ " (2) أي: قراءته ... [وقد تكرر هذا المعنى كثيرا في القرآن والحديث] (3) .

و لا يرى ابن منظور فرقا بين القراءة التي هي معنى من معاني القرآن الكريم ، وبين المعنى الذي يجمعها وهو الجمع فيقول : " والأصل في هذه اللفظة (أي القراءة) الجمع ، وكل شيء جمعه فقد قرأته ، ويسمى القرآن لأنه جمع التخصص والأمسر والنهسي والوعيد والوعيد والآيات والصور بعضها إلى بعض " (4) .

غير أنه يجب التأكيد هنا أن الجمع كمعنى غالب للقرآن الكريم ، ينبغي ألا يفهم على أنه جمع بمعنى الضم، الذي يجعل الآيات أخذ بعضها بأعناق بعض ، و إذا فسّر الضم على أنه الربط و الجمع فإن ذلك ينصرف - في نظري - إلى الجمع الموضوعي و الربط السياقي ، الذي يجعل القرآن الكريم وحدة واحدة ، تلتقي موضوعاته في الغايات الكبرى و المقاصد العظمى التي أنزل من أجلها واستتبب منها العلماء الأحكام التشريعية التفصيلية .

إن الأقتصار في تحديد معنى القرآن الكريم على الجمع ، الذي لا يراعي المعايير الموضوعية التي ذكرتها، لا يكون مع المعنى سائغا و لا مقبولا عند العلماء المحققين و هو ما لم يلتفت ابن منظور النظر إليه ، لأن مهمته في اللسان هي تحديد اللفظ و بيان مرادقاته وأضداده و تداعياته .

ولقد أجمع علماء اللغة و التفسير على أن جمع القرآن كما ورد في مواضع كثيرة من السور المكية و المدنية يراد منه بيقين الجمع الذي يراعي الوحدة الموضوعية للآيات ، و من ثم فإن الآراء التي تذهب إلى تفسير الجمع على المعنى المتبادر ، هي آراء بعيدة عن الإجماع ، و لا يحصل بها إقناع .

(1) القيامة : 17 .

(2) القيامة : 18 .

(3) انظر: اللسان ، مادة قرأ ، ص 3564 .

(4) المصدر نفسه ، ص 3565 .

أما عن المعنى الاصطلاحي لكلمة قرآن فيقول عبد الله دراز " القرآن هو كلام الله تعالى ، المنزّل على محمد (صلى الله عليه وسلم) المتعبّد بتلاوته (1) .

وبين هذا المعنى الاصطلاحي كما أورد عبد الله دراز أن وصف القرآن بأنه كلام الله وإضافته إلى الله تمييزه من كلام من سواه من الإنس والجنّ والملائكة ؛ وذلك لأنّ الكلام جنس شامل لكلّ كلام ، ووصفه بالمنزّل مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به لنفسه ، ولم ينزله على أحد من رسله ، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلاً ، بل الذي أنزل منه قليل من كثير، وذلك لقوله تعالى : " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ بِدَادًا الْيَكْمَلُ رَبِّي لَفَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي فَلَوْ حِصَانًا مُبِينًا مَدَدًا " (2) . وقوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَظْلَمُ الْبَحْرُ مَدَدًا مِنْ بَعْدِهِ سَبَعَتْ أَعْرَابُ مَا نَدَيْتُ كَلِمَاتِ اللَّهِ " (3) .

ويضيف عبد الله دراز بأنّ تقييد القرآن بأنه كلام الله المنزّل على محمد (صلى الله عليه وسلم) ، هو لإخراج ما أنزل على الأنبياء من قبله ، كالتوراة المنزلة على موسى (عليه السلام)، والإنجيل المنزّل على عيسى (عليه السلام) والزبور المنزّل على داود (عليه السلام) ، والصّحف المنزلة على إبراهيم (عليه السلام) ، وقيد المتعبّد بتلاوته أي: المأمور بقراءته في الصلوة وغيرها على وجه العبادة لإخراج القراءات التي لم يؤمر بتلاوتها كالقراءة المنقولة إلينا بطريق الأحاد كالأحاديث القدسية ، وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا إنها منزلة من عند الله بالفاظها (4) .

و يفهم من كلام عبد الله دراز أن تحديد المعنى الاصطلاحي للقرآن يعين على بيان أمرين اثنين :

1 - بيان المصدر الإلهي للقرآن الكريم ، وهو ما يخرج عن كل كلام بشري ، سواء كان منقولاً أم مستسخناً ، ويدخل في دائرة المنقول ، الروايات و الأساطير الدينية التي ظهرت عند أهل الأديان ، ممّا هو من نتاج البشر و من اختلافهم ، و يشمل المستسخن كل ما تمّ استنساخه من أحكام و شرائع صادرة عن البشر لا عن الله .

2- بيان أنّ القرآن الكريم وصف خاص للدين الخاتم الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) و من ثمّ فإنّ كل معاني التلاوة و القراءة و التعبّد هي ميزات صبغت الكتب السابقة ، ولكنها تحدّثت أكثر في القرآن الكريم .

(1) عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 9 .

(2) الكهف : 109 .

(3) لقمان : 27 .

(4) عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 10 .

المطلب الثاني : المصدر الرباني للقرآن الكريم و ضرورته لإثبات النبوة.

إن النبوة لا تثبت إلا بالقرآن الكريم فهو الأصل ، والنبوة فرع ولا يثبت الفرع إلا إذا ثبت الأصل .
لقد علم الناس أجمعون علما لا يخالطه شك ولا يساوره ريب أن القرآن الكريم مصدره الوحي الإلهي ،
وهو الناموس الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على كوكبة الأنبياء والرسل عليهم السلام ، من لادن
ادم (عليه السلام) ، إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ثم فالقرآن ليس من وحي نفس رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) ولا من وحي ضميره ولا هو منقول عن الشرائع القديمة كما زعم بعض
المستشرقين (1) .

يقول عبد الله دراز : " نقرأ في هذا الكتاب ذاته أنه ليس من عمل صاحبه ، وإنما قول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ، ذلكم هو جبريل (عليه السلام) تلقاه من لادن حكيم عليم
، ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد (صلى الله عليه وسلم) فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ
من أستاذه نصا من النصوص ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا الوعي والحفظ ثم الحكاية والتبليغ
ثم البيان والتفسير ثم التطبيق والتنفيذ " (2) .

وهذا الذي فصله عبد الله دراز هو الذي نلمحه من استعراض الآيات التي تحدثت عن نبوة محمد
(صلى الله عليه وسلم) و نذكر منها هذه الآيات التي هي غيضة من فيض وفي هذا الباب نقرأ قوله
تعالى : **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**
أَيْكُمْ لَشَهَادَةٍ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرٌ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلُوبَنَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدِ وَإِنِّي بِرُبِّكُمْ شَكُورٌ (3) .

(1) جروستاف لوبون ، حضارة العرب ، تعريب عادل زعير (بدون معلومات نشر) من ص 117 إلى 125 .

و فيليب حني و آخرون ، تاريخ العرب المطول ، (بدون معلومات نشر) ، من 171 إلى 173 .

و قد أورد هذان المستشرقان شبهات تطعن في مصدر القرآن الكريم ، و قد رد عليها بعض الباحثون المسلمين و منهم :

جمال عبد الهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي (ط 1 ، دار الصديقية لنشر و التوزيع

1410 / 1989 م) ، ص 43 ، 44 .

(2) عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 13 .

(3) الأنعام : 19 .

وقوله تعالى : " وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (1)

وقوله تعالى : " قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَتْلُو الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي إِلَّا مَا بُرِّئُ مِنَ الْمَلِكِ الْبَشَرِ وَالْأَعْيُنِ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ " (2)

وقوله تعالى : " الْبُرْهَانُ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " (3)

وقوله تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكُومِ الْوَاحِدُ فَمَنْ كَانَ مِنْ جِوَارِئِهَا رَبًّا فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربِّه أحداً " (4)

وهذه الآيات تدل على اتصال النبي (صلى الله عليه وسلم) من حيث هو شخصية بشرية بالوحي من حيث هو حادثة إلهية ، وفي ذلك يقول محمد عزة دروزة : " والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي ليس محل شك ومريب من بين الكتب السماوية المتداولة في كونه متصلاً بالنبي ، وفي صدوره عنه خروفاً والناظر في سورة بوحى من الله ، وقد تكسر فيه تقرير بشرية النبي وكونه في طبيعته البشرية كسائر البشر وكون قصارى مهمته دعوة الناس إلى الله وحده " (5)

وهذا الذي ذكرته وغيره يفند مزاعم المستشرقين بأن القرآن هو كتاب محبوبك أو منسوخ عن الكتب التي سبقته ، فتقد عرض هذا محمد عزة دروزة بأسلوب علمي محكم ، تجلت معه حقيقة الوحي الإلهي ، وفي الجملة فإن الشبهات التي أثارها المستشرقون حول مصدر القرآن الكريم تقضي بالضرورة إلى التشكيك في مصدر النبوة إذ النبوة في الإسلام تؤخذ من حيث الأصل من القرآن الكريم.

(1) الأنعام : 48، 49 .

(2) الأنعام : 50 .

(3) إبراهيم : 1 .

(4) الكهف : 110 .

(5) انظر محمد عزة دروزة ، القرآن المجيد ، (صيدا بيروت : منشورات المكتبة المصرية ، بدون تاليف) ، ص 7 .

وفي معنى هذه الآيات المفارقة بين صفة الخالق وصفة المخلوق ما يتكرر في القرآن كثيرا من التصريح بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) بشر مثل سائر البشر ليس عليه إلا البلاغ ، ولا يملك خرائن الله ولا يعلم الغيب ، ولا يزرع لنفسه صفة ملكية تغاير صفة الإنسان وخلقته : **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا**

الْحِكْمَ الَّذِي أُوحَىٰ (1) .

وتصدير الآيات السابقة بعجالة " قل " مغزى لطيف يفهمه العربي بالسليقة ، وهو توجيه الخطاب للرسول (صلى الله عليه وسلم) وتعليمه ما ينبغي أن يقول ، فهو لا ينطق عن هواه ، بل يتبع ما يوحى إليه [وذلك كله] ليكون القارئ على ذكر من أن محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يدخل له في الوحي ، فلا يصوغه بلفظه ، ولا يلقيه بكلامه ، وإنما يلقي إليه الخطاب إلقاء ، فهو مخاطب لامتكلم ، حاك ما يسمعه ، لا معبر عن شيء يجول في نفسه " (2) .

فقوله تعالى على لسان نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) : " إن اتبع إلا ما يوحى إليّ " يفيد أن شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) من الوحي شخصية مأمورة متلقية لا شخصية أمرة ملقبة .

ولتأكيد حقيقة أن القرآن الكريم هو مصدر النبوة ، وأنه في حد ذاته ليس إلا وحيا إلهيا ، يقول محمد شلبي شتيوي : " حقا القرآن الكريم وحي سماوي نزل من المولى عز وجل على الرسول محمد وليس لمحمد فيه من عمل إلا وحيه وحفظه ونقله نقلا صحيحا عن رب العزة وتبليغه أمينا للناس آجمعين ثم تبيينه لهم وتفسيره وتطبيقه وتنفيذه ، ولا يستطيع إنسان عاقل غير حاقق إنكار هذه الحقيقة " (3) .

إن الذين يدعون الموضوعية في مناقشة العقائد الأخرى ، وفي مقدمتها الإسلام ، ينبغي أن يدعوا لهذه الحقيقة ، وهي أن النبوة خير إلهي ، وليس لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فيه من عهد إلا البلاغ فلر كان هذا القرآن من تأليف محمد ، لحرص على إقناع الناس بأنه من نتاج فكره ، وفيض خاطره كما يفعل كثير من الصوفية ممن يدعون الولاية .

(1) الكهف : 110 .

(2) صبحي الصالح ، المرجع السابق ، ص 29 ، 30 .

(3) انظر : محمد شلبي شتيوي ، القرآن دراسة وتحليل (ط 1 ، الكويت : مكتبة الفلاح ، 1405 هـ ، 1985 م) ، ص 33 .

و يوضح محمد شلبي شتيوي هذه الحقيقة ، - حقيقة المصدر الرباني للقرآن الكريم - بقوله: " فقد تضافرت الأدلة والبراهين على هذا ، وقد شهد بذلك كل الباحثين المنصفين والتاريخ نفسه قد سجل هذا في سجلاته ، وما على المنكرين من سبيل إذا ما قرأوا هذا التاريخ وعرفوا منه هذه الحقيقة " (1)

ويزيد محمد شتيوي هذه الحقيقة تأكيدا فيقول : " و حقيقة الإنسان الذي نزل عليه هذا الوحي والأحداث التي كثرنت نزول الوحي ، والنصوص القرآنية الكثيرة ذات الاستدلالات المتعددة ، هذه كلها شواهد وبراهين تؤكد بلا شك أن القرآن الكريم وحي إلهي وكتاب سماوي نزل على إنسان عربي اصطفاه الله واختاره للرسالة وليس له في هذا الوحي سوى التلقي عن ربه بواسطة جبريل وتبليغ هذا الوحي للناس وتعليمه لهم وتطبيقه عليه وعليهم " (2) .

وإن في القرآن الكريم من النصوص ما يؤكد مذهب إليه محمد شلبي وغيره من الباحثين المنصفين، فلقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (3) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يعني تعالى ذكره بقوله : " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا: وكما كنا نوحى إلى سائر رسلنا كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن روحا من أمرنا يقول : وحيًا ورحمة من أمرنا " (4) .

فليس لمحمد (صلى الله عليه وسلم) كما يذكر الطبري من الأمر شيئا ؛ لأن الوحي أمر إلهي لا يدخل للإرادة البشرية فيه .

ولقد أيد الطبري هذا الرأي بكثير من الروايات بأسانيد صحيحة مرفوعة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهذه الروايات تؤكد كلها المصدر الرباني للقرآن الكريم .

(1) انظر : محمد شلبي شتيوي ، المرجع السابق ، ص 33 .

(2) المصدر نفسه ، ص 33 .

(3) الشورى : 52 .

(4) الطبري ، المرجع السابق ، ج 25 ، ص 28 .

وبيان المصدر الرباني للقرآن الكريم يفند دعوى بعض المشركين (1) أن القرآن من تأليف محمد (صلى الله عليه وسلم)، أو مستلهم من نصوص التوراة والإنجيل، فمن الواضح أن كل هذه الدعاوى مزاعم باطلة لا تقوم على أية أدلة عقلية مقبولة، ويعوزها السند التاريخي.

إن القرآن الكريم بما اشتمل عليه من عقائد إلهية، وحقائق كونية، وقوانين أخلاقية، وفضائل نفسية وقواعد الشرائع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأخبار الغيب الماضية والمستقبلية، فلا يمكن أن يكون كل هذا من صنع عقل بشري مهما بلغ من العلم، بل هو وحي من الله، ففكرة التوحيد يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من مطالعته التوراة والإنجيل " إذ لو قرأ تلك الكتب لكررها لاحتوائها على مذهب التثليث، وغيرها وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه، فظهور هذا الاعتقاد بوسطه دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقة في رسالته وأمانته في نبوته ... " (2).

إن تضافر الأدلة النقلية والعقلية التي تؤكد المصدر الرباني للقرآن الكريم، وهو ما يدحض كل شبهة يريد أصحابها من ورائها الشك والتشكيك في مصدر القرآن الكريم، وقد تولى كبر هذا كثير من المستشرقين، ومنهم رودول RODWELL، الذي زعم أن القرآن الكريم مستوحاة نصوصه وأحكامه من التوراة والإنجيل، وقد أكدت تهافت هذا الزعم وبعده عن الموضوعية.

والحقيقة التي يجب تأكيدها في هذا المقام - بناء على ما ذكره رودول - أن الفكر الإسلامي، وكذا المنهج الموضوعي لا يقبل بأي حال من الأحوال التفسير الاستشراقي لعقيدة النبوة، وذلك لافتقاره إلى الموضوعية العلمية، التي يجب توافرها في مثل هذه الدراسات.

(1) انظر: رودول Rodwell، القرآن ترجمة من اللغة العربية المقدمة، كتبها النيس مرجليوث MARGOLOUTH. وقد ظهرت هذه الترجمة لأول مرة عام 1861م.

(2) انظر: آيته نبوية، محمد رسول الله، تعريب عبد الحلیم محمود ومحمد عبد الحلیم (مصر: دار المعارف، 1966م)، من 16.

صلة القرآن بالنبوات و الرسائل :وحدة المصدر و الغاية .

إن الحقيقة التاريخية التي لا منقوصة عنها ، ولا مشاحة فيها أن مصدر الرسالات واحد هو الله سبحانه وتعالى وهذا مصداقا لقوله تعالى : " شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " (1) .

تلك حقيقة واضحة لكل من يعنى بدراسة الأديان وعلاقتها بالجنس البشري ، فالأديان واحدة من حيث مصدرها ، غير أن حال البشرية والتطور الذي اعتورها جعل التوجيه الرباني المتمثل في الوحي يختلف في عسومه أو خصوصه وطبيعة احكامه وشرائعه .

فالرسالات أوما دونها النبوات كما ذكر القرآن الكريم يصدق بعضها بعضا وفي ذلك يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى : " مَّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ " (2) قال : " هذا الكتاب الذي نزل بالحق يصدق ما بين يديه من الديانات التي سبقته وامتدت إلى زمانه ، يصدقها في أصولها ، فهو صورة من صور الحق التي جاء بها الرسل مناسبة لزمانهم ، محققة لأغراضها في ذلك الزمان ، وكلمة تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد ، يتفق في أصله ويختلف في فروعه ، تدرجا مع الحاجات مع تصديق اللاحق للسابق في أصل الوجدانية الكبير " (3) .

يتضح من هذا النص لسيد قطب أن تطور الأديان ينبغي الأيفهم في إطاره الفلسفي المحض الذي يجعل التطور عملية تاريخية تقضي إلى استبدال الدين الجديد بالدين القديم ، فالقدم والجدة بهذا المفهوم المجرد لا تنطبق على الأديان ، وأفضل وصف لها - كما بين سيد قطب - هي أن يكون أولها أصلا لأخرها وأخرها امتدادا لأولها تماما كما صرح به القرآن الكريم .

(1) الثوري : 13 .

(2) آل عمران : 3 .

(3) سيد قطب ، في ثلاث للقرآن ، ج3 ، ص 53 ، 54 .

والإسلام الذي هو خاتم الرسالات والنبوات قد جمع كل أصولها وأكمل شرائعها وأتم كل أحكامها وهو ما يعبر عنه الدارسون لخصائص الإسلام بالشمولية التي يمتاز بها الإسلام عن الأديان التي سبقتة ، ولكن شمولية لا تلغى ما قررتة هذه الأديان مما يعبر عن جوهر الدين القائم على التوحيد الخالص ، وإلى هذه الحقيقة تشير آيات كثيرة منها قوله تعالى : " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلٰوةَ " (1) ، وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِرَأْسِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ لِيُعَلِّمُوا الْبَشَرَةَ الْآيَاتِ " (2) .
 وقوله تعالى على لسان نوح : " يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ إِنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَقُولُوا الْحَقَّ وَأَطِيعُوا " (3) .

يقول أحمد شلبي : " وهكذا كانت الرسالات التي سبقت الإسلام غير شاملة ، بالنسبة للدعوة نفسها فتم تكن الدعوة كاملة التفاصيل ، وإنما حوت ما يستطيع العقل آنذاك هضمه وفهمه ، وكانت كذلك غير شاملة للبشرية ، فقد كانت الرسالة محدودة بقوم معينين ، وجاءت رسالة الإسلام ، وهي خاتمة الرسالات ومن هنا تحتم أن يوجد فيها من العناصر ما يجعلها تناسب كل زمان ومكان ، ومن أهم هذه العناصر : شمولها لألوان واسعة من القعالم في الميادين المختلفة كنظام الميراث والزواج والطلاق والسياسة والاقتصاد وغيرها " (4) .

وهيمنة الرسالة الخاتمة على الرسالات التي سبقتها يفيد في أن الإسلام ليس بدعا منها ، ولا يلغىها كما تلغى الفلسفات المادية اليوم . اللاحق منها السابق ، فلقد أكد القرآن الكريم الرسالات السماوية السابقة ، وبما جاء به أصحابها ، وذلك وضع منطقي وطبيعي ، إذ كل الرسالات كما أسلفت من الله ، وعلى هذا نص القرآن الكريم على أنه يجب على المؤمن الإيمان بالرسائل السابقين وبكتبهم الصحيحة المبرأة من التحريف والتزييف قال الله تعالى : " قَوْلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ " (5) .

(1) النحل : 36 .

(2) الأنبياء : 25 .

(3) نوح : 3 ، 2 .

(4) أحمد شلبي ، مقارنة الأديان : الإسلام (ط 8 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1985 م) ، ج 3 ، ص 112 .

(5) البقرة : 36 .

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "سئل بعض المتقدمين عن رجل قيل له: أتؤمن بفلان النبي، فسماه باسم لم يعرفه، فلو قال: نعم، فلعله لم يكن نبياً، فقد شهد بالنبوة لغير نبي، ولو قال: لا فلعله نبي، فقد جحد نبياً من الأنبياء، فكيف يصنع؟ فقال: ينبغي أن يقول: إن كان نبياً فقد آمنت به والخطاب في هذه الآية لهذه الأمة، علمهم الإيمان" (1).

ويؤخذ من قول القرطبي أن تحقق دعوى النبوة بإخبار من الله عزّ وجلّ كما مرّ في الآية الكريمة تقتضي الإيمان؛ فإنّ الإيمان بالإسلام والكفر بالرسالات الأخرى ناقض من تواقض الإيمان، وما يوضح هذا أكثر ما نصتّ عليه النصوص القرآنية السابقة التي تشير كلها إلى وحدة المصدر والغاية بالنسبة لكلّ الرسالات والنبوات.

والإيمان بجميع الرسل الذي أقرّه القرآن الكريم يخالف عقيدة اليهود التي تؤمن ببعض وتكفر ببعض، وقد تبعهم في ذلك النصارى وهكذا يتضح من الآيات ومثيلاتها أنّ الإيمان برسالات الرسل السابقين جزء من الإيمان في عقيدة الإسلام، كما يتضح ذلك من الآية الأخيرة حيث أنّ الإسلام يحتم على المسلم ألاّ يفرق بين الرسل، وعلى هذا يدخل الناس جميعاً الإسلام وكلّ يعرف أنّ دينه موضع احترام، وأنّ نبيه مكان إجلال، والكتاب الصحيح الذي أنزل على رسوله لا يزال موضع تقدير (2).

غير أنّ الإيمان بالرسالات يقتضي أن تطرح الخرافات والترهات التي أدخلها بعض أتباع هذه الديانات على دياناتهم، وهي الحقيقة التي أرشد إليها القرآن الكريم في أكثر من موضع عند حديثه عن أهل الكتاب.

إنّ الدين وضع إلهي، وكونه كذلك يجعل كل إضافة إليه من أية صبغة كانت، خروجا عن أصوله وحدوده التي حدّها الشارح الحكيم، وهو الأمر شاع في التوراة والإنجيل، عند الإخلال بقاعدة الوضع الإلهي للدين.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 140.

(2) أهدئيلي، الإسلام مرجع سابق، ص 113.

نكن " نزال الذي يتبادر إلى الذهن : هو لماذا كانت رسالات السابقين خاصة ، وجاءت رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) عامة ؟ .

إن هذا الافتراق الذي يقضي بخصوصية الرسالات السابقة بما فيها التوراة والإنجيل ، وعموم الإسلام وشموليته فتح الباب لبعض المتأولين والمغالين إلى رمي الإسلام بالعنصرية بسبب هذه الميزة التي يدعون أن نبي الإسلام حازها لنفسه، وقوعا تحت طائلة حنث الذات وإعلان الوصاية الدينية على الرسالات السابقة للإسلام ، هذا الكلام في الحقيقة محض افتراء و هراء ، فلقد كانت هناك أسباب واقعية جعلت الإسلام ناسخا للشرائع، شاملا لأصول الدين ، وإن هذه الميزة التي تراعت لهؤلاء بأنهم ميزة انفرادية ، هي على النقيض من ذلك أنقذت ماتبقى من أصول الشرائع السابقة وأدخلتها في الإسلام وزادت عليها تبعا للضرورة التشريعية و العبادية ، فإذا وضعنا في الحسبان وحدة الدين السماوي ؛ فإن اداعي للاستغراب من تقرير القرآن الكريم لشمولية الرسالة الخاتمة ، إذ لا يمنع المسيحي واليهودي أن يدخل في الدين الخاتم الذي ارتضاه الله لعباده (1) . وهي الحقيقة التي ألغت القرآن الكريم النظر إليهما بقوله : " إن الدين عند الله الإسلام " (2) . وقوله : " ومن يبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (3) .

ولقد جاءت إلى جانب ذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم تقرر أن عموم رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) هو عموم لخصوص وخصوص لعموم ، ولهذا كانت هي خاتمة الرسالات ، ولفظ الختم الذي عبر به العلماء عن الإسلام يفهم منه أن هذا الدين الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يخرج عن الحلقة العامة المتصلة بالوحي الإلهي ، وفي ذلك يقول الله تعالى : " وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَلِمَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا " (4) . ويقول : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " (5) .

إن عالمية رسالة الإسلام أمر أجمع عليه علماء الفكر الإسلامي ، وقد شهد بذلك بعض خصوم هذا الدين ، و هذه العالمية هي شئى انفرد به الإسلام دون غيره من الأديان .

(1) أحمد شلبي الإسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص 112 وما بعدها .

(2) آل عمران : 19 .

(3) آل عمران : 85 .

(4) سبأ : 208 .

(5) الأعراف : 157 .

وقوله تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ" (1).

ويقل أحمد شلبي عن محمد علي (2) قوله: "لم يرسل محمد إلى الناس كافة ورحمة للعالمين وحسب ، وإنما جاء ليبيّن دين واحد للناس أساسه الإيمان برسول كل أمة من أمم الأرض ، وهذا أمر لا يدفعه الناس حيث أنه يدعو إلى المساواة والوحدة بين جميع الأمم ."

غير أنه يمكن القول أن رسالة الإسلام قد جيت ماقبلها ، فقد حوت مافي الرسائل السابقة من مبادئ وأحكام وتشريعات ، وزادت عليها بما تحتاجه البشرية في كل جوانب الحياة ، وهو ما ذكرته بين يدي هذا البحث والذي أشار إليه قوله تعالى: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِمُؤَدَّاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ" (3).

ويقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: "إن الله شرع للمسلمين ديناً يحوي ماجاء به الأنبياء من نوح وعيسى (4) ."

وفي ذلك يقول سيد قطب: "إن هذا القرآن هو الصورة الأخيرة لكتاب الله الواحد ، المتحد الأصل والوجهة ، المسائرة لحاجات البشر ، حتى إذا كشف للناس عن الحقائق الكبرى التي تقوم عليها أسس الحياة ، انقطع الوحي ليتصرف العقل البشري في حدود تلك الحقائق الكبرى ، بلا خوف من الزلل مادام يرعى تلك الحدود ، ومن ثم فكل الحكم يجب أن يرجع إلى هذا الكتاب الأخير الذي يتضمن الباقي من شريعة الله كلها في كل كتاب ، ويضعها في الصورة الأخيرة الباقية إلى يوم القيامة (5) ."

فالإسلام هو دين التوحيد والحق الخالد الذي يعلو على كل الأديان والمعتقدات ، بان اشتمل احسن ما فيها وأضاف إلى ذلك مافي خير الإنسان في الدنيا والآخرة .

(1) الأحزاب: 40 .

(2) أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 115 ومابدها ، نقلا عن محمد علي في كتابه :

The Religion of Islam Vol 1 , p 161 .

(3) النور: 13 .

(4) البيضاوي ، التفسير ، ص 185 .

(5) سيد قطب ، الخلال ، ج 6 ، ص 66 ، 67 .

الفصل الثاني :

العصمة و فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة في القرآن .

المبحث الأول : عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : معناها و أدلة وجوبها

لما كان الغرض من إرسال الأنبياء عليهم السلام إلى البشر لتحقيق مقصد فطري وهو هدايتهم بما يصلح بهم حالهم في المعاش والمعاد ، فإن هذا يقتضي بالضرورة أن يكون الأنبياء أهلاً للقدوة والأسوة الحسنة ويعبر العلماء عن هذا بالعصمة .

المطلب الأول : المعنى اللغوي و الاصطلاحي للعصمة .

العصمة في اللغة معناها المنع يقال: عصمه الله إذا منعه مما يوبقه وعصمه يعصمه عصماً: إذا منعه ووقاه ، وفي القرآن الكريم : " قال سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِنِي مِنَ الْمَاءِ " (1) أي: يمنعني من الماء و يضيف : " قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ " (2) . أي: لا معصوم إلا من رحم الله . و العصمة الحفظ يقال عصمته فأنعصم بمعنى حفظه فأنحفظ واعتصمت بالله إذا امتنعت بلفظه من معصيته وعصمه الطعام : منعه من الجوع (3) . وفي قول امرأة العزيز: " وَلَقَدْ رَأَوْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ مُنْتَعِماً " (4) أي: أبي عليها ولم يجبها إلى ما طالبت وفي الحديث : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فإن قالوا فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم " (5) .

(1) هود : 43 .

(2) هود : 43 .

(3) ابن منظور، لسان العرب ، ج 3 ، ص 2976 ، 2979 .

(4) يوسف : 32 .

(5) انظر : في تخريج هذا الحديث : خ: 1 ، 13 ، 9 ، 138 ، م الإيمان: 34 ، 36 ، ن 5 : 6 ، 14 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 7 : 81 . و قد

أخرجه جمع كبير من المحدثين . انظر : أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، موسوعة الحديث النبوي الشريف (ط 1 ،

بيروت لبنان : دار الفكر ، 1450 هـ / 1989 م) ص 338 ، 339 .

و الحديث في البخاري عن ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسابهم على الله " .

انظر : البخاري ، الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب التوبة عن الشرك ، ج 1 ، ص 121 ، 122 .

المعنى الاصطلاحي للعصمة⁽¹⁾ فنأخذ منه تعريف الأشاعرة ، إذ هي عندهم القدرة على الطاعة بعد القدرة على المعصية .

المعتزلة فيعرفونها بأنها لطف من الله تعالى على المكلف لا يكون له داع إلى ترك الطاعة بارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك ، بمعنى أنه لا ينتهي إلى حد الإيحاء ؛ وطبقا لهذا التعريف لا يبيأ بسوا مجبورين ، بل إن استعدادهم كامل في التمييز بين الخير والشر . واستدل أصحاب هذا الرأي - وهم المعتزلة - على ما ذهبوا إليه بوجهين اثنين :

الوجه الأول : انعقاد الإجماع على أن الأنبياء مكلفون بترك الذنوب مثابون به ، ولو كان الذنب ممتنع عنهم لما كان الأمر كذلك إذ لا تكليف بذلك الممتنع ولا ثواب عليه .

الوجه الثاني : قوله تعالى : " قل إنما أنا بشر مثلكم " (2) . وعلى كل حال فابتهم رأوا أن العصمة تقتضي أربعة أشياء :

أولا : أن يكون لنفس الإنسان ملكة مانعة من الفجور داعية إلى العفة .

ثانيا : العلم بمطالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثا : تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله عز وجل .

رابعا : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملًا بل يعاقب وينبه ويضيق عليه نغز من الله تعالى .

فمضى اجتمعت هاته الأوصاف في رأي المعتزلة كان الشخص معصوما من المعاصي ولم يتوقر هذا إلا لأنبياء لنزول الوحي عليهم واختصاصهم دون غيرهم من قبل الله عز وجل بالنبوة والرسالة .

إن الفلاسفة الباطنية التي تدعى بأن العصمة مرادفة للولاية ، وأنها أكثر من ذلك لازمة من لوازمها ، هي في حقيقة الأمر فلسفات صنعها العقل ، ولم يصرح بها الوحي .

إن النبوة كما يؤكد العلماء هي مقام يختلف اختلافا جوهريا عن الفلسفات الباطنية التي تدعى الفيض الإلهي ، الذي يوهل أصحابها - بزعمهم - لبلوغ مرتبة النبوة ، و ما هي من النبوة في شيء .

(1) محمود ماضي، عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام (الإسكندرية مصر : مكتبة الإيمان ، 1990 م) ، ص 21 .

(2) الكهف : 110 .

المطلب الثاني : أدلة وجوب العصمة .

إن الراجح عند أغلب أهل العلم على أن الأنبياء عليهم السّلام معصومون قبل البعثة وبعدها ، وساقوا أدلة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السّلام ومن ذلك ما هو نقلي وما هو عقلي (1) .

الفرع الأول : الأدلة النقلية .

الدليل الأول :

قوله تعالى : " وَمَا كُنْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلِبَ وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (2) . وقوله تعالى : " مَا كُنْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ آلَاءٌ تُقَدَّرُ لِلنَّاسِ كَوْنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ " (3) .

يقول ابن حزم تبياناً لهاتين الآيتين : " وبذلك يكون الله قد نفى عن الأنبياء عليهم السّلام الغلول والكفر والتجبر كما أنه لا خلاف بين أحد من الأمة في أن يحكم الغلول كحكم سائر الذنوب ... وأن من جوزّ على الأنبياء شيئاً من تعدّد الذنوب جوزّ عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب ، وقد صحّ نفي الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء وتعمد الذنوب عنهم " (4) .

الدليل الثاني :

قوله تعالى : " وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ " (5) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " ثم اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم نبياً أو خليله صلوات الله عليه فقال بعضهم : هي شرائع الإسلام ... ولم يبتل أحد بهذه الكلمات فأقامها إلا إبراهيم فكتب الله له البراءة " (6) .

(1) انظر : محمود ماضي ، المرجع السابق ، ص 24 وما بعدها .

(2) آل عمران : 161 .

(3) آل عمران : 79 .

(4) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج 4 ، ص 20 .

(5) البقرة : 124 .

(6) الطبري ، التفسير ، ج 1 ، ص 414 .

ذكر الرازي (1) أن الآية الكريمة تدل على العصمة من وجهين :

الوجه الأول :

ثبت أن المراد من العهد في الآية الكريمة الأمانة ، ولا شك أن كل نبي إمام فإن الإمام هو الذي يؤتم به والنبي أولى الناس ، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقاً فاعلا للذنوب فالمعصية أولى (2).

الوجه الثاني :

هذا العهد الذي طلبه إبراهيم (عليه السلام) لذريته إن كان هو النبوة وجب أن لا ينالها أحد من الظالمين ، وإن كان هو الإمامة فكذلك ؛ لأن كل نبي لا بد أن يكون إماماً يؤتم به ، وكل فاسق ظالم نفسه فوجب أن لا تكون النبوة لأحد من الفاسقين (3).

الدليل الثالث :

لو صدر الذنب عن الأنبياء لتساووا في استحقاق الذنب والعقاب مع الناس بل لكان حالهم في ذلك أشد من حال عصاة الأمة ، فإنما يفهم من بعض النصوص القرآنية أن نعمة الرسالة والنبوة هي أعظم نعم الله على العباد ولم ينلها إلا صفة منهم وهم الأنبياء والرسل ، وكل من كانت نعم الله عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش ويؤكد ذلك قوله تعالى : " بِنَسَاءِ النَّبِيِّ لَيْسَ كَأَحَدٍ مِّنَ النَّسَاءِ " (4) .
وقوله : " بِنَسَاءِ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مَكَّنْ بِفَاحِشَةٍ مِّمَّنْ بَعْضُهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ " (5) .

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : " بِنَسَاءِ النَّبِيِّ لَيْسَ كَأَحَدٍ مِّنَ النَّسَاءِ " (6) : " يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا نساء النبيء لستن كأحد من النساء من هذه الأمة إن اتين الله فاطعته فيما أمركن و نهاكن " (7) .

(1) انظر: الرازي ، التفسير الكبير ، ج 4 ، ص 43 .

الطبرسي (الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن) ، مجمع البيان في تفسير القرآن (بيروت لبنان : منشورات دار مكتبة الحياة ، 1380 هـ / 1961 م) ج 1 ، ص 85 .

(2) المصدر نفسه .

(3) المصدر نفسه .

(4) الأحزاب : 32 .

(5) الأحزاب : 30 .

(6) الأحزاب : 32 .

(7) الطبري ، التفسير ، ج 22 ، ص 3 .

الدليل الرابع :

قد ورد في بعض الأحاديث النبوية الصحيحة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نفى عن نفسه أخف الذنوب و أهونها ، وهذا حتى لا تكون هذه ذريعة يتذرع بها خصوم الإسلام للطعن في الدين و ذلك من خلال الطعن في شخصه (صلى الله عليه و سلم) ، و مثال ماورد من ذلك قوله (صلى الله عليه و سلم) كما نقلت ذلك كتب الصحاح : " ما همت بتبيح مما هم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر وكناهما عصمني الله عز وجل منهما " (1) . ويؤخذ من هذا الحديث دلالة على العصمة قبل النبوة .

الفرع الثاني: الأدلة العقلية :

ذكر العلماء مجموعة من الأدلة العقلية استدلوا بها على وجوب عصمة الأنبياء ومنها :

الدليل الأول :

إن كون النبي نبياً يجب أن يمنع هذا من وقوع الكذب منه واستحالته في حقه ؛ لأنه لا يجوز أن يصدق الكذاب لأن تصدقه الكذاب قبيح (2) .

الدليل الثاني :

من المعلوم أن الناسي بالرسول واجب ، وذلك لا يجوز إلا من تجوز كون أن الأفعال غير ذنوب (3) وقد قال تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم : " فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَوَاهُ اللَّهُ فَاتَّبَعُونَاهُ فَاسْتَمِعُوا لِمَا يُحْكُمُ اللَّهُ " (4) .

(1) بطر : ك 4 : 245 وكنز العمال 32135 و الحديث في دلائل 1 : 58 مطالب 4259 . يلفظ آخر : " ما همت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهيمون به ... " .

لمرхан التوري (ت 575 هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ، ضبطه و فسر غريبه الشيخ بكوري حياثي ، و صححه ووضع فهرسه و مفتاحه الشيخ صفوت الشفا (بيروت لبنان : مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ / 1993 م) ج 11 ص 32135 . الحديث رواه علي بن أبي طالب .

(2) القاضي عياض ، الشفا ، (مؤسسة القارابي ، بدون تاريخ) ج 3 ، ص 124 .

(3) ابن نبيوة ، الفتاوى الكبرى ، قدم له و عرف به حسين محمد مخلوف (بيروت لبنان : دار المعرفة ، بدون تاريخ) ج 2 ، ص 337 . وابن تيمية : هو شيخ الإسلام أبو العباس نقي الدين أحمد ابن عبد الحلیم الشهير بابن تيمية (ت 728 هـ) .

(4) ال عمران : 31 .

وإن الإتيان بمقتضى الآية يستلزم عدم وقوع الذنب من النبي وهو شرط الاقتداء به ، فلو لم تكن العصمة من صفاته اللازمة لما كنا مكلفين باتباعهم في جميع أفعالهم وأقوالهم .

و من ذلك يتضح من أقوال المتكلمين والمفسرين أن الأنبياء لم يذنبوا ولم يتعمدوا مخالفة أمر الله عز وجل . وأن الصحيح من مذهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعا وتتبع الآيات المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل . فيوسف - مثلا - عندهم مبرأ من الوقوع فيما يؤخذ به وأن الوقوف عند قوله تعالى : " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا " (1) ثم يبتدئ : " وَهَرَبَ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ " (2) كما تقول : قلت زيدا لولا أنني أخاف الله فلا يكون الهم واقعا بوجود المانع منه وهو رؤية البرهان (3) .

إن الهم كما بينت من أقوال العلماء و المفسرين لا يجب أن يفهم على ظاهره ، و هو ما جعل بعض المفكرين يقع تحت طائلة تأويله بالوقوع في الذنب ، و من ثم القول بما يخالف العصمة .

إن أرجح الأقوال في تأويل قوله تعالى : " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا وَهَرَبَ " (4) هو ما ذكره الطبري إذ يقول في ذلك : "... وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمتل هذا و هو لله نبي ، إن أهل العلم اختلفوا في ذلك فقال بعضهم : كان ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة فإثما ابتلاه الله بها ليكون من الله عز وجل على رجل و قال آخرون : بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الأياس من عفوه عنهم إذا تابوا " (5) .

(1) يوسف : 24

(2) يوسف : 24

(3) محمود ماضي ، المرجع السابق ن ص 28 .

(4) يوسف : 24 .

(5) الطبري ، التفسير ج 12 ، ص 109 ، 110 .

المطلب الثالث : عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : إثبات النبوة و دفع الشبهة .

لقد تتبع العلماء (1) آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها أن الأنبياء (عليهم السلام) قد وقعوا في بعض الذنوب فذاف يتلائم ذلك مع القول بعصمتهم ، فعرضوا الشبهات التي أثارها بعضهم حول الأنبياء (عليهم السلام) بوقوعهم تحت طائلة الإسرانليات .

الفرع الأول : القرآن الكريم و شبهة معصية آدم (عليه السلام) .

ورد في حق آدم (عليه السلام) بعض الآيات التي يوحي ظاهرها بأنه بعدما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها بقوله تعالى : " وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ " (2) . فإن آدم بهذا خالف أمر ربه وصار عاصيا ورجع إلى الله تائباً فقبل الله توبته ، والتوبة تقتضي وقوع المعصية في رأي بعض العلماء لقول الله تعالى عن آدم (عليه السلام) : " وَقَالْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَازَلَمْنَا الشَّيْطَانَ عَنْهَا فَأَخْرَجْنَاهُمَا كَانَا فِيهَا وَقَلْنَا لِعَظْمَاءِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عَدَاوَةٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ مِنَ النَّوَّابِ الرَّحِيمِ " (3) .

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : " وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ " (4) : " وأما تأويل قوله: فتكونا من الظالمين فإنه يعني به ، فتكونا من المعتدين إلى غير ما أذن لهم وإيبح لهم فيه وإنما عنى بذلك إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدى حدود و عصى أمري واستحل محارمي ، وأصل الظلم في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه " (5) .

(1) محمود ماضي ، المرجع السابق ، ص 28 وما بعدها .

(2) البقرة : 35 .

(3) البقرة : 35 ، 37 .

(4) البقرة : 35 .

(5) الطبري ، التفسير ج 1 ، ص 185 ، 186 .

ويقول سبحانه وتعالى : " فَأَكَلَا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُمَا أَنْ يَنْزِعَا مِنْهَا لَوْ عَجَلَا " فآكلَا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُمَا أَنْ يَنْزِعَا مِنْهَا لَوْ عَجَلَا . (1)

قال القرطبي : " اختلفوا كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى : " فَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ " ؟ فقال قوم : أكلوا من غير التي أُشير إليها ، فلم يتأولوا النهي واقعا على جميع جنسها وقيل أكلها ناسيا ، وهو الصحيح لإخبار الله تعالى بذلك حتما وجزما فقال : " وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى الْإِنْسَانِ قَبْلَ نُسُوبِهِ وَلَمْ يُحَدِّثْ لَعْنَةً " (2) ، ولكن لما كان الأنبياء عليهم السلام يلزمهم من التحفظ والتيقظ لثمرة معارفهم وعلو منازلهم ما يلزم غيرهم ، كان تشاغله عن تذكرة النهي تضييعا صار به عاصيا أي مخالفا (3) .

وذهب الطبري (4) إلى أن آدم (عليه السلام) كان مندوبا إلى الأكل من الشجرة ولم يكن مأمورا قال في مجمع البيان : " اختلف في هذا النهي فقيل إنه نهى التحريم وقيل إنه نهى التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره : لا تجلس على الطريق .

غير أن الطبري مع ذلك يقر بخطيئة آدم (عليه السلام) ، حيث يقول : " و القول في ذلك عندنا أن الله عز وجل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلوا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها قاتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلوا منها بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ... " (5) .

(1) طه : 121 .

(2) طه : 115 .

(3) القرطبي ، التفسير ، ك الشعب ، ج 1 ، ص 260 ، 261 .

ابن العربي ، أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (دار الفكر ، بدون تاريخ) ج 3 ، ص 1261 .

وابن العربي هو أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي 468 هـ / 543 هـ .

(4) الطبري ، جامع البيان ، ج 1 ، ص 185 .

(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 184 ، 185 .

وذبح محمد رشيد رضا الى أن المخالفة وقعت قبل النبوة إذ جاء في تفسير المنار : * وأما مسألة عصمة آدم ، فالجري على طريقة السلف يذهب الى أن العصيان والتوبة من التشابه كسانر ما ورد في القصة مما لا يركن العقل الى ظاهره ، لنا أن نقول : إن تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كما قال الله تعالى في شأنه : " فَكَيْفَ وَلِمَ جِدَّ لَهُ عَزْمًا " (1) ... و الاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة وقد يكون الذي وقع من آدم نسيانا ، تفخيما لأمره عصيانا والنسيان والسهو مما لا ينافي العصمة " (2) .

هذه هي عبارة الآراء التي رصدها العلماء لدفع شبهة معصية آدم (عليه السلام) وتأويلها من طريقة إثبات العصمة لإثبات النبوة ، ويتضح من هذا أن آدم (عليه السلام) لم يتعمد مخالفة الأمر الإلهي ، وإنما تناول هذا الأمر مجتهدا أو ناسيا لأمر الله عز وجل فعاقبه الله تعالى بإخراجه من الجنة فلا يصح رميه بالعصيان أو الزعم أن ما وقع منه كان قبل نبوته ، وهذا كله لا يخل بمنصب النبوة .

(1) طه : 115 .

(2) بحث رشيد رضا، تفسير المنار ، (بيروت لبنان : دار المعرفة ، بدون تاريخ) ج 1 ، ص 280 .

ورد في القرآن الكريم أن نوحا (عليه السلام) طلب من ربه سبحانه وتعالى أن ينجي ابنه قائلا :
رَبِّ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ مِنْ عِبَادِكِ الذُّغَابِ وَالْمُغَابِقِ وَقُنْ لِي آيَاتِكَ لِيُذَكِّرَنِي فَتَعَالَى رَبِّي إِنَّ أَبْتَنِي مِنْ أَهْلِي (1) فاجابه سبحانه وتعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ " (2) وهذا يدل -كما يقول بعض العلماء - على أن نوحا (عليه السلام) كما يظهر من الآية قد كذب على الله والكذب كبيرة تخالف العصمة .

يقول ابن حزم في رد هذه الشبهة أن هذا الذي ساقه مجوزوا الذنب على الأنبياء لاحجة لهم فيه ذلك أن نوحا (عليه السلام) تأول وعد الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة ، ولم يسأل نوح من أين أنه ليس من أهله فتفرغ على ذلك نهى أن يكون من الجاهلين فندم ونزع وليس مهنا عن المعصية البتة (3) .

وهذا الذي قاله ابن حزم يؤكدُه أحمد بن المنير الاسكندري فنوح (عليه السلام) كما قال : "لم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور ولا مطلقا على باطن أمره بل معتقدا بظاهر الحال أنه مؤمن بقي على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل في المستثنين فسأل الله فيه (4) .

ويضيف أحمد بن المنير : "والذي أبانه الله تعالى أولى بأن يكون عذرا منه وعتبا فإن نوحا (عليه السلام) لا يكلفه الله سبحانه وتعالى علما استأثر به غيبا وأما قوله تعالى : "إِذْ جِئَ أُعْظَمُكَ أَنْ تَكْفُرَ مِنْ أَهْلِكَ" (5) فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره وأنه إن وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبيح (عليه السلام) على سمة العصمة والموعظة لا تستدعي وقوع ذلك (6) .

(1) هود : 45 .

(2) هود : 46 .

(3) ابن حزم ، الفصل ، ج 4 ص 20 .

(4) أحمد بن المنير ، الاتصاف بهامش الكتاب للزمخشري ، ج 2 ، ص 400 .

(5) هود : 46 .

(6) أحمد بن المنير ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 400 .

والذي ذكرته يؤكد صراحة أن نوحا (عليه السلام) لم يتعمد قول ما قاله في دعوة الله لابنه لانه لم يكن يعلم بكفر ابنه وهذا لا يقضي على نوح (عليه السلام) بمعصية ، ثم إنه - أي نوح (عليه السلام) - يكون حسب الآيات التي سقتها - قد تأول وأقدم على السؤال في من لم يؤذن له فيه ولاتهي عنه.

وهذا الذي قرره العلماء والمفسرون عن دفع شبهة المعصية عن نوح (عليه السلام) يخالف ماجاء من مذاهي التوراة.

الفرع الثالث: القرآن الكريم و شبهة ابراهيم (عليه السلام) .

وأتناول في هذا مسألتين اثنتين:

المسألة الأولى :

إن هناك بعض الآيات الواردة في حق أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) ربما يفهم من ظاهرها تزده في الإيمان، حيث زعم بعض العلماء اعتقاده ألوهية الكواكب ، وهذا التردد - على حد زعمهم - بين الشرك ، والشرك ينافي العصمة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُرُبَاءَ قَالَ هَذَا لِي مِن لَّدُنِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُوَدِّعُنَّ آلِيَّ كُرُبَاءَ يَتَذَكَرُ الْعَذَابَ مَا لِيَ بِأَلِيٍّ مِن لَّدُنِّي فَذَرْنِي مَعَ وَصِيَّتِي وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن آلِيٍّ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ مَجَازٍ وَمَنْ يَسُبَّ النَّبِيَّ فَسُبَّ اللَّهُ عَنَّا فَذَمَّنَا فَاغْلُظْ صُغُرَ ظُلْمِ الْغَاظِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَأُخْرَجُنَّ مِنْ أَرْضِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُخَدَعِينَ** (1).

ولقد ناقش العلماء مسألة شبهة معصية إبراهيم (عليه السلام) يقول ابن العربي: (والذي أوتيته إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) من العلم بالحجة بظهور دلالة التوحيد وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى والشك فيه والإخبار أن ما جرى بينه وبين قومه إنما كان احتجاجا ولم يكن اعتقادا) (2).

إن الاحتجاج كما يقول العلماء يقتضي التشبيه التمثيلي ، الذي يعين على إدراك الحقيقة وإزالة الحجب التي تحول دون ذلك ، فلا يمكن أن يكون أسلوب الاحتجاج - من جنس السذي جاء به إبراهيم (عليه السلام) - ضربا من ضروب الاعتقاد .

(1) الأنعام : 76 إلى 79 .

(2) انظر: ابن العربي ، أحكام القرآن ، ج 2 ، ص 732 .

أما الزمخشري فيقول : " وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب
 يريد أن يبينهم على الخطأ في دينهم ويرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر
 لصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إليها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدث أحدثها
 وصانعها ومدبراً دبّر طلوعها وأقولها " (1) .

وقد ردّ الزمخشري (2) على من رموا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) بالشرك فيقول في هذا
 الشأن : " وقول إبراهيم (هذا ربّي) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه باطل ، فيمكن قوله كما هو
 غير متعصّب لمذهبه ثم بكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجّة حيث يقول (لا أحب الأفلين) أي لا أحب
 عبدة الأرباب المتغيّرين من حال إلى حال ، المنتقلين من مكان إلى مكان ، المحتجبين بستر فإن ذلك من
 صفات الأجرام ، وقوله (لنن لم يهديني) تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إليها وهو نظير الكواكب
 فهو ضالّ وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه أي أنه قالها على سبيل التقدير لتفريح قومه كما في
 قوله تعالى للكفار : " حَيْثُ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ " (3) .

المسألة الثانية :

ما ورد من الآيات حول استغفار إبراهيم لأبيه في قوله تعالى : " قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي " (4)
 وقوله تعالى : " وَأَعْرِضْ لِأبي إِنَّكَ أَنْتَ الصّالِحِينَ " (5) .

ولقد فهم بعض العلماء من تشبيههم بظاهر الآيات أن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) قد ارتكب ذنباً ؛ لأن
 أباه كان كافراً ، والاستغفار للكافر غير جائز لقوله تعالى : " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
 لِلنَّاسِ مَن كَفَرَ " (6) .

والحقيقة أن الاحتكام إلى ظواهر الآيات من الخطأ بما كان ، ذلك أن ظاهر اللفظ كما يؤكد علماء
 اللغة ، لا يبدل - في كل الحالات - على المعنى المراد ، ومن ثم لجأ كثير من العلماء إلى تداعيات
 اللفظ ومعانيه قبل استنباط الأحكام .

(1) الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ص 40 .

(2) المصدر نفسه .

(3) الدخان : 49 .

(4) مريم : 47 .

(5) الشعراء : 86 .

(6) التوبة : 113 .

وقد سؤل العلماء المحققون هذه التنبية وردوا عليها من وجوه فذهب القرطبي فوجد في قوله ابن عباس ما يبرء إبراهيم عن المعصية ، قال ابن عباس : " كان أبو إبراهيم وعد الخليل أن يؤمن بالله ويحج له ويحطع ما يتخذة معه من الأنداد ، فلما مات على الكفر علم إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أنه عدو الله فترك الدعاء له " (1) .

وذهب ابن حزم إلى أن إبراهيم لم يكن نهي عن الاستغفار بدليل أنه لما علم أنه لن يؤمن ترك ذلك وعدل عنه (2) ، لقوله تعالى : " فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ " (3) فالتى الله سبحانه وتعالى عليه بذلك .

وليس في أي من الوجهين مما ذكره القرطبي وابن حزم ما يدل على المعصية ، فصح أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان عن موعدة وعدها إياه كما ذكر القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلا عن موعدة وَعَدَّهَا إِياه فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَقْرَبُ رَحِيمًا " (4) .

إذا لم تكن الموعدة إلا أنه وعده أن يؤمن بدينه وأن يتبعه ، فلما لم يؤمن ومات كافراً تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها ، فزوال الأمر كما يقول العلماء بزوال أسبابه وشروطه .

(1) القرطبي ، أحكام القرآن ، ج 2 ، ص 1023 ، وانظر الوليدي ، أسباب النزول (دار العلم ، بدون تاريخ) ، ص 176 .

(2) ابن حزم ، الفصل ، ج 2 ، ص 40 .

(3) توبة 114 .

(4) التوبة 114 .

ذكر بعض العلماء في حق يوسف (عليه السلام) شبهة والتي مفادها أنه هم بارتكاب الفاحشة مع امرأة العزيز، ودليلهم في ذلك قول الله تعالى: "وَلَمَّا مَتَّ بِمَوْهَمِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (1) .

والأخذ بظاهر هذه الآية الكريمة جورٌ لبعضهم أن يقول: إنَّ هذه المعصية مناقية للقول بالمعصية .
ولقد تمسك العلماء المحققون لهذه الشبهة، وصرفوها عن ظاهرها، بما يحفظ ليوسف (عليه السلام) عصمته، وذلك من وجهين :

الوجه الأول: رد الشبهة بالاعتماد على الاشتقاق اللغوي لمعنى الهم .

رد بعض العلماء هذه الشبهة ببيان أن معنى الهم في اللغة يرد على معان أربعة:

1- العزم على الفعل لقول تعالى: "إِذْ مِرْقَمُوا أَنْ يَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ" (2) . أي: أرادوا ذلك وعزموا عليه (3) .

2- حضور الشيء باليال، قال تعالى: "إِذْ مَتَّ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا" (4) . أراد الله تعالى أن الفشل خطر ببالهم، ولو كان المراد العزم لما صح أن يكون الله وليا لهم لأن العزم على المعصية معصية (5) .

يذكر الطبري أن الهم في قوله تعالى: "إِذْ مَتَّ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا" (6) ، المراد منه الضعف والوهن وهو تقيض العزم، يقول الطبري: "... و ذلك أنه كان ذلك منهما على الضعف و وهن أصابهما من غير شك أصابهما في دينهما فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته و عائدته حتىّ سلمتا من وهنهما و ضعفهما ولحقنا بنبيهما صلى الله عليه وسلم" (7) .

(1) يوسف: 24 .

(2) المائدة: 11 .

(3) الرازي، عصمة الأنبياء، ص 76 .

(4) آل عمران: 122 .

(5) الرازي، المرجع السابق، ص 76 وما بعدها .

(6) آل عمران: 122 .

(7) الطبري، ج 4، ص 48 .

3- يستعمل بمعنى المقاربة ، يقولون هم بكذا أي كاد يفعله .
قال ذو الرمة (1) : أقول لمسعود بجرعاء مالك وقد هم دمي أن يلج أوائله .
فالدمع لا يجوز عليها العزم وإنما أراد أنه كاد أو قارب .
4- الشهوة وميل الطماع وهو قول للرازي (2) .

الوجه الثاني : رد الشبهة بالاعتماد على اختلاف المقصد من الهم .

قال تعالى : " ولقد هممت بضميرها لولا أن برأيت من ربها (3) . فاختلف في تأويل هذه الآية على وجه ونختار منها رأي من حملوا الهم في الآية على العزم فيجب تعليقه بغير التبيح كان يكون المعنى : ضربها أو دفعها عن نفسه " وهذا رأي لابن كثير (4) .

أما الطبري فحمل الهم في الآية على الوجه الذي حمّله عليه ابن كثير إذ قال : " ولقد همّت بالفاحشة منه وأزابت ذلك وهم يوسف بضربها ودفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان أي : بضربه ... " (5) .

ويضرب ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (6) دليلاً على صحة ما ذهب إليه من اختلاف المقصد من الهم في القرآن الكريم بين يوسف وامرأة العزيز ، فلقد أخبر الله تعالى أن الله صرف عن يوسف السوء والنحشاء وهذا يدل على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين " (7) .

-
- (1) هو شاعر من العصر الأموي ، و ذو الرمة الكنية التي اشتهر بها أبو الحارث عيلان بن عقبة بن نهبس (أبو هيبس) ، ولد 77هـ / 696م [ت 117هـ / 735م] ، له ديوان شعر مطبوع من شراحه الأسمعي والأتباري ، وقد نشره المستشرق البريطني مكرتني عام 1919م وكذلك نولدكه الألماني .
انظر : أحمد عملية الله ، القاموس الإسلامي (ط 1 مصر : مكتبة النهضة المصرية ، 1386هـ / 1966م) ، ج 2 ص 447 .
(2) الرازي ، المرجع السابق ، ص 76 وما بعدها .
(3) يوسف : 24 .
(4) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 2 ص 474 .
(5) الطبري ، جامع البيان ، ص 529 .
(6) ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، ج 2 ص 339 .
(7) المصدر نفسه .

ورد في شبهة موسى (عليه السلام) قتله المصري الذي قال القرآن الكريم فيه: " فَوَكَّرَهُ مَوْجِبِي
مَوْجِبِي (1) فقال موسى (عليه السلام) : " قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي " (2) وقال : " قَالَ فَعَلَيْهَا إِذَا أَنَا
مِنْ تَحْتِهَا " (3)

فمنكرو عصمة الأنبياء (عليهم السلام) يقولون إن هذه كبيرة تتنافى مع القول بالعصمة ،
وتنكر النبيين جوزوا الصغائر على الأنبياء (عليهم السلام) حملوها محملاً حسناً وقالوا : " الاستغفار
رتبة نجب من الصغيرة كما نجب من الكبيرة وهو رأي للجباني ، وتمسك الذين جوزوا الصغيرة
عن الأنبياء (عليهم السلام) قبل النبوة بقول موسى (عليه السلام) : " فَعَلَيْهَا إِذَا أَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ " (4)
وعوا ذلك قولاً راجحاً وصحيحاً ، يقول ابن حزم في تأويل هذه الشبهة : " وهو حاله قبل النبوة فإنه
كأن ضالاً عما اهتدى له بعد النبوة ، وضلال الغيب عن العلم كما تقول : أضللت بعيري لا ضلال
التصالي الإثم " (5) .

ويفهم من قول ابن حزم أن الصغائر التي تحدث قبل البعثة لا تشعر بأي خسة ، ولا تتنافى مع
عصمة الأنبياء .

وأما الذين جوزوا العصمة على الأنبياء (عليهم السلام) منذ ولادتهم فإن موسى (عليه السلام)
عندهم لم يتعمد القتل ولا إرادته وإنما أراد دفع الظلم وكل أذى يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير
أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح .

(1) التمس : 15 .

(2) التمس : 16 .

(3) الشعراء : 20 .

(4) الشعراء : 20 .

(5) ابن حزم ، الفصل ، ج 3 ، ص 12 .

ذكرت التوراة بعض الأفعال المخلة ونسبتها لداود (عليه السلام) وهو ما أورد بعض المفسرين في تفسيرهم وهو مما لا يجوز اعتماده و لا القول به ؛ لأنه يتنافى مع عقيدة القرآن الكريم في عصية الأنبياء (عليهم السلام) .

يقول صاحب الكشاف⁽¹⁾ عن نبي الله داود عن دفع شبهة تأمره على قائد جيشه أوربا والزواج من زوجته فقال : " وأما ما يذكر أن داود (عليه السلام) تمنى منزلة أبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فقال : يا رب ، إن أبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليهم أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها ، قد ابتلي إبراهيم بمرور ذبيح ابنه إسحاق لذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه أنك لمبى في يوم كذا وكذا فاحترس ، فلما جاء ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ في الزبور فجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فأمتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها ، فأبصر امرأة جميلة قد نفضت شعرها فغطى بدنها ، وهي امرأة أوربا وهو قائد الجند ، فبعثه وقدمه على التابوت وكان من يتقدم لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله له على يده أو يستشهد ، ففتح الله له على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل ... فتزوج امرأته ، فهذا ونحوه مما لا يصح أن يحدث لبعض المتسمين بالصلاح من أبناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء . و هذا ما يفهم منه أن ما ذكره مجوزو الذنوب والمعاصي على الأنبياء هو من محض الافتراء و الهراء الذي لا ينبغي أن يلتفت إليه ؛ و ذلك لتعارضه مع الأدلة النقلية الصريحة التي ذكرها العلماء المحققون في هذا الباب .

إن ما نقلته الروايات بشأن داود (عليه السلام) ، و ما نسج حولها من أباطيل لهو محض الافتراء . ذلك أن النظرة الفاحصة في هذه الروايات تفضي - لا محالة - إلى ردها لتعارضها مع النصوص الصحيحة الواردة في القرآن الكريم عن داود (عليه السلام) ، وهو الأمر الذي أكدّه المحققون في تاريخ النبوات .

(1) الرمخفري ، الكشاف ، ج 3 ، ص 320 .

ر يستكر الزمخشري هذه القصة ويذكر من الأخبار ما يؤكد استبعادها ؛ وذلك لأنها لو صححت فأتها
نم إخلالا عظيما بمقام النبوة وهما لمبدأ العصمة (1).

ويقول البيضاوي في تفسيره " ما قيل إنه أرسل أوريا مرارا إلى الجهاد وأمر أن يقوم حتى قتل
نرجها - أي تزوج زوجة أوريا - فهو هراء واقترأ ... " (2).

ومن ثم فإن الزمخشري و البيضاوي قد دفعا هذه الفرية الإسرائيلية والتي اغتر بها بعض العلماء
نسلمين والتي يمكن تفسيرها على وجوه ثلاثة :

وجه الأول : أن الدخول في دم أوريا أي التآمر على قتل أوريا أعظم من التزوج بامرأته فكيف ترك
نه كذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف ؟.

وجه الثاني : أن السورة من أولها إلى آخرها في محاجة منكري النبوة فكيف بلانها القدح في بعض
نكر الأنبياء بهذا الفسق القبيح ؟.

وجه الثالث : إن قوله تعالى : " فَخَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَعْبُدْنَا لَإِنِّي وَحُشْنُ مَكِبٍ " (3) لا يلائم العشق
نقل .

إن هذه الأباطيل والأضاليل تتنافى - في عقيدتنا نحن المسلمين - مع عصمة الأنبياء
عليهم السلام التي تجب لهم بموجب النبوة التي شرفهم الله تعالى بها ، فهي فرية لا يقبلها عقل ولا
ع.

قد عملت الإسرائيليات على تشويه صورة الأنبياء (عليهم السلام) ، و القدح في سيرتهم ، و علاوة
على أن الفطرة السليمة تمج هذا وترده ، فإن الذي يحقق في هذه الإسرائيليات يجدها مأخوذة عن بعض
لمكتوبات التي تفكر إلى عنصر التوثيق و التدقيق ، مما يجعلها باطلة لا يعتد بشيء منها .

(1) زمخشري ، المرجع السابق ، ج3 ، ص320 .
(2) البيضاوي ، قول للتزوير و أسرار للتزوير ، ص603 .
(3) ص25 .

الفرع السابع : القرآن الكريم و شبهة معصية النبي الخاتم (عليه الصلاة و السلام) .

النبي الخاتم (عليه الصلاة و السلام) معصوم كعصمة إخوانه من الأنبياء (عليهم السلام) ، لا تفرق بين أحد منهم ، فلا يمكن بمقتضى ذلك أن تقع منه مخالفة لأمر الله عز وجل .

ولقد تتبع المفسرون والعلماء المحققون ماورد في حقه (عليه الصلاة و السلام) مما يورث ظاهره بوقوع النبي (عليه الصلاة و السلام) في المعصية و من أمثلة ذلك :

أولاً : من قبيل هذا قوله تعالى : " ووجدك ضالاً فهدى " (1) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : " ووجدك ضالاً فهدى " (2) كقوله : " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ أَمْرٍ مَا كُنْتَ تُدْرِي مَا الْكَلْبُ وَالْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا " (3) ... و منهم قال : إن المراد من هذا ، أن النبي (عليه الصلاة و السلام) ضلّ في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع ، وقيل إنه ضلّ وهو مع عمه في طريق الشام ف جاء جبريل ثم عدل بالراحلة إلى الطريق (4) .

ثانياً : ومما ورد في شبهة معصية النبي الخاتم (عليه الصلاة و السلام) الأخذ بظاهر قوله تعالى :
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " (5) .

ويفيد الفهم الظاهر لهذه الآية أنه حدثت المغفرة من الله تعالى محمد (صلى الله عليه وسلم) والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب والذنوب تخل بالعصمة .
وهذا الذي قلته هو أمر تجمع عليه كثير من مصادر الفكر الإسلامي ، و هو كذلك مما تقتضيه الفطرة السليمة و يدعو إليه الفكر الصحيح .

(1) الضحى : 7 .

(2) الضحى : 7 .

(3) الشورى : 52 .

(4) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 4 ص 533 .

(5) الفتح : 2 .

يريد الأشاعرة على هذه الشبهة بأنه قد يكون المراد من قوله تعالى: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (1) فقالوا: قد يكون معناه ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر فإن الرجل المعتبر إذا أحسن بعض خداه أو أساء فإنه يقال له: أنت فعلت كذا وإن لم يكن هو فاعله بنفسه " (2).

ثالثاً: معاتبه الله تعالى للنبي الخاتم (عليه الصلاة والسلام) في الإذن للمناققين . يقول الله تعالى: **عَا لَلَّهِ عَنكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لِهَذَا** (3). فظاهر الآية يدل على أنه (عليه الصلاة والسلام) أذنب لأن العفو لا يكون إلا بعد الذنب باتفاق العلماء .

ذهب ابن كثير (4) إلى أن العتاب الذي ورد في الآية السالفة هو أفضل وأحسن عتاب لأنه " نداء لغو قيل المعاتبه فقال (عفا الله عنك...) وقال قتادة: عاتبة ثم أنزل التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء .

ويرى الطبرسي (5) أن ما ورد من الآيات مشتملا على عتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يشير إلى أي عتاب، فضلا عن وقوع الذنب، وذلك لأن الله تعالى رفع منزلته بالدعاء له في بداية الآية، يقول صاحب (مجمع البيان): "معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهؤلاء في الخروج لأنهم استأنوا فيه غلقا ولو خرجوا لأرادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك في سيرتهم".

ولا يخرج الطبرسي - في هذا النص - عما ذكره من قبله من المفسرين فهو يفسر العتاب في مسألة الإذن للمناققين بأنه تحذير من الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) من الوقوع في الذنب لا الوقوع فيه .

(1) الفتح: 2 .

(2) الرازي، عصمة الأنبياء، ص 436 .

(3) النوبة: 43 .

(4) ابن كثير، التفسير، ج 2 ص 360 .

(5) طبرسي، مجمع البيان، ص 351 .

ويرى الزمخشري أن قوله تعالى: "عَذَابُ اللَّهِ عَظِيمٌ" (1) : كناية عن الجناية؛ لأن العفو مرادف لها ومعناه: أخطأت وبنس مافعلت، وقوله تعالى: "لَمْ أَذِنْتُ لَهُمْ" (2) بيان لما كنى عنه بالعفو عن القعود عن الغزو حين استأذنتوك واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأنيت (حتى يتبين لك) من صدق قبي عذره ممن كذب فيه وقيل شينان فعليهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يؤمر بهما: إذنه للمناققين وأخذه من الأسارى... (3).

رابعاً: انشغاله (عليه الصلاة والسلام) عن الأعمى ابن أم مكتوم (رضي الله عنه) ويقول القرآن الكريم في ذلك: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه بُرِّئَ رَبِّي" (4).

ذهب مجوزوا الذنوب على الأنبياء إلى أن النبي قد ارتكب ذنباً بفعله هذا وبدليل معاتبة الله تعالى له غير أن الأمر غير ذلك فالأنبياء عامة لا يقال فيهم أنهم أتوا أو فعلوا ذنوباً وإنما يقال إنهم تركوا ما لو فعلوه استحقوا ثواباً أكثر.

إن بعض مفسري الإمامية يرى أن عتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما هو من قبيل: إياك أعني واسمعي بإجارة فعند هذه الآيات يقول مانصته: "وقد استبعد بعض العلماء كون الآيات في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لبعده مقامه عن العيوس والتولي عن الأعمى وعلو مرتبته من أن يصير معاتباً بمثل هذا العتاب... أقول: لو كانت الآيات فيه والعتاب له لم يكن فيه نقص شأنه ولم يكن منافياً لما قاله تعالى في حقه من قوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (5). فإن إقباله وإدباره وعبوسه واستبشاره كان لله... فالخطاب والعتاب يكون لغيره في الحقيقة (6).

تجب الإشارة هنا إلى أن الإمامية، وهي فرقة من فرق الخوارج، يعرف عنها اعتدالها وبعدها عن الغلو، وأنها لا تختلف - في أصول الاعتقاد - عن أهل السنة وتفيهم لمعصية النبي (صلى الله عليه وسلم) من أظهر الأدلة على ذلك.

(1) التوبة: 43.

(2) التوبة: 43.

(3) الزمخشري المختلف، ج 2، ص 274.

(4) عبس: 1، 3.

(5) نظم: 4.

(6) التلميح لك الطبري تفسير القرآن، (مطبعة طهران: 1352هـ) ج 1، ص 437.

وهذا يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أُنجَابًا ۚ الْأَعْمَىٰ" (1) : "جاء بصيغة

تحكيية عن أحد آخر غائب غير المخاطب ، وفي هذا الأسلوب إحياء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب الله سبحانه أن يواجهه به نبيه وحبيبه عطفًا عليه ورحمة به وإكرامًا له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه " (2) .

وأما الطبري (3) في تفسيره فيذكر في قوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ" (4) أنه كان (عليه السلام) قد جنس إلى بعض عظماء قريش ورجا إسلامهم وعلم أنه لو أسلموا لأسلم بإسلامهم ناس كثيرون ، وأظهر الدين وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فيشتمل عنه (عليه السلام) بما خاف فوته من عظيم الخير عملاً يخاف فوته، وهذا غاية في النظر في الدين والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الأمور نهاية التقرب إلى الله الذي لو فعله اليوم من فاعل لاجر ، فعاقبة الله تعالى إذ كان الأولى عند الله أن يقبل على الأعمى الفاضل البر التقي ويترك أولئك المعالدين .

خاسا: التشبه التي أخذها بعض المفسرين و المفكرين من قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَنَبَّأَ النَّبِيُّ الشَّيْطَانُ فِيهِ أُمِّمٌ" (5)

والقصة المفتراة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما قرأ سورة النجم من قوله تعالى: "أَنزَلْنَاهُ فِي اللَّيْلِ الْعَرَبِيِّ وَهُوَ اللَّيْلُ الْعَرَبِيُّ مِنَ اللَّيْلِ" (6) . فقال: "تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتها لترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أتى على آلهتهم ، وجاء في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبي (عليه الصلاة والسلام) كان يتمنى أن لو ترك عليه شئ يقارب بينه وبين قومه (7) .

(1) عبس: 2، 1 .

(2) سيد قطب ، الطلال ، ج 3 ، ص 3824 .

(3) الطبري ، جامع البيان ، ج 30 ، ص 33، 32 .

(4) عبس: 1 .

(5) الحج: 52 .

(6) النجم: 19، 20 .

(7) الرازي ، أسباب النزول ، مرجع سابق ، ص 208، 209 .

ويفهم من الذي ذكره العنماء و المفسرون أن قصة الغرائيق قصة مفتراة والناس فيها قولان : قول من منع ذلك وطمع في وقوع هائله ومن هؤلاء من قال :إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم ، وقول من جوز ذلك قائلًا : إذا حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن في ذلك محذور وكان دليلًا على صدقه وأمانته وديانته وأنه غير متبع هواه .

أما الطبري فقد قال في التفسير : قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائيق ... ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها من وجه صحيح (1) .

ويؤخذ من كلام الطبري أنه قد قدح في هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة وهو ما يجعلنا لا نق بصدقها .

أما سيد قطب فإنه يدلي بدلوه قائلًا : " ... وقد رفضت منذ الوهلة الأولى تلك الروايات جميعا ... فهي فضلا عن مجافاتها لعصمة النبوة وحفظ الذكر من العبث والتحريف ، فإن سياق السورة ذاتها يتجلى نبيًا قاطعًا ، إذ أنه يتصدى لتوهين عقيدة المشركين في هذه الآلهة وأساطيرهم حولها فلا مجال لإدخال هاتين العبارتين في سياق سورة بحال حتى على قول من قال : إن الشيطان ألقى بهما في أسماع المشركين دون المشركين ، فهؤلاء المشركون كانوا عربيا يتقنون لغتهم ، وحين يسمعون هاتين العبارتين المتحتمتين ويسمعون بعدها : " أَنْكُرُ الذِّكْرَ وَلَمْ أَلْهَى الْأَنْثَى قُلُوبَهُمْ إِذْ ائْتَمَرْتُمْ بِأَيْمَانِكُمْ أَنْ لَسْتُمْ بِمُؤْمِرِيهَا أَمْ لَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ... " (2) ويسمعون : " إِنَّ الدِّينَ لِأَبْرَاهِيمَ بِالْآخِرَةِ لِيَسْمُرَنَّ الْمَلَكُتَةَ نُسَيْبَةَ الْأَنْثَى قَبْلَ الْهَرَمِ مِنْ عِلْمٍ أَنْ يَبْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْخَلْقِ شَيْئًا " (3) . ويسمعون قبله : " وَكُرِّهَ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ لَا تَعْنَى شَعْبَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الْمَلَكُ بِنُشْأِهِ وَيَرْضَى " (4)

(1) الطبري ، التفسير ، ج 18 ، ص 131 .

(2) النجم : 21 ، 23 .

(3) النجم : 27 ، 28 .

(4) النجم : 26 .

حين يسمعون هذا السياق كله فإنهم لا يسجدون مع الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ لأن الكلام لا يستقيم وإنشاء على الهتهم؛ وتقرير أن لها شفاعاة ترتجى لا تستقيم، وهم لم يكونوا أغبياء كغبياء الذين افتروا هذه الروايات التي تلقها المستشرقون مغرضين أو جاهلين (1).

وخلاصة ما قلته عن عصمة الأنبياء في القرآن الكريم أن ماورد من نصوص قرآنية يوهم ظاهرها إناء العصمة عن الأنبياء (عليهم السلام) يجب حملها على غير ظاهرها (2)، وأقول فيها:

- 1- إنها فعل خلاف الظاهر .

- 2- إنها قد تكون خطأ في الاجتهاد، و الخطأ في الاجتهاد لا ينفي العصمة باتفاق .

(1) سيد قطب ، التفسير ، ج 26 ، ص 3408 وما بعدها .

(2) انظر : محمود ماضي ، المرجع السابق ، ص 48 .

لقرآن الكريم و موقفه من فكرة النبوة البشرية الخارقة و المعجزة .

نطلب الأول : القرآن الكريم و موقفه من فكرة النبوة البشرية الخارقة .

نذكر علماء الفكر الإسلامي صفات للرسل تخصهم دون غيرهم، كعلو الفطرة وصحة العقول والصدق في القول والأمانة في التبليغ والعصمة من كل ما يشوه يسرتهم أو يتعارض مع نبوتهم ورسالتهم ، وهذه الصفات لازمة لهم لاختصاصهم بالوحي الإلهي ، أما فيما عدا ذلك فالأنبياء والرسل (عليهم السلام) بشر يعترضهم ما يعترض سائر البشر فيما لاعلاقة له بتبليغ الأحكام .

يقول أحمد شلبي : " والسبب في كون الرسل بشرا أن حكمة الله اقتضت أن يكون الرسل من جنس الرسل إليهم ، حتى يكونوا أكثر صلة بالناس وأعرف بطباعهم ومشاعرهم وأحوالهم ، وحتى يكونوا قادرين في تنفيذ ما يبلغونه من تعليمات إلهية (1) ويؤكد القرآن الكريم بشرية النبي والرسول في مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى : " ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ، فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ " (2) .

قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ " (3) .

وقوله تعالى : " وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْبِيَاءَ مِنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (4) .

وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمٍ لِيُتَبَيَّنَ لَهُمْ " (5) .

إن الألفاظ الواردة في هذه الآيات تدل كلها على بشرية النبي ، وقد عقد القرآن الكريم بين البشرية وانبؤة و يتحدد ذلك أكثر في قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ " (6) .

(1) أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 118 .

(2) المؤمنون : 31 ، - 32 .

(3) يوسف : 109 و الأنبياء : 7 ، قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ " .

(4) الرعد : 38 .

(5) يونس : 4 .

(6) صافات : 109 ، الأنعام : 7 .

في القرآن الكريم إشارة إلى أن الأنبياء والرسل (عليهم السلام) يتلقون رسالة الله فيبلغونها إلى
عربل إليهم قال تعالى: "إِلَّا اللَّهُ يُصَلِّئِي مِنْ الْمَلَكَةِ مَرْسَلًا وَمِنْ النَّاسِ" (1).

ولا يحتمل الملك الرسائل إلى الناس مباشرة؛ لأن عالم الملائكة يختلف عن عالم الإنسان في طبيعته
يقول الله القائل: "قُلْ لَوْ كُنْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ مُسَوِّمُونَ مُظْمِئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا مُّرْسَلًا" (2).

ولقد استرعت مسألة بشرية الأنبياء والرسل أهمية بالغة في الفكر الإسلامي، ولعل هذه الأهمية
من وراء بعض الأسباب والتي يمكن أن نرجعها إلى مايلي: (3).

1- لقد سادت في الشرائع السابقة للإسلام، سواء السماوية منها قبل التحريف، أم الوضعية ضلالات
عندما واضعوها وتأتي مسألة تأليه الأنبياء في الدرجة الأولى، فقد أنه المسيحيون عيسى (عليه السلام)
وما خلافا للنصوص الصريحة التي وردت في الإنجيل، والتي يقر فيها المسيح عيسى (عليه السلام)
بما جاء الإنفد كلمة الله، الذي أرسله.

2- إن القرآن الكريم مما يؤخذ من عقيدته أنه غلق الباب أمام كل ما من شأنه أن يجعل النبوة ضربا من
ضروب الألوهية، فقطع كل مسلك إلى ذلك، ومنع كل شبهة، و من أمثلة ذلك قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرْسَلُ إِلَيَّ إِلَهٌ مِّثْلُكُمْ لِيُنذِرَ الَّذِينَ أُخْلِفُوا إِلَهُهُمْ إِنَّهُمْ لَا يُعْقِلُونَ" (4). وقوله تعالى: "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ"
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ لَوْلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَأَلْتُكَ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ" (5).

(1) الحج : 75.

(2) الإسراء : 95.

(3) أحمد تليبي، المرجع السابق، ص 119.

(4) فصلت : 6، الكهف : 110، قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرْسَلُ إِلَيَّ إِلَهٌ مِّثْلُكُمْ لِيُنذِرَ الَّذِينَ أُخْلِفُوا إِلَهُهُمْ إِنَّهُمْ لَا يُعْقِلُونَ".

(5) الأعراف : 188.

في آثار القرآن الكريم إشارة جامعة إلى ذلك في قوله: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
رُسُلٌ أَتَتْهُنَّ مَا أَتَىكَ مِنْ بَشَرٍ مَتَّعْتُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ عَلَىٰ غَيْرِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ لِيُبْصِرَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْكُمْ" (1).

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "إن محمداً ليس إلا رسول سبقته الرسل ، وقد مات الرسل
ومحمد سيموت كما مات الرسل قبله ، هذه حقيقة أولية بسيطة ... إن محمداً الرسول من عند الله جاء
بمع كلمة الله والله باق لا يموت ، وكلمته باقية لا تموت ... إن البشر إلى قناء ، والعقيدة إلى بقاء ،
ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس ، من الرسل والدعاة على مدار
التاريخ" (2).

ربوكة سيد قطب بعد هذا أن الاتباع - أي اتباع الرسل - ينبغي أن يفرقوا بين شخصي النبي
والعقيدة ، وبالنسبة للإسلام فإنه مطلوب منهم أن يفرقوا بين شخص محمد (صلى الله عليه وسلم)
والعقيدة التي بلغها ، وتركها للناس من بعده ، باقية ممتدة موصولة بالله الذي لا يموت (3).

وجاء في تفسير روح البيان (4): "وما محمد إلا رسول كسائر الرسل قد خلت من قبله الرسل
فيخلو كما خلوا ، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوتهم ، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد
خلوه ؛ لأن الفرض من بعثة الرسول الرسالة والإزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه" .

وجاء في تفسير قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم" (5) من تفسير البيضاوي (6): "أي : أنني
لأدعي الإحاطة على كلماته أي كلمات الله عز وجل ، وإنما تميزت عنكم بشيء واحد وهو الوحي
والرسالة" .

(1) آل عمران : 144 .

(2) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 1 ، ص 485 .

(3) للمصدر نفسه ، ص 485 وما بعدها .

(4) البرسوي (إسماعيل حنفي) ، تفسير روح البيان ، (بيروت ، لبنان : دار إحياء التراث العربي ، ج 4 ، ص 103 وما بعدها

(5) نصلت : 6 ، الكهف : 111 .

(6) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ص 402 .

وهذا الذي ذكره البيضاوي يتفق مع الفكرة العامة التي بينتها وهي تأكيد القرآن الكريم لبشرية الأنبياء والرسل ، وهو خلاف ما يعتنقه المسيحيون واليهود .

إن جمع القرآن الكريم بين النبوة والبشرية أمر في غاية الأهمية ؛ ذلك أن الخلط بينهما قد يؤدي إلى حدوث بعض الانفصام بين القادة -أي الأنبياء و الرسل- والأتباع ؛ لأن الأتباع - تبعاً لطبيعتهم البشرية- لن يهضموا تعاليم رسلهم لأن اعتقاد ألوهيتهم يحول دون ذلك ، من ثم كانت حكمة القرآن الكريم ظاهرة في الفصل بين شخصية النبي وبين طبيعة الوحي .

وقد ناقش محمد عزة دروزة هذه المسألة وذلك باستدلاله بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) في أقواله التي وردت على لسانه في مختلف الأحوال ، يقول محمد عزة دروزة : " والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي ليس محل الشك والريب من بين الكتب السماوية المتداولة في كونه متصلًا بالنبي ... وقد تكرر فيه تقرير بشرية النبي وكونه في طبيعته البشرية كسائر البشر وكون قصارى مهمته دعوة الناس إلى الله وحده " (1) .

فلقد تكررت إشارات القرآن الكريم إلى تأكيد بشرية الأنبياء والرسل (عليه السلام) ؛ واضرب لذلك مثلاً ما ذكره القرآن الكريم عن عيسى (عليه السلام) ، إذ أكد في معرض رده على من الهوه بأنه بشر وذلك في قوله تعالى : " إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَكَلَّمْنَاهُ الْبَنَاتِ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحِ مِنَّا " (2) .

وبعد أن أثبت القرآن الكريم بنوة عيسى إلى مريم ، أثبت له بعد ذلك بعض الصفات ، ومنها كونه رسولا وكلمة الله وروح الله ، وعن الرسالة تتحدث آيات كثيرة من القرآن الكريم : " وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ " (3) . و قوله تعالى : " مَا الْمَسِيحُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ " (4) .

(1) محمد عزة دروزة، المرجع السابق ، ص 7 .

(2) النساء : 171 .

(3) آل عمران : 49 .

(4) البقرة:75

وقوله تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى
بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " (1) .

وقوله تعالى : " ثم قفينا على آلهم يريدون سلنا و قفينا عيسى ابن مريم وأتينا الإنجيل " (2) .

يقول محمود بن الشريف : " حرق اليهود شريعة موسى وحرقوا التوراة وعبدوا يهوذا ؛ لذا بعث الله فيهم
عيسى لردهم للتوحيد وعبادة إله الواحد ... " (3) .

ولقد حدد الله سبحانه وتعالى كما حكى ذلك القرآن الكريم رسالة عيسى (عليه السلام) إذ يقول :
" ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم " (4) . وقد ربط الله سبحانه وتعالى بين رسالة
المسيح ، وبشريته بقوله تعالى على لسان المسيح (عليه السلام) : " وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله
وأطيعوا إن الله ربِّي وربكم فاتخذوا هذا أصرا مستمرا " (5) .

إن العبادة لا تكون كما هو في عرف أهل الاصطلاح والمنتشرة إلا من بشر ، والعبودية شئ
لا يعارض مع النبوة .

ولقد تطافرت الأدلة في القرآن الكريم على أن كون النبي بشرا لا ينفي عنه صفة النبوة بأي حال من
الأحوال ، بل إن سخرض النبوة لا يتحقق إلا بتحقق الانسجام بين النبي و من بعث إليهم ، وهو ما يشير
إليه قوله تعالى : " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا " (6) .

(1) البقرة : 253 .

(2) الحديد : 27 .

(3) محمود بن الشريف ، المرجع السابق ، ص 159 .

(4) آل عمران : 49 .

(5) آل عمران : 50 .

(6) الأنعام : 9 .

يقول أحمد سلتوت : " أما في غير ما يبلغونه عن الله من الآراء أو الأحكام فهم -كغيرهم - بصيرون وبخطنون ، و قد عاتب الله نبيه محمدا على بعض تصرفات فعلها من تلقاء نفسه ، قال تعالى :
سَبِّحْ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَقْدَرُ " (1) .

يقول محمد عبد الله دراز : " وأنت لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع العتاب عليها لوجدتها تتحصر في شئ واحد ، وهو أنه عليه السلام كان إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثما اختار أقربهما إلى رحمة أمته وهداية قومه ، وتأليف خصمه ، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء ، وعن إثارة شغفه في دين الله ... على أن الذي اختاره كان هو خير ما يختاره ذو حكمة بشرية " (2) .

ويضيف عبد الله دراز : " وهكذا كلما درست مواقف الرسول من القرآن في هذه المواطن أو غيرها تجلى لك فيه معنى العبودية الخاضعة ومعنى البشرية " (3) .

وتميل كتب التفاسير إلى تقرير هذا الاتجاه الذي لا يجعل بشرية النبي أو الرسول تتعارض مع دعوى النبوة، ومما يدل أكثر كما جاء في القرآن الكريم على أن النبي أو الرسول بشر ، انه لا يملك من الأمر شيئا وأنه قد يمتنى شيئا ولا يناله ؛ لأنه يدخل في نطاق ما استأثر الله به ، ومن الآيات التي تدل على هذا قوله تعالى : " تَذَكَّرْ أَنَّمَا أَنْتَ مَذْكُورٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُعْظِمْ " (4) . وقوله تعالى : " وَأَوْشَاكَ مَرَّتْكَ لَجَعَلُ النَّاسِ أُمَّةً رَابِعَةً وَإِلَّا لَوَدَّ الْوَاقِعُونَ " (5) . وقوله تعالى : " فَلَعَلَّكَ بَلِغُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آبَائِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ " (6) .

(1) محمود سلتوت ، الإسلام عقيدة وشرعية (مصر : دار الشروق ، بدون تاريخ) ، ص 39 و 40 .

(2) محمد عبد الله دراز ، التنبؤ للعظيم ، مرجع سبق ذكره ، ص 19 .

(3) المصدر نفسه ، ص 20 .

(4) المائدة : 21 ، 22 .

(5) هود : 118 .

(6) الكهف : 6 .

وبه يحب التاكيد أن هناك إشكالا عند بعض الباحثين حول مسألة بشرية الأنبياء والرسل (عليهم السلام). إذ يقولون: "إذا قلنا ببشرية الأنبياء، وجواز الخطأ عليهم في غير ما تلزم العصمة فيه ليس معنى هذا كما فهموه وتوهّموه أن الأنبياء يخطنون كما نخطئ نحن، فمن الواضح أن العالم يركب الخطأ الذي يقع فيه الجاهل، فكذلك لا يمكن أن يتساوى الأنبياء مع بقية البشر في نوع الخطيئة، فهم أخطأوا في مسائل خارجة عن التشريع، فهي زلات ومفوات لاصلة لها بالوحي (1).

يقول النسفي (2): "إن ذنوب الأنبياء ترك الأفضل دون مباشرة القبيح، وذنوبنا مباشرة القبيح وعلى ذلك فإنه يمكن القول أنه يجب التفريق بين ما يتحدث به الرسول أو النبي من حيث كونه مبلغا عن الله وبين ما يفعله أو يعمل من حيث هو بشر كسائر البشر فيما يتصل بشؤون الدنيا والحياة، فهو في هذه الحالة بشر يمكن أن يخطئ أو يصيب، وقد وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذلك بقوله في الحديث: "أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون" (3).

يقول أحمد شابي: "كان المسلمون في الصدر الأول للإسلام يفرقون بين محمد النبي ومحمد الإنسان ويضحك ذلك مما حدث في غزوة بدر، فإن الرسول اختار مكانا ليهيئ فيه جنده للقتال، فسأله أحد قادة المسلمين سؤالا واضحا هو: هل هذا الاختيار وحي من الله أم اجتهاد من عندك وأجاب الرسول: بل جهد من عندي، فقال الرجل: إذا كان الأمر كذلك فهناك مكان أصح من هذا، ودرس الرسول رأي الرجل وانتقل إلى المكان الذي أشار به" (4).

ولبيان أكثر بشرية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وردت في القرآن الكريم آيات فيها عتاب شديد له على بعض التصرفات التي صدرت عنه في حدود طبيعته البشرية، غير أنها لم تمس جانبا من جوانب التشريع أو الاعتقاد.

(1) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 122.

(2) النسفي، التفسير، (دار الفكر، بدو تاريخ) ج 4، ص 116.

(3) دواء البخاري في كتاب الصلاة.

(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 123.

رسم كانت النبوات في كل عصر ظهرت فيه - موضع انكار وجدل كبير من قبل الذين سيبت
سما ، ويرجع المهتمون بتاريخ النبوات ذلك الى سبب أساسي يتصل بطبيعة النبوة (باعتبارها حدثًا غير
سادي في حياة الناس ؛ لأنها ليست مجرد دعوة تغييرية تتحرك على أساس بشري يخضع لما يخضع له
بسر من إمكانيات وطاقات وقوة وضعف بل هي دعوة تتميز بارتباطها بما وراء هذا العالم ، من خلال
الوحي الذي هو ظاهرة غير عادية؛ لأنه يمثل الاتصال غير المنظور بالقوى غير المنظورة لأنها ليست
من عالمنا هذا ، بل هي من عالم آخر يختلف عنا في شكله وفي طبيعته " (1) .

وقد أسهمت هذه النبوة التي تتميز بها النبوات في إثارة عدة جوانب من علامات الاستفهام ،
وسررس ما تحولت هذه الاستفهامات إلى مواقف عملية أكثر جراءة وأشد جسارة تجلّت في الموقف
فدالي الرفض لعينة النبوة والساحط على من جاءوا بها ولايهم عند هؤلاء الراضين أن يكون
مصدر هذه النبوة إلهيا أم ذاتيا، تابعة من ذاتية الشخص ولا حتى من بنات أفكاره ؛ فعدم انسجام فكرة
نبوة مع الطبيعة البشرية هو داع قوي وحافز حري عند منكري النبوة لرفض النبوة من أساسها ، ومن
لذلك السؤال الذي أثير مع أكثر الأنبياء ، حول شخصية النبي من خلال تصور الناس لما يجب أن
تكون عليه هذه الشخصية ... فإذا كانت النبوة حدثًا غير عادي فيجب أن تتجسد في شخص غير عادي
ولذا فإن من الضروري ألا يكون النبي بشرا مادامت النبوة مرتبطة بغير عالم البشر ، ومادامت طرق
الاتصال غير شرية " (2) .

وفي ظل هذه الملابسات ولدت فكرة إنكار النبوة ، فتصور المنكرين للنبوة عن شخصية النبي
يجب - على حد زعمهم - ألا يكون من البشر بل الأخرى عندهم أن يكون ملكا رسولا ؛ لأنه في
ظهم أندر على تحمل أعباء التبليغ والتأثير على الناس ، وقد كان هذا الاتجاه في إنكار النبوة يمثل
مرحلة أولى من مراحل الإنكار ثم تحول إلى إنكار أقل حدة في المراحل المتقدمة من حياة الإنسان ،

(1) محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن (عين صيد فسنطينة : دار المنصورى للنشر ، بدون تاريخ) ، ج 1 ،
ص 95 وما بعدها .

(2) المصدر نفسه ، ص 95 .

س سر سكر الميوات فكرة النبي البسر ، ولكن لابد ان يكون انسانا غير عادي يتميز بقوى خارقة
 من ملامح الالهوية في قدراتها ، ورغبة الربوبية في طياتها ، وقد كان رفض النبوة البشرية وقبول
 تلك فكرة النبوة البشرية الخارقة امرين واجبهتهما النبوات الأولى قبل النبوة الخاتمة التي واجهت
 من الامير وزادت عليهما ، فنبوة الإسلام تعد جانبها - إلى جانب علامات الاستفهام هذه - في
 حصة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) علامات استفهام من نوع آخر ، إذ طفق منكرو النبوة
 تحفة أو من تولوا كبرها إلى تحدي هذه النبوة - بعد أن أوعزهم المنطق والمعرفة الواعية الهادنة -
 بدماء الباطل بأنها ضرب من ضروب السحر ، لا تختلف عنه في شين ، وأن صاحبها أو مدعيها
 - أي الرسول - (صلى الله عليه وسلم) ساحر يريد بما جاء به أن يسترهب الناس ويسحر عيونهم ،
 فيأخذ القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى : **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ
 بَرِّئَ أَنْ قَالُوا سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (١)** .

ولقد عرض القرآن الكريم فكرة إنكار النبوة عرضا موضوعيا من خلال التعرض لظروفها
 ومبانيها ، و كان يهدف في كل ذلك إلى تصحيح مفهومها ، وذلك في أسلوبين اثنين :

الأسلوب الأول :

عرض الفكرة من خلال تاريخ النبوات ، وذلك عن طريق لفت النظر إلى أسلوب الحوار الهادئ الذي
 تراه بين الأنبياء ،ومن عارضتهم من الأعداء من خصوم النبوات والرسالات في كل عصر وفي كل
 عصر .

الأسلوب الثاني :

فصل الفكرة من خلال بيان معارضتها لقضية الاستخلاف البشري الذي لايتأتى إلا إذا كان له هادٍ من
 سورة أو رسالة .

ومن الآيات القرآنية التي تناولها الأسلوب الأول ، حديث القرآن الكريم عن نوح (عليه السلام)
 وقوله يقول الله تعالى : **" قَالُوا الْمَلَأْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَتَابِعًا إِلَّا بَشَرًا مِثْلًا وَمَا نَرِيكَ بِكَ أَنْتَ إِلَّا الْبَشَرُ هُمْ
 أَنْزَلْنَا بِآيَاتِنَا الرِّيحَ فَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ أَنْتُمْ كَذِبٌ . قَالَ بَشَرًا مِثْلًا بَشَرًا كَمَا كُنْتَ عَلَىٰ يَسْتِرٍ مِنْ
 قَوْمِكَ يَا نوحُ مِنْ خَلْقِي يُعْبِتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْزَلْنَا مِنْكُمْ مِثْلًا لَكُمْ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِثْلًا لَكُمْ " (2)** .

أما الآيات القرآنية التي تتناولها الأسلوب الثاني منها قوله تعالى: "وقالوا أمثال هذا الرسولِ يأكلُ
 المشوى وينسى في الأسواقِ لو أنزل إليه ملكٌ فيكون معه نذيراً أو بلقى إليه كنزاً أو تكون له جنة يأكل منها
 ويذر الظالمين إن كتبتون إلا مرجلاً مستحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلاً فلا يستطيعون سبيلاً" (1).
 يتبع القرآن الكريم ذلك الأسلوب يقول تعالى: "وما أمرسنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام
 يشربون في الأسواقِ وجعلنا بعضكم لبعض فتنةً أفصبر قد كان ربك بصيراً" (2).

فنحن نلاحظ - في هذه الآيات - أن منكري النبوة واجهوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمفترحات كأساس لإثبات نبوته ورسالته ، وكان جواب القرآن الكريم منطلقاً من تأكيد فكرة البشرية
 التي لا تتطلب بالضرورة كل هذه الافتراضات التي لا قبل للنبي البشري بها ، وتقرر الآيات خطأ
 تصور الذي يرفض فكرة الرسول البشر ، وذلك من جانبين (1).

الجانب الأول :

استبعاد هذه الفكرة الخاطئة ، والتأكيد على أن الأمر الطبيعي هو أن يكون النبي بشراً ، وذلك لتحقيق
 الانسجام والتوافق بينه وبين أتباعه ، ولاشك أن هذا الانسجام والتوافق يزول في حالة كون النبي ملكاً
 ، فلا يتحقق بعد ذلك مراد النبوة .

يقول محمد فضل الله: "...إذ لو لم يكن النبي بشراً بل كان ملكاً ، أو كان في مستوى أعلى من
 المستوى البشري في طاقاته لأمكن أن لا يعتبر الناس التطبيق العملي الذي كان يمارسه دليلاً على
 واثبة الرسالة ، وإمكانية تطبيقها من قبل الآخرين" (1).

الجانب الثاني :

التركيز على خطأ الفكرة من باب أن مهمة النبي كما دل على ذلك صريح القرآن الكريم ليست
 حصوله على قوة غير عادية وتميزه بذلك ؛ لأن هذا يكون شرطاً في تدبير وتغيير النوليس ، فمهمة
 النبي هي دون ذلك وهي أن يتمتع بالطاقات التي تؤهله لتلقي الوحي ، وتبليغه إلى الناس .

(1) الفرقان : 7-8 .

(2) الفرقان : 20 .

(3) محمد فضل الله ، المرجع السابق ، ص 101 وما بعدها .

(4) محمد فضل الله ، المرجع السابق ، ص 101 .

ومن قول إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) : " وأقل عليهم ربنا إنهم لم يأتواكم بما تعدون قالوا أبعثوا نبيا
 أصناما فنظن لها نصيبا ، قال هل ينسعون نكتهم وإن تدعون أو ينصرون ثم قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك
 يفعلون ، قال أن إبسر ما كنتم تعدون أنتموه ، أبانوا كما لا قدمون ، فإبهم عذوق لي الإمريت العلين الذي خلقتي فهو
 يهدين أو الذي شره يعصني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحييني ، والذي أطع أن يعصني لي
 خطيتي يوم الدين (1)

غير أنه إلى جانب هذه المعجزات التي تخاطب عقل الإنسان ، وترشد فكره إلى ضرورة اتباع
 الحق ، فهناك صنف آخر من المعجزة وهي التي يغلب فيها التشخيص الحسي على العقل ، غير أن هذا
 لا يكون ذاته بل ليرفع الحجب عن العقول والقلوب لتحس من الحقيقة الإلهية التي رانت عليها الشهوات
 والأهواء ، من هذا النمط ما أيد الله به موسى وعيسى (عليهما السلام) ، فلقد اقتضت طبيعة اليهود أن
 يواجهوا بسؤال هذا ليصقل نفوسهم المريضة ، وليكون دليلا - أكثر جلاء - على الأقل في نظرهم - على
 صدق رسالهم ، على أنه إذا تعلق الأمر بالإسلام وموقفه من المعجزة ، فإنه يمكن أن يقال إن الإسلام
 سار في دعوة الناس إليه على نمطين على حد سواء ، نمط المعجزة الحسية ، ونمط المعجزة العقلية ،
 ففي المرحلة الأولى من الإسلام خاطب القرآن الكريم المشركين بقوله : " أفلا ينظرون إلى الأبل كيف
 حانت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت مذكر ،
 لست عليهم بمسيطر (2)

ففي هذه الآية الكريمة يتبين أن القرآن خاطب في المشركين حسهم وفطرتهم ، وخاطب فيهم في
 ان واحد عقولهم ، فجاءت اللفظة القرآنية مفعمة بالصورة الحسية والدعوة العقلية ، وهو الأسلوب
 القرآني الذي تكرر كثيرا في دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو ما يجعل لها مزية على سائر
 الدعوات التي سبقتها .

(1) الشعراء : 69 ، 82 .

(2) الفاتحة : 17 ، 22 .

القرآن الكريم بكل ما حواه بين دفتيه من تعاليم وتشريعات توافق الفطرة ، وتسابقها ، يبقى هو معجزة النبي الخاتم ، (صلى الله عليه وسلم) ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : " **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْبَهِيمَةِ أَلْوَمْرُؤِ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ** " (1) . فالقرآن الكريم بصريح هذه الآية كفيلا بهداية البشر إلى الحق ، الذي تتكبوه ، وإلى الرشد الذي ركبوا رؤوسهم عنه .

وإذا كانت المعجزة أمرا عاما في سائر ديانات التوحيد ، فإن الجديد فيها الذي جاءت به الرسالة الخاتمة يكمن كما يقول أحمد شلبي في أن العجرات تتناسب مع طبيعة الرسالة ، فالرسالات التي سبقت الإسلام كانت لأقوام معينين ، كما كانت مؤقتة ، وكذلك جاءت المعجزة من جنس ما اشتهر عند هذه الأقسام ، كما كانت المعجزة في حد ذاتها ، مؤقتة تزول بزوال أثرها ، فهي تحدث مرة أو يتكرر حدوثها ، وبقي أن يراها المرسل إليهم ليعترفوا بالرسول ، أما الإسلام وهو دين عام ، فقد جاءت معجزته مناسبة لهذا الوضع أي جاءت عامة ودائمة غير محدودة الزمان والمكان ، فالقرآن الكريم لا يزال بأسلوبه ومعانيه معجزا ، ولا يزال متجددا يقيم الدليل كل يوم على صحة رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وتشمل الأجيال السابقة والأجيال اللاحقة (2) .

والجديد كذلك في معجزات محمد (صلى الله عليه وسلم) أنها بالإضافة إلى خلودها ليست عصا تلقب ثعبانا ، ولاناقة تشرب النهر ، إنما هي من طبيعة عمل الرسول ، فإنه جاء برسالة تنظم شؤون دين والدنيا وهذا هو ما أشار إليه قوله تعالى : " **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَعْلَاقُ** " (3) .

ويؤخذ من كلام أحمد شلبي (4) أن الطابع المادي للمعجزة والذي شاع في الديانات الوضعية لا يمكن أن يكون وسيلة كافية للإقناع الديني ، خاصة إذا أدركنا أن الدين تؤسس أحكامه وعقائده على قوة التأثير ، ولا تقتصر قوة التأثير على الجانب الظاهر وهو المعجزة المادية الحسية .

(1) البقرة : 9 .

(2) لرجع إلى أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحفارة الإسلامية (مصر : دار الفكر ، بدون تاريخ) ص 12 ، هناك كتب كثيرة فصلت القول في موضوع إعجاز القرآن ، ونكتفي بالإشارة هنا إلى كتاب : إعجاز القرآن لمحمد صادق الرافعي (ط 8 مكتبة رحاب ، بدون تاريخ) ص 156 ، 166 .

(3) البقرة : 59 .

(4) أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 12 وما بعدها .

إن إرسال الآيات إذا كانت عاقبته التكذيب ، فإنها إن توتى أكلها ولن تحقق غرضها الذي من
مداكت ، ومن ثم فإنها لاتعمل عملها في النفس البشرية إلا إلى حين ، والنفس بحاجة إلى معجزة
تعيد وتسيرها وتبقى معها في كل أطوارها وأحوالها ، وليس هناك من معجزة تحقق هذا إلا معجزة
قرآن الكريم .

فاللبي في الإسلام ليس بمساحب الخوارق والأعاجيب التي تشل العقول ، وتهول الضمائر ، و
تدب الناس من حيث يخافون ويعجزون ، ولاتخاطبهم من حيث يعقلون ويتاملون ويقدررون على
سمير .

ويمكن أن أقول خلاصة لما فصلته إن معجزة الإسلام لاتزال تعيش حتى اليوم ، وستعيش إلى يوم
الدين وهي معجزات من طبيعة تختلف عن طبيعة المعجزات التي جاء بها الأنبياء من قبل (1) .

(1) أحمد شلبي ، معجزات الإسلام : دراسة تفصيلية (المكتبة الإسلامية لكل الأعمار ، بدون تاريخ) ، ج 25 ،
س 15 ، 32 .

الفصل الثالث: النبوءات الغيبية و إرهابات النبوة الخاتمة في القرآن الكريم .

تمبحث الأول : النبوءات الغيبية في القرآن الكريم .

إن الحقائق الدينية الغيبية لا سبيل للعقل إليها ، ذلك أن العقل البشري له حد محدود يقف عنده ولا يجزؤه ، فكل شيء لم يقع تحت الحس الظاهر أو الباطن مباشرة ، ولم يكن مركزاً في غريزة نفس إنما يكون إدراك العقول إياه عن طريق مقدمات معلومة توصل إلى ذلك المجهول ، إما بسرعة كدفي الحس ، وإما ببطء كما في الاستدلال والاستنباط والمقايسة ، وكل ما لم تمتد له هذه الوسائل ومقدمات لا يمكن أن تتأله يد العقل بحال ، وإنما سبيله الإلهام ، أو النقل عنّ جاء ذلك الإلهام (1) .

هذا الكلام في بيان أن العقل يستولي عليه النقص ولا يمكنه أن يخوض في الحقائق الدينية الغيبية إلا بإرشاد من الدين ، فعن الحقائق الدينية يقول عبد الله دراز : " فاما الدين فإن غاية ماتجتيه العقل من الثمرات بحثه المستقل فيه ، بعد معاونة الفطرة السليمة له ، هو أن يعلم أن فوق هذا العلم إلهاً قاهراً يبره وأنه لم يخلقه بأدلتها ، بل وضعه على مقتضى الحكمة والعدالة ... هذا هو كل ما يناله العقل الكامل من الدين ، ولكن القرآن لا يقف في جانبه عند هذه المرحلة بل نراه يشرح لنا حدود الإيمان مفصلة ويصف لنا بدء الخلق ونهايته ، و يصف الجنة وأنواع نعيمها والنار والوان عذابها ، كما أنّما رأي عين ... فهذه الأصناف التحديدية هي مما لا يوحى به العقل البتة ، بل هو إما باطل فيكون من وحي الخيال والتمنين ، وإما حق ، فلا ينال إلا بالتعليم والتلقين " (2) .

ولقد دعم دراز ما ذكره عن استحالة إحاطة العقل البشري بكل مسائل الدين بشواهد من القرآن الكريم منها قوله تعالى عن أصحاب الكهف : " وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ الْبَارِ الْأُمَلِكَةَ وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمُ الْآفَاتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، لِيَسْتَعِينُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرَدُّوا إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا " (3) .

(1) انظر : محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، مرجع سبق ذكره ، ص 32 .

(2) المصدر نفسه ، ص 32 ، 33 .

(3) المصدر : 31 .

وقوله تعالى : " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ " (1) . قوله
 على : " مَا كُنْتُ لِي مِنْ عِلْمٍ إِلَّا بِالْإِلَهِيِّ الْإِعْظِيمِ " (2) وقوله تعالى : " وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْرَى مِنْ
 يَوْمِ اللَّهِ وَلَاحِكُنَّ لِصَدِيقِ اللَّهِ نِجْرٌ بِيَدِهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَأَرْبَابٍ فِيهِمْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (3) .

إن النبوءات الغيبية فقد ذهب عبد الله دراز إلى أن حظ العقل البشري من النبوءات الغيبية هي أن
 يحد من تجاربه الماضية مصباحا يكشف على ضوئه بضع ما خفي من أمرها ، وهو في هذا كله يعتمد
 على وصل الحوادث السابقة باللاحقة ثم يتسج على منوالها ، جاعلا الشاهد من هذه مقياسا للغائب ثم
 يسر حكمه محاطا بكل تحفظ وحذر (4) .

ويؤكد عبد الله دراز أن العقل البشري في عمله هذا يتبع قاعدة ما تقتضي به طبيعة الحوادث ، ومن
 ثمرة كوارث الأمور على طبيعتها وعلى غير مراده لم يقع ما تتبأ به وظن حصوله ، فهو في هذه
 ندالة عاجز عن أن يبت في هذه الأمور ويحددها تحديدا حتى بالاستعانة بالمقدمات والإرهاصات
 والملائمات والمتشابهات ؛ لأن الأمارات التي تلوح له في محاولة استكشاف الغيب إن هي إلا أمارات
 ضنية لا ترقى إلى اليقين ، وعلمها بذلك لا يكون إلا لطائفة خاصة من البشرهم الأنبياء والرسل
 (عليهم السلام) ، لأن الله أطلعهم على الغيب (5) لقوله تعالى : " عَلَّمَ الْغَيْبَ لَأَبْطِغُوا عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ
 رَضِيَ مِنْ رَسُولٍ " (6) .

واقول إن نسبة النبوءات إلى الغيب يقصد منه إثبات المصدر الإلهي للنبوة ، ذلك أن الغيب الذي هو
 سكناه المستقبل ، أمر ليس لأحد أن يدعي فيها علما أو يزعم فيه زعما ، إلا إذا كان مؤيدا بالوحي .

(1) الشورى : 52 .

(2) من : 69 .

(3) يونس : 37 .

(4) محمد عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 33 .

(5) المصدر نفسه ، ص 33 .

(6) الجن : 26 ، 27 .

سورة عبد الله دراز (1) بعض النبوءات القرآنية مع بيان ملاساتها التاريخية مما يفرقها عن
الرسائل التي نوحى بها القرآنية والألمعية ، وهناك - حسب - ثلاثة أنواع من النبوءات :

المطلب الأول : ما يتعلق بمستقبل الإسلام.

تحدث دراز عن هذه المسألة فيما يتعلق بالإسلام في حد ذاته ، ومثال هذا النوع ما جاء في القرآن
كريم من نبوءة خلود الإسلام وظهوره وذلك بتعهد الله سبحانه وتعالى ، و حفظه له وإلى ذلك يشير
قوله تعالى : " كَذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْخُلُقُ وَالْبَلَدِ ، فَأَمَّا الزُّبُرُ فَيُحْيِيهَا ، وَأَمَّا مَا بَدَعَ النَّاسُ فَيَسْكُبُهُ فِي
الْبُحْرِ " (2) . وقوله تعالى : " الرَّكَّةُ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَجُزْءٍ طَيِّبًا أَصْلَاهَا نَابَتْ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ
فِيهَا أَكْثَرُ طَيِّبَاتٍ مَا فِي الْأَرْضِ " (3) . وقوله تعالى : " إِذَا خَرُجْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (4) .

ومن الدلالة على إعجاز هذه النبوءة أن هذا الآيات التي تحدثت عن مستقبل الإسلام نزلت كلها
سنة بمعنى أنها من السور المكية ، وهي المرحلة التي كان فيها المسلمون مضطهدين ، ودين الإسلام
غضا طريا وعرضة للامتهان و الازدراء من كفار مكة ، فصدور هذه النبوءة قبل نزول هذه الأحداث
لتي تنبأ بمستقبل واعد لهذا الدين ، يجعلها شيئا لافتا للنظر ، غير قابل للجدل ؛ فإن حديث القرآن
كريم عن هذه النبوءة يثبت أنها آية و علامة على صدق النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأن
طبيعته البشرية تمنع من أن يخوض فيها أو أن ينسجها من الخيال وفي ذلك يقول محمد عبد الله دراز :
وهل كان محمد (صلى الله عليه وسلم) ممن تستخفه الآمال فيجري مع الخيال ؟ ! إنه ما كان قبل
نبوته يعلم في أن يكون نبيا يوحى إليه : " وَمَا كُنْتُمْ تَرْجَوْنَ أَن يُبْعَثَ إِلَيْكَ الْكُتُبُ وَالْأَمْرُ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ " (5) .

(1) ليل : محمد عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 34 .

(2) الرعد : 17 .

(3) إبراهيم : 24 ، 25 .

(4) الحجر : 9 .

(5) النقص : 86 .

ويحسب دراز : " ولا كان أي النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقى هذا
نوحى محفوظا لديه : " وَلَنْ نَسِيئًا لِدَمِي بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ نَمْرًا لَا يَخِدُكَ بِهِ عَلِيًّا وَكَلِمًا إِلَّا مَرْحَمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ
عَمْرًا عَلَيْكَ كَثِيرًا " (1) .

إن نبوءة القران الكريم عن انتصار هذا الدين ، واشتداد عود أتباعه هي حقيقة جرت عكس ما نزل
بالإسلام والمسلمين من نوازل ، وما مرّ بهم من أحداث ، فإن التاريخ - كما يذكر عبد الله دراز -
يسجل الهجمات الشرية والتحرشات والتربصات التي تعرض لها دين الإسلام، إلا أنها لم تمنع من تحقق
نبوءة القران الكريم ، و قويت شوكة الإسلام بعد ضعف ، واشتد عودهم بعد هوان .

يقول عبد الله دراز : " سل التاريخ : كم مرة تنكر الدهر لدول الإسلام وتسلط الفجار على المسلمين
فاتحوا فيهم القتل ، وأكروهوا أما منهم على الكفر ، وأحرقوا الكتب ... وصنعوا ما كان يكفي القليل
منه لضياح هذا القران كلاً أو بعضاً كما فعل بالكتب قبله ، ولولا أن يد العناية تحرسه فيبقى في وسط
هذه المعاصم رافعا آياته وأعلامه ، حافظا آياته وأحكامه " (2) .

رسا يمكن أن يستفاد من هذا أن النبوءة اذا جاءت مخالفة للمعطيات الواقعية ؛ فإنها تكون أكثر
دلالة على صدق صاحبها ، وأدعى للتصديق والاتباع وهذه ليست من تداعيات النفس ولا من إحصاءت
الضمير الباطني كما يظن البعض ، بل هي من أمارات النبوءة وهو ما يستبيله كل صاحب نظرة ثاقبة
وفطرة سليمة .

(1) محمد عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 35 و الإسراء : 86 ، 87 .

(2) المصدر نفسه ، ص 36 .

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: "وَمَا كُنْتُمْ جُمُوعًا أَن يُلْفَىٰ إِلَيْكُمُ الْحِجَابُ إِلَّا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ" (1) قال:
وقد عرّف قطب عن عدم كطفع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الرسالة، إنّما هو اختيار الله
بفرحة من الله بفضيلة وبالبشرية التي اختاره لهدايتها بهذه الرسالة " (2).

وقد ناقش سيد قطب في شرح الآيات التي تحدثت عن المستقبل الواعد لهذا الدين، والذي
يوعد من قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ مِّن دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ مَلَكُوتَهُ
وَيُذْهِبَ كُفْرًا" (3).

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "فهذا تحقيق وعد الله من ناحية طبيعة الدين وحقيقته، فأما
من ناحية واقع الحياة، فقد صدق وعد الله مرة، فظهر هذا الدين قوة وحقيقته، ونظام حكم على الدين
تفانيات له معظم الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان... وما تزال لهذا الدين
إزلة في تاريخ البشرية يودها ظاهرا بإذن الله على الدين كله تحقيقا لوعد الله الذي لا تنقذ له جهود
غيا المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل" (4).

وسوف نرى فيما ذكره سيد قطب عبارة "تحقيق وعد الله"، وهي التي تعبر عن النبوة القرآنية التي لم
يألفها شك، ولم يعثورها ريب، وهو يقطع بأن نبوءات القرآن الكريم تختلف اختلافًا كبيرًا عن
نبوءات العهد القديم والجديد، فلقد جاءت نبوءة القرآن كفلق الصبح لا تخفى بجلباب، بينما كانت
نبوءات اليهود والنصارى مبنية على المغامرة العقلية والتخمين، والذي جعل أكثرها لم يتحقق وهو ما
يكون دليلًا قاطعًا آخر على التحريف الذي من التوراة والإنجيل.

(1) التمس: 86.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 192، ص 2715.

(3) الصف: 9 و التوبة: 33.

(4) سيد قطب، المرجع السابق، م 6، ج 28، ص 3558.

بَلِّغْ رِسَالَةَ رَبِّكَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وقد ذكر عبد الله دراز مثالا لهذا تلك الآية التي ضمن الله بها لنبية حماية شخصه ، والأمن على حبه حتى يبلغ رسالة ربه : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ" (1).

حاشا في بيان هذا من قول دراز (2) : " إن هذا وايم الله ضمان لا يملكه بشر ، ولو كان ملكا يجب سير الحنظلة من بين يديه و من خلفه ، فكم رأينا وراى الناس من الملوك والعظماء من حنظتهم في الخيلة وهم في مواكبهم تحيط بهم الجنود والأعوان واكن انظر مبلغ ثقة الرسول بهذا وعاد الحق : روى الترمذي وانحاكم عن عائشة (رضي الله عنها) ، وروى الطبراني عن أبي سعيد خدي قال : كان النبي يحرس بالليل ، فلما نزلت هذه الآية ترك الحرس وقال : يا أيها الناس حرقوا فقد عصمني الله ."

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة عن هذه العصمة ، وهي دليل قاطع على نبوته، لأن رعاية الله بعينه ، لا يمكن أن تضمن شخص حتى يكون من المخلصين ومن النبيين ، وإن هذه العصمة لم يكن نزل منها شخص النبي (عليه الصلاة والسلام) ، وإنما كان حفظ الدين وسلام الوحي الإلهي ، وبذلك عهد الله لنبية (عليه الصلاة والسلام) حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وحتى أنزل عليه قوله تعالى :
لِيُرَآكَ أَكْثَرُ ذُنُوبِكَ ، وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ رِعْمِي وَمَرْضِي أَكْثَرُ اسْتِغْرَابِنَا (3) .

ولقد خاض المفسرون في مسألة عصمة الأنبياء (عليهم السلام) ، وعدوها - على اختلاف في التأويل - علامة من علامات النبوة ، ولازمة من لوازمها ، ويتقضي انعدامها انعدام ما دلّت عليه وهي النبوة .

(1) تلمذة : 67 .

(2) انظر : محمد عبد الله دراز ، تنبأ العظيم ، ص 37 وما بعدها . والحديث رواه الترمذي في سننه و الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها و رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدي .

(3) المائدة : 3 .

خط الرابع : ما يتعلق بعافية الإيمان والكفر :

ويعمل العلماء هذا بجسلة أمور هي :

1- دول الاستعانة بقصص الأنبياء (عليهم السلام) .

فقد كان القرآن الكريم في مكة يقص على المسلمين من أنباء الرسل ما يثبت قوادهم ، ويهدم
سمر والتسكين لقوله تعالى : " وَلَقَدْ كَتَبْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ إِنَّمَا كُنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ لِمَنصُورِينَ وَإِن جُنَدْنَا لَهُمُ
مُهْرَبِينَ (1) . وقوله تعالى : " إِنَّا لَنَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ إِنَّا لَنَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ وَإِن كُنَّا لَنَسْمَعُ
مَن تَكْتُمُونَ (2) .

ولكن واقع المسلمين في مرحلة الضعف والهوان كان يدل على غير هذا ، ولم تكن حتى اشارة
فيها ، وفي هذه الأوقات العصيبة يفنهم القرآن الكريم بما سيكون لهم من الخلافة والملك ،
عزودسى الأمن والاطمئنان ، فما هذا أحلام وأمانى ؟ لا بل وعد مؤكد بالقسم : " وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
مُرُوا بِكُمْ بِالْهُدَى لِيَسْلُبَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْلَبْتُمُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَيُؤْتِيَهُمْ مِنْهُم بِرِزْقٍ كَثِيرٍ وَلَيُدْخِلَنَّهُمْ فِي دِينِهِمْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمَّا (3) .

ذهب المراغي في تفسير هذه الآية إلى أن هذه نبوءة واضحة من نبوءات النبي (عليه الصلاة
وسلام) إذ يقول : " بعد أن بين أن من أذاع الرسول فقد اهتدى إلى الحق ، ومن اهتدى إلى الحق
بجزائه دار النعيم ، أردف ذلك وعده الكريم بأنه سيجعل المؤمنين المطيعين الله ورسوله خلفاء في
الأرض ، ويؤيدهم بالنصرة والإعزاز ، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أماناً ، فيعبدون الله وحده وهم
أمنون ، ومن جحد هذه النعم من بعد ذلك فقد عصى ربه وكفر أنعمه ... وقد وفي سبحانه بوعدده ، فإنه
لم يفت (عليه الصلاة والسلام) حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب " (4) .

(1) أسافات : 171 ، 172 ، 173 .

(2) طبر : 51 .

(3) لهور : 55 .

(4) انظر أحمد مصطفى المراغي ، التفسير ، (ط 2 ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الهادي الحلبي ، وأرلاده ، 1953 م) ،

ج 17 ، ص 125 وما بعدها .

يروي كتب السيرة النبوية أن المسلمين منعوا من دخول مكة عام الحديبية واشترطت عليهم قريش .
في العام المقبل ان يدخلوها عزلاً من كل سلاح إلا السيوف في القرب ، ولم يكن للمسلمين
بجرايمه اروع ، لانها قد تكون مغية ومطية للكيد والخديعة بهم ، " ففى هذه الظروف المريبة
سيب الرعد الحازم بالأمور الثلاثة مجتمعة : الدخول والأمن وقضاء الشعيرة : " لَقَدْ صَلَّتِ اللَّيْلُ رَسُوْلُهُ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَمْرًا أَنْ يَنْشَأَ اللَّيْلُ أَمِيْنَ حَلِيْفِيْنَ رُحْمًا كَرِيْمًا مُتَّبِعِيْنَ لَأَخْفَاوْنَ (1) ، فدخلوها
في عمرة القضاء امنين ، وليأروا فيها ثلاثة أيام حتى أتوا عمرتهم وقضوا مناسكهم" (2).

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية : " لَقَدْ صَدَّقَ اللهُ رَسُوْلَهُ الرَّأْيِيَّ بِالْحَقِّ " (3) قال : " ولقد مر بنا
ربعض المؤمنين الذين خرجوا مستبشرين برويا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد هالهم ألا
تقرأ الرويا هذا العام ، وأن يردوا عن المسجد الحرام ، فالله يؤكد لهم صدق هذه الرويا ، وينبئهم أنها
صحة ، وليأروا فيها ثلاثة أيام ، وأن وراءها ما هو أكبر من دخول المسجد الحرام" (4) .

يريد من كلام سيد قطب رحمه الله أن القرآن الكريم في هذه الآية يشعر المسلمين بحقيقة قد
تأري تحت زخم الحياة ، وهي أن روي الأنبياء حق ، وهي جزء من النبوة ، وأنها ليست مجرد روي
من شر عادي تحتمل الصدق والكذب ، بل الحقيقة يعينها ، والبيان الذي لا يخالطه هذيان .

(1) الفتح : 27 .

(2) انظر : أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية ، (ط5، بيروت ، لبنان : دار الشروق ، 1403 هـ / 1983 م) ، ص 234 .

(3) الفتح : 27 .

(4) سيد قطب ، في فلال القرآن ، ج 20 ، ص 3329 وما بعدها .

عن المشركون يجادلون المسلمين في سكة نيل الهجرة ، يقولون لهم : " إن الروم يشهدون أنهم أهل
 قوة ، فإني أظنهم المجدوس ، وأنتم تزعمون انكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل عليكم ، فسنغلبكم كما
 فعل فرس الروم فنزلت الآية : " **الَّذِينَ ظَلَمُوا لِلرُّومِ مَآءِ ذِي الْقُرْبَىٰ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ مِثْقَلٍ وَالرُّومَ لَدُنَّا**
 (1) " .

قال عبد الله دراز : " لث كان الإخبار بهذا النصر ، وبأنه كان في وقت معين إخبارا بأمرين كل
 منهما خرج عن تناول الضنون ، ذلك أن دولة الروم كانت قد بلغت من الضعف حدا يكفي من دلالاته
 بغير غزيت في عقر دارها ، وهزمت في بلادها كما قال تعالى : (في أدنى الارض) ، فلم يكن
 دبيراتها تقوم لها بعد ذلك قائمة ، فضلا عن أن يحدد الوقت الذي سيكون لها فيه النصر ، ولذلك
 شابه المشركون وتراهنوا على تكذيبه ، على أن القرآن الكريم لم يكتف بهذين الوعدين ، بل
 غرزا بثالث ، حيث يقول : **وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ** . إشارة إلى أن اليوم الذي يكون فيه
 نصر ذلك الروم على الفرس سيقع فيه ما هنا نصر للمسلمين على المشركين " (2) .

ويضيف محمد عبد الله دراز : " وإذا كان كل واحد من التصرين في حد ذاته مستبعدا عند الناس
 عند الاستعداد ، فكيف الحس بوقوعهما متتارين في يوم واحد ، لذلك أكدته أعظم التأكيد لقوله : " وعد الله
 يخلف الله وعده . ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ولقد صدق الله وعده ، فتمت للروم الغلبة على الفرس
 سبعين المورخين في أقل من تسع سنين ، وكان يوم نصرها هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين
 على مشركين في غزوة بدر الكبرى " (3) .

(1) الروم : 41 .

(2) محمد عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 41 .

(3) المصدر نفسه ، ص 41 ، 42 .

قوله تعالى : ﴿ قَوْلَ سُبْحَانَكَ رَبِّيَ عَظِيمًا ﴾ ، انظر من : ﴿ سُبْحَانَكَ رَبِّيَ عَظِيمًا ﴾ (1) .

وإذا عيّن نوع العذاب بأنه الجزية الحربية كما في قوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (2) .
وقد جرى تفسير القرآن الكريم على حوادث جزئية محددة منه ، وهذا في نظر العلماء أعجب و
غرب كما في قوله في شأن الرجل الزنيم (3) الذي كان يقول في القرآن : إنه أساطير الأولين : ﴿ سنسمه
سرجاً من نار ﴾ (4) ، فأصيب بالسيف في أنفه يوم بدر ، وكان ذلك علامة له يعبر بها ما عاش (5) .

٤٠٤ : الأخبار بما سيكون من أحوال اليهود :

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم أخبرت عما سيكون من أحوال اليهود ، من هوانهم ، وزوال
سؤمهم و ضعف شوكتهم ، وهذا بعد أن بدلوا نعمة الله كفراً و هاتوا على الله و على أنفسهم و في ذلك
يقول الله سبحانه و تعالى : ﴿ هُزِّبْتُ عَنْهُمْ الدِّينَ أَلَّا يَكْفُرُوا بِلِلَّهِ مِنْ اللَّهِ وَ حَبَلًا مِنَ النَّاسِ ﴾ (6) . و
قوله أيضاً - : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْعِبَادِ إِنِّي نَصَوْتُ لَكُمْ لِلْيَهُودِ أَنْ يَتَّبِعُوا آلَ عَادٍ إِنَّهُمْ كَانُوا لَهَا قَوْمًا ﴾ (7) .

وقد حدث لليهود كما أخبر القرآن الكريم ، فقد ألبسوا لباس الذل ، وقهرهم القاصي و الداني و مزقوا
لباسهم ، وفي ذلك يقول دراز : ﴿ ألا تراهم منذ صدرت عليهم هذه الأحكام اشتاتوا في كلِّ واد ، إذلاء في
كلِّ ناد ، لم يقدّم لهم في عصر من العصور دولة ، و لم تجمعهم قط بلدة ﴾ (8) .

ولمّا قنلا يقول : إن قيام دولة اليهود في فلسطين هي حقيقة ظاهرة بادية للعيان ، و يرد عليه بأن
قيام الدولة يقصد به قيام الكيان ، الذي يصحبه استتبات الأمن ، وهو ما لا يصدق على دولة اليهود التي
تزعجها المشزب و الأهواء .

[1] تصانيف : 174 ، 175 .

[2] القمر : 45 .

[3] المشهور أنه هو الوليد بن المغيرة المحزومي الذي نزل فيه : ﴿ ذرني و من حلت و حيدا ﴾ . المدثر : 11 .

[4] الواحدي أسباب النزول . المرجع سبق ذكره ، ص 295 .

[5] ن : 16 .

[6] الواحدي معجم سابق ، ص 295 .

[7] آل عمران 112 .

[8] الأعراف : 167 .

[9] عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 44 .

في نيل نيلس : الإخبار بما سيكون من أحوال المشركين :

سبحان اسمك رب العالمين (صلى الله عليه و سلم) فدعا عليهم بسنين كسني يوسف ، و مما
في القرآن الكريم في سورة القصص : (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا ، يَذَّابُنَا اللَّهُ مِمَّا كَفَرُوا)

(1)

في الآيات التي جاءت بعد ذلك يمكن ان نلصق ثلاث نبوءات أخرى أخير عنها القرآن الكريم و هي :

كتب اليوم عنهم و ذلك في قوله تعالى : (إِنَّا كَاتِبُونَ الذَّنْبَ كُلَّيًّا إِذْ أَسْرَعُوا يَوْمَ ابْتِطِنُ الْبَطْشَةُ

مَشْرُوبًا) (2) كما تضمنت هذه الآية الإخبار بعودتهم إلى المكر السيئ ، ثم الانتقام منهم

بذلك .

و قد كان ذلك كله كما بينه أهل التفسير في هذا الباب (3) ، فإنهم ذكروا ان المشركين لما جاءوا

بني رسول الله يستسقون و تغصروا إليه : (رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) (4) ، سقاهم الله

مأخسرا ، و كشفهم سرعان ما اعتدوا إلى عقوبتهم و استكبارهم ، فبطش الله بهم البطشة الكبرى يوم بدر

بذات قبل من صناديدهم ، سيعزون و أسر سيعون .

في النظم في القرآن الكريم يدرك ان إنباء الله سبحانه و تعالى المشركين بالانتقام قد تكرر في

قرآن السكّي (5) ولكن غالباً ما يأتي سجعاً كما في قوله تعالى : (وَكَأَيُّ آلِ الدِّينِ كَفَرُوا أَصْهَرُ مِنْ بَاطِنِهِمْ مَا صَنَعُوا قَارِعَةً وَتَوَضَّعُوا

حَذْرًا مِنْ أَنْ يَخْتَضِبُوا فَخِذًا وَأَقْرَبَ وَجْهًا وَأَقْرَبَ وَجْهًا وَأَقْرَبَ وَجْهًا) (6) .

و خلاصة القول في نبوءات القرآن الكريم أنها تمتاز بخصوصية هي :

ان النبوءات الفرأنية تتحتم حجب المستقبل قريبا و بعيدا ، و تتحكم في طبيعة الحوادث ، توقيتا و

أليدا ، و هو كما نرى مما وراء حسن النبي (صلى الله عليه و سلم) وعقله ، فلا تفسير لذلك إلا بالنبوة .

(1) المدان : 10 ، 11 .

(2) المدان : 15 ، 16 .

(3) اس كثير ، تفسير القرآن المعدل ، ص 2-10 .

(4) الذخان : 12 .

(5) اس كثير ، التفسير ، ص 246 . و عبد الله دراز ، المرجع السابق ، ص 43 و ما بعدها .

(6) الرعد : 31 .

جامعة الأمير
عبد القادر للعالم الإسلامي

ورد في سيرة ابن اسحاق (1) : ان مخزوم بن هاني المخزومي ذكر ان ايوان كسرى ارتجس
بجول النبي (صلى الله عليه وسلم) ، و سطلت منه اربع عشرة غرفة ، وخدمت نيران فارس
في بيئها المجوس ، ولم تخدم قبل ذلك بالف سنة .

في احد رجال كسرى في منامه ان ابيلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة والفرات في بلاده
بفضل الرويا على كسرى افرعه ، فتصير وان لم يصير فجمع كبار دولته وقال لهم : اتدرون فيم
مات اليكم؟ قالوا : لا الا ان يخبرنا الملك ، فبينما هم كذلك اذ ورد اليهم كتاب بخمود النار ، ثم
ميرهم بما رأى احد رجاله وبما هاله وقد تناولوا هذه الرويا ، وخمود النيران بان حدثا يكون من
بالتعريب (2) .

وذا تعقب محمد أبو زهرة (رحمه الله) هذه الروايات وحقق فيها ، وقرّر ان العبرة فيها بصدق
رواية لا يكون هذه الاخبار مقبولة في العقل فإن حكم مؤرخ بعدم صدق الرواية رددناها (3) .
وفي ذلك يقول : نقول في الرواية ان المحققين في علم الرواية لم يجدوا مساعدا لتكذيبها ، فإن
لنفظه اين كثير يروي في هذا روايات كثيرة يعلن شكه في صدق بعضها ، وسكت عن سائرها ،
وعلينا ما لم يشك فيه ، فحق علينا ان نقبل منها ما قبل ، ونرد منها ما ذكر ان فيه ريبا ، وخير
نصدق بقل ، مادام لم يعرف عليه كذب ، والأحكام تبنى على اخبار الصادقين ، ولو كان فيها احتمال
كذب الا انه احتمال غير مبني على دليل ، ومجرد الاحتمال لا يمكن ان يكون سببا لرد أقوال
الصادقين ، والإمام حكم قضاء ، ولا ادين منهم ، ولا ثبت حق ، ولا دفع باطل ، ولذلك لا يسعنا الا ان
نقل ما لم يجر فيه طعن (4) .

واما من ناحية قبول هذه الروايات عقلا فإن أبا زهرة بين أن خوارق العادات تجيء بتقدير الله تعالى
الذي لا يتقيد بالعادات ولا بما يجري بين الناس من أسباب ومسببات ، فإنه خالق الأسباب والمسببات .

(1) ابن اسحاق ، المرجع السابق ، ص 48 وما بعدها .

(2) المسطر نفسه .

(3) محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ، م 118 .

(4) المسطر نفسه ، ص 118 .

وقد يكون الرجزو المحق والخسف ، والزلال لفساد قام به بعض الخلق ، وذكرنا الآيات الدالة على أن الله تعالى يلقي بالنعيم على من يتقى ويعمل صالحا وقد تلونا من قبل قوله تعالى :
 وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعُرُوفِ اسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ كَمَا ظَنَنُوا لَوَلَّوْا الْآخِرَ وَكَرِهُوا الْأُولَىٰ
 بما كانوا يسترون (1) ، وذكرنا أن الرجز والعذاب قد يكون بسبب فساد ارتكبه بعض الاقوام كما أنزل
 الله تعالى من الرجز على فرعون وملاه بما كانوا يفسدون في الأرض (2) .

ويمكن أن نستبط من كلام محمد أبي زهرة وردوده على الذين لا يقبلون هذه الروايات بشأن إرهابات النبوة الذممة لظنهم أنها مجافية للعقل وذلك لجملة إشكالات أهمها :

1- الذين يدعون أن هذه الروايات غير مقبولة في العقل إنما ينظرون إلى الأسباب والمسببات العادية التي تجرى في أعمال بنى الإنسان، غير أن هذه القاعدة لا تصدق على كل شيء ، فإنها قد تختلف في حالة حوادث الكون المختلفة التي يعجز العقل عن إيجاد تحليل لها اعتمادا على قاعدة العلة بالمعلول ، ولا يسهو حيلها إلا أن يقر بانها إرادة الله القاهر فوق كل شيء الذي لا يسأل عما يفعل ، وأنه يفعل ما يفعل لحكم يريدتها ومصالح يقدرها ، بكونه علام الغيوب ، وحول هذه المسألة يقول محمد أبو زهرة أثباتا لإرهابات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) : " وإذا كان الله تعالى قد أراد الكرامة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأراد أن يعلم من يحيطون به من أهل وقوم ما كرمه الله تعالى به ، ووسيلته بالحق فإن ذلك هو المعقول ، وغيره هو المردود ، لأنه مخالف لما قدره الله تعالى لهذا الإنسان الذي سيعلم الإنسانية كلها (3) .

2- لا يمكن ولا يصح لعاقل أن يقول إن هذه أوهاج سيطرت ، أو خيالات خيلت ، وظنون ظننت ، بمجرد أنها خلفت مجاري العادات وما ألف الناس في كل مولود ، فليس ككل مولود (4) .

ومن باب الإيمان بالحق ، ودعوة الناس إليه ، وعدم إكراههم عليه ، كما هي القاعدة القرآنية في ذلك :
 لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (5) .

(1) الأعراف : 96 .

(2) أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص 118، 119 .

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

(5) البقرة : 256 .

إن أبا زهرة (رحمه الله) رجحَ صدق الروايات الواردة بشأن الإرماسات النبوية ، من غير أن يلزم من الإيمان بها ، لأنها لا تدخل في دعوى الإيمان وفي ذلك يقول : " ومع ذلك نرحم صدقها ، ولا يلزم الناس بالإيمان بها ، فليس من الإيمان أن نؤمن بأن أيوان كبرى ارتجس ولا النار خست ، ولأن الوجود قد استقر ، لأن هذه الأمور ليست جزءا مما دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الإيمان به ، إذ أن ما يجب الإيمان به هو ما دعا إليه ، وما تكلم به عن الله ، وما نطق به القرآن وحكم به الدين (1) .

وما ذكره أبو زهرة هي الحقيقة بعينها ، التي لا ينكرها صاحب عقل مستبصر ، إذ أنه من باب الموازنة ، لورجحت إلى ما كتبه الأناجيل المسيحية الحاضرة ، وما تلت في مولد عيسى (عليه السلام) والذي اختلفت فيها الحقيقة بالخيال ، وجعل الإيمان به شيئا ملزما لاتصاح العقيدة المسيحية إلا بالإيمان به إيمانا لا يخالطه أدنى شك ، فوجدنا ما ذكره البيزة النبوية عن بعض الكرامات التي اقترنت به ولد النبي الخاتم (عليه الصلاة والسلام) تكاد تكون شيئا لا يذكر بالنسبة لما ذكرته الأناجيل وأوجبت الإيمان به ، ولكي تتضح الفكرة التي أنا بصدد ما أرجع إلى ما جاء في بعض الأناجيل وما زعمته عن ولادة المسيح (عليه السلام) وذلك لتأكيد ما ذهبت إليه ، فقد جاء في إنجيل متى : " أنه لما ولد يسوع نسيح ظهر نجمة في المشرق وبواسطة ظهور نجمة عرف الناس محل ولادته " (2) .

جاء في إنجيل لوقا : " لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحا وسرورا ، وظهر من السحاب ندم مطربة " (3) ، وفي الإنجيل نفسه : " وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له " (4) .

وفي إنجيل متى : " ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهود في أيام هيرمودس الملك ، إذ المجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين : " أين هو المولود من اليهود " (5) .

(1) محمد أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص 146 .

(2) متى : ص 2 .

(3) لوقا : ص 2 .

(4) المصدر نفسه .

(5) متى :

بداغرض من فيض مآورد في الأناجيل المسيحية الحاضرة ، ولا شك كما بينت أن ما يذكر عن ولادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أخبار صادقة هي دون ما يذكره هؤلاء عن مولد عيسى (عليه السلام) .

وإنه لمن الحق والموضوعية العلمية أن أقرر أن الفارق بين ما يقوله المسيحيون في مولد المسيح (عليه السلام) ، وما يقوله الرواة الصادقون من ناحيتين :

الناحية الأولى :

إن ما يذكر في الأناجيل عن رجال عيسى (عليه السلام) أكثر غرابة ، ومع هذه الغرابة ، فإن عقولا مسيحية كثيرة أمنت بذلك ، ولم تقدح في صحته .

الناحية الثانية :

إننا لا يجب علينا الإذعان لهذه الأخبار والروايات حتى وإن صححت وتواترت ، ولكن المسيحيين يعتقدون صدق ما في أناجيلهم ، ومن لم يصدقها يكون كافرا بها .

وإذا كان الأمر كما ذكر محمد أبو زهرة ، وكما بينته بناء على ما ذكره وفرّره ، فإن هذا يدفعني إلى القول بأن البيان الذي سقته بين يدي هذه الروايات والأخبار تمنع الذين كتبوا حول النبوة الخاتمة أن يثيروا الغبار حول ما ذكر عند ولادته (عليه السلام) ! لأن الحق في حالة المخالفة يقتضي منهم أن يثيروا أكثر من هذا وأشنع حول ما قيل عن ولادة السيد المسيح (عليه السلام) .

وإلى جانب ما ذكرته ، فإن العلماء يقررون أن الإرهاص بالنبوة لم يقف عند مولده (صلى الله عليه وسلم) ، وما تبع ذلك من حادثة شق الصدر وغيرها مما أثبتته علماء السيرة النبوية ، بل تعدى هذا الإرهاص إلى شطر من حياته (عليه الصلاة والسلام) ، ولعل الإرهاص الكبير المعظم بنبوة النبي (صلى الله عليه وسلم) هو ما حدث له في رحلته الأولى مع بحيرا الراهب .

فقد جاء في سيرة ابن إسحاق أنه جعل بحيرا يسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن رحلته وهياته وأموره ، ورسول الله يخبره ويقول ابن إسحاق: فواتق ذلك ما عند بحيرا من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب ، فقال: ما هذا الغلام منك ، قال: ابني قال بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينفي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال أبو طالب: فإنه ابن أخي قال: فما فعل أبوه قال: مات ، ولعمري حبلتي به قال: صدقت ، ارجع يا ابن أخيك إلى بلده ، واحذر من اليهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ما عرفت ليبيغينه شرا فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة ، وأنجز تجارته (1) .

(1) ابن كثير البداية والنهاية ، (بيروت لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1402 هـ/ 1982 م) فصل في أمته (عليه السلام) مع يعقوب الراهب ، ج 1 ، ص 283 وما بعدها .

ويطلق محمد أبو زهرة على هذه الرواية بقوله: "إن هذه رواية من الروايات التي رويت في هذه الرحلة، و التقاء بحيرا الراهب وليس فيما ذكره بحيرا، ولا أصل القصة غرابة، لأن إشارة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ثابت عند أهل الكتاب... وليس في القصة أمر يستحيل منسبته، أو يعتذر تصديقه، بل إنه خبر يتفق مع ابتداء نشأة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وإضلال لعمامة له (عليه الصلاة والسلام)، وليس فيها غرابة أو ما يظن أنه غريب في زعم الذين يجحدون، ومن طبيعتهم جحود ما ليس ماديا ولا محسوسا" (1).

ويرد عليهم محمد أبو زهرة بدليل من جنس ما يعتقدون، وهو إيمانهم بالمحسوس إذ يقول في ذلك: "نختم النبوة كان أمرا ظاهرا في جسم النبي (صلى الله عليه وسلم) (رأه الراءون) ووصفه الواصفون إذا كانوا لا يؤمنون إلا بالمادي، لهذا أمر مادي ظاهر، وقد وجد فيه ولم يوجد في أحد من غيره، فكيف يمترون، وهناك شاهد آخر بالصدق، وهو وجود هذه الأوصاف المعروفة في التوراة والإنجيل حتى بعد أن أصابها التحريف، وإذا كانوا قد نسوا حظا مما ذكروا به، وأفسدوا الباقي فالإشارات تلوح معلنة وجودها، رغم أنف الجاحدين المستكبرين، فلا مجال لارتباب مراتب" (2).

وخلاصة القول في إرهابات النبوة الخاتمة، أنها تدرج تحتها جملة مسائل منها:

1- إن إرهابات النبوة شئ من الرعاية الإلهية حتى يهيئ النبي (عليه الصلاة والسلام) لتحمل أعباء النبوة، فيوجد فيه هذا الاستعداد النفسي، إلى جانب الاستعداد الفطري الذي كان له وهذه التهيئة النفسية، هي أمر في غاية الأهمية، حتى في تاريخ المذاهب الأرضية، فإن بوذا كما يحكي الذين كتبوا عن سيرته، حصل له من الكرامات - على حد زعمهم - ما جعل أتباعه يؤمنون به، ويلتزمون من حوله، وهو ما اصطاح علماء المقارنة بين الأديان على تسميته بالإشراق، التي أوصلته بعد ذلك إلى أسنى مراتب النفس البشرية وهي مرتبة النرفانا أو مرتبة الصفاء الزوحي، والتقاء النفسي، فإن كان هذه الاستعداد لازما لبوذا، فإنه لمحمد (صلى الله عليه وسلم) من باب أولى لأنه خاتم النبيين والمرسلين.

2- إن الإرهابات من شأنها أن تزيل كل الشكوك والأوهام التي تسيطر على عقول الأتباع، فلا يعتقدون صدقه، وإنها إذا جاءت معضدة لسيرة حسنة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين ثوبه حتى في جاهليته، وقبل ظهور هذه الإرهابات، فإن هذا مما يزيد في دفع الشكوك وطرح الأوهام.

(1) محمد أبو زهرة، نختم النبيين، ص 176.

(2) المصدر نفسه، ص 176.

تمت الرابع : دلائل ختم النبوة و خصائص النبوة الخاتمة.

بحث الأول : دلائل ختم النبوة .

تتجمع آراء العلماء والمفسرين على أن النبوة قد ختمت بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ولذا سماها الاصطلاح " النبوة الخاتمة " وقد أقاموا الأدلة النقلية والعقلية على ذلك .

المطلب الأول : الأدلة النهائية على ختم النبوة من القرآن و السنة .

الفرع الأول : ختم النبوة من القرآن الكريم .

لقد ثبت ختم النبوة في القرآن الكريم و السنة النبوية بأدلة نقلية فصلها العلماء ، و النقل في الاصطلاح بر ما دل على قرآن اوسنة ، أي ما نقل إلينا بالتواتر ، وكان ثبوته ثبوتاً قطعياً ؛ لأن المراد والغرض من النقل إثبات الأحكام ، وبيان مشروعيتهما ، ولا يثبت ذلك إلا إذا كان النقل صحيحاً وقطعياً ، إذ لا يمكن بناء الأحكام الشرعية على الدن أو غائبة .

هناك آية جامعة في القرآن الكريم . استدل بها معظم المفسرين على ختم النبوة وهي قوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (1) ، فهذه الآية الكريمة تبين في وضوح لا لبس فيه بأن الدين قد اكتمل ، وأن الله قد أتم نعمة الإسلام على الناس .

يقول الأوسى في تفسير هذه الآية : " اليوم أكملت لكم دينكم " بالنص والإظهار وعن ابن عباس رضي أن الدين : اليوم أكملت لكم حدودي وفرائضي ، وحلالتي وحرامتي بتزليل ما أنزلت لكم ، زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم ، وكان يوم عرفة عام حجة الوداع واختاره الجبائي وغيرهما وادعوا أنه لم ينزل بعد ذلك شيء من الفرائض على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تحليل ولا تحريم ، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يلبث بعدها سوى إحدى وثمانين يوماً وفاضت روحه إلى بارئنا فهم سيدنا عمر (رضي الله عنه) لما سمع الآية لنبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقيل إن يهودياً قال لسيدنا عمر (رضي الله عنه) : إن في كتابكم آية لو نزلت علينا لجعلنا يوماً عيداً ، فقال سيدنا عمر : إنها قد أنزلت في عيدين ، يوم الجمعة ويوم عرفة (2)

(1) المائدة : 3 .

(2) انظره الأوسى روح المعاني (تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني) (مصر : إدارة الطباعة المنيرية لمحمد منير

وَيَسِّفُ الْاَلُوسِي فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : " وَاتَّخَذْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي اَي : اِتِّمَامَ الْهُدَايَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَاتِّمَامَ سَبِيحًا ، وَقِيلَ بِاِكْتِمَالِ الدِّيْنِ ، وَقِيلَ بِاِعْطَانِهِمْ مِنَ الدِّيْنِ وَالحِكْمَةِ مَا لَمْ يَعْطِهِ اَحَدٌ قَبْلَهُمْ ، وَقِيلَ : وَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي اَي : اَنْجَزْتُ لَكُمْ وَعَدِي وَقَوْلُهُ : " وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْاِسْلَامَ دِيْنًا اَي : اَخْتَرْتُهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْاَدْيَانِ ، وَهُوَ الدِّيْنُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَكُمْ دُونَ غَيْرِهِ ، وَهُوَ الْمَقْبُولُ وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ " (1) .

وَبِذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْاَلُوسِي هُوَ تَفْسِيرُ اَقْوَالِهِ تَعَالَى : " وَمَنْ يُبَيِّعْ عِبْرَةَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يَبْدُلَ سُنَّةَ رُسُلِي بِالْاِحْرَازِ اَحْمَرِيْنِ " (2) .

وَيُؤْخَذُ مِنْ تَفْسِيرِ الْاَلُوسِي اَنْ تَرَى الْاِسْلَامَ قَدْ كَمَلَ بِاِنْتِقَالِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اِلَى الرَّبِيقِ الْاَعْلَى ، وَاصْبَحَ دِيْنًا اَبَدِيًّا خَالِدًا لَا يَنْسَخُ وَلَا يَنْسَخُ ، وَيَعْلُو وَلَا يَنْعَلِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَمَلَ الْكَمَالُ التَّامُّ ، مَا مَعَ الْعِلْمِ بِاَنَّ الْكَمَالَ التَّامُّ لَا يَنْقُصُ الْاِحْتِيَاجُ ؛ وَذَلِكَ لِاَنَّ مِنْ كَمَالِ هَذَا الدِّيْنِ اِعْطَاءَهُ الْحُرِّيَّةَ لِلْعَقْلِ فِي التَّفَكُّرِ ، بَلْ جَعَلَ التَّفَكُّلَ اَمْرًا مَفْرُوضًا عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ ، وَالْاِحْتِيَاجَ جِزْءًا مِنْ التَّفَكُّلِ وَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَنْ ضَرُورَاتِ الدِّيْنِ وَقَوَاعِدِهِ (3) .

كَمَا اَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : " الْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنََكُمْ " (4) نَحْوَ قَرَانِي قَطَاعَ بِكَمَالِ رِسَالَةِ الْاِسْلَامِ وَغَدَمَ نِجْزِ الْاَدْيَانِ ، اِذْ هِيَ فِي الْاَصْلِ وَاحِدَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا رَضِيَ بِكُمْ نُوْحًا وَالَّذِي اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ وَمَا وَّصَّيْنَا بِاِيْرَاهِيْمَ وَمُوسَى وَعِيسَى اَنْ اَنِسُوا الدِّيْنَ فَاَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ اِيْنِي " (5) .

اَمَّا الطَّبْرِيُّ فَذَهَبَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : " الْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنََكُمْ وَاتَّخَذْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ مِنَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا " (6) . فَقَالَ : " اِخْتَلَفَ اَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَعْنِي جَلَّ شَاوَهُ بِقَوْلِهِ : الْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنََكُمْ : الْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ اَيْهَا الْمُؤْمِنُوْنَ فَرَانِحِي عَلَيْكُمْ وَحُدُودِي وَاَمْرِي اِيَّاكُمْ وَنَهْيِي

(1) الْاَلُوسِي ، التَّفْسِيرُ ، ج 6 ، ص 54 .

(2) اَلْ عِرَان : 85 .

(3) الْاَلُوسِي ، الْمَوْجِعُ السَّابِقُ ، ص 54 ، وَبَعْضُهَا .

(4) السَّادَةُ : 3 .

(5) النُّورِيُّ : 13 .

وخالفي حراسي وتقريلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي وتبيناتي ما بينت لكم منه بوحى على ناس رسولي والآلاء التي نصبت لها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتتمت لكم جميع ما فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم، وقالوا: وكان ذلك في يوم عرفة عام حج النبي (صلى الله عليه وسلم) حجة الوداع وقالوا: لم ينزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد هذه الآية شيء من الفرائض ولا تحليل شيء ولا تحريمه وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا لثلاثين ليلة ذكر من قال ذلك (1).

وقد طلق الطبري بعد ذكر هذا، بزيادة قوله بما أثر من أقوال الصحابة (رضي الله عنهم) فنزل عن ابن عباس (رضي الله عنه) من طريق معاوية عن علي قال: أي: ابن عباس: "قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم" وهو الإسلام قال: أخبر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدا وقد رضي الله فلا يسخطه (2).

ونقل الطبري عن السدي قوله: "اليوم أكملت لكم دينكم: هذا نزل يوم عرفة فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمات فقالت أسماء بنت عميس: حججت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تبلى له جبريل (صلى الله عليه وسلم) على الراحة فلم تطق الراحة من ثقل ما عليهما من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه برداء (3).

ونقل الطبري عن آخرين في معنى قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" (4)، حيث يقول: "وقال آخرون: معنى ذلك اليوم أكملت لكم دينكم أي: حكم فلفردتكم بالبلد الحرام تحجوا به أنتم أيها المؤمنون دون المشركين، لا يخالذك في حركم مشرك، وعن أبي عتبة عن أبيه عن الحكم: "اليوم أكملت لكم دينكم" قال: أكملت لهم دينهم أن حجوا ولم يحج معهم مشرك وعن قتادة: اليوم أكملت لكم دينكم" قال: أخلص الله لهم دينهم ونفى المشركين عن البيت" (5).

(1) الطبري، التفسير، ج 6، ص 52، 53.

(2) المصدر نفسه، ص 52.

(3) المصدر نفسه ص 52.

(4) السنة: 3.

(5) الطبري، المرجع السابق، ص 52.

ومن الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة أيضا قول الله تعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَئِن رَّسَوْنَا لَلَّهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ " (1) .

قال الألوسي في تفسير هذه الآية : "... والخاتم اسم آلة لما يختم به كالطبع لما يطبع به ، فمعنى خاتم النبيين الذي ختم النبيون به ومآله آخر النبيين " (2) وينضيف : " قرأ الجمهور خاتم بكسر التاء على أنه اسم فاعل أي : الذي ختم النبيين ، والمراد به آخرهم ، وفي حرف ابن مسعود ، أي : في قراءته : ولكن نبيًا ختم النبيين والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول ، فيلزم من كونه (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين ، والمراد بكونه (صلى الله عليه وسلم) خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه (صلى الله عليه وسلم) بها " (3) .

وفي تفسير الآية السالفة الذكر ، يقول الطبري : " القول في تأويل قوله تعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَئِن رَّسَوْنَا لَلَّهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " (4) . يقول تعالى ذكره : ما كان أبيا للناس محمدًا أبًا زيد بن حارثة ولا أبًا أحد من رجالكم ... ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة لطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغيروك ذا علم لا يخفى عليه شيء (5) .

والدليل على أن الخاتم هو وصف للنبي في الآية الكريمة هو قوله تعالى في سابقتها : " الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ بِهَا عِزًّا لَّخُسْرَانٍ لَا يَخْسِرُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَبِيَ بِالْبُرْجَانِيَّةِ " (6) ، فهذا وصف عام شمل كل الأنبياء (عليهم السلام) ، ثم خص الله سبحانه وتعالى محمداً بالذكر في الآية : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَئِن رَّسَوْنَا لَلَّهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ " (7) . فكان (عليه الصلاة والسلام) هو خاتمهم .

(1) الأحزاب : 40 .

(2) الألوسي ، التفسير ، ج 22 ، ص 28 .

(3) المصدر نفسه ، ص 28 وما بعدها .

(4) الأحزاب : 40 .

(5) انظر : الطبري ، التفسير ، ج 22 ، ص 12 .

(6) الأحزاب : 39 .

(7) الأحزاب : 40 .

ومن الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة أيضا قول الله تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن مَّرْسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ" (1).

قال الأوسى في تفسير هذه الآية: "... والخاتم اسم آلة لما يختم به كالحطب لما يطبع به ، فمعنى ختم النبيين الذي ختم النبيون به ومآله آخر النبيين " (2) ويضيف: "وقرأ الجمهور خاتم بكسر التاء على أنه اسم فاعل أي: الذي ختم النبيين ، والمراد به آخرهم ، وفي حرف ابن مسعود ، أي: في قراءته: ولكن نبيا ختم النبيين والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول ، فيلزم من كونه (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين ، والمراد بكونه (صلى الله عليه وسلم) خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من النفايين بعد تحليته (صلى الله عليه وسلم) بيا" (3).

وفي تفسير الآية السالفة الذكر ، يقول الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن مَّرْسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" (4) . يقول تعالى ذكره: ما كان ليا الناس محمد أباً زيد بن حارثة ولأباً أحد من رجالكم ... ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالاتكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء (5) .

والنليل على أن الخاتم هو وصف للنبي في الآية الكريمة هو قوله تعالى في سابقتها: "الَّذِينَ يُتْلُونَ مِائَاتٍ مِّنَ الذِّكْرِ وَكُنُوزًا مِّنَ الْغَيْبِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (6) ، فهذا وصف عام شمل كل الأنبياء (عليهم السلام) ، ثم خص الله سبحانه وتعالى محمداً بالذكر في الآية: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن مَّرْسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ" (7) . فكان (عليه الصلاة والسلام) هو خاتمهم .

(1) الأحزاب : 40 .

(2) الأوسى ، التفسير ، ج 22 ، ص 28 .

(3) المصدر نفسه ، ص 28 وما بعدها .

(4) الأحزاب : 40 .

(5) نظر: الطبري ، التفسير ، ج 22 ، ص 12 .

(6) الأحزاب : 39 .

(7) الأحزاب : 40 .

وردت في السنة النبوية من أقوال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المتواترة بعض الأحاديث التي سببها العلماء والمحدثون والمحققون في الأخبار والروايات دليلا على ختم النبوة والرسالة بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ورسالته ، ومن ذلك :

ما روى الشيخان (1) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قوله : " مثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني بيتا فاحسنه إلا موضع لبنة فيه ، فجعل الناس يدلفون به ويتعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فإنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " .

وروى البخاري ومسلم قوله (صلى الله عليه وسلم) : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هنك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدي " (2) .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن مفلح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " لا نبوة بعدي إلا المبشرات قيل وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة " (3) .

وروى مسلم والترمذي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلي الخلق كافة ، وختم بي النبيون " (4) .

(1) نظر : م 1790 ، 1791 ، وكنز العمال حديث 32127 بلفظ : " مثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه و ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة ، لا يعيرون غيره ، فكنت أنا سدوت موضع تلك اللبنة حتى البين ، وختم بي الرسل " . روى هذا الحديث ابن عساکر عن أبي هريرة (رضي الله عنهما) .

(2) نظر : م 78 ، م الحيض ب 18 رقم 75 . ومشكاة المصابيح للقرنبي 3675 ، وكنز العمال 32377 والترطبي في تفسير أحكام القرآن 14 : 251 .

(3) سنن ترمذي .

(4) نظر : م المساجد 5 ح 1553 . مشكاة 5748 . م 2 : 432 . وجمع من المحدثين .

روى الشيخان والنسائي ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :
 أعطيت خمسا لم يعطين أحد من الأنبياء : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا
 وبيورا ، فأينما رجل من أمتي أدركته الصلاة فأبصر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،
 وأعطيت الشّاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة - (1) .

وأخيرا أقول إنه بناء على هذه الآيات المتكاثرات ، وهذه الأحاديث قامت عقيدة ختم النبوة عند
 المسلمين فهي أصول ثابتة لا تقبل التأويل ولا التبديل .

المطلب الثاني : الأدلة العقلية على ختم النبوة .

ومن الأدلة العقلية التي ذكرها العلماء أنه جرت سنة الله تعالى أن يرسل المرسلين مبشرين
 ومنذرين لإصلاح أحوال الناس في معاشهم ومعادهم ، ولذلك كانت النبوة أمرا شاملا وجامعا لم تخل
 منبأمة من الأمم منذ فجر البشرية ، وذلك لقوله تعالى : " وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " (2) ، ووجود
 النذير الدال على إمامة الحجة على الناس ، لقوله تعالى : " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " (3) ، وما
 من نبي إلا أيدته الله سبحانه وتعالى بالآيات ما على مثله أمن الناس ؛ لتكون دليلا على صدقه وأماراة
 صادقة على نبوته .

وحجة المسلمين في نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) جملة أمور :

- 1- أنه ادعى النبوة وقد بلغنا هذا متواترا .
- 2- أنه أظهر المعجزة التي تدل على صدق ما يدعي ، وإذا كانت المعجزة في اصطلاح العلماء هي
 الأمر الخارق للعادة ، الذي يجريه الله سبحانه وتعالى على يد مدعي النبوة ، وأنه لا تقبل دعوة نبي
 ولا نبوته إلا إذا كان لها قسط منها ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيدته الله سبحانه وتعالى
 بعش هذه المعجزات (4) ، وزاد عليها بمعجزة خالدة لم يعطها الأنبياء والرسل قبله ، وهي القرآن
 الكريم .

(1) انظر: فتح 1 : 533 ، تمهيد 5 : 221 ، وهو يلفظ آخر في حم 1 : 250 أعطيت خمسا لم يعطين أحد قبلي ولا أقوا - فخرا

في سن 11 : 432 - أعطيت خمسا ولا أقوله فخرا .

انظر : ابن أبي شيبه ، المصنف ، (دار الفكر ، بدون تاريخ) ، ج 11 ، ص 432 .

(2) فاطر : 24 .

(3) الإسراء : 15 .

(4) معبد وثق رضا ، المرجع السابق ، ص 230 .

عن محمد رشيد رضا : " إن آيات الله التي تجري على غير سنته الحكيمه في خلفه لا تثبت العلم بها إلا بليل قطعي ، وقد كان من حكمته أن أيد بعض النبيين والمرسلين بشيئين منها لإقامة حجبتهم وتخويف المعتدين لهم ، وقد انقطعت هذه الآيات ببعثة خاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وسبب ذلك أن حكمته ختم النبوة برسالته ، وجعل ما أوحاه إليه آية دائمة وهداية عامة لجميع البشر مدة بقائهم في هذه الدنيا ، وأنزل عليه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (1) لعلمه تعالى بأنهم لا يحتاجون بعد هذا الوحي إلى وحي آخر ، ولإلى آية على كونه من عند الله تعالى إلا هذا القرآن نفسه ، وهذا الكتاب في حكمه وتفصيله مشتمل على كثير من الدلائل العقلية العلمية على كونه من عنده " (2) .

ولبيان أنه لا حاجة للبشرية إلى دين بعد الإسلام ، وإلى نبوة بعد نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، يؤكد محمد رشيد رضا هذه الحقيقة ، وذلك في معرض رده على منكري النبوة الخاتمة فيقول : " لو كان لبشر حاجة بعد القرآن ومحمد (صلى الله عليه وسلم) كما يدعى المفتونون بالكرامات ومخترعو الأديان ، والنحل الجديدة لما كان لختم النبوة معنى ، وقد بلغ من علو مارقة التصوفية الروحانية أن أمروا في ختم النبوة ، فأنكروه أو تناولوه لأدعائهم نوعا منها ، ومنهم من ابتدع اسما أو وصفا للنبوة التي ادعواها وهو النبوة الخلقية (3) ، وفتن بفتنتهم الباطنية والبهائية (4) حتى عبدوا الباب والبهاء إذ ادعيا الألوهية ، وفتن بها غلام أحمد القادياني (5) فادعى النبوة والمسيحية له و خلفائه بلا انقطاع ، حتى سماها المرتزة منهم والرعاغ " (6) .

(1) الأنبياء : 107 .

(2) محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 227، 228 .

(3) الغلبة هي فكرة باطنية قالت بها الباطنية و البهائية و مذاهب باطنية أخرى حيث يزعم أصحابها نسخ مبادئ الشريعة الإسلامية بدعوى انعيش في ظلال الحقيقة و اليقين .

انظر : محسن عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 118 .

(4) الغائبة نسبة إلى العيرزا علي محمد الباب ، وهي تقول بالذکر الباطني او هو الأصل الذي تفرعت منه جميع الفرق الهدامة . أما نغمة الباب هذه فقد استعملها الإسماعيلية عنوانا على الشيخ أو الأساس الذي يعلم الناس أسرار الدين .

أما البهائية فنسبة إلى الميرزا البهاء ، له كتاب الأقدس وهي استمرار للباطنية الصوفية .

انظر : محسن عبد الحميد ، حقيقة الباطنية و البهائية (ط5) ، القاهرة : دار الصحوة للنشر ، 1405هـ/ 1985 م) ، ص 44، 45 .

(5) القاديانية نسبة إلى ميرزا غلام أحمد و أفكاره باطنية كأفكار الباطنية و البهائية مع بعض الاختلاف .

(6) محمد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 227 ، 228 .

ويرى محمد عبده أن النبوة الخاتمة تمدن أرقى مراتب الارتقاء العقلي والسمو التشريعي ، إذ يبين في رسالة التوحيد (1) كيف ارتقى التشريع الديني في الأمم بارتقاء نوع الإنسان في الإدراك والعقل كارتقاء الأفراد من طفولة إلى شباب إلى كهولة ، حتى بلغ فيها رشد واستوى ، وصار يدرك بعقله هذه الهداية العقلية العليا هداية القرآن بعد أن كان لاسبيل إلى إزعاجه لتعليم الوحي ، إلا ما يدهش حسه ويعيي عقله من آيات الكون (يعني : أنه بلغ هذا الرشد في جملته ، واستعداد كثير من أفراده لا كلهم ولا أكثرهم (2) .

ثم قال محمد عبده (3) في رسالة ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) : " نبي صدق الأنبياء ، ولكنة لسم وإن في الإقناع برسالاته بما يلهي الأبصار ، أو يحير الحواس ، أو يدهش المشاعر ، ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له ، واختص العقل بالخطاب ، وحاكم إليه الخطأ والصواب ، وجعل في قوة الكلام ، وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجّة وآية الحق : " الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه ، قرآن من حكيم مجيد " (4) .

إن اطلاع محمد عبده على الفاسفات الباطنية ، التي اتخذت من إثارة المشاعر و تحريك الباطن وسيلة ناجحة لحشد الأتباع من حولها ، أعانته كثيرا على إدراك الفروق الجوهرية القائمة بين الفلسفة الباطنية من حيث هي تصورات وتخيلات يعتمد فيها على الظن والتخمين ، وبين النبوة التي هي وضع إلهي ، لا تتأني إلا عن طريق الوحي (5) .

وبناء على ما ذكره محمد عبده ، عمل المحققون في تاريخ النبوات على ضرورة الفصل بين النبوة والفلسفة ، وذلك للاعتبارات والاختلافات ، التي سبقت الإشارة إليها .

(1) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، مرجع سبق ذكره ، ص 120 .

(2) المصدر نفسه ، ص 120 وما بعدها .

(3) المصدر نفسه ، ص 124 . ذكر هذا في بيان رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

(4) فصلت : 42 .

(5) محمد عبده رسالة التوحيد ، ص 120 وما بعدها .

وقد وضع البيهقي (1) كتابا في دلائل النبوة ، تحدث فيه بإسهاب كبير عن أعظم دلائل نبوته (عليه الصلاة والسلام) ، والدلائل هي في اصطلاحه مما يدل على النبوة ، أو يكون أمارا من أماراتها ، وقد صنف هذه الدلائل بحسب تسلسلها الزمني وأثرها الديني والواقعي على مستقبل الدين و على المؤمنين و المعارضين .

يقول محمد رضا : " فمن أعظم دلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) القرآن الكريم فقد تحدثي العرب (2) بما فيه من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك وهم يعلمون أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان أميا و كانوا أساطين البلاغة وأهل الفصاحة ، قال تعالى : " فَلْيَلْمِ الْإِنسَانَ إِذَا لَمْ يَلْمِ الْإِنسَانَ أَن بَاتُوا مِنْهُ لَوْلَا أَنَّ لَدَيْنَا مِثْلُ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ لَوْلَا كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظُهْرًا " (3) . ولم يقتصر إعجاز القرآن الكريم على نظمه وبلاغته ، بل تعداه إلى ماحواه من حكم وأخلاق ودين وتشريع ، و علوم عقلية وأخبار عن الأمم الماضية ، وإخبار بالغيوب مع ما كان معروفا من دال النبي (صلى الله عليه وسلم) من أنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ (4) .

وأقول تعليقا على ما قاله : إن أمية النبي (عليه الصلاة والسلام) دليل قاطع على نبوته ، إذ لو كان النبي يكتب ويقرأ لكان هذا بابا ولج منه المبطلون للقدح في نبوته ، ولكن الله عز وجل - بعنايته - سد عليهم هذا الباب ودفع هذا الارتباب ، لأن مقتضى العقل والمنطق أن الأمي لا ينبغي له أن يأتي بقرآن مثل هذا هو غاية في الإعجاز التشريعي والأدبي والعلمي ، وهو ما يزيد في تثبيت حقيقة المصدر الرباني للقرآن الكريم .

(1) انظر البيهقي دلائل النبوة : تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (ط2 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1403 هـ . 1983 م) ، من ص 10 إلى 20 ، في الفصل المتعلق بالدلائل العلمية على النبوة الخاتمة .

(2) كان تحدثي القرآن في الحقيقة لكل الناس وذلك لقوله تعالى : " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أَوْ لَمْ تُنْفَعُوا فَأُولَٰئِكَ الْفَاعِلُونَ الْإِنسَانُ الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ بَدِيلًا وَمَا يَحْتَكِرُ إِلَّا فِي سِحْرٍ وَإِنْ يَدْعُوا إِلَىٰ جَاهِلِيَّةٍ أُخْرَىٰ فَهُمْ عَنِ الْقَوْمِ الْغَافِلِينَ " سورة البقرة : 23-24 . ولكن كان تحدثي العرب به من قبيل تخصيص العام ، بالنظر إلى أنهم هم الذين اتبروا لمعارضته وهبوا لتكذيبه ، لذلك نواتر هذا التخصص .

(3) الإبراء : 88 .

(4) انظر محمد رضا (أمين مكتبة جامعة القاهرة سابقا) ، محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، (عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ) ، ص 379 وما بعدها .

ويمكن ان أيبّن بناءً على ما سلف أمرين اثنين :

1- ان القرآن الكريم دليل قويّ وحجّة دامغة على صدق نبوّة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) ، فإنّ ثبوت صحّته ، وصدوره عن الله (عزّوجلّ) ، واستحالة أن يكون من وضع النّبّي (صلّى الله عليه وسلّم) وهذا من شأنه أن يكون أولى دلائل النّبوة الخاتمة.

2- ان الاعتقاد السائد بأنّ الحقائق التي تعرضها القرآن الكريم ، هي في جملتها أخبار سيقت في كتب الأخبار والرهبان، وهو ما يدفع إلى الزعم بأن القرآن مأخوذ عن التّوراة والإنجيل، غير ان هذا الاعتقاد يتلاشى ويتوارى إذا أدركنا ان الأخبار الواردة في القرآن الكريم هي أخبار عينية أي ممّا يمكن رؤيته رأي العين ، أما أخبار التّوراة و الإنجيل فمضطربة لا يثبّت وجه الحقّ فيها في أيّ جانب من جوانبها .

خصائص النبوة الخاتمة .

في فصل العلماء في الخصائص العامة للنبوة الخاتمة و التي يمكن عرضها إجمالاً كما يلي:

نقط الأول : ثبوت النبوة الخاتمة بالبرهان العامي والعقلي : ثبوتها بنفسها .

يقول محمد رشيد رضا : " إن مارواه المحدثون بالأسانيد المتصلة تارة والمرسلة (1) أخرى من بيك الكونية التي أكرم الله بها عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) هي أكثر من كل مارواه تجليليون ، وأبعد عن التأويل ، ولم يجعلها برهاناً على صحة الدين ، ولا أمر بتلقيها للناس ؛ ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها ؛ لأن نمرود إذ ذاك يدخولون بها في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من نسر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون ، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم لتلقي مع هذا الخضوع ، بل هو من موانعه " (2) .

ويرى محمد رشيد رضا أن الله تعالى جعل حجة نبوة خاتم النبيين (عليه الصلاة والسلام) ، هو القرآن الكريم في موضوع نبوته ، إذ يقول في هذا الشأن : " فجعل حجة نبوة خاتم النبيين ، عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وبعازمه ، وباعجازه اللفظي والمعنوي ، وبأنبياء الغيب المانسة والحاضرة والأنبية فيه ليربي البشر على الترقى في هذا الاستقلال إلى ما هم مستعدون له من الكمال " (3) .

وهذا الفصل بين النبوات السابقة وهي نبوات خاصة ، والنبوة الخاتمة وهي النبوة العامة الباقية ، قد عبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : " ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " (4) .

(1) الرواية المرسلة للحديث هي التي لم يذكر فيها اسم الصحابي ، الذي رفعه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

(2) محمد رشيد رضا ، الرعي المحمدي ، ص 79 .

(3) المصدر نفسه ص 80 .

(4) لوجع في تفريغ هذا الحديث إلى : ابن كثير ، البداية و النهاية (دبر الفكر ، بدون تاريخ) ج 6 ، ص 290 . و حم (ط العمانية

طوك تاريخ) ج 2 ص 451 للحديث متفق عليه و رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) .

ولقد وجه الله هؤلاء المشركين إلى ما يحنيهم عن اقتراحاتهم و يصرفهم عنها بصرف أنظارهم إلى القرآن في قوله تعالى : " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا " (1)

فالقرآن الكريم هو أبلغ الحجج ، وأما ما كلام الله تعالى محمّد (صلى الله عليه وسلم) من الآيات الكونية فلم يكن لإقامة الحجة تعالى نبوية ورسالة ، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد ... كنصرهم على المتعدّين عليهم من الكفار الذين يفرقونهم تعدّاً وعدداً ومن تلك الآيات : نداء المرضى ، وإبصار الأعمى ، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في غزوة الأحزاب ، وفي غزوة تبوك ، كما وقع للمسيح (عليه السلام) ومنها : تسخير الله السحاب لإسقاء المسلمين ، وفي شتت أقدامهم التي كانت تسيخ في الرمل بيدر ، ولم يصب المشركين من غيبتها شيء ، مثل ذلك ما كان في غزوة تبوك إذ نفذ ماء الجيش في الحرّ الشديد حتى كانوا ينبحون البعير ، ويخرجون الفرث من كرشه ليعتصروه ، ويبلّوا به أنسنتهم على قلة الرّواحل معهم ، وكان يقلّ من يجد في عصارته ما يشربه ، فقال أبو بكر يا رسول الله : إن الله عودك في الدّعاء خيراً فادع لنا ، فرفع يديه فدعا فلم يرجعها حتى كانت السماء قد سكبت لهم ما ملؤوا ما معهم من الرّوايا (2) ولم تتجاوز عسكرهم (3) .

ومما يؤكد أن العجائب لا تؤثر في الناس تأثير الهداية التي جاء بها النبيون والمرسلون ما جاء في نحل متى فيما نقل عن المسيح (عليه السلام) : " إنه سيأتي بعدي مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ربطون آيات عظيمة حتى يضلّوا لو أمكن المختارين " (4) .

والحقيقة أن الإنجيل قد أطنب في سرد عجائب المسيح (عليه السلام) ، وجعلها دليلاً واحداً وأوحداً على نبوة المسيح (عليه السلام) ، وهو ما جعل تأثير المسيحية ينحصر في أزمنة كثيرة ، وعلة ذلك الارتقاء العقلي الذي سما بعقول الناس إلى طلب الدليل الذي ينسجم مع خصائص الطبيعة البشرية ، وهو ما يعبر عنه في عرف الشرع بالدليل القطري .

(1) الإسراء : 89

(2) الروايا جمع راوية وهو البعير الذي يحمل عليه الماء ، وكذا غيره من الدواب .

لنظر : محمد رشيد رضا ، الوحي المحمّدي ، ص 81 هـ .

(3) سعد رشيد رضا ، المرجع السابق ، ص 81 . والحديث رواه ابن خزيمة وابن حبان و الحاكم وصحّحه ، وابن مريويه وأبو

يعرب والبيهقي في كتابه (دلائل النبوة) ، مرجع سبق ذكره .

(4) متى : 24 : 24 .

بون الطبري تعليقا على ذلك : " ولم يظهر بعده - أي بعد المسيح - (عليه السلام) ، ولا قبله نبى كانت ثماره الطيبة في هداية كثر من محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا أحد يصدق عليه قواه في إنجيل يوحنا : " إن لى أمور كثيرة أيضا ، ولكن لا تستطيع أن تحملوها الآن ، وأما متى جاء ذلك (أي البار تليط) روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق وما جاء بعده نبى أرشد الناس إلى جميع الحق فى الدين ، من توحيد وتشريع وحكمة و تأديت غير محمد رسول الله وخاتم النبيين " (1) .

وإن استقرأ التاريخ يفيد فى بيان حقيقة ، وهى أن أهل الملل . الوثنية أكثر اعتمادا على العجائب من أهل الأديان السماوية ، وجملة القول فى ذلك أن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) قد ثبتت بنفسها أى بالبرهان العلمى والعقلى الذى لا ريب فيه ، لا الآيات والعجائب والكونية التى يزول أثرها بزوالها وأن هذا البرهان قائم مائل للعقول والحواس فى كل زمان (2) .

ولقد قص الله تعالى علينا فى القرآن الكريم أن المشركين اقترحوا الآيات الكونية على رسوله (صلى الله عليه وسلم) وهى ما يشبه العجائب فى الأديان الأخرى فاحتج عليهم بالقرآن و دابته وعلومه وإعجازه ، وبما فيه من أخبار الرسل والكتب السابقة ، والأمم الخالية التى لم يكن له ولا لقومه علم بها ومن أمثلة ذلك قولهم كما حكا القرآن الكريم : " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدًا مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَكِ جَنَّةٌ مِّنْ جَلْدٍ وَعَنْبٍ فَتَجْعَلِ الْأَنْهَارَ خِلْفًا لِّهَا فَجِيرًا أَوْ تَنْزِلُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِنًا أَوْ تَأْتِي بِنَارٍ أَوْ تَكُونُ لَكِ يَتَّسِرُ زُخْرُفٌ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَكِنْ نُوْمِنُ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً تَكُونُ لَكِ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتَ إِلَّا بَشَرًا مَّرْسُولًا " (3) .

إن ما يمكن استنتاجه من هذه الآيات أن إلحاح المشركين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى طلب المعجزات ، فاق كل حدود الطبيعة البشرية ، فهو من قبيل طلب ما لا يُستطاع ، ولا يمكن تحقيقه لعدم توافر شروطه ، وفى مقدمتها امتلاك القدرة القاهرة ، وهى أمر لا يكون إلا لله عز وجل .

(1) محمد رشيد رضا ، الوحي المصدي ، ص 83 .

(2) المصدر نفسه ، ص 83 .

(3) الإسراء : 90 ، 93 .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية (1) : " يقول تعالى ذكره : وقال يا محمد المشركون بالله من قومك لك : لن نصدقك حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تتبعع اننا بالماء ... أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . " أي : تستبسط لنا عينا من أرضنا تدفق بالماء أو تفور أو يكون لك بستان وهو الجنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . " واختلف أهل التأويل في معنى القبيلا في هذا الموضع فقال بعضهم : معناه حتى يأتي بالله والملائكة كل قبيلة منا قبيلة فيعابنوهم ... (إلى آخر ما اقترحه المشركون) فكان رد الله تعالى عليهم : " قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ، أي : ليس لي سبيل إلى شيء مما تسألوني ، هل كنت إلا بشرا رسولا يقول : هل أنا إلا عبد من عبده من بني آدم فكيف أقدر أن أفعل ما أتمنوني من هذه الأمور ، فإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم وإنما أنا رسول أنفكم ما أرسلت به إليكم " (2) .

ولقد ذكرت عند الحديث عن النبوة في التوراة والإنجيل، أن النبوة فيهما قامت على الاعتداد بقدرة تأثيرها في النفوس ، وهذه القوة تكمن في الحشد المادي الذي يحيط بالمعجزة ، والذي به وحده يحصل الإتياع والإقناع .

إن الدارس لنصوص القرآن الكريم ، يجد أنه لا يركز كثيرا على المعجزات الحسية ، التي تلهب المشاعر وتحرك العواطف ، وهذا ليس عدول عنها واستخفافا بتأثيرها في النفوس ، ولكن لكي يصرح الأنظار إلى أن الإيمان لا يحصل بمعجزة حسية ظاهرة ، بقدر ما هو قضية فطرية بنجواب معها الكيان الإنساني برمته ، وهو ما جعل هداية القرآن الكريم أعظم تأثيراً و أشد تمكناً من النفوس ، و غياب هذه النظرة المتوازنة - التي تتوازن بين الحس والفطرة - في التوراة والإنجيل جعلها ديناً تنتقص أطرافه و ينفض من حوله أتباعه ، فلم يبق إلا الرجاج ، عبك الشهوات و أتباع الأهواء .

(1) الإمراء ، : 93.90 .

(2) الطبري ، التفسير ، ج 15 ، ص 108 إلى 111 .

المطلب الثاني: إثبات النبوة الخاتمة لغيرها من النبوات .

الرأي الجامع الذي عليه العلماء أنه لا يمكن إثبات نبوة الأنبياء السابقين إلا بثبوت نبوته (صلى الله عليه وسلم) وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا : " إنه لا يمكن إثبات آيات النبيين السابقين إلا بثبوت نبوة (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا القرآن الذي جاء به ، فالحجة الوحيدة عليها في هذا الطور ، طبي الاستتالي من أطوار النواع البشري ، هو شهادته لها ؛ فإن الكتب التي نقلتها لا يمكن إثبات عزوما إلى من عزوت إليهم إذ لا يوجد نسخ منها منقولة عنهم باللغات التي كتبت بها ، لانواترا ولا اعدا ، ولا يمكن إثبات عصمتهم من الخطأ فيما كتبه على اختلافه ، وتناقضه ، وتعارضه ولا إثبات صحة التراجم التي نقلت بها " (1) .

وعلى رأي محمد رشيد رضا فإن الكتاب الإلهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي قواترا عمّن جاء به بطريقتي الحفظ والكتابة معا هو القرآن الكريم ، وإن النبي الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة الأسانيد حنظا وكتابة هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فالدين الوحيد الذي يمكن أن يعقله العلماء السؤلون في الفهم والرأي وينبوا عليه حكمهم هو الإسلام .

وأما الدليل على إثبات النبوة الخاتمة لغيرها من النبوات ، كما نقلت ذلك عن العلماء و المفسرين أنه : بد في جميع أمم الدنيا والحضارة القديمة دعاء إلى عبادة الله تعالى وحده ، وإلى العمل الصالح ، وإلى ترك الشرور والردائل ، منهم أنبياء مبلغون عن الله تعالى ، مبشرون ومنذرون ، كما أنه وجد فيهم حكماء يبنون إرشادهم على الاحتجاج بما ينفع الناس ، ويضرهم بحكم العقل والتجربة ، ووجد في الخيّن من ذلك في جميع مائتل عن هؤلاء أمور مخالفة للعقل ، ولما ينفع الناس من سوء التقدير والتدبير ، علاوة على أنها أمور خاصة بأقواسهم وبزمانهم ، وهذا النقص يكمل إلا بالنبوة الخاتمة ، التي عصمها الله سبحانه وتعالى من كل هذا ، ولذلك فإن إثبات النبوات لا يكون إلا بثبوت نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

(1) محمد رشيد رضا ، الوهي السعدي ، ص 83 .

يقول علي بن ربن الطبري⁽¹⁾: "لم يظهر النبي (صلى الله عليه وسلم) لبطلت نبوة الأنبياء في إسماعيل (عليه السلام) وفي النبي (عليه الصلاة والسلام) خاتم الأنبياء بالضرورة؛ لأن الله يخلق وعده، ولا يكذب خبره، ولا يخيب راجيه، ولقد كان بشر إبراهيم وهاجر (رحمة الله عليهما) عازات بينك سارات، ولم نرهما تمت وظهرت إلا بظهور النبي (صلى الله عليه وسلم) فأما ما روى الله تعالى إلى إبراهيم (عليه السلام) في إسماعيل وحده فهو قوله على لسان موسى عليه السلام فيما يزعم كتبة التوراة، في سفر التكوين: "إن الله قال لإبراهيم (عليه السلام): قد أجبت دعائك في إسماعيل، وباركت عليه وكثرت عظمته جدا جدا، وسيلد اثني عشر عظيما وأجعله لامة عظيمة"⁽²⁾. وقد كان موسى (عليه السلام) تنبا بمثل هذه النبوة في سفر التكوين: "وقال: إنه لما هربت هاجر⁽³⁾ من سارة⁽⁴⁾ تراءى لها ملك الله قال: يا هاجر: أمة سارة من أين أقبلت؟ وأين تريدان؟ قالت هاجر محببة له: أهرب من سيدتي سارة قال لها ملك الرب: ارجعي إلى سيدتك واخضعي لها، فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدن ابنا وتسميه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع نبتك وخشوعك، وهو يكون يحير الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته"⁽⁵⁾، فهذه بشارة ثانية شافه الملك بها هاجر (عليها السلام) عن الله عز وجل مشافهة، وأخبر أن الله جاعل يد ابنها العليا، وأيدي جميع الناس عنده السفلى، ولم نر ذلك من نبوة موسى (عليه السلام)، تمت وظهرت إلا بعد محمد النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم).

(1) هو ابن الطبري أبو الحسن علي سيل ويعرف بابن ربن الطبري، طبيب حكيم انفرد بالطبيعات، وكان من العلماء في النصارى. لم يسع ترجمة ذاتية لنفسه، ولو كان فعل هذا لاملح عليها مترجموه من المتقدمين، ولهذا السبب جاءت المصادر التي رجعت له مغلطة أسماء أبائه وأجداده، ولم نعملنا تاريخا لسيلاده ووفاته، وقد اعتمد محقق هذا الكتاب على نكف مبشرة في كتاب ابن ربن الطبري (فردوس الحكمة) و(الدين والدولة)، والذي أخذت منه هذا النص.
 انظر: علي ابن ربن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، حقه وقدم له عادل نوبهجن (ط 3، بيروت لبنان: دار الأفاق الجديدة، 1979 م)، ص 130 وما بعدها.

(2) التكوين: فص 10.

(3) أمة إبراهيم وأم إسماعيل الابن الأكبر له.

(4) إبراهيم وإبراهيم وأم ولده إسحاق.

(5) التكوين: فص 9.

وخلص النبوة في القرآن الكريم يمكن ذكرها في النقاط الآتية :

1- لقد ثبت بصحيح النقل و صريح العقل أن النبوة في القرآن الكريم ، حققت مقصدين اثنين ، المقصد تطري و أعني به تحقيق مصلحة العباد في المعاش و المعاد ، و هي الخصائص التي افتقدت إليها النبوة في التوراة و الإنجيل .

2- إن النبوة في القرآن الكريم وحي إلهي لم يخالفها كهانة و لا عرافة مما شاع في التوراة و الإنجيل ، فقد قرأ القرآن الكريم قول القائلين بأن النبي كاهن ، أو ساحر ، و بين في أسلوب واضح أن هذين الوصفين لا يتلاءمان مع دعوى النبوة و لا مقتضى الوحي الإلهي .

3- إن النبوة في القرآن الكريم هي أساس لكل النبوات ، وأقصد بذلك أنه لا يمكن إثبات النبوات السابقة إلا بإثبات النبوة الخاتمة .

4- إن نبوة القرآن الكريم تمثل امتداد للنبوات السابقة ، و إن كانت قد تميزت عنها بصفة الشمولية و الهيمنة ؛ فإن هذا من خصائصها و طبيعتها التي صرحت بها كثير من النصوص القرآنية و الحديثية .

الباب الخامس :

النبوة في التوراة والإنجيل والقرآن : أوجه التشابه والاختلاف .

الفصل الأول : أوجه التشابه .

البحث الأول : الخبر كمنى ظاهر للنبوة في التوراة والإنجيل والقرآن .

البحث الثاني : تشابه الخطاب والأمر الإلهي في التوراة والإنجيل والقرآن .

الفصل الثاني : أوجه الاختلاف .

البحث الأول : شمولية مفهوم النبوة في القرآن وحدوديته في التوراة والإنجيل .

البحث الثاني : اختلاف موقف التوراة والإنجيل والقرآن من عصمة الأنبياء .

البحث الثالث : اختلاف وظيفة النبي في التوراة والإنجيل والقرآن .

أفصل الأول :

أوجه التشابه .

لقد أثرت استعمال مصطلح التشابه دون مصطلح الاتفاق - مثلا - ، لبيان أنه ليس هناك اتفاق - بهذا المعنى - بين التوراة والإنجيل والقرآن في مسألة النبوة ، فقد تكون هناك أوجه للاتفاق ، ولكنه اتفق ظاهر ، بحيث تختفي وراءه كثير من مواطن الاختلاف ، - ومراعاة لهذه الاعتبارات ويفض النظر عن بعض الجزئيات - ، فإنه يمكن حصر أوجه التشابه بين التوراة والإنجيل والقرآن في موضوع النبوة كما يلي :

المبحث الأول :

الخبر كمعنى ظاهر للنبوة في التوراة والإنجيل والقرآن :

لقد بينت - في ثنايا هذا البحث - بأن الخبر هو المعنى الأول المتبادر إلى الذهن من كلمة نبوة ، وقد تبين هذا من عرض الدلالات والاستقاقات المختلفة المتصلة بها ، فالخبر كمعنى ظاهر النبوة ، هو وجه من أوجه التشابه بين التوراة والإنجيل والقرآن .

جاء في تفسير نبوة من قاموس الكتاب المقدس⁽¹⁾ : "النبوة لفظة تفيد معنى الإخبار عن الله وعن الأمور الدينية ، ولا سيما عما سيحدث فيها بعد ، وسمي هارون نبيا ؛ لأنه كان المخبر والمتكلم عن موسى نظرا لفصاحته"⁽²⁾ ، و الخبر في العهد القديم (التوراة) ، كان يدور حول الشريعة الموسوية ، والإخبار عن مجيء المسيح ، وفي الجملة حول كل الحوادث العظيمة التي تدل على النبوة بشكل من الأشكال .

(1) انظر ، جورج بوست ، قاموس الكتاب المقدس ، مادة النبوة .

(2) الخروج : 7 : 1

وأصّد بخبر الكون مبدأه أي نشأته الأولى ، والحوادث التي واكبت هذه النشأة وتطوّرها ، وبخبر الإنسان ، حديث التّوراة عن قصّة الخلق والأطوار التي مرّ بها ، والمراحل التي انتهت إليها .

وخبر خلق العالم وقصّة الخلق ، ورد تفصيلهما في السّفَر الأول من التّوراة ، وهو سفر التّكوين ، فيه تفصيل عن بدء الكون ، وكذا حياة الإنسان في بدء الخليقة وقصّة آدم وحواء ، وهذه الحوادث كلّها تدخل في نطاق الأخبار التي أخبرت عنها التّوراة ، مما يمكن تسميته - مجازاً - بالخبر الإلهي - الذي ليس للإنسان دخل ولا سبق فيه .

ومما جاء عن خبر خلق الكون في سفر التّكوين : " في البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله (1) يرّف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهاراً وظلمة دعاهم ليلاً . وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً . وقال الله ليكن جلد في وسط المياه . وليكن اتصالاً بين مياه ومياه فعلم الله الجلد وقصل بين المياه التي تحت الجلد و المياه التي فوق الجلد وكان ذلك . ودعا الله الجلد سماء . وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً . " (2) .

ومعلوم أن هذا النصّ من سفر التّكوين يتناول خبر تكوّن الظلام والنور ، بعد أن كانت هناك ظلمة سرمدية ، وكيف فصل الله بين النور والظلمة ، فكان النهار والليل ، والمساء والصباح ، وكيف فصل بين المياه فكانت السماء .

(1) قصد به روح القدس .

(2) التّكوين 1 : 1 - 8 .

وأقصد بخبر الكون مبدأه أي نشأته الأولى ، والحوادث التي واكبت هذه النشأة وتطوّرها ، وبخبر الإنسان ، حديث التّوراة عن قصّة الخلق والأطوار التي مرّ بها ، والمراحل التي انتهت إليها .

وخبر خلق العالم وقصّة الخلق ، ورد تفصيلهما في السّفَر الأول من التّوراة ، وهو سفر التّكوين ، فيه تفصيل عن بدء الكون ، وكذا حياة الإنسان في بدء الخليقة وقصّة آدم وحواء ، وهذه الحوادث تُبَدّل في نطاق الأخبار التي أُخبرت عنها التّوراة ، مما يمكن تسميته - مجازاً - بالخبر الإلهي - الذي ليس للإنسان دخل ولا سبق فيه .

وسا جاء عن خبر خلق الكون في سفر التكوين : " في البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله (1) يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً . وكان مساءً وكان صباح يوماً واحداً . وقال الله ليكن جلد في وسط المياه . وليكن فصلاً بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد و المياه التي فوق الجلد وكان كذلك . ودعا الله الجلد سماء . وكان مساءً وكان صباح يوماً ثانياً . " (2) .

ومعلوم أن هذا النص من سفر التكوين يتناول خبر تكوّن الظلام والنور ، بعد أن كانت هناك ظلمة سرمدية ، وكيف فصل الله بين النور والظلمة ، فكان النهار والليل ، والمساء والصباح ، وكيف فصل بين المياه فكانت السماء .

(1) يقصد به روح القدس .

(2) التكوين 1 : 1 - 8 .

ويواصل سفر التكوّن الإخبار عن تكوين الأرض وظهور الحياة والمعاش فيها ، إذ جاء فيه :
 وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد وتظهر اليابسة . وكان كذلك . ودعا اليابسة
 أرضاً . وجمع المياه دعاه بحاراً . ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله لتنبث الأرض عشباً وبسلاً
 يزرأ⁽¹⁾ يزرأ وشجراً ذا ثمر كجنسه بزره فيه على الأرض . وكان كذلك . فأخرجت الأرض عشباً
 وبسلاً يزرأ يزرأ وشجراً يمل ثمراً بزره فيه كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء
 وكان صباح يوماً ثالثاً . وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون آيات
 وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنوار في جلد السماء لتتير على الأرض . وكان كذلك ، فعمل الله
 ثورين العظیمين النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم وجعلها الله في جلد
 السماء لتتير على الأرض ، ولتحكم على النهار والليل وتفصل بين النور والظلمة . ورأى الله ذلك
 أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً " (2) .

ويواصل سفر التكوّن حديثه عن خبر خلق العالم، إذ جاء فيه عن خلق الدواب من غير جنس
 الإنسان: "وباركها الله قائلاً أثمرى واكثرى واملاي المياه في البحار . وليكثر الطير على الأرض .
 وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً . وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم و
 دبابات ووحوش أرض كأجناسها . وكان كذلك . فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها
 وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن " (3)

وقد انتقل سفر التكوّن من الحديث عن قصة الكون أو ما يسمّى في عرف المؤرخين بأخبار الأيام
 الأولى إلى الحديث عن قصة الخلق ، وعن خبر هذا الخلق جاء في سفر التكوّن : " وقال الله نعمل
 الإنسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل
 الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله
 خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها
 وتسلطوا على سمك البحر و على طير السماء ، وعلى كل حيوان يدبّ على الأرض... ورأى الله كل ما
 عمله فإذا هو حسن جداً... وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً " (4) .

(الْبَزْرُ يَبْرُؤُ بَزْرًا الْحَبُّ : نَكْرَةٌ فِي الْأَرْضِ لِلدَّابَّاتِ ، وَالْبِزْوَرُ حَبٌّ يُلْقَى فِي الْأَرْضِ لِلدَّابَّاتِ ، وَلَمَّا مُرَادِفَةٌ لِكَلِمَةِ بَخُورٍ إِذْ
 جَاءَتِ الرَّايِ مَعْلَى لِذَلِكَ لِتَوَافُقِهَا فِي الْمَخْرَجِ .

(2) التكوّن 1 : 9 ، 19 .

(3) التكوّن 1 : 22 ، 25 .

(4) التكوّن 1 : 26 ، 31 .

ويواصل سفر التكوين - بعد هذا الإجمال - ما كان من خبر خلق آدم وحواء ، إذ جاء فيه : " فأكملت
سماوات و الأرض وكلّ جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم
سابع من جميع عمله الذي عمله .. وجبل الربّ الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة
فصار آدم نفساً حية ، وغرس الربّ الإله جنةً في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي جبله . وأنبت
الربّ الإله من الأرض كلّ شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل و شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة
معرفة الخير والشر . وأخذ الربّ الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها (1) .

ويلحظ من حديث التوراة عن خلق العالم وقصة الخلق ، أنها تلتقي في ذلك ، مع القرآن والإنجيل في
المعنى الظاهر للخبر ، بغضّ النظر عن خاصية وطبيعة هذا الخبر ، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

1- تأكيد التوراة - أخذاً من النصوص الكثيرة التي رجعت إليها في سفر التكوين ، على الخبر الإلهي
الذي هو معنى من معاني النبوة عند أهل الكتاب ، فكثيراً ما تردت كلمة الربّ الإله ، عقب كل خبر
من الأخبار ، أو حدث من الأحداث وهو ما يؤكد ما ذهب إليه من أن الخبر هو المعنى الظاهر للنبوة
في كل من التوراة والإنجيل والقرآن .

2- إن خبر الخلق الأول - إن صحّ التعبير - كما ورد في نصوص التوراة - لا يختلف في ظاهره مع
ما جاء في القرآن والإنجيل ، - مع مراعاة بعض الاختلاف الحاصل بينهم في بعض الجوانب - فقد
نحنت التوراة عن حالة لا وجود ، التي ميزت فترة ما قبل الخلق ، سواء ما تعلق في ذلك بالكون أو
الإنسان على حدّ سواء وجاءت بتفصيلات كثيرة أعرض عنها القرآن الكريم .

3- لقد أخبرت التوراة أن خلق السماوات والأرض وما فيهن كان في ستة أيام ، بدليل ما جاء في سفر
التكوين : " ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوماً سابعاً (2) ، وهذا
يثق مع ما أورده القرآن الكريم كما في قوله تعالى : " ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة
أيام وما مسنا من لغوب " (3) .

(1) التكوين 2 : 1 ، 15 بتصرف مكان المعنوف .

(2) التكوين 1 : 31 .

(3) الأ : 38

بما أن التوراة أخبرت أن الطوفان كان عارما ، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى : "فَهِيَ جَرِي بِهَرَمٍ مَوْجٌ كَبِيرٌ ، وَكَانَ نُوحٌ ابْنًا يَكْفُرًا فِي مَجْرَلِ أَبِيهِ أُرْكَبًا مَعًا ، لَا تَكْفُرُ مَعَهُ الْكَافِرِينَ " (1) .

إن عمرة الطوفان وشدة الفيضان ، أمران لم يختلف بشأنهما التوراة والقران ، ويستتر علماء لمقارنة بين الأديان هذا بنقاط التشابه والالتقاء بين التوراة والقران ، فهو من جانب التوراة من بقايا كلمة الإلهية - إن صحَّ التعبير - التي أوحاها الله إلى موسى (عليه السلام) ، وهو من جانب القران تكريم من دلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، هذا إذا استبعدنا بعض الإسرائيليات التي صبغت كثيرا من الأخبار المتصلة بحادثة الطوفان ، وهي من المسائل التي لا يؤخذ بها ولا يؤثق بشيء منها ، مغالقتها الصريحة لما أخبر عنه القران الكريم ، وأجمع عليه الباحثون في تاريخ النبوات .

ومن أخبار التوراة عن نوح (عليه السلام) ، ما كان من مباركة الرب له ولأبنائه الذين معه ، ولذريته من بعده ، فقد جاء في سفر التكوين : "وباركك الله نوحا وبنيه وقال لهم اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض . وتكون خشبتكم ورببتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم " (2) .

بهذه الأخبار التي أخبر عنها القران الكريم ، وورد ذكرها في التوراة في سفر التكوين ، هي بيقين من قبيل الخبر الإلهي ، الذي لا يكون إلا أمانة من أمارات النبوة ، وهذا بذليل قوله تعالى تعقبا على الآيات السالفة : " تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعِبْرَةَ لِنُاسٍ " (3) .

وقد فسّر الطبري الأنبياء ، في الآية الكريمة بالأخبار إذ يقول في هذا الصدد : " يقول تعالى ذكره نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح ، وخبره وخبر قومه من أنباء الغيب ، يقول هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها نوحيا إليك يقول نوحيا إليك نحن نعرفكمها ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا الوحي الذي نوحيه إليك " (4) .

(1) هود : 42

(2) التكوين 9 : 1 ، 2 .

(3) هود : 49

(4) الطبري ، التفسير ، ج 12 ، ص 35 .

وان كانت التوراة لم تصرّح بأن ما أخبر الله به نوحا ، هو وحي إلهي ، كذلك الذي هو مصرّح به في القرآن الكريم ، إلا أن المقطوع به أنه لا يخرج - في أضعف الاحتمالات - عن الخبر ، الذي يُراد منه النبوة على وجه من الوجوه ، كما ذكرت ذلك في تفسير كلمة نبوة من قاموس الكتاب المقدس ، ومع ما يؤكد ما ذهبت إليه من أن الخبر هو سمة مشتركة بين التوراة والإنجيل والقرآن ؛ ذلك لأنها بمعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن من كلمة نبوة .

ويضيف سفر التكوين : " ... وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : " وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ... وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفاس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر " (1) .

وهذه المباركة الربانية لنوح ونسله من بعده أي ذريته لا يختلف - في خطّة العام - عما أخبر عنه القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : " قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأْمُرْ سَبِيحَهُمْ قَدْ مَسَّ غَضَابُنَا مِنْ أَدْنَىٰ أَعْيُنِنَا قَدْ كُنَّا آفِكًا عَلَيْهِمْ " (2) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره: يا نوح اهبط من الفلك إلى الأرض بسلام ما يقول: بأمن مما أنت ومن معك من أهلك وبركات (3) عليك يقول: وبركات عليك وعلى أمم ممن معك يقول: وعلى قرون تجي من ذرية من معك من ولدك فهو لاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ، ثم أخبر تعالى ذكره نوحا مما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته فقال له وأمر يقول وقرون وجماعة ستمتعهم في الحيلة الدنيا يقول نزلهم فيها ما يتمتعون به إلى أن يبلغوا أجلهم ثم يمسخهم منا عذاب اليم يقول: ثم نذيقهم إنا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا " (4) .

(1) التكوين 9 : 8 ، 12 .

(2) هود : 48 .

(3) كلمة بقصد وبركات عليك ذكره الطبري . انظر ، التفسير ، ج 12 ، ص 34 .

(4) الطبري ، التفسير ، ج 12 ، ص 34 .

وقد ورد في التوراة أيضا خبر إبراهيم (عليه السلام) ، فقد جاء بشأنه في سفر التكوين : " ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له : " أنا الله القدير سر أما مي وكن كاملا . فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا . فسقط إبرام على وجهه ، وتكلم الله معه قائلا ، أما أنا فلوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم ؛ لاني أجعلك أبا لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما ، وملوكا منك يخرجون ، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك " (1) .

وهذا الذي أخبر عنه سفر التكوين - لا يختلف في مجمله - عما أخبر عنه القرآن الكريم ، إذ جاء فيه قول الله تعالى عن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) : " إن إبراهيم كان أمةً قاننا لله حنيفا ولم يكن من المشركين " (2) . فأخبار القرآن الكريم عن إبراهيم أنه أمة يشبه إلى حد كبير وصفه في سفر التكوين بأنه يكون أبا لجمهور من الأمم . وقد قال الطبري في تفسير كلمة أمة : " يقول تعالى ذكره إن إبراهيم خليل الله كان معلما خيرا يأتي به أهل الهدى " (3) .

ووصف إبراهيم (عليه السلام) بأنه المعلم الذي يأتي به الناس ، لا يختلف في معناه الظاهر ، عما أقرت به التوراة بأنه أي إبراهيم (عليه السلام) سيكون أبا لجمهور من الأمم ، وذلك لأن الإمامة من جنس الأيومة ، لأنهما يجتمعان في شيء واحد وهي القدوة ، لأن الاتباع لا يحصل لفرد من الأفراد إلا إذا كان أهلا للقدوة ، مستحقا للانصياع .

وتد وردت في القرآن الكريم الإشارة الصريحة لأبوّة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) للمسلمين من أهل زمانه ، ومن نريته من بعده ، وفي ذلك يقول الله تعالى : " مليةً أيكم إن إبراهيم هو تمكّم المسلمين من قبل وفي هذا اليكون الرسول شهيدا عليكم وتكون شهداء على الناس ، فأقيموا الصلوة وأتوا الزكوة وانصروا بالله هو مولكم فتحم المولى ونعم النصير " (4) .

فهناك تشابه بين ما ذكرته التوراة وما ذكره القرآن الكريم ، بشأن مقام إبراهيم (عليه السلام) عند الله وعند الناس ، وإن كانت هناك مواطن اختلاف كثيرة ، لا تتصل بالخبر الظاهر ولا بالمعنى المتبادر .

(1) التكوين 17 : 1 ، 7 .

(2) النحل : 120 .

(3) الطبري ، التفسير ، ج 12 ، ص 128 .

(4) الحج : 77 .

وتخبر التوراة عن يوسف (عليه السلام) ، وما حدث له مع إخوته والبلاء الذي نزل به ، فلا تختلف في كثير من الأحداث عما أخبر به القرآن الكريم ، إذ جاء في سفر التكوين : " وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان . هذه مواليده يعقوب . يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة كان يرعى مع إخوته الغنم وهو غلام عند بني بلهة وبني زلفة امرأتي أبيه . وأتى يوسف بنميهم الرديئة إلى أبيهم . وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه ، لأنه ابن شيخوخته ، فصنع له نبصا ملونا . فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام " (1) .

ويحكي سفر التكوين بعد ذلك ، أن مبدأ العداوة كان بسبب حظوة يوسف (عليه السلام) من أبيه ، وقد ازدادت هذه العداوة بعد الرؤيا التي رآها يوسف ، يقول سفر التكوين : " وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضا بغضا له . فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت فيها نحن حازمون حزما في الحقل ، و إذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي . فقال له إخوته ألعنك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا ، وازدادوا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه " (2) .

ويضيف سفر التكوين : " ثم حلم حلما آخر وقصته على إخوته ، فقال: إنني قد حلمت حلما أيضا ، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي وقصته على أبيه وعلى إخوته ، فانتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت ، هل تأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض . فحسده إخوته ، وأما أبوه فحفظ الأمر " (3) .

(1) التكوين 37 : 1 - 4 .

(2) التكوين 37 : 5 - 8 .

(3) التكوين 37 : 9 - 11 .

ثم طفق سفر التكوّن يخبر عن خيوط المؤامرة ، التي دبرها إخوة يوسف (عليه السلام) ليوسف ، لينخلصوا منه ، وليخلو لهم وجه أبيهم : " ... فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوّشان . فلمّا أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه . فقال بعضهم لبعض هو ذا صاحب الأحلام تادم . فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله فنرى ماذا تكون أحلامه نسمع راوبين و أنقذه من أيديهم ، وقال لا تقتلوه . وقال لهم راوبين لا تسفكوا دما ، اطرحوه في هذه البئر التي في البريّة ، ولا تمدوا إليه يدا لكي ينقذه من أيديهم ليرتدّه إلى أبيه " (1) .

ثم يمضي سفر التكوّن في سرد أخبار يوسف (عليه السلام) مع إخوته ، بعد أن أجمعوا أمرهم على أن يطرحوه في غياهب البئر ، ثم عدلوا بعد ذلك عن هذا الأمر إلى الاتفاق على بيعه للإسماعيلين ، الطائفة المالكة في مصر ، وكيف أنهم كذبوا على أبيهم يعقوب - وهو أعلم بما صنعوا - ، عن كلّ هذه الأحداث والأخبار يقول سفر التكوّن : " ... فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقل أخانا ونخفي دمه ، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين و لا تكن أيدينا عليه ، لأنه أخونا ولحمنا . فسمع له إخوته ، واجتاز رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيلين بعشرين من الفضة ، فاتوا بيوسف إلى مصر ، ورجع راوبين إلى البئر وإذا يوسف ليس في البئر ، فمزق ثيابه ، ثم رجع إلى إخوته وقال الولد ليس موجودا ، وأنا إلى أين أذهب . فأخذوا قميص يوسف وبهوا تيسا من المعزى وغمسوا القميص في الدّم ، وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم ، وقالوا وجدنا هذا ، حقّ قميص ابنك هو أم لا فتحقّقه وقال قميص ابني ... فمزق يعقوب ثيابه ورضع مسحا على جفّويه وناح على ابنه أياما كثيرة " (2) .

ويستمرّ سفر التكوّن في الإخبار عمّا كان من خبر يوسف (عليه السلام) بعد هذا ، لمّا باعه المديانيون لوطيفار حصّي فرعون رئيس الشرط ، إذ جاء فيه : " وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه لوطيفار حصّي فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسماعيلين الذين أنزلوه إلى هناك .

(1) التكوّن 39 : 17 ، 22 .

(2) التكوّن 39 : 26 ، 34 .

وكان الربّ مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً . و كان في بيت سيّده المصري . و رأى سيّده أنّ الربّ معه وأنّ كلّ ما يصنع كان الربّ ينجحه بيده فوجد يوسف نعمة في عينيه فخدمه ، فوكله على بيته و دفع إلى يده كلّ ما كان له ، و كان من حين و كلة على بيته و على كلّ ما كان له أنّ الربّ بارك بيت المصري بسبب يوسف . و كانت بركة الربّ على كلّ ما كان له في البيت و في الحقل . فترك كلّ ما كان له في يد يوسف " (1) .

ويخبر سفر التكوين بعد هذا ، عن ابتداء حلقة أخرى من الابتلاء ليوسف (عليه السلام) مع امرأة سيّده ، و ما كان من اتّهامها له بمحاولة اغتصابها ، حيث طلبت من سيّدها أن يسجنه إلى حين إذ جاء في سفر التكوين بشأن كلّ هذه الأخبار : " و كان يوسف حسن الصورة و حسن المنظر ، و حدث بعد هذه الأمور أنّ امرأة سيّده رفعت عينها إلى يوسف و قالت اضطجع معي . فأبى و قال لامرأة سيّده هو ناسيّي لا يعرف معي ما في البيت و كلّ ماله قد دفعه إلى يدي ، ليس ير في هذا البيت أعظم مني . ولم يمك عني شيئاً غيرك ؛ لأنك امرأتك فكيف أصنع هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله " (2) .

و بمضى سفر التكوين أنّ امرأة الملك لم تأبه لتعفّف يوسف (عليه السلام) و إعراضه عنها ، فبيّنت له أمراً : " ... ثم حدث نحو هذا الوقت أنّه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت . فأمسكته من ثوبه قائلة : " اضطجع معي ، فترك ثوبه في يدها و هرب و خرج إلى خاراج و كان لما رأته أنّه ترك ثوبه في يدها و هرب إلى خاراج ، أنّها نادت أهل بيتها و كلمتهم قائلة انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا ، دخل إلّيّ ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم . و كان لما سمع أنّي رفعت صوتي و صرخت أنّه ترك ثوبه بجانبني و هرب و خرج إلى خاراج . " (3) .

و تخبر امرأة الملك سيّدها عند عودته عمّا أراد بها يوسف ، كذبا و تليفاً ، فيأمر بسجنه ، و في ذلك يقول سفر التكوين : " و كان لما سمع سيّده كلام امرأته الذي كلمته به فغضب ، فأخذ يوسف و وضعه في بيت السجن المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه ، و كان هناك في بيت السجن ، ولكن للربّ كان مع يوسف و بسط إليه لطفاً و جعل نعمته في عيني رئيس بيت السجن ، فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن . كلّ ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل . ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً ألبتة ممّا في يده ، لأنّ الربّ كان معه و مهما صنع كان الربّ ينجحه " (4) .

1 التكوين 39 : 1 ، 6 .

2 التكوين 39 : 6 ، 9 .

3 التكوين 39 : 11 ، 15 .

4 التكوين 39 : 19 - 23 .

وبعد هذا العرض لحدس التوراة عن الأنبياء وما كان من أخبارهم ، والذي اكتنيت فيه بخبر إبراهيم ويوسف (عليهما السلام) ، يمكن أن أقول : إن هناك أوجه كثيرة للتشابه بين ما ذكرته التوراة عن هذين النبيين الكريمين ، وبين ما ذكره القرآن الكريم والإنجيل ، ولقد مرّ بيان ذلك فيما يتصل بإبراهيم (عليه السلام) ، ويبقى أن أبين ذلك فيما يتصل بيوسف (عليه السلام) على النحو الآتي :

أولاً : هناك تشابه كبير في العرض الظاهري لقصة يوسف (عليه السلام) بين التوراة والقرآن الكريم ، وذلك من حيث الأخبار المتصلة بحياته من بدء المحنة إلى مرحلة التمكين ، و مظاهر هذا التشابه كثيرة منها :

1- ليس هناك اختلاف بين التوراة والقرآن الكريم بشأن الخطوة التي نالها يوسف (عليه السلام) عند أبيه ، وهي التي تشير إليها قوله تعالى : " إِذْ قَالَ يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِنِّي أَخُوتِي عَصِيْبَةٌ إِنِّي أَهْلٌ لِّسُلَيْمِيْنَ " (1) .

2- ليس هناك اختلاف في سبب العداوة بينه وبين إخوته ، والتي ترجع إلى حبّ أبيه له أكثر من سائر إخوته ، وإلى الرويا التي رآها يوسف (عليه السلام) ، التي زادت من اشتداد غيظ إخوته وانتفاخ أوداجهم ، و تفكيرهم في محاولة التخلص منه بالقتل أو التغريب ، وفي ذلك يقول الله تعالى : " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَنَاجِدًا مِنِّي وَآبَائِي مَنَاجِدٌ فَجَاءَنِي بِالْأَخْبَارِ كَذِبًا إِنِّي أَخُوتِي عَصِيْبَةٌ إِنِّي أَهْلٌ لِّسُلَيْمِيْنَ " (2) ، وهو الذي دفع إخوته إلى الكيد له كما أخبر القرآن الكريم : " أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيُّكُمْ وَتَكْفُرُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا مُّصِيبِينَ " (3) .

(1) يوسف : 8 .

(2) يوسف : 4 ، 5 .

(3) يوسف : 9 .

وليس هناك اختلاف بين التوراة والقرآن الكريم في خبر تأمر إخوته على قتله ، وعدولهم عن تلك إلى بيعه بثمن بخس ، ولو أن القرآن الكريم لم يذكر أن الذين اشتروه هم الإسماعيليون ، كما ذكرت التوراة ، ولكنه يلتقي معها في أنهم من سكان مصر ، بدليل قوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا " (1) .

فقد اتفقت التوراة والقرآن الكريم في الخبر العام المتصل بالأحوال التي تقلب فيها يوسف (عليه السلام) والتي تتولى إخوته كبرها ، من غير اختلاف في ذلك ، إلا ما كان من طبيعة الأسلوب القصصي الذي يميز كلا من التوراة والقرآن الكريم ، ذلك أن التوراة باتفاق النقاد ، يطبعها الأسلوب التاريخي ، الذي يركز على دقائق الحوادث، وتفاصيل الأخبار و هو الأمر الذي خلا منه القرآن الكريم، لقلبة الطابع القصصي على أسلوبه الخبري .

ثانياً : هناك تشابه كبير في بعض جوانب مضمون الخبر ، ويتجلى ذلك فيما يلي :

1- هناك شبه اتفاق بين التوراة والقرآن الكريم ؛ بشأن براءة يوسف (عليه السلام) من التهمة التي ألصقا من قبل امرأة ملك مصر ، فالقرآن الكريم يؤكدها تأكيداً صريحاً ، وذلك لقوله تعالى :
 "مَرَاتِمُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْنِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَخَلَّتْ أَبْوَابُ رَقَابَتِهِ فَذُكِرَ اسْمُهُ فِيمَا يُدْرَأُ مِنَ الْإِنْمَاءِ" (2) .

غير أن التوراة مع اعترافها ببراءة يوسف (عليه السلام) ، إلا أنها لا تنتظر إليه على أنه عَصَمَ من ذلك بعصمة النبوة ، وتكتفي بالإشارة على لسان يوسف (عليه السلام) بأن ما تدعوه امرأة الملك إليه شرٌّ عظيم وحب كبير لا يليق بمقام رجل الله ، وتجعل التوراة يوسف (عليه السلام) مجرد رجل من العبرانيين ، ولا تصرح - كما هو الحال في القرآن الكريم - بنبوته وعصمته .
 ولقد بينت في المبحث الخاص بإنكار التوراة لعصمة الأنبياء ، هذه المسألة ؛ وإنكار العصمة وجه من أوجه الاختلاف بين التوراة والإنجيل والقرآن ؛ غير أن ما بينته هنا يتعلق بالتشابه القائم بين التوراة والقرآن الكريم في المعنى الظاهري للخبر ، ومنه خبر الأنبياء ، فلا تعارض ولا تناقض في هذه القضية .

(1) يوسف : 21

(2) يوسف : 23

لقد ذكرت أن الإنجيل لا يختلف عن التوراة والقرآن الكريم في خاصية الخبر النبوي ، وأتصد به ما يستفاد من نصوص الإنجيل من أخبار عن الأنبياء ، وإن كان يركّز كثيرا على السيد المسيح ، فإنّ ذلك من خصائص الإنجيل ، الذي يجمل المسيح (عليه السلام) هو الشخصية المحورية التي تجمع كلّ أعمال النبوة ، وينقسم الخبر في الإنجيل إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

وهو ما يتعلق بالمسيح (عليه السلام) من حيث الإخبار عن نشأته ، وعن صلبه وقيامته وما يتبع ذلك من اعتقاد قرب الملكوت ، و اقتراب الخلاص ، ولقد حازت هذه الأخبار مجالا واسعا من الإنجيل، بل إنّ المحققين ذهبوا إلى أنّها تعدّ الأخبار الوحيدة ، التي ورد ذكرها وتكرارها في الإنجيل .

القسم الثاني :

وهو ما يتعلقّ بالبشارة بمحمّد (صلّى الله عليه وسلّم) ، ولقد ذكرت أنّ هذه البشارة واردة في الإنجيل بصريح العبارة ، غير أنّ المسيحيين يعمدون إلى إخفائها ، وقد بينت أسباب ذلك ودرافعه .

القسم الثالث :

ما يتعلقّ بالأخبار التي وردت في أعمال الرسل ، وكذا الحوادث التي نزلت بالمسيحيين بعد المسيح (عليه السلام) التي ورد تفصيلها في سفر الأعمال .

وفي الجملة فإنّ الإنجيل يلتقي مع التوراة والقرآن الكريم ، في أنّ النبوة تقوم على أساس ظاهر وهو الخبر ، بغض النظر عن طبيعة هذا الخبر وسماته وخصائصه في كلّ من التوراة والإنجيل والقرآن .

بحث الثاني : تشابه الخطاب والأمر الإلهي في نبوة التوراة والإنجيل و القرآن :

النبوة في تعريفها العام تعنى الخطاب والأمر الإلهي ، ذلك أن التشريعات والأحكام لا تنأت إلا من حذل خطاب الله وأمره إلى أنبيائه ، و الخطاب من حيث هو خاصية مشتركة بين التوراة والإنجيل و القرآن ، قد تكرر كثيرا ، و بيان ذلك أن هناك تشابها ظاهرا في الخطاب بين التوراة و الإنجيل و القرآن الكريم ، فقلت حفلات التوراة بخطاب الله لرجاله ، يبعث بهم الأنبياء (عليهم السلام) ، و غالبا ما يكون هذا الخطاب في بيان الأوامر و النواهي ، و من ذلك ما ورد من خطاب الله لأدم (عليه سلام) في سفر التكوين : " وأوصى الرب الإله آدم قائلا : " من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير و الشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت " (1) .

ففي هذا النص من سفر التكوين خطاب الله تعالى لأدم الذي تضمن نهيه عن الأكل من الشجرة -وبعض النظر عن طبيعة هذا النهي- فإن هذا الخطاب يشابه إلى حد كبير ما جاء في القرآن الكريم :
﴿قُلْ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْعَصِيَّةِينَ ﴾ (2) .

ويتكرر خطاب الله تعالى لنوح (عليه السلام) ، كما كان لأدم (عليه السلام) ، إذ جاء في سفر التكوين : قال الرب لنوح ادخل أنت و جميع بيتك إلى الفلك (3) ، و هذا الخطاب ورد في أسلوب آخر في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : " وَقَالَ امْكُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا " (4) .

ويتجلى الخطاب الإلهي من حيث هو أوامر و نواهي أكثر في الوصايا العشر ، و هي مسألة مشتركة بين التوراة و القرآن الكريم ، ففي التوراة ، ورد خطاب الله تعالى لموسى : " ثم تكلم الله بجميع

(1) التكوين 2 : 16، 17.

(2) البقرة : 35.

(3) التكوين 7 : 1

(4) هود : 41.

هذه الكلمات قائلا : أنا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتا و لا صورة مما في السماء من فوق و ما في الأرض من تحت و ما في السماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن و لا تعبدهن ، لأنّي أنا الرب الهك إله غيور اتقذ ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث و الرابع من مبغضني . واصنع إحسانا إلى الوف من محبتي وحافظي وصاياي . لا تتعلق باسم الرب الهك باطلا ، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا ... لا تثن . لا تزن . لا تسرق . (1) .

إن خطاب الله تعالى في هذا النص من سفر التكوين - لا يختلف في ظاهره - عما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كَمَا تَشَاءُونَ أَمَا تَتَّقُونَ الْآتِثِينَ كَوْمًا يَذُوبُونَ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ وَمَا يَذُوبُونَ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا مَخْتَلِينَ وَلَا قَاتِلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَذَٰلِكُمْ بَيِّنَاتٌ لِّعَالَمٍ تَفْقَهُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعُقُوبِ إِنَّ بِالْقَاسِطِ لَأَكْثَانَ فَنُفُوسًا إِذَا قُتِلُوا فَاغْدِلُوا وَاذْكَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيُعْهِدِ اللَّهُ أَوْلِيَآءَهُمْ فَبُكْرًا وَمَكْرًا يَوْمَئِذٍ لَّيْسَ لَهُمْ صُلْحٌ وَلَا حِسَابٌ لِّمَنَظَرِهِمْ وَأَن هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُ بِهِمَا كَمَا تَفَرَّقُونَ " (2) .

إن الخطاب - في هذه الآيات - لا يخرج في ظاهره ، عن الخطاب الوارد في سفر الخروج ؛ و ذلك لأن هناك خاصيتين تجمعها و هي :

1- نسبة الخطاب إلى الله تعالى في قول سفر الخروج : " أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ " (3) ، و في قول القرآن الكريم : " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ " (4) .

2- تضمن الخطاب لمعنى النهي ، ووروده بصيغة الأمر ، وهو ما تكرر في سفر الخروج و القرآن الكريم ؛ و الاتفاق في صيغة الخطاب لا يمكن أن يفهم منه الاتفاق كذلك في مضمون الخطاب ، وهو أمر ليس فيه وجه للشبه بين التوراة و القرآن الكريم .

(1) الخروج 20 : 1 ، 15 بتصرف مكان المحذوف .

(2) التلمذ : 151، 153 .

(3) الخروج : 1 .

(4) الأنعام : 151 .

وقد ورد الخطاب أيضا في الإنجيل ، و هو يحمل هذه الخصائص التي ذكرتها ، أي الخاصية
إيية و خاصية الأمر و النهي ، و اكتفى في ذلك ببعض النصوص من الإنجيل ، من ذلك ما جاء في
جيل متى : " أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في
سماوات ، و كلّ ما تحلّه على الأرض يكون محلولا في السماوات " (1) . و في إنجيل متى أيضا:
لا تقدرّون أن تخدموا الله و المال لذلك أقول لكم : لا تهتمّوا لحياتكم بما تأكلون و بما تشربون ، و لا
لجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ، و الجسد أفضل من اللباس " ؟ (2) إلى أن قال :
... وكن اطلبوا أولاً ملكوت الله و بزرّه ، و هذه تزداد لكم - (3) .

فإن أي دارس لهذه النصوص الإنجيلية يلمح أن هناك خطابا وأمرا إلهيا ، يكون تارة من الله إلى
سيده ، و تارة أخرى من مسيحه إلى شعبه ، و هكذا فإن خاصية الخطاب خاصية مشتركة لم تخل
من التوراة والإنجيل و القرآن على حدّ سواء ، ولذلك أعددتها وجها من أوجه التشابه بينهم .

(1) متى 16: 19 .

(2) متى : 25 .

(3) متى 6 : 33، 34 .

تجد الإشارة بادي ذي بدء إلى أن الحكم - مطلقا - باختلاف الأديان السماوية حكم معمم ، شديد لعمومية ، تنقصه الدقة و يعوزه التحديد ، إذ الواقع أن هناك مجالات اتفاق ، كما أن هناك مواطن اختلاف بين هذه الأديان ، كما أن الاتفاق و الاختلاف يتنوع تنوعا كبيرا بناء على أسباب كل منها .

و من دراسة نصوص التوراة و الإنجيل و القرآن ، يدرك الباحث لأول وهلة اتفاقها - في الجملة - في أمهات الأصول ، و منها النبوة ، و قد أفاض العلماء في هذا الباب جملة وتفصيلا ، مما يدل على اتفاق الكتب الثلاثة في إثبات النبوة و رغم هذا الاتفاق ، فإنهم اختلفوا بعد ذلك في طبيعة هذه النبوة ، و في معايير تحديدها ، و لذلك أحببت أن أتكلم في هذا الفصل عن مواطن الاختلاف الاختلاف بشأن هذه المسألة بين التوراة و الإنجيل و القرآن ، معتمدا في ذلك على ما توحى به النصوص .

المبحث الأول :

شمولية مفهوم النبوة في القرآن و محدوديته في التوراة و الإنجيل :

إن النبوة أو كما يسميها بعض الباحثين (1) علم الرسالة الإلهية ، علم اشتمل فيما اشتمل عليه على لب الرسالة الإلهية و هو التوحيد ، و هو ما أثبتته القرآن الكريم في أكثر من موضع ، قال تعالى :
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ، وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتِمُّوا الدِّينَ ، وَ لَا تَقْرُبُوا قُرْبَاهُ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْنِ مَنْ يَشَاءُ ، وَ يَهْدِي إِلَيْنِ مَنْ
يَبْتَغِي . (2)

إن القرآن الكريم ذكر كل الرسائل التي سبقته ، وما لم يذكره بالبيان ذكره بالإشارة الواضحة ، فقال تعالى : " مَهْمَزٌ مِّنْ قُصَصًا عَلَيْكَ وَ مَهْمَزٌ مِّنْ لَّمْ يَنْقُصْ عَلَيْكَ " (3) .

(1) محمد أبو زهرة ، القرآن المعجزة الكبرى ، (دار الفكر العربي ، بدون تاريخ) ص 356 .

(2) الشورى : 13 .

(3) غافر 78 .

و ما لم يذكر قصصه مطوي في ذكر ما قصن ، فالرسالة الالهية واحدة ، و الحق واحد ، و الدعوة إليه بأخذة (1) .

إن حفظ القرآن الكريم - أي مراعاة أحكامه و شرائعه - هو في حقيقة الأمر حفظ للنبوة ، قال عليه (الصلوة و السلام) : " من أخذ ثلث القرآن و عمل به ، فقد أخذ ثلث النبوة ، و من أخذ نصف القرآن و عمل به فقد أخذ نصف النبوة ، و من أخذ القرآن كله ، فقد أخذ النبوة كلها " (2) .

فيما الحديث يدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم حوى علم النبوة كله ، وأنه لم يخادر من مسانئها وأركانها صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها ، وهو ما عبرت عنه بشمولية علم النبوة في القرآن الكريم ، وهو ما يشير إليه قوله تعالى : " مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " (3) ، مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ وَ يَبَازُ مَا يَطْلُبُ مِنَ الْمَكْلَفِ ، و ما به صلاحه في الدنيا ، وثوابه في الآخرة ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد ذيئيه الباطل من بين يديه ، و لا من خلفه .

و جاء في تفسير قوله تعالى : " مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " (4) قول القرطبي : " قوله تعالى : " مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " أي في اللوح المحفوظ ، فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث ، و قيل : أي في القرآن أي : ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا و قد دللنا عليه في القرآن ، إما دلالة مبينة مشروحة ، وإما مجملة يُتلقى ببيانها من الرسول (عليه الصلاة و السلام) ، أو من الإجماع ، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب ، قال تعالى : " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ " (5) ، فأجمل في هذه الآية وآية النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره ، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً " (6) .

(1) محمد أبو زهرة ، القرآن المعجزة الكبرى ، ص 355 .

(2) روله الحسن البصري .

(3) الأنعام : 38 .

(4) الأنعام : 38 .

(5) النحل : 44 .

(6) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، ج 6 ، ص 419 .

ويمكن القول بناء على ما ذكره القرطبي ، أن المقصود من الدين ، هي أحكام العبادات و المعاملات
وكذا العقائد ، و تدخل في دائرتها النبوة .

إن النبوة - في القرآن الكريم - كما بيّن محمد أبو زهرة (1) ، هي بيان إجمالي لعلم القرآن الكريم
المبين على أنه تبليغ النبي (صلى الله عليه وسلم) لرسالة ربه ، وأنه التبليغ الخاك إلى يوم القيامة ،
التي تخاطب به الأحيال بالرسالة العامة التي تعم الإنسانية كلها ، و لا تخصّ عصرا من عصورها .

و لكن لا بد من أن أتعرض ببعض التفصيل لما اشتمل عليه القرآن الكريم من علم النبوة ، و هو
الأمر الذي لا يغني فيه الإجمال عن التفصيل . إن الذي قرره العلماء وأحوّا عليه أن القرآن الكريم فيه
علم النبوة كلة ، وأن من علمه فقد حوى النبوة بين جنبيه ، و هي الحقيقة التي يمكن أن تُستفاد من
لحديث الجامع ، الذي أوردته في هذا الباب .

المطلب الأول: شمولية علم الغيب .

إن أول علوم النبوة علم الغيب ، ففي القرآن علم الغيب ، و بيان الغيب و الغيب هو لبّ الإيمان
و فيه علم الحاضر الذي يدل على الغيب المستكين ، فيه بيان الوجدانية ، وبراينها المستمدة من الكون
و التي يستدل عليها بالأثار القائمة ، و بما خلق الله سبحانه و تعالى ، يقول محمد أبو زهرة : " إن
العلم بمنشئ الكون هو الفطرة الإنسانية التي لا تُضَلُّ إلا بما يسيطر على العقل من أهواء ، و بما يقف
نون الإدراك السليم من أو هام ، و بما يحيط بالعقل من غيم يمنعه من الفهم السليم ، فالقرآن يزيل
غياب الظلام و الضلال و الزلل ، و يأخذ بالشارد إلى حيث الأمن العقلي " (2) .

و الغيب الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم ، و بُني عليه أمر الدين ، هو غير الغيب الذي تتشده
الفلسفة ، التي تبحث فيما وراء الطبيعة ، أو ما يسمّى في عرف الفلاسفة بعلم الميتافيزيقا ، ذلك أن
الغيب القرآني ، إن صح التعبير ، يُبنى على الحقيقة الساطعة ، لا على الظنّيات و لا المقاربات التي
شاعت في الفكر الإنساني ، منذ فجر الإنسانية .

(1) محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ، ص 356 .

(2) المصدر نفسه ، ص 357 .

ويريد محمد أبو زهرة هذه الحقيفة وضوحاً بقوله : " ... وإن الفلاسفة يحاولون أن يدركوا المغيب عنهم من حقيقة المنشئ ، و منهم من ضلَّ في سبيل ذلك ضللاً بعيداً ، و منهم من قارب ، و منهم من ابتعد ، و لا تجد في كلام أولئك الفلاسفة ما يهدي للتي هي أقوم ، و ما كان عجز الفلاسفة عن أن يدركوا الشيء الأول إلا من سيطرة أو هام سبقت عكرت على الفطرة ، و ضللت العقل ، و لنظريات ضالات قد سيطرت عليهم ، و هي نظرية الأسباب و المسببات ، و توهموا أنها تنطبق على منشئ الوجود ، كما هي ثابتة في العلة بين الموجودات ، يتوالت بعضها من بعض ، و يكون لكل شيء سبب ، و هو سبب غيره ، و هكذا تتابع الأسباب و المسببات ، كل سبب يتبع سبباً ، و هو نتيجة لسبب ، و توهموا لهذا أن الأشياء نشأت عن منشئ الوجود نشوء المعلول عن علته ، و المسبب عن سببه ، و تسلسلوا في الأسباب و المسببات حتى ضلوا ضللاً بعيداً " (1) .

ويضيف محمد أبو زهرة أن الدين السماوي ، هو الذي أزال هذه التصورات الخاطئة و العلات المستعصية ، و الشبهات الحاجبة عن إدراك حقيقة الوجود ، و ذلك بافت الأنظار إلى الله تعالى ، وأنه خالق كل شيء و مليكه ، و المبدع ، و هو الفاعل المختار ، و هو القادر على كل شيء و لا يخرج عن واسع علمه شيء ، و لا عن محيط قدرته خارج ، و قرّر القرآن الكريم تلك الحقيقة التي هي هدف العقول ، و أخرجها من غياهب الضلال إلى نور الحق ، و كل هذا - لا يأتي بدهاء إلا بأمر واحد ، و هو النبوة - فكان التأكيد على المصدر الرباني للأسباب و المسببات دليل قاطع لإبطال ما يقرره الفلاسفة من نظرية العلة و المعلول و السبب و المسبب .

إن هناك فرقاً بين علم الغيب الذي يقرره القرآن الكريم ، وبين محاولة إدراك كنه الأشياء و ماهيتها التي ينشدها الفكر الفلسفي لتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته ، وهو ما يعسّر عنه في العرف الشرعي بصلاح المعاش و المعاد ، فهذه السعادة ، كما يقول ابن حزم (2) ، هي عند الفلاسفة مطلوبة لذاتها ، وإنما يكدح الإنسان لينالها و يصل إليها و هي في نظرهم لا تتال إلا بالحكمة و بالحكمة تطلب إما بعمل بها و إما لتعلم فقط فانقسمت الحكمة إلى قسمين عملي و علمي ثم منهم كما يضيف ابن حزم أي من الفلاسفة - من قدّم العلمي على العملي ، فالقسم العملي هو عمل الخير و القسم العلمي هو علم الحق ، و هذان القسمان - عند الفلاسفة - مما يوصل إليه بالعقل الكامل و الرأي الراجح ، غير أن الاستعانة بالقسم العملي منه بغيره أكثر و الأنبياء أيدوا بإمدادات روحانية - من قبل الله - لتقرير القسم العملي .

(1) مصدر أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ، ص 357 .

(2) المصدر نفسه ، ص 357 .

وإنه فإن مما يفهم من قول ابن حزم أن غاية الفيلسوف أو الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون و يشبهه بالإله الحق تعالى بغاية الإمكان ، و غاية النبي أن يتجلى له نظام الكون فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم و تنظيم مصالح العباد ، و كل هذا مما لا يؤخذ علمه إلا من النبوة ، و هو ما حدا ببعض الفرق الدينية (1) إلى إنكار النبوة جملة و تفصيلا .

إن الخطأ الجسيم الذي وقع فيه الفلاسفة ، هو الخلط بين علم الغيب ، الذي لا يعرف إلا من طريق النبوة ، و بين علم المستقبل ، و ما ينطوي عليه ، بناء على تخمينات و تقديرات عقلية ، هي عرضة للزلل ، و للخطأ و الصواب ، و ذلك مهما روعيت فيه الدقة ، و توخي فيها منتهى الضبط و الاحتراز .

ويزيد محمد عبد الله دراز (2) هذه القضية وضوحا بقوله : " تلك هي شعلة الغيب تتطفي عندها مصابيح الفراسة و الذكاء ، فلا يدنوا العقل منها إلا وهو حاطب ليل و خابط عشواء ، إن أصاب الحق مرة أخطأه مرات ، و إن أصابه مرات أخطأه عشرات ، على أن الذي يصادفه من الصواب لا يمكن الوثوق ببقائه معصوما من التغيير و التبديل ، بل عسى أن تذهب به ريح المصادفة كما جاءت به ريح المصادفة ؛ " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " (3) .

و مما يميز علم الغيب في نبوة القرآن الكريم ، أنه علم بالأخبار الماضية و الحاضرة و المستقبلية ، وهذه الخصية كما يؤكد المؤرخون ، هي مما يميز نبوة القرآن الكريم ، من غيره من النبوات ، و منها نبوة التوراة و الإنجيل ، و تفصيل ذلك كما يلي :

1- قوله تعالى تعقيبا على قصة نوح (عليه السلام) مع قومه : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ نُنَبِّئُكَ أَنَّ النَّوَافِلَ وَالْمَنَافِعَ وَمِنَ الْبِرِّ وَالصَّالِحِ وَمَنْ يُحِبُّ الْوَجْدَ وَالْحَمْدَ وَالْإِخْلَاقَ الْكَبِيرَ " (4) .

(1) نال بذلك حكماء الهند من البراهمة و بعض حكماء العرب و هم شر ذمة قليلون .

انظر : ابن حزم ، الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، ج 1 ، ص 157 .

(2) محمد عبد الله دراز ، الدنيا العظيم ، ص 47 .

(3) النساء : 82 .

(4) هود : 48 .

يقول القرطبي: "قوله تعالى: "تلك من أنبياء الغيب" أي تلك الأنبياء، وفي موضع آخر "ذلك" أي تلك النبا والقصاص من أنبياء ما غاب عنك "نوحيا إليك" أي: لتقف عليهما ما كنت تعلمها أنت ولا نوحك" أي: كانوا غير عارفين بأمر الطوفان، و المجوس الآن ينكرونه* من قبل هذا " [أي أنما من الأخبار المجهولة عندك و عند قومك] " (1).

2- إن معاجم اللغة تعين على تأكيد معنى الغيب الذي يشمل الأخبار الماضية والحاضرة والمستقبلية يقول الجرجاني: "الغيب هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل" (2).
إن تخصيص الغيب - عند الجرجاني - بأنه الأمر الخفي يجعله يستغرق ماضي الأخبار و حاضرها ومستقبلها، وذلك لتعذر معرفتها والإحاطة بها، إلا بعد الإنبياء بها والإرشاد إليها بطريق الوحي - .

يقول صابر طعيمة: "كلمة الغيب ومشتقاتها اللغوية في القرآن الكريم تدور حول معنى الخفاء بما وراء قدرة الشهود والإحاطة بالنسبة للبشر في الخلق المحيط بهم زمانا ومكانا، وذلك بسبب قصور حواسهم وعقولهم عن الإدراك، وهو مدخل للإيمان برب العالمين يذكر باعتبار الناس وبالنسبة إليهم وليس بالنسبة إلى الله الذي لا يخيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو عالم الغيب أي ما ييب عن الناس وعن الخلق جميعا، ومن هنا فإن الغيب في معناه العام بالنسبة للناس يكون هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس المستطلع ولا يبلغ إليه مجال عمل العقل الباحث، وإنما يقع العلم به للمؤمنين وحيا من الله إلى رسله سواء مما غاب عنهم من حقائق أنبياء الأوليين، أو مما هو غائب عنهم من أنباء المستقبل القريب أو البعيد" (3).

ويذكر صابر طعيمة بعد ذلك أن الغيب القرآني قد حاز صفة الشمولية والإعجاز التي لا يضاهيه شيء من غيبات العهد القديم والعهد الجديد، وذلك لعدم دلالة المعطيات الواقعية عليه، بمعنى أنه يأتي - غالبا - مخالفا لما يدل عليه ظاهر الأمور، وواقع الأشياء، وقد ضرب لذلك مثلا بإنبياء القرآن الكريم بانتصار الروم بعد غلبها، بعدما كانت كل الظواهر والمؤشرات تقول بعكسه (4).

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص49.

(2) الجرجاني، التمهيلات، ص185.

(3) انظر صابر طعيمة، الذين الحق وبنو إسرائيل، (ط2، بيروت لبنان، دار الجيل، 1411 هـ - 1991 م، ص129).

(4) وذلك لأن هذا الانتصار حدث رغم الاتهام في معسكر الروم، الذي بلغ مداه في ذلك الوقت، وهو ما يجعل الانتصار ضربا من المستحيل اعتقادنا إلى هذا الواقع.

و لقد عقدت مبحثاً خاصاً بالنبوءات الغيبية في القرآن الكريم ، وقد أكدت فيها هذا المعنى الشامل ،
التي لا يجعل الغيب إخباراً بالحوادث المستقبلية ، كما شاع ذلك في نبوءات العهد القديم و العهد الجديد ،
و التي سيأتي بيانها .

إن قمة الإعجاز القرآني ، هي التحدي بأنباء الغيب الماضية و الحاضرة و المستقبلية ، مما لا يمكن
-بإي حال من الأحوال - أن يكون صناعة بشرية أو وظيفة عقلية ، وهو ما يؤكد تميّز نبوءة القرآن
كريم في هذه الناحية من نبوءة التوراة و الإنجيل .

فإذا تناولنا النبوءة في التوراة و الإنجيل ، فإنتا لا نجد فيها هذا السمت الشمولي ، الذي يجعلها عقيدة
تعبّر عن الوجود الإنساني برأيه ، وتتفاعل مع الكون كله فيما يسمّيه العلماء بناموس الكون أو الفطرة .
إن النبوءة في التوراة و الإنجيل لها مفهوم محدد ، و مجال ضيق ، ذلك أنها محصورة في الإنباء
بالحوادث المستقبلية ، التي غالباً ما تقع على خلاف ما ينبا به ، و يعتمد فيها على المقاربات و
المقارنات بين الحوادث القريبة العهد مع البعيدة كاقتران نجاة اليهود من الأشوريين بخلّاص العالم
برأسطة المسيح .

إن نبوءة الإخبار عن الأمور المستقبلية - و هي التي يستدل بها أهل الكتاب على كونهم مخبرين عن
الله تعالى - كانت أحياناً كثيرة بدون تمييز أزمنتها و لا حوادثها، وهو ما أدّى إلى اختلاط بعضها
ببعض ، فلا يكاد يعرف وجه الصواب فيها ، بل هي مناط احتمالات كثيرة ، و هو ما جعل النبوءة في
التوراة و الإنجيل - بهذا المعنى - لا تختلف عن العرافة و التنجيم أو ما يسميه علماء النفس بالمكاشفة
الروحية ، وقد تتبع محمد رشيد رضا (1) نبوءات التوراة و الإنجيل ، و أكد بالدليل العقلي و الواقعي أنها
لا يمكن أن ترقى إلى نبوءة القرآن الكريم ، فالنبوءة في التوراة و الإنجيل إخبار بما سيكون في مستقبل
الزمن ، و تلتقي معها نبوءة القرآن الكريم في ذلك ، و تتميز عنها ، بأن ما أخبر به القرآن الكريم حقيقة
ساطعة و أكثر شمولية بحيث لا يمكن أن يتسرّب إليها الشك أو تكون محللاً للارتياب ، فما جاء به
القرآن الكريم في هذا الشأن أظهر و أوضح و أبعد عن احتمال التأويل و أعصى على إنكار المرتابين ،
وزيادة على هذا كله ، فإن نبوءة القرآن الكريم انفردت بخصيصة ، هي سمة لها وحدها ، و هي ما
أخبرت عنه من أنباء الغيب الماضية ، و لهذه الأسباب و المفارقات ، فإن للنبوءة في التوراة و الإنجيل
مفهوم محدّد ، و لا تتوافر فيها خاصية الشمولية .

(1) - محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 65.

إن انحصار النبوة عند اليهود و النصارى في الإخبار عن الحوادث المستقبلية، يزيد من تأكيد الفكرة الرائجة القائلة بأن الكتب الإسرائيلية و المسيحية تنفق إلى السند التاريخي، وهو ما يفوي الاعتقاد بتعريفها عند نقاد الأديان، فانعدام السند التاريخي، الذي يضع الحوادث التاريخية موضعها، و يحكدها إبطارها، فدهجعل التوراة و الإنجيل تخلو من الحديث عن الماضي برمته، هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإن الخوف من انكشاف التلبيس و التلبيس، دفع كتبة العهد القديم و الجديد إلى طي صفحة الحوادث الماضية، التي تعري صفحاتهم، و تفضح مؤامراتهم.

إن تميز نبوة القرآن الكريم و انفرادها بأنباء القرون الماضية، و الأجيال الخالية، يزيد من تأكيد حقيقة المصدر الرباني للقرآن الكريم، ذلك أن مثل هذه الأنباء، لا يمكن أن تكون عرضة للتخمين العقلي، و لا خلاصة للصفاء الروحي، و لا للفيض النفسي على نحو ما تدعيه الفلسفات الباطنية.

لقد سبق أن ذكرت أن المعجزة في الوضع القرآني ، ليست برهانا على صحة الدين ، هذا بالرغم من أن مزواه المحذون بالأسانيد الصحيحة ، من المعجزات و الآيات التي أكرم الله بها عبده ورسوله محمدا (صلى الله عليه وسلم) هي أكثر من كل ما رواه الإنجيليون وأبعد عن التأويل (1) .

ولعل عدم تركيز القرآن الكريم على المعجزة الحسية يرجع إلى أسباب أذكر منها :

- 1- أن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم و العقل في ثبوتها و في موضوعها و يعطى محمد رشيد رضا (2) ذلك بأن البشر قد بدؤوا يدخلون في سن الرشد و الاستقلال النوعي (3) ، الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون ، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلي مع هذا الخضوع ، بل هو من موانعه .
- 2- أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال : " ما من الأنبياء ، من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، و إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " (4) .

و يأخذ من هذا الحديث النظرة الشمولية للمعجزة ، التي ترتفع بها عن مجال الحس إلى مجال العقل و الفطرة : و لقد قص الله تعالى علينا في القرآن الكريم أن المشركين اقترحوا الآيات الكونية أي المعجزات على رسوله (صلى الله عليه وسلم) فاحتج عليهم بالقرآن في جملته وبما فيه من أخبار الرسل و الكتب السابقة التي لم يكن يعلمها هو ولا قومه ، و بهدايته و بعلمه و بإعجازه ، و عدم استطاعة أحد و لا جماعة على الإتيان بمثله ، يقول الله تعالى : " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ لَأَيُّونَ بِمِثْلِهِ لَوَ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " (5) .

(1) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 79 .

(2) المصدر نفسه ، ص 79 ، 80 .

(3) يفسد بالاستقلال النوعي أي التحرر من رتبة التأليف .

(4) مثل تخرجه الحديث و هو متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(5) الإسراء : 88

وإن المتتبع كسيرة الأنبياء و الرسل (عليهم السلام) مع أقوامهم ، يدرك أن المعجزة - بمفهومها الحسي الضيق - كان لها تأثير محدود جدا في الأفراد و الأمم ، إذ لم تزد أكثرهم إلا إعراضا عن الحق و تشبثا بالباطل و خروجا عن الجادة ، و ما يشير إليه قوله تعالى : " وَمَنْعْنَا أَنْ نَبْلُغَ بِالْآيَاتِ الْإِنْسَانَ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الرَّسُولُ " (1) .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : و ما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي عليها قومك إلا أن من كان قبليهم من الأمم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم ، فلمّا آتاهم ما سألوا منه كذبوا رسله فلم يصدّقوا مع مجيئ الآيات فوجدوا فلم ترسل إلى قومك بالآيات، لأننا لو أرسلنا بها إليهم فكذبوا بها سلطنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها ، و بذلك قال أهل التّأويل " (2) .

و لقد أفاض محمد رشيد رضا في بيان موقف الأفراد و الأمم الخالية من النبوات و الرّسالات ، على الرغم من الآيات و المعجزات التي أيد الله تعالى بها أنبياءهم و رسلهم ، فيقول : " لقد كانت آيات المرسلين حجة على الجاحدين المعاندين ، استحقّوا بجهودها عذاب الله في الدنيا و الآخرة ، ولم يؤمن بها من شاهدوها إلا المستعدون للإيمان بها ، إن فرعون و قومه لم يؤمنوا بآيات موسى ، وإن أكثر بني إسرائيل لم يعقلوها (3) و قد اتخذوا العجل و عبده بعد رؤيتها و رؤية غيرها في بريّة سيناء ، و قال اليهود في المسيح : لو أنه رئيس الشياطين لما أخرج الشيطان من الإنسان " (4) .

و إن الدّارس لتقصص الأنبياء في القرآن الكريم يدرك لا محالة أن أكثر من آمن بنبوة الأنبياء و رسالة الرسل ، إنّما خضعت أعناقهم ، و استخذت أنفسهم لما لا يعقلون له سببا ، و قد انطوت الفطرة البشرية على أن كل ما لا يعرف له سبب ، فالآتي به مظهر للخالق سبحانه ، إن لم يكن هو الخائق نفسه ، فلم يكن إيمان المؤمنين بالنبوات و الرّسالات ، و قوعا تحت تأثير قوة المعجزة ، بل كان اقتيادا فطريا انسابوا إليه بقوة التأثير المعنوي ، الذي جعل الكيان البشري يستجيب لدواعي الفطرة و موجبات الإيمان (5) .

(1) الإسراء : 59 .

(2) الطبري : التفسير ج 5 ، ص 74 .

(3) قال تعالى : " فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِذْ أَخْرَجَهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ أَن يُبَدِّلُوا دِينَهُمْ " يونس : 83 و الذرية صفار اللعل و

البادر أن تكبر ما هذا الخليل . الطبري : مصدر رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 82 .

(4) السمر نفسه ص 82 .

بأنه سبق أن ذكرت عند الحديث عن المعجزة في الإنجيل ، أنه قد ذكر كثرة كاثرة من المسحاء كناية و الأنبياء الكاذبة ، و كانوا يعطون من الآيات و المعجزات ، ما يعطى الأنبياء أو يزيد ، والتي تستطيع أن تضل - بسحرها وقوة تأثيرها على الحس - لو أمكن المختارين (1) .

وقد ربط محمد رشيد رضا ، بين تأثير المعجزات في الناس ، و تأثير القرآن الكريم ، و هو ما أشار إليه إنجيل يوحنا (2) : " إن لي أموراً كثيرة أيضاً ، ولكن لا أستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذلك أي البارقليط (3) روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق " .

فالمسيح (عليه السلام) ، يعترف بتحصن الإنجيل بأن الأمور الكثيرة التي أوتيتها - و يقصد بها العجائب و المعجزات - لم تكن كافية لإقناع قومه ، و إرشاد الضالين ، و من ثم فهو ينبي عن مجيئ محمد (صلى الله عليه وسلم) ، الذي يستطيع أن يرشد الناس إلى جميع الحق .

إن إرشاد الناس إلى جميع الحق ، أمر لا يتأتى و لا ينبغي لأحد ، إلا بمعجزة باقية - وهي بيقين - معجزة القرآن الكريم ، إذ ما جاء بعد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي أرشد الناس إلى جميع الحق في الدين ، من توحيد و تشريع و حكمة و تأديب غير محمد رسول الله و خاتم النبيين .

3- لقد ثبت من استقراء تاريخ الأمم على أن أهل الملل الوثنية أكثر اعتماداً على العجائب من أهل الأديان السماوية ، و نقل كثير منهم ممن يعتقدون قداستهم من الأولياء و القديسين أكثر مما نقلوا عن الأنبياء و المرسلين و أن أكثر المعتندين بها من الخرافيين .

إن الإلحاح في طلب الآيات و المعجزات قد يكون مظهراً من مظاهر العراء و الإجحاف ، و من ثم فإنه لن يحقق الغرض المقصود و الهدف المنشود ، وهو دعوة الناس إلى الإيمان و الإذعان .

(1) متى 4 : 24 .

(2) يوحنا 16 : 12 .

(3) يقصد به محمدًا (صلى الله عليه وسلم) .

وتكيد شمولية النظرة إلى المعجزة ، و هي خاصية من خصائص النبوة في القرآن الكريم لا يعني أن القرآن الكريم قد خلا أو كاد من ذكر الآيات و المعجزات ، غير أنها لم تكن لإقامة الحجّة على نبوة رسالة محمد (صلى الله عليه وسلّم) ، بل كانت من رحمة الله تعالى و عنايته به وبأصحابه في الشان .

و لقد أحصى محمد رشيد (1) كثيرا من الآيات التي أيد الله بها نبيه (صلى الله عليه وسلّم) شيئا لقلبه ، من تلك الآيات : شفاء المرضى ، وإبصار الأعمى وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في غزوة الأحزاب ، و في غزوة تبوك ، تماما كما وقع للمسيح (عليه السلام) أو يزيد .

و خلاصة لما ذكرته أقول : إن شمولية مفهوم المعجزة في القرآن الكريم ، يقصد به قيامها على الدليل العقلي و النظري ، بما يحقق كل أركان الإيمان ، و هي خاصية انفردت بها النبوة في القرآن الكريم فليس في الإنجيل ولا في التوراة ، شئ منها .

(1) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 81.

المطلب الثالث: الأنبياء .

من المعروف أن العهد القديم لا يعترف إلا بالأنبياء بنى إسرائيل، و هم ينقسمون إلى قسمين: الأنبياء
"كبار" و الأنبياء الأخيرون (1) ، و يشمل القسم الأول أربعة أنبياء هم: يشوع ، و إليه ينسب سفر
يشوع ، و يتضمن تاريخ بنى إسرائيل بعد وفاة موسى (عليه السلام) ، و قيام يشوع خلفا له ، و قيادته
فى إسرائيل من بعدهم ، و يختتم السفر بوفاة يشوع .

و الأنبياء القضاة، و إليهم ينسب سفر القضاة ، و يحتوي على تاريخ الإسرائيليين فى عهد
ثلاثة الذين حكموا الشعب بعد وفاة القائد يشوع .

و النبي صموئيل الأول و صموئيل الثانى، و قد وضعنا سفرا خاصا يحتوي على تاريخ حياة
صموئيل النبي، و الملك شاول الذي كان أول ملك تولّى على الإسرائيليين، و الملك داود (عليه
السلام) (2) .

و الأنبياء الملوك و يقصد بهم الذين تولوا بعد موت داود ، و حكم سليمان حتى بدء السبي البابلي و
خراب الهيكل على يد بنوخذ نصر عام 587 ق.م .

أما القسم الثانى من الأنبياء فيشمل إشعيا و إرميا و حزقيال، و يسمى هؤلاء الأنبياء فى العهد
القديم بالأنبياء الأخيرون (3) ، و ينضم إليهم اثني عشر نبيا آخرين يسمون عادة صغار الأنبياء ، لقلة ما

(1) انظر زبجى كمال، *دروس اللغة العبرية*، ص 435.

(2) إن داود عليه السلام نبيّ كريم و ليس ملكا كما تدعى التوراة.

(3) زبجى كمال ، المرجع السابق ، ص 436.

ثُر عنهم مثل: يونيل ، و عاموس ، و عوبديا ، ويونس ، و ناحوم ، و زكريا .
و هكذا نرى أن العهد القديم لا يخرج عن هؤلاء الأنبياء المذكورين ، و لا يزيد عليهم ، بل إنه أنكر
نبوة كثيرين منهم ، أو خلط بين نبوتهم و ملكهم كما هو الحال بالنسبة لداود و سليمان ، اللذين تنظر
ليهما التوراة على أنهما ملكان ، إذ ينتميان إلى طائفة الملوك الذين حكموا إسرائيل ، في فترة ما قبل
السي البابلي و ما بعده حتى خراب الهيكل ، أما نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) فإن التوراة
تكرها إنكارا مطلقا ، و هذا بالرغم من ورود نصوص صريحة في التوراة تبشر به ، و التي عمد
اليهود على أحقاب منطاولته إلى إخفائها خوفا من زوال ملكهم و رياستهم ، و تزعزع سيادتهم ، و قد
ذكرت في باب المقابلة بين موسى (عليه السلام) و محمد (صلى الله عليه و سلم) أن سفر التثنية قد
ورد فيه نص يبين ذلك ، حيث ذكر علماء المقارنة بين الأديان انطباقه انطباقا كلياً على محمد (صلى الله
عليه و سلم) ، و هو قول كاتب السفر : " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم... " (1) .

وهذا الذي ورد في سفر التثنية هو تأكيد لما جاء في القرآن الكريم من وصفه و نعتة و هو قوله
تعالى : " الَّذِينَ يُبْعَثُونَ الرِّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُونَكَ مَكَرًا بِعَيْدِهِمْ فِي النُّورِ الَّذِينَ فِي الْأَنْجِيلِ " (2) .

وإنكار التوراة لنبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) ينزع عنها صفة الشمولية في النظرة إلى الأنبياء
ويثبت عليها صفة العنصرية و الجنسية ، التي صبغت التفكير الديني اليهودي على مر العصور .

و موقف الإنجيل كذلك من الأنبياء ، لا يختلف عن موقف التوراة ، و إن كان الإنجيل أشد إنكارا
لنبوة الأنبياء و ذلك لأنه - كما ذكرت من قبل - لا يعترف إلا بنبوة واحد منهم و هو يسوع المسيح
(عليه السلام) ، و لهذا ما يبرره في الفكر المسيحي ؛ ذلك أن النبوة في الإنجيل ، تعني القدرة الخارقة
التي يؤتاها النبي لتخليص البشر من إثم الخطيئة الأولى ، و إنه لا تجمع هذه القدرة - في نظرهم -
إلا يسوع المسيح ؛ لأنه المولود الوحيد لله ، الذي خلقه و قبضه لتخليص بني آدم من الخطيئة ، التي
لزمهم بسبب خطيئة أبيهم آدم (عليه السلام) .

ولقد ذكر - إلى جانب المسيح (عليه السلام) - في الإنجيل أنبياء آخرون ، غير أن الإنجيل يفصل
بينهم و بين الأنبياء الكذبة ، و المسحاء الكذبة الذين ظهروا في فترة من فترات التاريخ المسيحي .

(1) انشبة 18 : 18 .

(2) الأعراف : 157 .

و اقتصر الإنجيل على نبوة واحد من الأنبياء ، و هو يسوع المسيح ، يجعله يفقد خاصية الشمولية التي تحدث عنها ، التي تسوّى بين الأنبياء من غير تمييز ولا مفاضلة (1) ، و لقد أكدّ القرآن الكريم أن نبوة المسيح (عليه السلام) قامت على التصديق بالنبوة ، و بالرسول الذي يأتي من بعد - أي بعد نبي (عليه السلام) - و هو محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فما خالف ذلك معناه نقرأه في الأنجيل بعبارة من كسب الأيدي ، و لى الألسن .

أما القرآن الكريم فإنه يعترف بكل الأنبياء ، و لا يفرق بين أحد منهم ، يقول محمد رشيد رضا : " و مما بينه القرآن في مسألة الأنبياء و الرسل أنه يجب الإيمان بجميع رسل الله تعالى و عدم التفرقة بينهم في الإيمان ، و أن الإيمان ببعضهم و الكفر ببعض كالكفر بهم كلهم ، لأن إضافتهم إلى الله تعالى واحدة ، و وظيفتهم في إرشاد المكلفين و تبليغ رسالته و شرعه واحدة " (1) .

قال تعالى في بيان هذا الأمر في خواتيم سورة البقرة : " أَلَمْ يَأْتِ الْرَّسُولَ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْمُتَّبِيعِينَ كَذَّبُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَكُفِرُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ، لَا يَفْقَهُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " (2) .

و بين الله تعالى في سورة النساء ، أن التفرقة بين الرسل في الإيمان هي الكفر ، حق الكفر ، و أن الإيمان بجميعهم بغير تفرقة هو الإيمان حق الإيمان ، يقول الله تعالى : " و الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ آيَاتُنَا لَمَّا كُفِرُوا لَوْلَا أَلَمُوا لَمْ يَكُن لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلَئِنَّكُمْ كُفَرْتُمْ إِذْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَكْفُرُ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ آيَاتِهِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَرِيدُونَ أَنْ يُخَدِّعُوا بِئِنَّ ذَلِكَ سِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ فِي أَعْيَابِهِمْ عَذَابًا مُهِينًا " (3) .

(1) انفق العلماء على أن ليس هناك مفاضلة بين الأنبياء إلا من باب تقديم و تفضيل العام على الخاص .

انظر : محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 202 .

(2) البقرة 285 .

(3) النساء 152 .

(4) النساء 150 ، 151 .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره إن الذين يكفرون بالله ورسوله من اليهود والنصارى ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله بأن يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه بوحيه يزعمون أنهم افتروا على ربهم و ذلك هو معنى إرادتهم التفريق بين الله ورسوله بنعتهم إياهم بالكذب والفرية على الله وادعائهم عليهم الأباطيل، و يقولون نؤمن ببعض يعني أنهم يقولون نصدق بهذا و كتب بهذا مثلما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى و محمد (عليهما السلام) و تصديقهم بموسى و سائر الأنبياء قبله " (1).

و يضيف الطبري : " و يريد المفرقون بين الله ورسوله الزاعمون أنهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض أن يتخذوا بين أضعاف قولهم نؤمن ببعض الأنبياء و تكفر ببعض سبيلا يعني طريقا إلى الضلالة التي أخذوها و البدعة التي ابتدعوها " (2).

و يؤخذ من كلام الطبري ، أن حكم القرآن الكريم بكفر من آمن ببعض الأنبياء و كفر ببعض ، و مع أن هؤلاء الأنبياء جميعا بصريح القرآن الكريم - و ان اختلفت أقوالهم و أزمانهم - قد جاءوا لتلبيح نين الله إلى الناس ، و الدين واحد ، و الشرائع مختلفة ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : " سُبْحَانَكَ رَبَّنَا إِنَّا أَلْمَيْنَاكَ فِي سَبْحِكَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا دِينَكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا فِيهِمَا " (3).

و من ثم فإثبات الإيمان بجميع الأنبياء و الرسل (عليهم السلام) إثبات للوحي الإلهي من حيث هو المصدر الوحيد و الأوحد للنبوة .

(1) الطبري ، التفسير ، ج 6 ، ص 5 .

(2) المصدر نفسه ، ص 5 .

(3) التورى : 13 .

وقد وقع اليهود والنصارى في بدعة التفريق بين الأنبياء ، و ما الأباطيل والأضاليل التي تعج بها
تبعها بعض الأنبياء ورميهم بالكفر و الفسوق إلا دليلاً على ذلك ، فكان هذا باباً لفساد تصورهم
بنبوة ، و هدم أركان الدين السماوي ، الذي هو واحد - كما أسأفت - ذي أصوله و مقاصده ، و في
ما يقول محمد رشيد رضا : " إن الإيمان بجميع الأنبياء مبني على الإيمان بأن دين الله تعالى
نزل أرسل به جميع رسله واحد في أصوله و مقاصده من هداية البشر و إصلاحهم ، و إعدادهم لسعادة
دنيا و الآخرة ، و إنما كانت تختلف صور العبادات و الشرائع باختلاف استعداد الأقسام ، و مقتضيات
زمن و المكان ، حتى بعث الرسول العام (1) بالأصول الموافقة لكن زمان و مناس ، مع الإذن
بالاجتهاد في المصالح التي تختلف باختلاف الأطوار و الأحوال ، فالإيمان ببعضهم دون بعض في
رسالتهم الإلهية ، إتيان للهوى في الإيمان و جهل بحقيقة الدين ، فلا يعتد به لأنه عين الكفر - (2) .

وقد انفرد المسلمون بهذه الحقيقة - حقيقة الإيمان بكل الأنبياء - من غير تفرقة بينهم - نزولا عند
الامر الإلهي لهم بذلك في القرآن الكريم - . و من ثم فهذه النظرة الشمولية إلى النبوة و الأنبياء التي
رسم القرآن معالمها ، هي مما تتميز به نبوة القرآن عن نبوة التوراة و الإنجيل اللذين لا يؤمن أهلها
و أتباعها إلا بأنبياء مخصوصين . و يوضح محمد رشيد رضا هذه الحقيقة بقوله : " و قد انفرد بهذه
ثخينة للعادلة المسلمون دون أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إلا بأنبياء بني إسرائيل و أبيهم (3) و جدّهم (4)
على ما يذكر في كتبهم من عيوب و منكرات و فواحش يرمونهم بها ، و أما المسلمون فيؤمنون بأن
رب العالمين أرسل في كل الأمم رسلا هادين مهديين ، فهم يؤمنون بهم إجمالا ، و بما قصه القرآن
عن بعضهم تفصيلا ، فقد كرم الإسلام بهذا النوع الإنسان ، و مهد به السبيل لألفة الأخوة الإنسانية
لعنة ، فالمسلم صديق و محب و حبيب لجميع الأنبياء و المرسلين ، و تجاه هذا يصح أن يقال : إن
غير المسلم عدو لله و لهم كذهم ، لأن تكذيبه لبعض تكذيب لرسالتهم و لمرسلهم سبحانه " (5) .
و لعل هذا الإيمان الشامل يجمع الأنبياء و نبوتهم ، يعد خصيصة و مزية لأمة محمد (صلى الله
عليه و سلم) ، و لعل هذا هو ما يفسر وسطيتها و كونها شاهدة على الأمم ، وهو ما يشير إليه قوله
نعني : " وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنُكَرِفُ أَشْهَادًا ، عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (6) .

(1) يقصد به النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه و سلم) صاحب النبوة الحاتمة و الرسالة العامة .

(2) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 203 .

(3) لعله يقصد إبراهيم (عليه السلام) الذي يدعي اليهود أبوتهم لهم .

(4) لعله يقصد به يعقوب (عليه السلام) ، الذي يدعي اليهود أنه جدّهم و مؤسس دينهم .

(5) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 203 .

(6) البقرة : 143 .

ر صاحب النظرة الضيقة ، والافق المظلم ، - يمكن أن يكون شاهدا على غيره ، وهو الوصف الذي
جاء على اهل الكتاب من اليهود و النصارى .

وقد فسر محمد رشيد رضا الوسطية في الآية بأنها العدل في الإيمان بجميع الأنبياء و الرسل و ما
ديوانه من أركان الدين ، و غير ذلك من الفضائل والأعمال (1) . وأما قوله في تفسير شهادة أمة
بمنا (صلى الله عليه وسلم) على غيرها من الأمم ، بأنها تابعة بما كلفته من دعوة جميع الأمم إلى
حقيقة نبي الرسل التي تلقاها من خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم) ، و حلت محلّه في الدعوة إلى ما
جاء به من بعده ، فهو (صلى الله عليه وسلم) يشهد عليها يوم القيامة كما يشهد كل رسول على قومه
حين كانوا في زمانه " (2) .

ويؤيد ما ذكره محمد رشيد ، قوله تعالى : فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ
شَهِيدًا (3) .

ويبقى أن أشير إلى أن تأكيد القرآن الكريم لمسألة الإيمان بجميع الرسل ، قد يلتبس عند البعض
مسألة الأفضلية أو المفاضلة بينهم ، ومن المعلوم بنص القرآن الكريم أن بعض الأنبياء و الرسل أفضل
من بعض بتخصيص الله تعالى ، وبما كان لكل نبي من عمل في نفع العباد و هدايتهم ، وهي متفاوتة
جداً .

قال تعالى : " قُلْ لِكُلِّ رَسُولٍ فَضْلًا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ كَرَجَحًا ، وَآتَيْنَا
بِسُلَيْمَانَ مَرْكَبَ النَّبِيِّتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ " (4) . و ما ذكرته الآية الكريمة لا يتعارض مع ما ذكرته من
أقوال العلماء من وجوب الإيمان بجميع الأنبياء (عليهم السلام) ، فإن المفاضلة بينهم تكون في بعض
الزروع ، لا الأصول ، و هو يعلل كمال الدين الذي تم بتخاتمهم و هو محمد (صلى الله عليه وسلم) .

(1) محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 204 .

(2) المصدر نفسه ، ص 204 .

(3) النساء : 41 .

(4) البقرة : 253 .

يزول محمد رشيد رضا : " و من المعلوم بالدلائل العقلية و النقلية أن محمدا خاتم النبيين ، الذي أكمل
شأنه الدين ، وأرسله رحمة للعالمين ، هو الذي رفعه الله عليهم كلهم درجات ، (1) .

و ما يعضد ما ذكرته ، هو ما ورد في مسيح السنة من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال
لأبائهم : " لا تفضلوا بين أنبياء الله " ، قاله إنكارا على رجل من المسلمين لعلم يهوديا لأنه قال : " لا و
نبي أمصطفى موسى على البشر ، فشكاه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فغضب غضبا شديدا
على صاحبه المسلم و قاله و بين مزينة لموسى (عليه السلام) في الآخرة ثم قال : " و لا أقول إن أحدا
فضل من يونس بن متى " (2) .

و في روايات أخرى أخرجها البخاري : " لا تخيروا بين الأنبياء " ، و في بعضها : " لا تخيروني
على موسى " و انغرض من ذلك كآله ، كما تبين من مدلول هذه الأحاديث ، هو منع المسلمين من
تفصيل أحد من الأنبياء (عليهم السلام) ، و من التعادلي بين الناس لأجلهم و من الخاوية فيه (صلى الله
عليه وسلم) و إلا فهو (عليه الصلاة و السلام) قد قال في تعليق نهيه عن سؤال أهل الكتاب عن شيئين
قدن : " و الله أو كان موسى حيا بين أظهركم ما جعل له إلا أن يتبعني " (3) .
و يمكن تلخيص ما قلته في النقاط الآتية :

1- إن النبوة في القرآن الكريم مفهوم شامل ؛ ذلك بأنها لا تقتصر على النبوة الخاتمة ، بل تشمل كل
النبوات التي سبقتها ، و هذه النظرة الشاملة قد اختلفت بها النبوة في القرآن ، دون مثيلاتها في
التوراة و الإنجيل .

2- إن إثبات الصفة الشمولية للنبوة ، هو في حقيقة الأمر إثبات لوحدة الدين السماوي ، وإنكارها
إنكار لها ، بناء على انتفاء الشيع بانتهاء ضده .

3- إن المفاضلة بين النبوات و الرسالات ، لا يتعارض مع مبدأ إثبات نبوة جميع الأنبياء ، و عدم
التفريق بينهم فيها ، هذا زيادة على أن المفاضلة لا تكون في الأصول و الأركان ، التي يقوم عليها الدين
السماوي ، و هي بيقين واحدة في كل النبوات و الرسالات .

4- إن نبوة التوراة و الإنجيل تفتقد إلى الشمولية ، التي أفصحت عنها ، وذلك لأن أهل الكتاب هم من
تولى كبر التفريق بين الأنبياء بالإيمان ببعضهم و الكفر ببعض ، وهي حقيقة أكدها القرآن الكريم و لم
تختلف حولها آراء الدارسين لتاريخ النبوات .

(1) محمد رشيد رضا ، الوحي المصدي ، ص 204 .

(2) الحديث رواه الشيخان في الصحيحين .

(3) رواه أبو يعلى من حديث جابر (رضي الله عنه) .

اختلاف موقف التوراة والإنجيل والقرآن من عصمة الأنبياء

إن أنبياء الله ورسوله هم الصفوة الممتازة ، الذين اصطفاهم الله من بين البشر واختصهم بصفات الكمال الخلقية والخلقية ، وجعلهم السفراء الأمناء في تبليغ رسالاته إلى الناس .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم ، التي تتحدث عن الأنبياء والرسل يجدها تصفهم بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية والعلمية ، كل ذلك يدل على أنهم صفوة الخلق ، وقدوة البشرية ، ولعظم مقامهم اقتضت حكمة الله تعالى أن يرتبهم ويصنمهم على عينه ، قال تعالى يكلم موسى (عليه السلام): **«لَصِصْ عَلَى عَيْنِي»** (1) وقال للنبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم) : **«وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا»** (2) وإذا كانت وظيفة الرسل هي البلاغ ، أي توصيل كلمة الله إلى الناس ، فمن هنا ذهب معظم النسرة الإسلامية وأهل السنة خصوصا إلى القول بعصمة الأنبياء ، سواء في ذلك العصمة الباطنية مثل الحقد والكذب والغل والكبرياء ، أو العصمة الظاهرية من الذنوب مثل : الشرك والكذب ، وشرب الخمر والزنا ؛ لأن الله تعالى لما جعلهم واسطة بينه وبين الناس لأداء ما حملهم من الشريعة ، من ثم فلا بد أن يجنبهم ما يقدح في شخصيتهم من الوقوع في الكبائر ، على اختلاف العلماء في الصغائر .

ورغم هذه الصورة الوضيئة والبريئة ، التي يقدمها القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل (عليهم السلام) فإن اليهود قد وقفوا منهم موقفا مشينا إذ صوروهم في أسفارهم بصفات تنافي مع عصمتهم فوصفهم بالزنا ، والخنا ، والبخل ، إلى غير ذلك من الأوصاف المشينة ، والنسرة الممقوتة . وسأتناول في هذا الجزء من المبحث عقيدة النبوة عند اليهود ، وموقفهم منها ، ثم أقفي بموقف القرآن الكريم من كل ذلك .

أما عن موقف اليهود من النبوة ، فهو يختلف كثيرا عن موقف النصارى ، إذ يرون أن النبوة هي في الغالب تعني الإخبار عن الأمور المستقبلية ، التي كثيرا ما ترتبط بالروى والأحلام .

(1) طه : 39 .

(2) طور : 48 .

جاء في تفسير "نبوة" من قاموس الكتاب المقدس " (1) : أن النبوة لفظة تفيد معنى الإخبار عن الله وهي الأمور النبوية ولا سيما عما سيحدث فيها بعد . وسمي هارون نبيا ، لأنه كان المخبر والمتكلم عن موسى (عليه السلام) فظنوا لفصاحته (2) ، وكان أعظم نبوات بني إسرائيل إخبارهم عن المسيح (سيا) ، ولا يزال اليهود ينتظرون صدق هذه النبوة (3) .

وينبغي التفريق هنا بين الرؤى المنامية ، والتخيلات المبهمة ، التي يبني عليها اليهود نبواتهم ، التي تكون في الغالب صورة حسية في الخيال تذهب الأراء والأفكار فهي تفسيرها مذهب شي ، فلما يعرف تأويل الصادق منها غير الأنبياء ، كرؤيا ملك مصر ، التي عبرها يوسف (عليه السلام) ، ورؤياه وهو في صغره ، وبين الرويا الصادقة ، التي كانت مبدأ نبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) قبل نزول الوحي ، والتي كانت منها صور أعلى بكثير من تلك التي كانت عند يهود .

أما عن موقف اليهود من الأنبياء فإن بعضهم قد صورتهم التوراة في صورة وثنية أو حيوانية، فقد اتهمت التوراة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بالكذب ، و ألصقت به عن قصد أخس الصفات ، وفتح الأفعال من التحايل ، والسكوت عن الفاحشة و الاغتصاب، و الرضا بالمهانة ، والخوف من سلطان ، ثم بالتفريط في العرض بإسلام زوجته للرئيس وذلك أيام أن رحل سيدنا إبراهيم فارا بعقيدته إلى فلسطين ، ومع زوجته " سارة " وابن أخيه " لوط " .

وجاء في سفر التكوين أن إبراهيم بعد أن طرده الملك من مصر هو وسارة ، وبعد أن سمح له فرعون بأن يحمل معه ما وهب له من مال ومتاع ، مهاجر إلى منطقة (جيران) ومثل أمام حاكمها النور الذي مثله أمام فرعون مصر ، وكاد الحاكم ويدعي " أبا مالك " أن يرتكب الإثم مع سارة برضا إبراهيم وتحت سمعه .

(1) انظر قاموس الكتاب المقدس ، المطبعة الأمريكية ، بيروت 1894 .

(2) خروج : 7 : 1 ..

(3) محمد رشيد رضا : الرحي السعدي ، ص 65 .

إلا أن الحاكم رأى رؤية منامية أطلعه الله فيها على حقيقة سارة فاستدعى إبراهيم ،
 ولأمه وولديه ، ثم منحه هبة من نعاج ، وثيران ، وعبيد على أن يحمل عصا
 وامراته وما معه ويرحل إلى منطقة أخرى ، عن كل هذا يقول سفر التكوين : " وحدث
 جوع في أرض إبراهيم فأتى مصر ليتكرب هناك ، لأن الجوع في
 الأرض كان شديداً وحدث لما قرب أن يدخل مصر أن قال لسارة امرأته: إني قد علمت أنك امرأة
 حسنة المظهر فيكون إن رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك ، فولي إنك
 اختي ، ليكون لي خير بسببك و تحيا نفسي من أجلك ، فحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أن رأى
 لمصريون المرأة أنها حسنة جدا ورأوا رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى
 بيت فرعون فصنع إلى إبراهيم خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال
 ف ضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة إبراهيم ، فدعا فرعون إبراهيم وقال:
 " ما الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ، لماذا قلت هي اختي حتى أخذتها لي لتكون
 زوجتي والآن هي ذا امرأتك خذها و اذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيّعوه وامراته وكل ما
 كان له " (1) .

ويعرض سفر التكوين قائلا : " و انتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش و
 نهر ، وتغرب في جزار ، و قال إبراهيم عن سارة امرأته هي اختي فارسل أبو مالك ملك جيزار و
 أخذ سارة فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل وقال له : ها أنت ميتك من أجل المرأة " سي أخذتها
 فإنها متزوجة ببعل ، ولكن لم يكن أبو مالك قد اقترب إليها فقال : يا سيد أئمة بارة تقتل ، ألم يقل هو
 لي إنها اختي وهي نفسها قالت هو أخي ، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا ، فقال له الله في الحلم :
 لنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا ، وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إلي ، لذلك لم أدعك
 نسفاً ، فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وإن كنت لست تردّها فاعلم أنك موتا
 نموت أنت وكل من لك .

(1) التكوين : إص 20.

بئس أبو مالك في الغد ، ودعا جميع عبده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جدا ثم دعا أبو مالك إبراهيم وقال له : ما ذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطيئة عظيمة ، أعمالا لا تعمل عملت بي وقال أبو مالك لإبراهيم : ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء : قال إبراهيم : إنني قلت ليس في هذا الموضوع خوف الله ألبتة فيقتلونني لأجل امرأتي . (1)

وهكذا تصور التوراة المحرفة إبراهيم على أنه يتاجر - كأي يهودي ضال نانه لا أخلاقي - بامراته ؛ ينقل بها من بلد إلى آخر كاذبا مخفيا الحقائق هادفا جمع المال والهدايا والعطايا ، مستخفا بالشكر من سنيها بالعرض والطهر في سبيل أن تسلم له حياته وأن يحصل على ما ينتغيه من المال .

وأما القرآن الكريم فإنه يصف إبراهيم بأنه بلغ مرتبة المثالية في الصدق ، فلم يكن صادقا وحسب بل كان صديقا : " والذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا " (2) . فصورة إبراهيم في القرآن الكريم شبه صدق وطهر وذلك خلافا للتوراة ، التي رسمته بافتراءات كثيرة لا تتوافق مع خصائص النبوة ، وعن قصة رحيل إبراهيم (عليه السلام) إلى مصر يقول عبد الوهاب النجار : " وقصة ارتحال إبراهيم إلى أحرها لم تذكر في القرآن وإنما ذكرت في التوراة ، وقد أعادوا لنا بها القصة ، التي وقعت في مصر ، وأنا أستبعد حصولها ، لأن سارة أيام كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة ، وليس من استساع أن يطعم ملك مترف في بنت سبعين أو تسعين " (3) .

وكذلك من عبدة اليهود في الأنبياء ما جاء عن داود (عليه السلام) من السر الثاني لصموئيل ، الذي كلفه خنا ، وزنا ، وفحش و إثم ، وتحايل للتخلص من آثار جريمة خلقية واعتداء على حرمان الآخرين . تقول التوراة في هذا : " إن داود كان يمشي على سطح قصره فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جدا فأرسل داود وسأل عن المرأة .. فقال واحد : امرأة أوريسا ، فأرسل داود رسلا ، وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئها ثم رجعت إلى بيتها وحملت المرأة من داود ، فكتب داود مكتوبا يقول فيه : اجعلوا أوربا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من وراءه فيضرب فيموت " (4) .

(1) التكوين : إص 2 .

(2) إبراهيم : 41 .

(3) عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، ص 99 .

(4) صوفيا الثاني : ص 11 .

ويضيف السفر قانر . . . في الصباح عندما علم داود أن حيلته أخفقت أمر الجندي أن يعود سريعا إلى نجيبة حاملا رسالة إلى القائد " يوأب " أخبره فيها أن يضع الجندي أوربا في الخطوط الأمامية في أخطر منطقة حربية ، ليقتل ، ولما قتل ضتم داود تلك الزوجة إلى نسائه بعد أن زنى بها ، وبعد أن عمل على التخلص من زوجها، ويختتم الإصحاح الحادي عشر من هذا السفر تلك القصة بآية : " فلما سمعت امرأة أوربا أن أوربا قد مات نذبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا ، وأما الأمر الذي فعله داود ففجح في عيني الرب " (1) .

هذا بعض ما نسبته اليهود كذبا وافتراء إلى نبي الله داود (عليه السلام) ، أما القرآن الكريم فإنه ينسب إلى داود كل فضل ونبل وطهارة واستقامة ، فهو نبي مختار ، أتاه الله فضلا وعلما وملكا وحكمة ، قال الله تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا لِيَجِبَالَ أَهْلَ مَعْمَرَ وَالطَّيْرَ بِأَنَّ لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ يُعْمَلَ سَلْتِينَ وَيَلْمِزُ فِي الشُّرُكِ " (2) وقال تعالى : " وَالذِّكْرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ " (3) إنما أوأب إنا سخرنا الجبال معه يسخر بالعشي والإشراق " (3) وتعبير القرآن الكريم في وصفه لداود يعيدنا دليل على تكريمه ، يضاف إلى ذلك التكريم ، تكريم آخر وهو أن الله جعل الطير و الجبال تسبح معه بالعشي والإشراق ، و على هذا يمكن أن أقول : إن معنى قوله تعالى : " ذَا الْأَيْدِ " أي : ذا القوة الإيمانية التي من علاماتها الاستغفار والتسبيح والتي تدفعه إلى عبادة الله وحده والرجوع إليه ، وتحججه في الوقت نفسه عن ارتكاب ما يخل بالمروءة، وما يتنافى مع العصمة .

ويعني السفر الثاني من سفر صموئيل فيقص أن الله أرسل إلى داود " ناثان " وقص عليه قصة رجلين أحدهما موسر غني يملك قطيعا من الأبقار ، والنعاج ، والآخر يملك نعجة واحدة ، وفي يوم هبط على هذا الشخص الغني ضيف فلم يكن من الغني إلا أن عمد إلى نعجة الفقير فاغتصبها وذبحها للضيف ولما طلب ناثان من داود الحكم على هذا الغني وفعلته قال داود : إن هذا الرجل معتد يستحق الموت ، فقال له ناثان : إنك أنت الرجل المعتدي ولم يسع داود إلا أن يعترف ويشوب إلى رشده ويؤوب إلى ربه طالبا مغفرته ، يقول الإصحاح الثاني عشر من هذا السفر " فقال ناثان لداود أنت هذا الرجل .

(1) صموئيل الثاني : إص 11 ، 12 .

(2) سبأ : 10 ، 11 .

(3) إص : 17 ، 18 .

هكذا قال الربّ إله إسرائيل أنا منحتك ملكا على إسرائيل وأنقذتك من يد شازول ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك ، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا ، و إن كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا ؛ لما احتقرت كلام الربّ لتزيد الشرقي عينيه ، قد قتلت أوربا الحيثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة ، والأز لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ؛ لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوربا الحيثي لتكون لك امرأة ، هكذا قال الربّ : ها أنا ذا أقيم عليك الشرّ من بيتك ، وأخذ نساءك أمام عينيك ، وأعطيتهن لقريبك فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس ، فقال داود لناثان : قد أخطأت إلى الربّ " (1) . هذه هي حكاية التوراة عن داود (عليه السلام) .

أما القرآن الكريم فيقول عن هذه القصة : " وَهَلْ أَتَاكَ نُبَأَ الْحَصْبِ إِذْ تُسَوِّرُوا الصَّوَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيَّ دَاوُدَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُؤْتِيَنَّكَ مِنْهُنَّ قُلُوبًا لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ لَافْتَضَلْتَهُمْ فَبِئْسَ فَاكِهِمُ يَنْتَابُ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْطِظُوا أَهْدِيْنَا إِلَى سُبُوحِ رَبِّكَ بِرَبِّكَ إِنَّ هَذَا أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ فَاصْبِرْ عَلَىٰ بَعْضِ مَا كَفَرَ يَتَّبِعُونَ بِحُجَّتِهِمْ أَجِدُهُمْ قَالُوا أَكَلْنَا مِنْ ثَمَرِهِمْ أَمْ عَلَّمْنَا الْغُلَامَ يَتَّبِعُهُمْ الْكَلْبُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَاتٍ مِنْ حُجَّتِهِمْ لَا يُعْقِلُونَ فَاذْهَبْ إِلَى الْغُلَامِ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْخَالِطِينَ فَاصْبِرْ عَلَىٰ بَعْضِ مَا كَفَرَ إِنَّ الدِّينَ لَمَنْ أَمَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ، يُؤْتِيهِمْ مَا يَشَاءُونَ وَأَمَّا فَتْنَةُ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُوَ أَنَّكَ إِذَا مَدَدْتَ الذُّرِّيَّةَ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا فَانصَبْ عَلَيْهِمْ ذَنْبًا سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ فَاذْهَبْ إِلَى الْغُلَامِ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْخَالِطِينَ فَاصْبِرْ عَلَىٰ بَعْضِ مَا كَفَرَ إِنَّ الدِّينَ لَمَنْ أَمَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ، يُؤْتِيهِمْ مَا يَشَاءُونَ وَأَمَّا فَتْنَةُ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُوَ أَنَّكَ إِذَا مَدَدْتَ الذُّرِّيَّةَ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا فَانصَبْ عَلَيْهِمْ ذَنْبًا سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ " (2) .

قال البيضاوي في تفسيره : " وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه (عليه السلام) ، ود أن يكون له ما لغيره ، وكان له أمثله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأتاب إليه " (3) . وإني لأميل إلى هذا التفسير ، لأنه لا يتناقى مع العصمة ، وإن كان جمهور المفسرين لم يستقروا على رأي في تحقيق الذنب الذي ارتكبه داود حتى رجع واستغفر ، ولهم في هذا المجال كلام كثير وللإسرائيليات مجال أكثر ، وقد ساق الألويسي في تفسيره كثيرا من هذه الأقوال وعلق عليها بقوله : " وللقصاص كلام مشهور لا يكاد يصح لنا فيه من مزيد الإخلال بمنصبه (عليه السلام) على أنه مهما قيل في هذه المسألة فإننا يجب أن نقول : " إن المقبول من هذه الآراء ما بعد عن الإخلال بمنصب النبوة إذ الأنبياء معصومون من الخطايا ، ولا يمكن وقوعهم في شيء منها .

(1) صموئيل الثاني : إص 12 .

(2) ص 21 - 23 ، 24 .

(3) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل ، ج 23 ، ص 1 ، 6 .

مروزة أنا لو جورنا عليهم شيئا من ذلك لبطلت الشرائع ولم يوثق بشيء مما يذكرون أنه وحي من
تعالى (1) .

وخلاصة القول أن التّوراة أوردت الكثير من الشبهات حول نبوة داود (عليه السّلام) ، وقد
جزأها في ذلك بعض المفسرين بسبب الاعتماد على الإسرائيليات ، التي أوردت قصصا لا يجوز
عنادها لأنها تتناقى وعصمة الأنبياء .

وما ورد عن لوط (عليه السّلام) في التّوراة ما يرويه الإصحاح التاسع عشر منه : " وصعد لوط
من صوغر " وسكن في الجبل وابنتاه معه ؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو
ابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل
أرض ، هلم نسقي أبنانا خمرا ونضطجع معه ، فنحیی من أبنانا نسلا .. فسقتا أباهما خمرا في تلك
ليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر
ذات الصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة
اضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحملت ابنتا لوط من أبيهما " (2) وهكذا يتهم نبي الله
بظبالزنا وشرب الخمر - وحاشاه وهما من الكبائر .

كما اتهمت التّوراة نبي الله سليمان فرمته بالكفر ، فهو كما جاء في أحد الأسفار : " لم يكن قلبه
دما مع الرب كقلب داود أبيه ... فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي
تراءى له مرتين و أوصاه ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصاه به الرب " (3) .

ولا شك أن هذه الدعوى التي أوردتها التّوراة دعوى كاذبة يراد بها التهم على أنبياء الله تعالى .
ومن أباطيل اليهود ما جاء في توراتهم في شأن سليمان (عليه السّلام) : " وأحب الملك سليمان نساء
غريبة كثيرة ... فالتصق بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري
... وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساء أملا قلبه وراء آلهة أخرى " (4) .

(1) المعهود بن الشريف : الأكيان في القرآن ، ص 115 .

(2) الملوك الأول : ص 11 .

(3) المعصر للسنة .

(4) المعصر للسنة .

يرتبط هذا الكلام أن التوراة ترمي نبي الله سليمان بالشرك ، وهو الأمر الذي فتنه القرآن الكريم الذي
عن سليمان بالثبوت وتوحيد الله سبحانه وتعالى .

وما جاء عن نوح (عليه السلام) - في التوراة - المغتراة - من قبيل ما ذكر عن الأنبياء الآخرين
بأنك أي العلماء المحققون قبول هذه الافتراءات وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، وصدق الله حين قال
بوصف أخلاقيات اليهود : " فِيمَا نَقُصُّ بِكُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا فَتَنُوكُمُ
بِهَا وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرُوا لَكُمْ دَلِيلًا فَلَا تَحْسَبُوهَا خَبَرًا " (1) . بوجود هذه الافتراءات يقضى بتحريف النصوص الإلهية للتوراة كما أخبر
نوار الكريم ، فإنه من غير المقبول أو المعقول أن يرد هذا الافتراء على أنبياء الله في كتاب الإلهي
والتساق رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق " هذه الحقيقة ، إذ يقول : " إن التوراة
المشيرة ليست التوراة ، التي صنفها موسى ، ولا التي كتبها عزرا ، بل الحق أنها مجموع
من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود التي جمعها أخبارهم في هذا المجموع بلا " تنقيد
الروايات " (2)

ثم ساق رحمة الله الهندي من الأدلة على تحريف التوراة وقدم الكثير من الشواهد ، التي تدل على
التبديل والتغيير في النصوص الأصلية للتوراة ، واستنكر ما وقع في الباب التاسع عشر من سفر
التكوين من أن لوطا (عليه السلام) زنى بابنتيه ، وحملتا من أبيهما وتولد له منهما ابنان ، كما وقع
في الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول (3) من أن داود (عليه السلام) زنى بامرأة أوريبا
الحيثي ، وحملت منه فتقتل زوجها بالحيلة وتصرّف فيها ، وما وقع في الباب الحادي عشر من سفر
الملوك ، من أن سليمان (عليه السلام) ارتد في آخر عمره بترغيب أزواجه ، وعبد الأصنام وبنى لها
المعبد وسقط من نظر الله .

(1) المائدة : 13 .

(2) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق ، ص 35 .

(3) لم يشر الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الأول إلى هذه الحادثة ، ولعل هذا خطأ مطبعيا ، وفي كتاب (إظهار الحق)
لرحمة الله الهندي أن الذي أفسار إليها هو السفر الثاني (صموئيل) الإصحاح الحادي عشر كما تقدم .

وعندما سجل رحمة الله الهندي شواهد عديدة للتحريف في التوراة بالزيادة والنقصان دعم شواهده كثير من نصوص التوراة ، من هذا ما ساقه عندما قال من سفر الخليفة : وهؤلاء هم الملوك الذين مكروا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني إسرائيل ملك في أدوم بالغ بن بعور، وكان اسم مدينته نهابة ومات بالغ فملك مكانه يوباب ومات يوباب فملك مكانه حوشاكم ومات حوشاكم فملك مكانه هداد ومات هداد فملك مكانه شملة ، ومات شملة فملك مكانه شاوول ومات شاوول فملك مكانه بعل (1) .

ويعلق رحمة الله الهندي على ذلك فيقول : " ولا يمكن أن تكون هذه " الآية " من كلام موسى (عليه السلام) لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل وأول ملوكهم شاوول وكان بعد موسى (عليه السلام) بثلاثمائة وست وخمسين سنة قال آدم كلارك في تفسيره ذيل هذه الآية: " غالب ظني أن موسى (عليه السلام) ما كتب هذه الآية والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين ، بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول ، من كتاب أخبار الأيام ، وأظن ظنا قويا قريبا من التيقن أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن القائل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه ، فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسعة ، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف ، لأن هذه الآيات التسعة ، مع عدم كونها من التوراة دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ (2) ويضيف رحمة الله الهندي : (بعض الجمل ، التي توجد في كتاب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه ، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاوره كلام موسى (عليه السلام) ولا نتدر أن نقول جزما أن أي شخص الحق هذه الجمل والعبارات ولكن نقول بالظن الغالب أن " عزرا " النبي يبنى عنه الباب التاسع والعاشر من كتابه ، والباب الثامن من كتاب " نحميا " فهؤلاء العلماء جزموا أن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى (عليه السلام) لكنهم ما قدروا أن يبينوا اسم الملحق على سبيل اليقين ، و التعيين ، بل نسبوا على سبيل الظن إلى عزرا (عليه السلام) وهذا الظن ليس بشيء ولا يظن من الأبواب المنكورة أن عزرا الحق شينا من التوراة لأنه يفهم من كتاب عزرا أنه تأسف على أفعال بني إسرائيل واعترف بالتنبؤ التي ارتكبوها .

(1) رحمة الله الهندي، إلهام الحق ، ص 139 .

(2) المصدر نفسه

ويُفهم من كتاب نحسب أن عزرا قرأ التوراة عليهم (1) ويقول عبد الواحد واني عند حديثه عن التوراة أو أسفار موسى (عليه السلام) : " ظهر للمحدثين من الباحثين ملاحظة اللغات ، والأساليب ، التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع والبيئات الإجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى (عليه السلام) بأمدة غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشو أو الثالث عشر قبل الميلاد) ، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد أُلّفَا حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد أُلّفَا في آخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفري العدد واللايين قد أُلّفَا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، أي بعد النفي البابلي (وهو إجلاء بني إسرائيل من فلسطين إلى بابل سنة 587 قبل الميلاد) وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود وتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة ، التي كانت سائدة اديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل ، فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة ، التي يذكر القرآن الكريم أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله تعالى على موسى (عليه السلام) وإلى هذا يشير القرآن إذ يقول " فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كُفِرُوا بِالْأَيْدِيهِمْ فَهُمْ يَقُولُونَ " هذا من عندنا لئلا نقول لكم بما كتبنا بأيديهم وما كُتِبَ بِالْأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ " هذا من عندنا لئلا نقول لكم بما كتبنا بأيديهم وما كُتِبَ بِالْأَيْدِيهِمْ " (2) ويقول أيضا : " مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَفِينَ الْكَلِمَةَ عَنْ مَوَاضِعِهَا " (3) . ويقول عن اليهود : " فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهَا " (4) .

وتروي كتب السيرة العطرة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) رأى ورقة من التوراة في يد عمر نأمره بإلقائها وألا يضيّع وقتَه في قراءة ما بها من كذب وتحريف ثم قال : " ألم أتكم بها بوضاء نقيسة والله لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا إتباعي " (5) ، أي أن هذه التوراة المزعومة مملوءة بالتحريف والتغيير وقد أنزل الله تعالى على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في القرآن الكريم ملخصاً لما كانت تشمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص فأحيهاها في صورتها الصحيحة نقيّة بوضاء وأن موسى (عليه السلام) لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع قرآن محمد (صلى الله عليه وسلم) (6) .

(1) رحمه الله الهندي ، المصدر السابق ، ص 14

(2) البقرة : 79 .

(3) النساء : 46 .

(4) المائدة : 13 .

(5) إرواه البخاري ومسلم

(6) محمود من الشريف ، الأديان في القرآن ، ص 12 .

وهذا ما يوحى أن دين الله واحد ، كما قال الله تعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا فِي بَدْعٍ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ " (1) ، فلقد كانت الشرائع السماوية مكمّلة لبعضها البعض وكان
الإسلام خاتم هذه الشرائع و المهيم عليها ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن أهل الكتاب الذين عرفوا
الحق من رسالات السماء يوقنون أن رسولاً سيكون في الناس يعيدهم إلى نقاء العقيدة الإلهية ، وقد قال
الله تعالى عنهم : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي النُّورِ يُتْرَكُوا وَالَّذِينَ
يَلْمِزُهُمُ بِالْمَعْرِيفِ وَأَتَّبِعُهُمُ الْغَيْبُ " (2) .

(1) آل عمران : 19

(2) الأعراف : 157

اختلاف وظيفة النبي في التوراة والإنجيل والقرآن :

لقد ذكرت أن وظيفة الكاهن كما دلّت عاينها نصوص التوراة لا تختلف كثيرا عن وظيفة النبي ، ويوضح هذا من تعريف الكاهن والنبي ، فكلمة () (كوهين) في العبرية تعني الشخص الذي يؤدي خدمة دينية في الديانة اليهودية ، وفي المصطلح اللغوي الدقيق في الشريعة اليهودية سُمّيت الكلمة للشخص الذي يقرب للحضرة السماوية (1) ، بينما يبقى الآخرون بعيدا ، وعادة ينسب هؤلاء المقربون إلى نسل هارون ، وأحيانا كثيرة يكون الكاهن الشخص الوحيد في إسرائيل الذي من حقه أن يمثل أو يقف أمام الرب .

وفي العهد القديم جاءت الكلمة في صيغة الجمع () (2) لتدلّ على أنبياء الرثيئة، بمعنى الكهانة في الكتاب المقدس أنها وظيفة روحية دينية تعليمية للتقرب من الرب والقيام بأداء أعمال التقرب بالقرايين ، ويدلّ على ذلك اشتقاقات الكلمة كما وردت في العهد القديم (3) على لسان الرب : "وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهنّ لي ، وكذلك نفس المعنى في مخاطبة الرب لموسى (4) : "وتلبس هارون أخاك إياها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقدسهم ليكهنّوا لي " .

فالكهانة في إسرائيل كما يفهم من هذين النصين من التوراة تعني التنبأ وادعاء معرفة الغيب والتكهن بما سيحدث وهو أقرب إلى النبوة ، وفي هذا يقول المسعودي (5) : "تنازع الناس في معناها فمنهم من قال إنها صفاء النفس وإطلاعها على أسرار الطبيعة ، ومنهم من أرجعها إلى الاتصال بالأرواح المنفردة - وهي الجن - نخبرهم بالأشياء قبل كونها .

(1) الخروج 19 ، 22 .

(2) الملوك الثاني 23 ، 5 .

وهو شع 10 ، 5 وقد ترجمت في الأولى بمعنى كهنة الأصنام .

(3) الخروج 40 : 13 .

(4) الخروج 40 : 13 .

(5) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1 ، ص 82 .

منهم من ذهب إلى أن النكحَن سبب نَفْسَانِي يُولَدُ من صفاء مزاج الطَّبَاح وقوة النَّفْس ولطافة الحس ،
منهم من قال إن الكهانة تكون من قِبَل شيطان يكون مع الكاهن يخبره به اغاب عنه ؛ لأن الشَّوَابطين
كنت تَسْرِقُ السمع و تَأْقِيهِ على ألسنة الكهان ، ومنهم من ربط الكهانة بالوحي الفلكي .

أما ابن خلدون (1) فإنه يصف الكهانة بأنها من خواص النَّفْس الإنسانية و أنها انسلاخ من البشرية
إلى الملكية بالفطرة ، ثم يقول : " و لا يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المعقولات ؛ لأن وحيه من
حي الشَّيْطَان ، و أرفع أحوال هذا الصَّنَف أن يستعين بالكلام الذي فيه السَّجَع و الموازنة ليشغل به عن
شواغل " .

و لتتضح الصِّلة أكثر بين الكاهن و النَّبِي في التَّوراة يجدر بسى أن أعرِّج على عمل الكهنة
و تخصصاتهم في المجتمع اليهودي ، فأساس العمل المنوط بالكاهن هو القيام بمتطلبات العبادة مع نظام
نتائج ، و عدا ذلك فإنه كان يخدم في الاحتفالات و التطهير ، و يعنى بالأنية المقدسة و المنارة الذهبية
و الأثاث المقدس و إطلاق الصوت في الأيقاق المقدسة و حمل تابوت العهد (2) .

و قد اتضحت واجبات الكاهن منذ تلقى موسى من الرَّبِّ تعاليم الديانة و الوصايا التي يخص بها
هارون و نسله بالذات ، كما كثرت في سفر اللاويين و صايا الرَّبِّ إلى موسى بصيغة معينة ، أكثرها
وجه إلى هارون و قومه (3) : " و كلم الرَّبِّ موسى قائلاً : كلم هارون و بنيه الكهنة ... " (4) .

يقول محمود أحمد المراغي : " وفي هذه الوصايا الموجهة إلى هارون و بنيه الكهنة وضحت
أركان التَّعبَد التي يناط بالكهنة أمر القيام بها و أمر تعليمها و توضيحها للشَّعب - أي الشعب اليهودي - .

(1) ابن خلدون ، مقدمة ، ص 100 .

(2) تولد عقاد ، قاموس الكتاب المقدس ، (بدون معلومات نشر) ، ص 791 .

(3) اللاويين 6 : 8 ، 24 ، 11 : 1 ، 13 : 1 ، 14 ، 33 ، 15 : 1 .

(4) اللاويين 1 : 17 .

في جنب بيان المحظور والمحرم في الطعام من حيوان البر والبحر ، والطيور ، والديسب والمعتل
 مختر من المشروبات ومن النساء وبيان نجاسات الرجال (1) والنساء (2) وطرق التطهير من هذه
 نجاسات ، كذلك الأعياد والمواسم (3) والزرع والحصاد ، إلى جانب هذا يظهر دور الكهنة الرئيسي
 في تهيئة تنفيذ شرائع القرايين والذبايح المختلفة ، والكفارات بأنواعها ، وأن هذه الأعمال لا يقوم بها
 الكهنة من أبناء هارون لتقديم قربان التقدمة (4) وكفارة خطية الكاهن الممسوح (5) ثم بيان شرائع
 في محروقات (6) والتقدمات (7) ودور الكاهن فيها كما كان الكاهن الأعظم يتزعم مواسم الحج إلى
 ذكر العبادة حيث تتم الشعائر بضجيجها وعذيجها - (8) .

وإلى أن هذا العمل العبادي الذي يقوم به الكاهن ، لا يختلف عن عمل النبي في شيء ، وهو مما
 ين إلى اختلاط النبوة بالكهانة عند بني إسرائيل .

وكان من عمل الكاهن كذلك أن يقوم بدور المعلم والقاضي (9) بين الناس في خصوما تهم ومسا
 بعد بينهم من مشكلات في تعاملهم فيما بينهم ، جاء في سفر التثنية : " فإذا عسر عليك أمر في القضاء
 من تورم ، أو بين دعوى و دعوى ، أو بين ضريبة وضريبة من أمور الخصومات في أبوابك ، فقم
 ، صعد إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك و اذهب إلى الكهنة اللاويين ، و إلى القاضي (10) ، الذي
 يبن في تلك الأيام و اسأل فيخبروك بأمر القضاء " (11) .

(1) لتكوين : 13 ، 14 ، 15 .

(2) لتكوين 12 : 1 ، 8 .

(3) لتكوين 13 : 23 كله عدد 35 : 2 حزقيال 44 : 24 .

(4) لتكوين 2 : 1 ، 6 ، 14 .

(5) لتكوين 4 : 3 ، 11 .

(6) لتكوين 6 : 8 .

(7) لتكوين 6 : 14 .

(8) مزمود أحمد الموعى ، إشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم ، ص 81 ، 82 .

(9) حزقيال 44 : 24 .

(10) المنصود به الحاكم المرعي ، إشعيا ، مرجع سابق ، ص 82 .

(11) تثنية 17 : 8 ، 9 .

هزقيال 44 : 23 ، 24 .

ولا يقوم بسلطة القضاء بين الناس في الخصومات إلا من كان في مرتبة النبي ، كما دلت على ذلك كثير من النصوص في سفر اللاويين ، و إلا كيف يفسر قيام الكهنة بهذا العمل التشريعي دون الأئبياء؟ ويؤكد هذا أكثر مما جاء في سفر التثنية : " ومن لم يمتثل لأمر الكهنة وسلطانهم أو ينصرف عن تعليمهم فإنه يكون قد طغى ويصبح جزاؤه القتل " (1) .

والكاهن - حسب ما جاء في سفر التثنية - تكون سلطته ، أعلى من سلطة النبي - إذ لا تقف عند المواطن اليهودي العادي، بل تمتد إلى أولي الأمر من الملوك والقواد ، فكان لا بد للملك من أن يسعه الكاهن عند تنويجه حتى يستمد القوة السماوية في حكمه ، وحدث ذلك منه بداية النظام الملكي حين مسح صموئيل كلاً من " شاؤول " (2) و " داود " (3) ملكين على إسرائيل ، كذلك سليمان حين مسحه صادق الكاهن (4) .

ويرى محمود أحمد المراغي (5) أن سلطة الكاهن لا تنتهي عند مسح الملك بالزيت المقدس عند تنويجه بل تمتد سلطته على الملك طوال أيام حكمه ، فإن الملك عليه عند ما يجلس على كرسي مملكته، فتكون معه ويقرا فيها كل أيام حياته لكي يتعلم أن يتقوى الرب إلهه ... ولنلا يحيد عن الوصية بهذا أو شمالا لكي يطيل الأيام على مملكته هو وبنوه في وسط إسرائيل (6) .

وتضح صلة الذبوة بالكهانة عند بني إسرائيل - في مقابل الأعمال التي يقوم بها الكاهن والنبي على حد سواء ، وما يضطلعون به من مسؤوليات دينية - أن تخصص لهم مخصصات ما ينذر للمعابد من ذبائح وتذور ، ولكون الكهنة لا نصيب لهم مما لبني إسرائيل من ملك فالرب هو نصيبهم ، لذلك فإن من حقهم أن تكون لهم وقائد الرب ونصيبه (7) ، مما فرضه على الشعب من قرايين يحصل الكاهن

(1) التثنية 17 : 11 ، 12 .

(2) صموئيل 9 : 16 ، 10 : 1 ، 15 : 1 .

(3) صموئيل 16 : 13 .

(4) الملوك الأول 1 : 39 .

(5) محمود أحمد المراغي ، المرجع السابق ، ص 83 .

(6) التثنية 17 : 18 ، 20 .

(7) التثنية 18 : 1 ، 2 .

بها على أطيبها كل ذلك فريضة على الشعب يقدمها الكاهن ، لأن الرب اختار الكاهن من جميع
لباط إسرائيل ليخدم باسمه هو و بنوه كل الأيام ، ويؤخذ من هذا أن الكهانة عند بني إسرائيل ،
اختير رباني ، بدليل ما ورد في النص من أن الرب هو الذي اختار الكاهن ، ومسألة الاختيار الإلهي
إشاحة في أنها تدل على النبوة .

و من قبيل الموضوعية ، فإن بيان صلة الكهانة بالنبوة عند بني إسرائيل يحتم على معرفة وظيفته
التي كما وردت في بعض نصوص العهد القديم و أقوال النقاد ، و في بيان علاقة النبي بالكاهن يقول
محمود أحمد امراغي : « ارتبطت ديانة بني إسرائيل بالمعبد ارتباطا وثيقا منذ كانت ، فالمعبد هو القبلة
التي ينحى إليها الناس عند مزاوله أية شعيرة دينية صلاة كانت أو حجا أو أعيادا (1) أو قرايين أو
نباح ، وكان الأنبياء يقيمون حول المعابد وداخلها ، حيث يتلقون وحيهم في معظم الأحيان مثل
موسى (2) ويوشع بن نون (3) ، و صموئيل (4) وإشعيا حين يتحدث عن بداية اختيار الرب له نبيا ،
وخلية له في الهيكل (5) »

ولقد كانت الرؤى المنامية ، وهي أشهر نبوءات العهد القديم غالبا ما تلقى على الشعب في المعبد
ويجمع ويحضر لها الناس لسماع الرؤى النبوية (6) وإقامة الشعائر الدينية ، وقد يؤدي هذا إلى التباس
بين وظيفة كل من النبي والكاهن ، ومن التي تجمعها نقاط التقاء كثيرة ، وإن كان النبي يزيد عليه
باعتد ، هي من أخص أعمال النبوة .

(1) مثل معبد نابوت في الرامة وكذا مجمع الأنبياء على أيام صموئيل الأول .

انظر : صموئيل الأول 19 : 19 ، 20 .

(2) خروج 33 : 9 ، 11 .

(3) يوشع 5 : 11 ، 15 .

(4) صموئيل الأول 3 : 1 ، 14 .

(5) إشعيا 6 : 1 .

(6) إرميا 7 : 2 ، 19 - 26 : 2 ، 7 - 18 - 1 : 29 - 20 .

وتتمنص التي ذكرتها كافية وحدها لإثبات الصلة بين النبي والكاهن عند بني إسرائيل ، وإن الدارس
 ليعرض القرآن الكريم التي تحدثت عن الأنبياء يرى أن وظيفة النبي هي التبليغ أي تبليغ الأحكام ،
 ولا شيء غير ذلك ، مما شاع من وظيفة النبي في العهد القديم ، ولذلك رد القرآن الكريم على من
 وصفوا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالكهانة أو السحر ، ومن ذلك قوله تعالى : "لَا تَكْرِمَا أَنْتَ بِعِيتِ
 رِزَابِ كَاهِنٍ وَلَا سَاحِرٍ" (1) . وقوله تعالى : "وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا ذُكِّرْتُمْ" (2) .

جاء في تفسير قوله تعالى : "و لا يقول كاهن" قول القرطبي (3) : "لأنه ورد [أي في نبوة محمد
 (صلى الله عليه وسلم)] سب الشياطين و شتمهم فلا ينزلون شينا على من يسيهم ."
 ويفهم من قول القرطبي أن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، لا يمكن أن تكون من الكهانة في
 شيء ، ذلك لأنبياء لا تعتمد على الشياطين ولا تعتد بهم - كما هو الحال في كهانة بني إسرائيل - وإنما
 تأخذ أحكامها و وصاياها من الأمر الإلهي ، الذي لا يأتي به إلا الوحي .
 وقد اعتمد القرطبي ، في الفصل بين الكهانة ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ببيان بعض
 خصائص الكهانة ، والتي أشار إليها قوله تعالى ، فيما توالى من الآيات : " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ
 الْأَقْبَالِ أَكْرَمًا مِمَّا بِالْبَيْتِ ثُمَّ لَمَطْنَا مِنَّا الْوَالِدِينَ" (4) يقول القرطبي : " تقول أي تكلف وأتى بقول من
 قبل ناسه ."

ومعلوم كما يؤكد الدارسون تاريخ النبوة ، أن التكلف والتقول كان من صميم عمل الكهنة ، سواء
 في نبوات العهد القديم أو العهد الجديد أو غيرها من النبوات .

وبقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى : "وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا ذُكِّرْتُمْ" (5) " و هو تقرير أنه قول
 رسول كريم لا يعني أنه من إنشائه ، ولكن المراد هنا أنه قول من نوع آخر ، لا يقوله كاهن ، إنما يقوله
 رسول ، يرسل به من عند الله ، من حملة من هناك ، من ذلك المصدر الذي أرسله ، والذي يعين على
 هذا المعنى هو كلمة رسول ، أي مرسل به من عند ربه . وليس كاهنا يقوله من عند نفسه أو بمساعدة
 ربي أو شيطان ، إنما هو رسول يقول ما يحمله عن أرسله ، ويقرر هذا تقريرا حاسما ما جاء بعده و
 هو قوله تعالى : " تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" (6) .

(1) لطور : 29 .

(2) الحاقة : 42 .

(3) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 18 ، ص 125 .

(4) الحاقة : 42 .

(5) سيد قطب ، في ظلال القرآن ج 6 ، ص 3688 ، 3689 .

(6) القرطبي ، الجامع ، ج 18 ، ص 275 .

ويؤكد سيد قطب في هذا النص ، المصدر الإلهي لنبوّة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو ما يعدها عن كل نوع من أنواع الكهانة ، أولون من ألوانها .

ومن قبيل الكهانة السحر ، وهي الصفة التي نفاها القرآن الكريم عن نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقد ذكر التهانوي (1) خمساً من السحر ، تجعله يعيدا عن معنى النبوة ، حيث يقول : " السحر (بالكسر ويكون الحاء) المهملة هو فعل يخفى سببه ، ويوهم قلب الشيء عن حقيقته ، وسمي السحر سحرا ، لأنه صرف الشيء عن جيته ، فكان الساحر لما أرى الباطل حقا أي في صورة الحق ، وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه ، أي صرفه ، وهذه الصفة ثابتة في الكهانة ، ممتعة في النبوة .

ويعد استعراض هذه النصوص ، يبقى أن أقول إن وظيفة النبي - كما صرح بها القرآن الكريم - لا تريد على مهمة التبليغ ، وهو ما يشير إليه قوله تعالى : "فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين" (2) وقوله تعالى : "فإن تولوا فقد أبلغنكم ما أمرتكم به إليكم" (3) وقوله : "وما على الرسول إلا البلاغ المبين" (4) .
و منهم من قوله تعالى "فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين" (5) : أي ليس عليك إلا التبليغ ، وأما الهداية فهي إلى الله تعالى .

إن تكرار صفة البلاغ عند الحديث عن وظيفة الأنبياء (عليهم السلام) ، المراد منها تأكيد أن الوحي والنبوة لا دخل للنبي فيهما أي في صياغة أحكامهما ، وإنما هو يتلقاهما عن الله عز وجل ، الذي هو مصدر هذه الأحكام كلها . وهذه الصفة ، التي تميز النبوة في القرآن ، لا يوجد ما يشابهها في التوراة والإنجيل ، ومن ثم أقول : إن هناك وجهاً قويا للاختلاف بين القرآن والتوراة والإنجيل بشأن النبوة من حيث وظائفها و حدودها ، وقد عرضت عن الحديث عن وظيفة النبي في الإنجيل ، لأنها لا تختلف عما ورد في التوراة ، وإن كانت تزيد عليها في بعض المسائل الفرعية ، التي فصلتها في ثنايا هذا البحث .

و خلاصة القول أن مسألة التشابه و الاختلاف بين التوراة و الإنجيل و القرآن فيما يتصل بالنبوة ، هي من المسائل التي يجب أن تراعى فيها خصوصيات كل دين و طبيعتها ، فتكون على سبيل المارنة المقاربة لا الحقيقة المطلقة .

(1) التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، فصل الرء المهملة ، ج 3 ، ص 153 .

(2) النحل : 82 .

(3) هود : 57 .

(4) النور : 54 .

(5) النحل : 82 .

جامعة أممير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عاشية

و الآن . وقد اكتملت حلقات هذا البحث ، أقول :

1- النبوة - كما جاء الحديث عنها منفصلا - في هذا البحث ، هي كلمة جامعة لمعنى الإخبار عن الله ، رغم مفهوم عام تكرر في التوراة و الإنجيل و القرآن على حدّ سواء ، وذلك من استقراء النصوص النبوية لكل دين من هذه الأديان ، وما اتبني على ذلك من استنباطات واستنتاجات تحسبّ كلّها في هذا مفهوم ، فليس هناك نفس النبي واحد ناقمه ، أو تتكرّره ، فإجماع علماء المقارنة بين الأديان قد انعقد على ذلك ، على اختلاف مشاربهم وتباين مذاهبهم ، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد الجازم الذي لا يساوره شك ، بل لا يخالفه ريب بأن النبوة من حيث هي عقيدة الإخبار عن الله في الأمور التشرّيعية و العقديّة ؛ حقيقة لا سدوحة من إثباتها و لا سناص من تأكدها .

2- إن هذا المعنى الجامع للنبوة ، وحصره في معنى الإخبار عن الله ، وكلّ ما يشتق منه قد أعانت عليه كثيرا معاجم اللغة ، التي لا تخرج عن هذا المعنى ، إلا ما كان تأكيدا له أو نفيًا لأضداده ، ولقد رأيت أن سادة أئمة في هذه المعاجم لا تخرج عن معنى الخبر و اشتقاقاته ، ومن ثمّ جاءت النبوة من حيث استعمالها اللغوية موافقة و مساوية لاعتبارها في قاموس الكتاب المقدس ، فلقد جاء فيه أن النبي هو الخبر عن الله ، وبناء على ذلك ، فإن الاكتفاء بالمعنى اللغوي للنبوة ، لا يفيد شيئا في تحديد مفهومها ودلالاتها في التوراة و الإنجيل و القرآن ، فمعاجم اللغة عاجزة - لا محالة - عن إدراك كل هذا ، و التحويل عليها لا يخرج بالبحث من ضيق المذهب اللغوي للنبوة إلى سعة المفهوم الاصطلاحي ، وهي عقيدة وفت عليها عند الله دراز في كتابه "الدين" ، و هو بحوث ممهّدة لدراسة الأديان ، ودليله في ذلك أن مسائل الدين لا يكتفى في تحديد مفهومها على اللغة وحدها ، فهمة اللغة - ممكلا يختلف فيه اثنان - هو التحديد اللغوي للكلمة دون التحديد الموضوعي ، ولا يتحدّد اللفظ الشرعي إلا يتحدّد موضوعه ، وهي صناعة لا يحسنها اللغويون ، و لا تنبغي لهم ، ولا يستطيعون ، بل هي متروكة لأهل الاصطلاح نون غيرهم .

في التوراة والقرآن ، فهنا وحده تميز الأنبياء ، فالنبوة من حيث هي الخبر الإلهي أو رسالة السماء إلى الأرض كما يقولون ، من الباحثين المسيحيين ، أو هي عهد الرب إلى شعبه كما يقول بنو إسرائيل ، فهذه النبوة - بيده الأرضيات و الشعوب - ليست واحدة يققن في التوراة و الإنجيل و القرآن ، فلقد ارتبطت النبوة في التوراة بالكهانة و الروى المنامية ، وفي الإنجيل بنبوات المسيح (عليه السلام) ، و خوارقه التي جعلها المسيحيون دليلا واحدا و وحيدا على نبوته .

أما النبوة في القرآن الكريم فقد تجاوزت حدود الرويا و الخوارق - و إن كان لنبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) حظ أوفر منها - فجاءت النبوة مبرأة من طقوس الكهانة ؛ لتكون شرعة للحياة و منهاجاً للعلم ، تتحدد معها بدفء علاقة الخالق بالمخلوق ، و السعيود بالعايد ، فهي في الجملة نبوة تهدف إلى تحقيق غرض الاستخلاف في الأرض ، و من ثم فالنبوة في الوضع القرآني لا تخرج عن نطاق العبادة ، وهو ما يجعلها أوسع منهما ، و أرحب أفقا من نبوة التوراة و الإنجيل .

4- إن نبوة التوراة و الإنجيل نقت عن الأنبياء (عليهم السلام) العصمة ، وهي كما بينت - على أرجح الأحوال عند العلماء - لا تتحقق النبوة إلا بتحقتها ، ففني العصمة - إذا اعتمدنا على قول المناطقة - نفي للنبوة ، من باب نفي الشيء بنفي أجزاءه و بواضعه .

ولقد اتضح من الدراسة الموازنة بين التوراة و الإنجيل و القرآن ، أن التوراة أنكرت عصمة الأنبياء جملة و تفصيلا ، في حين أثبتها الإنجيل للسيد المسيح (عليه السلام) وحده انطلاقا من الاعتقاد المسيحي السائد و الذي يربط بين العصمة و فكرة الخلاص ، فالخلاص عندهم لا يتهيأ له ، و لا يتأمله إلا من كان مبرأ من الذنوب ، ليخلص المذنبين من إثم الخطيئة الأولى ، خطيئة أبيهم آدم كما يزعم المسيحيون ، و هي كما أوضحت النهار بعينه و محض الافتراء .

و يبقى القرآن الكريم و حده ، هو الذي حفظ للأنبياء (عليهم السلام) عصمتهم ، ولم يميز في ذلك بين أنبياء العهد القديم و الجديد و النبي الخاتم ، فسوى بينهم في هذه المسألة ، ولقد أوردت من الشواهد والنصوص ما يؤيد ذلك و يعضده .

٥- إن موضوع النبوة ، موضوع واسع والحديث عنه حديث ذو شجون ؛ ومن ثمّ فلا أزم أن هذا البحث ، قد أجاب عن كل تساؤل وبسط كلّ المسائل ، بل هو غيخ من فيض ، ولبنة في الدراسات المتصلة بتاريخ النبوة ، ومن ثمّ فإنني أرى أن تناولي للنبوة في التوراة والإنجيل والقرآن ، قد ترك مجالاً كثيرة وشواهد عديدة ، تحتاج إلى من يسيط اللثام عنها ، ويوضح ماخفي من جوانبها ، وما استل من سدلتها .

٦- إنني أفترح لإثراء هذا الموضوع بحثاً أوسع في عقيدة النبوة وتاريخها ، وإنّ هناك مصادر علمية في هذا المجال ، من شأنها أن ترضي الباحث وتشدّ أزره ، والتي لم يسعفني الحظ للإحاطة بها ، لسذوقية الموضوع ، وأذكر منها ، إظهار الحق للشيخ رحمه الله الهندي ، الذي أورد فيه كثيراً من المقابلات العنيفة بين التوراة والإنجيل والتران ، محكماً النصوص ومستتبها الأحكام ، ففي إظهار الحق لرحمة الله الهندي إظهار للحق والحقيقة التي توارت واحتجبت بسبب وقوع كثير من المفكرين السامعين تحت طائلة الاستلاب الفكري ، ومنها محاولة تقديم عقيدة النبوة ، في صورة كهنوتية خالية من كل سمّ إلهي ، وصبغة ربّانية .

والله أسأل السداد والرشاد

وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

التفكير في العاشية

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير

أولاد: فهرس الآيات القرآنية .

القادر للعلوم الإسلامية

رقم التمسك	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	التأهيري
01	- لا تتبعوا السبل فتفرق بكم...	153	الأنعام	8	3	64
02	- قل هذه سبيلي أدعوا...	108	يوسف	13	4	52
03	- الله ولي الذين آمنوا...	257	البقرة	3	4	14
04	- عد ولسأءلون...	1	الأنبا	30	5	2
05	- دعوت عليهم الأنبا...	66	القصص	20	6	63
06	- وأقبل رحمتهم على يعقوب...	27	السمات	23	6	31
07	- وأقبل بعضهم على بعض...	27	النور	27	6	18
08	- ولا أخذنا من النبيين...	7	الأزاب	21	8	79
09	- قالت من أنبأك هذا... العليم الخبير	3	التحريم	28	9	103
10	- وأبها النبيء أنا أرسلتك...	45	الأحزان	22	9	14
11	- نبيء سيادي...	49	الحجر	14	11	27
12	- وننعم عن ضيف إبراهيم...	51	الحجر	14	11	27
13	- أن يتبعون إلا الظن و ما تهوى الأنفس...	23	النجم	27	13	34
14	- كان الناس أمة واحدة...	213	البقرة	2	13	194
15	- ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم...	26	الحديد	27	16	137
16	- علم الغيب فلا يظنر على غيبه أحدا	26	الجن	29	17	70
17	- إلا من ارتضى من رسول فانه بسلك	27	الجن	29	17	76
18	- أيعلم أن قد أبلغوا رسلك ربهم...	28	الجن	29	17	26
19	- وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه...	7	القصص	20	22	20
20	- وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى	68	التحل	14	22	93
21	- وأبها الرسول بلغ ما نزل إليك...	67	المائدة	6	23	90
22	- أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون	69	المؤمنون	18	23	32
23	- وما كان ليشتر أن يكلمه الله إلا وحيا	51	الشورى	25	23	28
24	- إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح	163	النساء	6	24	20
25	- ورسلا قد قصصنهم عليك من قبل	164	النساء	6	24	20
26	- إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح	164	النساء	6	24م	20

رقم التمسلس	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	نظري
27	- قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاى نفسى ...	15	يونس	11	26	67
28	- وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجئبيتها...	203	الأعراف	9	26	109
29	- قل لأقول لكم عندى خزائى الله ...	50	الأنعام	7	26	162
30	- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ..	110	الكهف	16	25	31
31	- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ..	6	فصلت	2	26	60
32	- والنجم إذا هوى ...	1	النجم	27	26	24
33	- ماضل صحتكم وما غوى ...	2	النجم	27	26	24
34	- وما ينطق عن الهوى ...	3	النجم	27	26	24
35	- إن هو إلا وحى يوحى ...	4	النجم	27	26	24
36	- يا أيها الرسول بلغ ما أنزل ...	67	المائدة	6	31 م	198
37	- يا أيها النبىء لم تحرم ...	1	التحریم	28	31	100
38	- يا أيها النبىء إذا طلقتم النساء ...	1	الطلاق	28	31	83
39	- يا أيها النبىء جهد الكفار و المنافقين ...	73	التوبة	10	31	126
40	- والله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ...	63	النحل	14	34	87
41	- كان الناس أمة واحدة ...	213	البقرة	2	34	194
42	- هو الذى بعث فى الامم رسولا ...	2	الجمعة	28	36	61
43	- وما خلقت الجن و الانس ...	56	الذاريات	27	38	8
44	- إنا أنزلنا التوراة ...	44	المائدة	6	40	161
45	- قويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ...	79	البقرة	1	40	229
46	- مثل الذين حملوا التوراة ...	5	الجمعة	28	41 هـ	63
47	- قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا ...	136	البقرة	1	41 هـ	442
48	- وكيف يحكمونك و عندهم التوراة ...	43	المائدة	6	43	160
49	- فيما نقصهم ميتهم لعنهم ...	13	المائدة	6	43	99
50	- ولقد أرسلنا موسى ... إلى فرعون ...	46	الزحرف	25	49 هـ	47
51	- الذين يتبعون الرسول النبىء الامى ...	157	الأعراف	9	53 هـ	56
52	- ولما رجع موسى إلى قومه ...	150	الأعراف	9	53	44

رقم التسلسل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
53	- وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْآلِوَاحِ ...	145	الأعراف	9	54	37
54	- إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ ..	4	يوسف	12	57	92
55	- قَالَ يَلِينِي لِأَتَقَضِّصَ رَعِيَاكَ ...	5	يوسف	12	58	91
56	- وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ...	6	يوسف	12	59	92
57	- إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَتَّبِعُكَ ...	102	الصافات	23	61	43
58	- إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ...	4	يوسف	12	62 م	90
59	- فَأَذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ...	72	ص	14	62	22
60	- إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمْنٍ ...	43	يوسف	12	62	133
61	- فَلَا تَقَلْ لَهُمَا فُؤَادٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا ...	23	الإسراء	15	63 هـ	36
62	- أَلَمْ تَغْلِبِ الرُّومَ ...	2، 1	الروم	21	72	36
63	- وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ...	3	الروم	21	72	36
64	- فِي بضع سنين ...	4	الروم	21	72	36
65	- وَعد الله الَّذِينَ ءَاهَنُوا مِنْكُمْ ...	55	النور	18	72	121
66	- يَاخُذْ مَرُونَ مَا كَانَ أَبِيكَ ...	28	مريم	16	81 هـ	58
67	- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...	10	الحجرات	26	81 هـ	82
68	- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّءَ الْأَمْيِّ ...	157	الأعراف	9	85 م	56
69	- وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ...	12	التحريم	28	90	110
70	- إِنْ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ ...	59	آل عمران	3	90	80
71	- وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ ...	42	آل عمران	3	90 هـ	179
72	- إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ ...	45	آل عمران	3	91	185
73	- وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ...	46	آل عمران	3	91	187
74	- قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ...	47	آل عمران	3	91	188
75	- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ تظَلَمْتُمْ ...	54	البقرة	1	94	226
76	- وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ ...	45	المائدة	6	94	167
77	- فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ...	65	النساء	5	94	100
78	- وَوَقَّيْنَا عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ بَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ...	46	المائدة	6	95	171
79	- إِنْ لِلدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ...	19	آل عمران	3	96	141
80	- الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...	3	المائدة	4	96	219

رقم التسلسل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الدائري
81	- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ...	157	الأعراف	9	97 م	56
82	- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ...	158	الأعراف	9	97	59
83	- وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ...	3	النجم	27	97 م	24
84	- إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ...	4	النجم	27	97 م	24
85	- عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ...	5	النجم	27	97 م	24
86	- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ...	13	الحجرات	26	99	88
87	- قَالَ سَنَأْوِي إِلَىٰ جِبِلٍّ ...	3 4	هود	12	99 هـ	28
88	- قَالَ لَأَعْصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...	43	هود	12	99 هـ	28
89	- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ...	110	الكهف	16	99	31
	- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ...	6	فصلت	24	99	60
90	- وَإِنْ لَوْظًا لَمَنِ الْمُرْسَلِينَ ...	13	الصفافات	23	101	62
91	- قِيلَ يَنْوُحُ انْبِطْ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبِرَكَّتِ ...	48	هود	12	102	34
92	- وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ...	127	البقرة	1	104	428
93	- رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا ...	128	البقرة	1	104	428
94	- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي ...	102	الصفافات	23	104	43
95	- فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ الْجَبِينِ ...	103	الصفافات	23	104	50
96	- وَنَدِينَهُ أَنْ يَأْبُرَ إِهْيَمَ ...	104	الصفافات	23	104	50
97	- وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ أَعْدَائِهِمْ ...	148	الأعراف	9	106	43
98	- وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ...	149	الأعراف	9	106	43
99	- وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ ...	152	الأعراف	9	106	43
100	- قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ...	151	الأعراف	9	106	43
101	- إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ...	152	الأعراف	9	106	48
102	- نِعْمَ الْعَبْدَانِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ...	30	ص	23	107	98
103	- وَإِنْ لَهُ عَذَابًا لَازِلًا وَحَسْبُ ...	25	ص	23	107	97
	مَسَابٍ ...					
104	- وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ...	20	ص	23	107	86
105	- وَلَقَدْ رَاوَدتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ ...	32	يوسف	12	108	124
106	- إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ...	44	المائدة	6	111 م	161

رقم التماسيل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
107	- وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَنْزَلْنَا مِنْ سَمَانٍ ...	45	المائدة	6	111 م	176
108	- يَمْوَسِي إِلَهُهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ...	9	النمل	19	112	83
109	- وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ...	10	النمل	19	112	83
110	- إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بِسَاءٍ سَوَاءٌ ...	11	النحل	19	112	83
111	- وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءً ...	12	النحل	19	112	86
112	- وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ الْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ ...	30	البقرة	1	114	153
113	- وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...	31	البقرة	1	114	169
114	- قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ...	32	البقرة	1	114	174
115	- وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ...	35	البقرة	1	114	181
116	- فَازْلِمَا الشَّيْطَانَ عَنَّا ...	36	البقرة	1	114	186
117	- فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ...	37	البقرة	1	114	193
118	- قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ...	38	البقرة	1	114	195
119	- وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ ...	39	البقر	1	114	196
120	- قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ...	151	الأنعام	8	116	60
121	- وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ...	152	الأنعام	15	116	60
122	- وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ...	153	الأنعام	8	116	64
123	- ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ...	15	الأنعام	8	116	66
124	- فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ...	157	الأنعام	11	116	69
125	- فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ ...	52	آل عمران	3	124 هـ	197
126	- رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ...	53	آل عمران	3	124 هـ	201
127	- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ ...	72	المائدة	6	130	201
	المسيح ...					
128	- وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ...	116	المائدة	7	130	88
129	- مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ...	117	المائدة	7	130	90
130	- فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلْمٍ حَلِيمٍ ...	101	الصفافات	23	131	48
131	- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ ...	102	الصفافات	23	131 م	48
132	- فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ...	103	الصفافات	23	131 م	50
133	- رَبَّنَا دِينُنَا وَإِنَّ آبَاءَنَا وَإِنَّنا لَمِنَ الْغَالِقِينَ ...	104	الصفافات	23	131 م	50

رقم التسلسل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
134	-قَدْ صَدَقْتَ الرَّعِيَا إِنَّا كَذَلِكَ ...	105	الصفافات	23	131م	50
135	-وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مَكِينًا الصالحين...	112	الصفافات	23	131	57
136	-وَبَارِكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ...	113	الصفافات	23	131	57
137	-كَمْ مَثَلُ الْحَمَارِ يَحْمَلُ أَثْقَارًا ...	5	الجمعة	28	131هـ	63
138	-وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ...	157	النساء	6	132	9
139	- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ ...	101	الصفافات	23	132م	48
140	-وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَبِّي إِسْرَائِيلَ ...	6	الصف	28	138	57
141	-لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ...	17	المائدة	6	140	104
142	-لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ...	73	المائدة	6	140	202
143	-أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ...	74	المائدة	6	140	203
144	- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...	171	النساء	6	143	24
145	- يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ...	28	الأنبياء	17	146	12
146	- وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ...	29	الأنبياء	17	146	13
147	- كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ...	38	المدثر	29	147	103
148	- وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ...	39	النجم	27	147	44

رقم التماسك	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
149	و ما قلنهم و ما سلينهم و لكن شبههم ...	157	النساء	6	143	9
150	و قوم انحطوا الارض المقدسة التي كاتب الله لكم ...	21	المائدة	6	147	110
151	و قالوا ان نؤمن لك حتى تفجر النار من الارض ...	90	الإسراء	15	153	107
152	او تكون لك جنة من نخيل و عناب ...	91	//	15	153	107
153	- او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ...	92	//	15	//	108
154	- او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ...	93	//	15	//	109
155	- ان يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ...	108	يونس	11	162	122
156	فلو لا انه كان من المسيحين ... البث في بطنه ...	143	الاصافات	23	163	63
157	- فنذنه بالجراد و هو يقيم ...	145	//	23	//	64
158	و رسولا الي بني اسرائيل اني قد جئتكم بنياية ...	49	آل عمران	3	167	190
159	- فكيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ...	17	المزمل	29	169	86
160	- افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم ...	87	البقرة	1	177	319
161	- و قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله ...	88	//	1	177	321
162	- قال اني عبد الله اتلني الكتب ...	30	مريم	16	178	60

رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبرى	رقم التفسير	التفسير
31	//	16	178	60	163	و جعلني مبركا أين ما كنت و أوصيني بالصلوة ...
32	//	16	178	61	164	و إذا بوأنتني و لم يجعلني جبارا ... [162]
33	//	16	178	61	165	و السلام على يوم و ليلت و يوم أموت ...
34	//	16	178	62	166	- ذلك عيسى ابن مريم رسول الحق ...
35	//	16	178	63	167	- ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه
36	مريم	16	178	63	168	- و إن الله ربكم فاعبدوه ...
81	الإسراء	15	178	102	169	و قبل جاء الحق و زهد في الدين ...
157	النساء	6	191م	9	170	- و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ...
116	المائدة	7	194م	88	171	- و إذا قال الله يعيسى ابن مريم أنت قلت للناس ...
3	الإخلاص	30	195	35	172	- لم يلد و لم يولد ...
4	//	30	195	35	173	- و لم يكن له كفوا أحد ...
171	النساء	6	196	24	174	- إنما المسيح ابن مريم رسول الله ...
17	القيامة	29	199م	116	175	- إن علينا جمعه و قرأته ...
18	القيامة	29	199م	116	176	- فإذا قرأه فاتبع قرأته ...
204	الأعراف	9	199	110	177	- و إذا قرئ القرآن فاستمعوا له و أنصتوا ...

رقم التماسك	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
178	إِنْ كُنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ...	9	الإسراء	15	199	36
179	إِنْ نَشَاءُ نُجَمِّعُكُمْ...	17	القيامة	29	201م	116
180	إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ...	18	//	29	201م	116
181	قُلْ أَوْ كَانَ الْبَشَرُ...	109	الكهف	16	202	31
182	- وَ لَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ...	27	لقمان	21	202	51
183	- قُلْ إِنِّي شِئْنٌ كَبِيرٌ شَهِدَهُ كُلُّ اللَّهِ شَهِيدٌ...	19	الأنعام	7	203	103
184	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مِبَشِّرِينَ وَنَذِيرِينَ...	48	الأنعام	7	204	126
185	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...	49	الأنعام	7	204	126
186	- قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ...	50	الأنعام	7	204م	126
187	- الْمُرْكُوتِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...	1	إبراهيم	13	204	120
188	- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...	110	الكهف	16	204	31
189	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...	110	الكهف	16	204	31
190	- وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...	52	الشورى	25	206	28
191	- شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا...	13	الشورى	25	208	10
192	- مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...	3	آل عمران	3	208	110
193	- وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا لِيُنذِرَ أُمَّةً...	24	فاطر	14	209	7
194	- وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...	25	الأنبياء	17	209	12

الطبري	الصفحة	الجزء	السورة	رقمها	الآية	رقم التفسير
57	209	29	نوح	2	قال يقوم اني لكم نذير ...	195
57	209	29	نوح	3	ان اعبدوا الله واطيعون ...	196
442	209	1	البقرة	136	قولوا ما نزلنا به ...	197
141	211	3	آل عمران	19	ان الدين عند الله الاسلام ...	198
241	211	3	آل عمران	85	و من يتبع غير الاسلام ...	199
16	211	22	سبا	28	و ما ارسلناك الا كلمة ...	200
59	211	9	الأعراف	158	لناس بشيرا و نذيرا ...	201
12	212	22	الأحزاب	40	يا ايها الناس اني رسول ...	202
10	212	25	الشورى	13	الله اليكم جميعا ...	203
28	213م	12	هود	43	ما كان محمد ابا احد من ...	204
28	213م	12	هود	43	رجالكم ...	205
124	213م	12	يوسف	32	شرع لكم من الدين ما ...	206
31	214م	16	الكهف	110	وصني به نوحا ...	207
102	214	4	آل عمران	161	قال سناوي الي جبل ...	208
232	214	3	آل عمران	79	يتصمني من الماء ...	209
414	214	1	البقرة	124	قال لا عصم اليوم من امر ...	210
					الله ...	
					و لقد راودته عن نفسه ...	
					فاستعصم ...	
					- قل انما انا بشر مثلكم ...	
					- وما كان لنبى ان يغفل و من ...	
					يغفل ...	
					- ما كان لبشر ان يوتيه الله ...	
					الكتب و الحكم ...	
					- واذ ابتلى ابراهيم ربه ...	
					بكلمت ...	

رقم التفسير	الآية	رقمتها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
211	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ...	2	الاحزاب	22	216	13
212	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ...	30	الاحزاب	21	216	101
213	قَالَ إِنَّ مَثَلَكُمْ لَمِثَالِ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ ...	31	آل عمران	3	217	115
214	... وَاتَّقُوا اللَّهَ ...	24	يوسف	12	218	108
215	... وَاتَّقُوا اللَّهَ ...	24	يوسف	12	218	108
216	... وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ...	35	البقرة	1	219	181
217	... وَآتَيْنَا آدَمَ الْمَسْجِدَ وَأَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةِ ...	35	البقرة	1	219	181
218	... فَازْلِمُوا الشُّرَكَاءَ عَنَّا فَأَخْرَجْنَا مَا كَانَ فِيهَا ...	36	البقرة	1	219	186
219	... فَاتَّقِ اللَّهَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ...	37	البقرة	1	219	193
220	... فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا تَقُوا وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ...	121	طه	16	220	162
221	... فَتَسْتَوِي وَتَحْمَدُ لَهُ عِزْمًا ...	115	طه	16	220	160
222	... وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ...	45	هود	12	222	30
223	... إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ...	46	هود	12	222	30
224	... إِنْ يَشَاءُ يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ سَمَوَاتِكُمْ ...	46	هود	12	222	30
225	... فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ...	76	الأنعام	7	223	162
226	... فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ...	77	الأنعام	7	223	164
227	... فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ...	78	الأنعام	7	223	165

رقم التسجيل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
228	إني وحيت وجس للذي فخر السموات و الأرض...	79	الأأنام	7	223	165
229	- ذر أنت أنت العزيز الكريم ...	49	الدخان	25	224	80
230	قال سلم طابك ما ذمرك ...	47	مريم	16	224	69
231	- و فخر إني انه كان من المضالين ...	86	الشعراء	19	224	54
232	- ما كان التين و الزيتون ان يستخروا ...	113	التوبة	11	224	30
233	- فلما تبين له انه عدو لله تبرأ ...	114	التوبة	11	225	30
234	و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه الإ عن موعدة ...	114	التوبة	11	225	30
235	و اذ هممت به و هم نينا لولا أن رعا يرهون رجا ...	24	يوسف	12	226	108
236	- اذ هم قوم ان يبسطوا إليكم أيديهم ...	11	المائدة	6	226	92
237	- اذ همست ثلاثتان منكم ان تقتلوا ...	16	آل عمران	4	226	47
238	- قال ربي اني ظلمت نفسي ...	15	القصص	20	228	30
239	- فوكزه موسى ففضى عليه ...	20	القصص	20	228	30
240	- قال فعلتيمما اذا و أنا من الظلمين ...	25	الشعراء	19	228	42
241	- فغفرنا له ذلك و ان له عندنا لزلقى ...	25	ص	23	230	97

رقم التمثيل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
242	وَأُجِدْكَ مِنصَبًا مَّوَدَىٰ ...	7	الضحى	30	231	147
243	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا ...	52	الشورى	25	231	28
244	يَخْتَارُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَتَأَخَّرُ ...	2	الفتح	26	231	42
245	عَنْ اللَّهِ عَالِمِ الْغُيُوبِ أَتَيْتَ لَهُمْ حَقِّي وَيُنِينُ لَكَ ...	43	التوبة	10	232	99
246	عِيسَىٰ وَقُلُوبِ ...	1	عيس	30	233	32
247	أَنْ جَاءَهُمُ الْإِنشَاءُ ...	2	عيس	30	233	32
248	وَمَا يُدْرِيكَ لِمَ أَتَاهُ رُوحِي ...	3	عيس	30	233	32
249	وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقِ عَالَمِينَ ...	4	القلم	29	233	12
250	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ...	52	الحج	13	234	11
251	الْفَرِيقِ الْبَلَّتِ وَالْحَزَنَىٰ ...	19	النجم	27	234	34
252	وَمِنَوهُ الْبَلَّتَةُ الْآخِرَىٰ ...	20	النجم	27	234	34
253	أَنْتُمْ الْبَكْرُ وَلَهُ الْآخِرَىٰ ...	21	المجم	27	235	34
254	تِلْكَ إِذْ فَسَمْنَا سَبِيْرَىٰ ...	22	النجم	27	235	34
255	بِئْسَ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ...	23	النجم	27	235	34
256	أَنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَيْسَمُونَ الْمَلَائِكَةَ ...	27	النجم	27	235	37
257	وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ أَنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّلْمَ ...	28	النجم	27	235	37
258	وَكُمْ مِنْ مَلَائِكَةِ فِي السَّمَوَاتِ الْآخِرَىٰ شَفَعْتُمْ ...	26	النجم	27	235	37
259	إِنَّمَا أَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ...	13	المؤمنون	18	237	14
260	فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ...	32	المؤمنون	18	237	14
261	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ ...	109	يوسف	13	237	53
262	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ ...	7	الأنبياء	17	237 هـ	12
263	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ ...	38	الرعد	13	237	111
264	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بَيِّنَاتٍ قَوْمَهُ ...	4	إبراهيم	13	237	121
265	اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ...	75	الحج	17	238	142
266	لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ ...	95	الإسراء	15	238	111

رقم التماسا	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
267	قل لا أمة الا التي اتتني فذلتوا لي ولا مشرك الا ما شرع الله ...	188	الأعراف	9	238	96
268	وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ...	144	آل عمران	4	239	72
269	قل إنما أنا بشر مثلكم ...	111	الكهف	16	239 م	31
270	إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ...	171	النساء	6	240 م	24
271	ورسولنا الي يثى اسرائيل انى قد جئناكم ...	49	آل عمران	3	240 م	190
272	ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ...	75	المائدة	6	240	203
273	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ...	253	البقرة	3	241	5
274	ثم آتينا على عاتقهم برسولنا واذينا عيسى ابن مريم ...	27	الحديد	27	241	137
275	وجئناكم بآية من ربكم فاتوا الله ...	50	آل عمران	3	241	195
276	- فذكر انما انت مذكر ...	21	الغاشية	30	242	105
277	- لست عليهم بمصيطر ...	22	الغاشية	30	242	105
278	- كذلك ما اتى الذين من قبلكم من رسول ...	52	الذاريات	27	245	7
279	- فقال الملا الذين كفروا من قومه ...	27	هود	12	245	17
280	- قال يقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ...	28	هود	12	245	18
281	- فقال الملا الذين كفروا من قومه ...	27	هود	12	246	17
282	- قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ...	50	الأنعام	7	246	126
283	- وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الاخرة ...	33	المؤمنون	18	246	15
284	- وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ...	7	الفرقان	18	247	138

رقم التماسك	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
285	أولياتي إليه كنز أو تكون له جنة ...	8	الفرقان	18	247	138
286	انظر كيف ضربوا لك الأمثل فاضلوا	9	الفرقان	18	247	139
287	وما أرسلنا قبلك من المرسلين ...	20	الفرقان	18	247	144
288	فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا	10	نوح	29	248	58
289	يرسل السماء عليكم مدرارا ...	11	نوح	29	248	58
290	ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنة ...	12	نوح	29	248	59
291	- مالكم بالمرجون لله وقارا ...	13	نوح	29	248	59
292	- وقد خلاصكم أموارا ...	14	نوح	29	248	59
293	- ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ...	15	نوح	29	248	60
294	- وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ...	16	نوح	29	248	60
295	- والله أنبتكم من الأرض نباتا ...	17	نوح	29	248	60
296	- ثم يعيدكم فيها ...	18	نوح	29	248	60
297	- ويخرجكم منها أجا ...	18	نوح	29	248	60
298	- والله جعل لكم الأرض بساطا ..	19	نوح	29	248	61
299	- لتسلكوا منها سبيلا فجاجا ...	20	نوح	29	248	61
300	- واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ...	69	الأعراف	8	248	152
301	- فإن تولوا فقد أبغضكم ما أرسلت به إليكم ...	57	هود	12	248	37
302	- واتقوا الذي أمركم بما تعلمون ...	132	الشعراء	19	248	59
303	- أمركم بأنعم وبنين ...	133	الشعراء	19	248	59

الطبري	الصفحة	الجزء	السورة	رقمها	الأبـــــــوة	رقم التفسير
53	249	19	الشعراء	79	- و الذي هو يطعمني ويشقن ...	321
53	249	19	الشعراء	80	- واذا مرضت فهو يشفين ...	322
53	249	19	الشعراء	81	والذي يمشي ثم يحين ...	323
53	249	19	الشعراء	82	والساق الطمع ان يسفر لى خطابتي ...	324
105	249	30	الغاشية	17	- افان ينظرون الى الابل كيف خلقت ...	325
105	249	30	الغاشية	18	- والى السماء كيف رفعت ...	326
105	249	30	الغاشية	19	- والى الجبال كيف نصبت ...	327
105	249	30	الغاشية	20	والى الارض كيف سلطت ...	328
105	249	30	الغاشية	21	- فذكر انما انت مذكر ...	329
105	249	30	الغاشية	22	لست عليهم بمسيطر ...	330
36	250	15	الإسراء	9	- ان هذا القرءان يمدى للشي هي اقوم ...	331
73	250	15	الإسراء	59	- وما منعنا ان نرسل بالآيت الا ان كذب بها الاولون ...	332
99	252	29	المدثر	31	- وما جعلنا اصحاب النار الا مانكة وما جعلنا عدتهم ...	333
28	253	25	الشورة	52	- وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ...	334
117	253	23	ص	69	- ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ...	335
82	253	11	يونس	37	- وما كان هذا القرءان ان يفترى من دون الله ...	336

الطبري	الصفحة	الجزء	السورة	رقمها	الآية	رقم التفسير
53	249	19	الشعراء	79	- ر الذي هو يدلعمني ويشاتين ...	321
53	249	19	الشعراء	80	- واذا مرست فهو يشفين ...	322
53	249	19	الشعراء	81	والشعر يهزلي تم يحسن ...	323
53	249	19	الشعراء	82	والسنة لدمع ان يفسر لي خطيبي ...	324
105	249	30	الغاشية	17	- افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ...	325
105	249	30	الغاشية	18	- والى السماء كيف رفعت ...	326
105	249	30	الغاشية	19	- والى الجبال كيف نصبت ...	327
105	249	30	الغاشية	20	- والى الارض كيف سلطت ...	328
105	249	30	الغاشية	21	- فذكر انما انت مذكر ...	329
105	249	30	الغاشية	22	- لست عليهم بمسيطر ...	330
36	250	15	الإسراء	9	- ان هذا القران يمدى للذي هي اقوم ...	331
73	250	15	الإسراء	59	- وما معنا ان نرسل بالآيت الا ان كذب بينا الاوانون ...	332
99	252	29	المدثر	31	- وما جانا اصحب النار الا مانكة وما جعلنا عندهم ...	333
28	253	25	الشورة	52	- وكذلك او حينما اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ...	334
117	253	23	ص	69	- ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ...	335
82	253	11	يونس	37	- وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ...	336

رقم التسلسل	الآية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
337	- علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ...	26	الجن	29	253	76
338	- كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الراسخون ...	17	الرعد	18	254	36
339	- ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ...	24	إبراهيم	13	254	135
340	- توتى أكلها كل حين لمن رزقها ويضرب الله الأمثال ...	25	إبراهيم	13	254	135
341	- إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ...	9	الحجر	14	254	5
342	- وما كنت تتخو أن يأتيك الكتاب - ولئن أشقنا لندعي بالذي أوحينا إليك - هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...	86	القصص	20	254م	81
343	- هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...	87	الإسراء	15	255	106
344	- هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...	9	الصف	28	256	58
345	- هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...	33	التوبة	10	256	82
346	- قل لمن اجتمعت الإس والجن على ان ياتوا ...	88	الإسراء	15	257	106
347	- وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ...	23	البقرة	1	257	128
348	- فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فانقوا النار - يا ايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ...	24	البقرة	1	257	131
349	- اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ...	67	المائدة	6	258	198
350	- ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ...	3	المائدة	6	258م	51
351	- إليهم لهم المنصورون - وإن جدنا لهم الغلبون	171	الصفافات	23	259	72
352	-	172	الصفافات	23	259	72
353	-	172	الصفافات	23	259	72

الطبري	الصفحة	الجزء	السورة	رقمها	الآية	الترتيب
48	259	24	غافر	51	إنا لننصبر وإننا ولدين آمنوا ...	354
121	259	18	النور	55	وعت الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...	355
68	260	26	الفتح	27	لقد صدق الله رسوله الرعا بالحق ...	356
73	262	23	الصفافات	174	فقول لهم حين حين ...	357
73	262	23	الصفافات	175	ولنصبر هم سوف يصبرون ...	358
63	262	27	القمر	45	سيعزج الجميع ويولون الدبر ...	359
18	262	29	ن	16	سندمه على الخرطوم ...	360
31	262	4	آل	112	شريف عليهم الله ابن ماتقوا ...	361
70	262	9	عمران	167	وإنا نأذن ربك ليعجلن عليهم الى يوم القيمة ...	362
66	263	25	الأعراف	10	فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ...	363
66	263	25	الدخان	11	يغشى الناس إذا عذاب اليم ...	364
69	263	25	الدخان	15	إنا كنا نعلموا العذاب قليلا انكم عاندون ...	365
70	263	25	الدخان	16	يوم نبعثس الجنة الكبرى انا منذامون ...	366
66	263	25	الدخان	12	ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ...	367
104	263	13	الرعد	31	ولا يزال الذين كفروا تصيبهم ...	368
104	266	9	الأعراف	96	واوان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحننا عليهم بركتهم ...	369
9	266	3	البقرة	256	لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...	370
51	270	6	المائدة	3	اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ..	371

رقم التفسير	الأية	رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري
372	- ومن يتبع غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه ...	85	آل عمران	3	271م	141
373	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ...	13	الشورى	25	271م	10
374	- يستأنفونك أن الله يفتيكم في الكلاله ...	176	النساء	6	273	28
375	- ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ...	40	الأحزاب	22	274	12
376	- الذين يبلغون رسالت الله ويخشونه ...	39	الأحزاب	22	274	12
377	- وان من أمة إلا خلا فيها نذير ...	24	فاطر	22	276	86
378	- وما كنا مخزيين حتى نبعث رسولا ...	15	الإسراء	15	276	41
379	- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ...	107	الأنبياء	17	277	82
380	- لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه ...	42	فصلت	24	278	79
381	- وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة ...	23	البقرة	1	279م	128
382	- فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ...	24	البقرة	1	279م	131
383	- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ...	89	الإسراء	15	282	107
384	- وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ...	90	الإسراء	15	283م	107

الطبري	الصفحة	الجزء	السورة	رقمها	الأبيات	رقم التماسل
111	292	26	ق	38	و اتد خلقتنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ...	385
28	294	12	هود	42	وهي تحسري بهم في موج كالجبال ...	386
35	294	12	هود	49	تلك من انباء الغيب ... اليك	387
34	295	12	هود	48	قل فوج اهلتم سلم ...	388
128	296	14	النحل	120	ان ابراهيم كان امة قانتا لله ...	389
142	296	17	الحج	77	ملة ابيكم ابراهيم هو سمكم المسامين ...	390
92	300	12	يوسف	8	اذ قالوا ليوسف واخوه ...	391
90	300	12	يوسف	4	اذ قال يوسف لآبيه يا ابي اني رايت ...	392
90	300	12	يوسف	5	قال يئسى لا تمصن رعيك ...	393
93	300	12	يوسف	9	اتلوا يوسف او اطرحوه ارضا ...	394
104	301	12	يوسف	21	وقال الذي اشتراه من مصر لا مراته ...	395
106	301	12	يوسف	23	وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ...	396
181	303	1	البقرة	35	وقلنا يادم اسكن أنت و زوجك الجنة ...	397
27	303	12	هود	41	وقال اركبوا فيها بسم الله مجرأها ...	398
60	304	8	الأنعام	151	قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم	399

الطبري	الصفحة	الجزء	السورة	رقبها	الآية	نيز الشمس
61	304	8	الأنعام	152	ولا تأخروا مثل الذين اتبعوا ... من أجل ...	400
61	304	8	الأنعام	153	وأن هذا صير الله مستقيما فاتبعوه ...	401
10	306	25	الشورى	13	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ...	402
56	306	24	غافر المؤمنون	78	منهم من قسمنا عايك و منهم من لم نقصم عايك ...	403
119	307	7	الأنعام	38	ما فرطنا في الكتاب من شيء ...	404
74	307	14	النحل	44	و أنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ...	405
113	310	5	النساء	82	و لو كان من عند غير الله أوجدوا فيه ...	406
35	310	12	هود	48	تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ...	407
106	314	15	الإسراء	88	قل لن اجتمعن الا ناس والجن ...	408
74	315	15	الإسراء	59	و مدعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بما الأواذن ...	409
56	319	9	الأعراف	157	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...	410
100	320	3	البقرة	285	عامن الرسول بما أنزل اليه و المؤمنون ...	411
6	320	6	النساء	152	و الذين آمنوا بالله و رسله ...	412
5	320	6	النساء	150	إن الذين يكفرون بالله و رسله ...	413
10	321	25	الشورى	13	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ...	414
5	322	2	البقرة	143	و كذلك جعلناكم أمة وسطا	415
59	323	5	النساء	41	فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد	416

رقمها	السورة	الجزء	الصفحة	الطبري	الآية	رقم التفسير
253	البقرة	3	323	5	تلك الرسل أنما أنا بعثتهم ...	417
39	طه	16	325	22	وتخضع على عيني ...	418
48	الطور	27	325	22	وأمر لحكم ربك ...	419
41	مريم	16	328	67	وذكر في الكتاب إبراهيم ...	420
10	سبا	22	329	45	واقدمنا داود منا فضلاً ...	421
11	سبا	22	329	45	إن عمل سيئت و قدر في السرور ...	422
17	ص	23	329	86	وذكر عبدنا داود ذا الأيد ...	423
18	ص	23	329	86	إننا سخونا الجبال معه يسبحن ...	424
21	ص	23	330	89	وهل أنت نبي الخضم ...	425
22	ص	23	330	89	إذ دخلنا على داود ففرغ منهم ...	426
23	ص	23	330	91	إن هذا أخى له تسع وتسعون ...	427
					نعجة ...	
24	ص	23	330	92	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك ...	428
13	المائدة	6	332	8	فيما نخصمهم ويتقوم عنهم ...	429
79	البقرة	1	334	299	قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ...	430
46	النساء	5	334	75	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ...	431
19	آل عمران	3	335	141	إن الذين عند الله الأسلم ...	432
157	الأعراف	9	335	56	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...	433
29	الطور	27	341	18	فذكر فما أنت بنعمة ربك ...	434
42	الحاقة	29	341	41	ولا يقول كاهن ...	435
82	النحل	14	342	105	وان تولوا فإنما عليك البلاغ ...	436
5	المائدة	12	342	37	فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا ...	437
54	التور	18	342	121	وما على الرسول إلا البلاغ المبين ...	438

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : فهرس الأسماء النبوية .

رقم التسلسل	أطراف الحديث	الراوي	الكتاب أو الباب	الصفحة
01	- إذا أتيت مضجعك ...	البخاري عن البراء بن عازب	ك الدعوات، باب إذا بات ظاهرا	8
02	- إنه بدأ هذا الأمر بنبوته ورحمة ...	أحمد عن النعمان بن بشير	المسند	19
03	- ابن جبريل عليه السلام أتى في روعى ...	الحاكم عن ابن مسعود	كتاب البيوع	22
04	- انقطع الوحي و بقيت المبشرات ...	السة عن ابن عباس	السنن	22
05	- من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد ...	أحمد بن حنبل	المسند	48
06	- من أتى عرافا فسأله عن شيء ...	مسلم	الصحيح	48
07	- الرويا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة ...	البخاري	ص ، كتاب التعبير 4و2	61
08	- الرويا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة ...	مسلم	الصحيح ، كتاب الرويا حديث 6	61
09	- رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزءا ...	أحمد	المسند	64
10	- ذهبت النبوة و بقيت المبشرات ...	البخاري	كتاب التعبير 5	64
11	- ذهبت النبوة و بقيت المبشرات ...	مسلم	كتاب الصلاة حديث 207، 208	64
12	- أول ما يدعى به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوهي الرويا الصالحة ...	البخاري عن عائشة (رضي الله عنها)	باب بدء الوهي ، ك الإيمان حديث 252	64

قالنا : فهرس الأعلام

جامعة الأمير
عبدالمبارك
بن عبدالعزيز
للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحوظات عامة:

- (1) لقد اعتمدت في سرد الأعلام على ترتيب المعجم .
(2) لقد أسقطت بعض الزوائد الملحقة ببعض الأعلام ، كاسم الاشارة "أبو" و "ذو" و كذلك "ابن" و "بن" التعريف .

(أ)

آدم (عليه السلام) 28 ، 41 ، 114 ، 115 ، 140 ، 189 ، 219 ، 220 ، 221 ، 290 ، 291 .

إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، 8 ، 10 ، 24 ، 28 ، 41 ، 59 ، 77 ، 103 ، 105 ، 110 ، 114 ، 135 ، 202 ، 323 ، 257 ، 296 ، 297 ، 300 ، 306 ، 321 ، 326 ، 327 ، 328 .

ابن الأثير (المبارك بن محمد) 6 .

أحمد ديدات 92 ، 147 ، 152 ، 160 ، 168 ، 169 .

أحمد شلبي 209 ، 212 ، 237 ، 250 .

إرميا 67 ، 83 ، 318 ، 319 .

الاسباط (عليهم السلام) 24 ، 41 ، 209 .

إسحاق (عليه السلام) 24 ، 41 ، 59 ، 113 ، 131 ، 132 .

إسماعيل (عليه السلام) 24 ، 41 ، 59 ، 104 ، 105 ، 131 ، 132 ، 209 .

شعيا 318 ، 97 ، 88 .

الأوسى 273 ، 274 ، 276 ، 330 ، 331 .

نجر 71، 74 .

(ب)

براء بن عازب (رضي الله عنه) 8 .

برنابا 129 ، 132 ، 133 .

بن بري 6 .

بطرس 163 .

بولس 166 .

البيضاوي 212 ، 239 ، 240 ، 330 .

(ت)

الترمذي 19 ، 259 ، 260 ، 277 .

التهانوي 15 ، 28 ، 62 ، 341 ، 342 .

ابن تيمية 227 ، 228 .

(ج)

الجاحظ 187 ، 188 .

الهرجاني 30 ، 32 ، 311 ، 312 .

الرحي زيدان . 48 .

جولدا زيهير . 18 .

الجوهري 6 ، 7 .

(ح)

حزقيال 67 ، 68 ، 71 ، 318 ، 319 .

ابن حزم 222 ، 225 ، 228 ، 310 ، 311 .

حسن ظاظا 79 ، 80 .

حواء 140 ، 141 ، 290 ، 291 ، 303 .

(د)

داود (عليه السلام) 107 ، 120 ، 318 ، 327 ، 328 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 .

دراز 40 ، 42 ، 260 ، 263 ، 264 ، 310 .

ديكارت 15 .

(ر)

الرازي 54 ، 55 .

رحمة الله الهندي 136 ، 142 ، 172 ، 173 ، 184 ، 186 ، 191 ، 192 ، 333 ، 334 .

نو الرمة 227 .

(ز)

الزجاج 8،7

الزخمشري 16، 17، 224، 229، 230، 233.

(س)

سرة 103، 104

سام 10

سيويه 5، 6، 7

سجال ، 68 ، 69

سيد قطب 15، 208، 212، 234، 235، 239، 257، 261، 326، 328.

ابن سيده 5، 6.

(ش)

شاؤل 50، 51، 330.

شنيوي (محمد) 206، 207.

الشرييني 86، 87.

شيث 28.

(ص)

صوليل 45، 46، 47، 49، 50، 51، 318، 339، 340.

(ط)

بطاهر نايد 19،18.

الطبرسي ، 227 ، 228 ، 232 .

الطبري ، 4 ، 5 ، 24 ، 59 ، 227 ، 235 ، 246 ، 271 ، 273 ، 274 ، 275 ، 285 ، 286 .

الطبري على ابن رين 286.

(ع)

عائشة ، 65 ، 258 ، 265 .

عاموس 15 ، 319

عبد الوهاب النجار 135 ، 136 ، 137 ، 328 .

العقاد (عباس محمود) 84 ، 85 ، (1307 - 1384 هـ / 1889 - 1964 م) .

عيسى (عليه السلام) 8 ، 11 ، 94 ، 95 ، 99 ، 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 134 ، 156 ،

157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 165 ، 166 ، 169 ، 170 ، 172 ،

175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ، 182 ، 183 ، 185 ، 189 ، 191 ، 195 ، 197 ، 209

، 238 ، 240 ، 241 ، 248 ، 272 ، 306 ، 333 .

(ف)

الفراء 7 ، 8

لرعون 75 ، 77 ، 78 ، 110 ، 111 .

(ق)

قتادة (رضي الله عنه) 4 ، 5 .

القطبي 85 ، 87 ، 311

(م)

مالك بن نبي 10 ، 15 .

متى 61، 116، 124، 125، 128، 150، 153، 155، 158، 172، 173، 178، 180، 316.

محمد رشيد رضا ، 9، 16، 17، 25، 32، 33، 34، 71، 72، 73، 74، 100، 101، 144،
145، 146، 220، 221، 258، 279، 283، 284، 286، 314، 315، 316، 317، 322، 323، 324.

محمد (بن عبد الله) (صلى الله عليه وسلم)

3، 4، 7، 9، 10، 23، 24، 53، 56، 74، 85، 86، 88، 89، 90، 91، 93، 94، 96، 97، 98، 99، 102،
104، 107، 108، 111، 116، 139، 141، 186، 188، 189، 206، 213، 236، 245، 248، 250،
255، 257، 266، 267، 269، 270، 271، 273، 274، 275، 277، 278، 280، 282، 283، 284،
285، 286، 287، 294، 307، 316، 317، 319، 321، 322، 323، 324، 325.

محمد عبده ، 35، 36 (م)

مسلم (الإمام) 19، 21

المنأوى 15، 16، 19 .

ابن منظور 5، 6 ، 8 .

موسى (عليه السلام) 7 ، 8، 22، 42، 43، 49، 50، 51، 52، 53، 59، 70، 75، 77، 78، 79، 80،
81، 83، 87، 88، 89، 91، 94، 96، 106، 110، 112، 113، 115، 209، 248، 294، 303، 306،
318، 319، 321، 324، 326، 333، 334، 336، 337، 340.

بيضا 15

(ن)

نقان 329،46 .

نوح (عليه السلام) : 23،24،42،102،105،113،213،293،294،295،321،332 .

النوى 28 .

(هـ)

هاجر (عليه السلام) 103،104،327 .

هارون (عليه السلام) 26،81،90،92،326،336،337 .

هوشع بن نون 14،15،318 .

(ي)

يسوع (عليه السلام) 87،88،89،90،91،92،124،130،133،134،135،164،175،321 .

يعقوب (عليه السلام) 24،41،42،59،113،209،228،229،241،297،298 .

يوحنا 88،89،121،127،128،159،160،172،174،176،177،187 .

يوسف (عليه السلام) 41،59،60،113،297،298،300،301،326 .

يونس (عليه السلام) 150،153،155 .

رابعاً: فهرس العهد القديم

جامعة الأزهر
عبد القادر للعظم الإسلامي

جامعاً: نهر من العبر القديم

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
01	- و لمّا دخلا أرض صوف قال شاول لغلامه ...	صموئيل الأول	9	5	45
02	- و قال له : هو ذا رجل الله في هذه المدينة ...	//	//	6	45
03	- فلنذهب الآن إلى هناك لعلّه يخبرنا عن طريقنا ...	//	//	7	45
04	- فقال شاول للغلام : فلنذهب فماذا نقدم للرجل ...	//	//	8	45
05	- فعاد الغلام و أجاب شاول و قال : إته يوجد بيدي ...	//	//	9	45
06	- فقال شاول لغلامه : كلامك حسن ، هلمّ نذهب ...	//	//	10	45
07	- و فيما هما صاعدان في مطلع المدينة ...	صموئيل الأول	9	11	46
08	- فتقدم شاول إلى صموئيل في وسط الباب ...	//	//	18	46
09	- فأجاب صموئيل شاول و قال له : أنا الرائي ...	صموئيل الأول	9	19	46
10	- و عرف جميع إسرائيل من دان إلى بنر سبع ...	صموئيل الأول	3	20	50
11	- ولم يقم نبّي من بعد في إسرائيل مثل موسى ...	التثنية	34	10	50

رقم تسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
12	- و كان ناثان النبي و صادق الكاهن ...	الملوك الأول	1	8	50
13	- فقال صموئيل : اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة ...	صموئيل الأول	7	5	50
14	- وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك : قد أخطأنا ...	//	7	6	50
15	- اجمعوا الشعب قدسوا الجماعة ...	يوئيل	2	16	50
16	- وأما إسرائيل فاحب يوسف أكثر من سائر بنيه ...	التكوين	37	3	57
17	- فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته ...	التكوين	37	5	57
18	- وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فاز دادوا أيضا بفضا له ...	التكوين	37	6	57
19	- فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت ...	التكوين	37	7	57
20	- فها نحن حازمون حزما في الحقل ، وإذا حزمتي قامت ...	التكوين	37	4	57

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
21	- فقال له إخوته أملك تملك علينا ملكا ...	التكوين	37	8	57
22	- ثم حلم حلما آخر وقصته على إخوته ...	التكوين	37	9	57
23	- وقصة على أبيه وعلى إخوته ، فانتهره أبوه ...	التكوين	37	10	57
24	- فحسده إخوته ، وأما أبوه فحفظ الأمر ...	التكوين	37	11	57
25	- وحلما كلاهما حلما في ليلة واحدة ...	التكوين	40	5	58
26	- فدخل يوسف إليهما في الصباح ونظرهما ...	التكوين	40	6	58
27	- فقالا له : حلما حلما وليس من يعبره ...	التكوين	40	8	58
28	- فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف ...	التكوين	40	9	58
29	- وفي الكرمة ثلاثة قضبان وهي إذا أفرخت ...	التكوين	40	10	58

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
30	- وكانت كأس فرعون في يدي فاخذت العنب ...	التكوين	40	11	58
31	- فقال له يوسف هذا تعبيره ...	التكوين	40	12	58
32	- في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ...	التكوين	40	13	58
33	- فلما رأى رئيس الخبازين أنه عبر جيدا قال ليوسف ...	التكوين	40	16	58
34	- و في السل الأعلى من جميع طعام فرعون ...	التكوين	40	17	58
35	- فاجاب يوسف و قال : هذا تعبيره ...	التكوين	40	18	58
36	- في ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ...	التكوين	40	19	58
37	- فسخط فرعون على رئيس السقاة و رئيس الخبازين ...	التكوين	40	2	58
38	- فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون ...	التكوين	40	20	59
39	- ورد رئيس السقاة إلى سقيه...	التكوين	40	21	59

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحات	الآيات	الصفحة
40	- و أما رئيس الخبازين فعلقه كما عبر لهما يوسف ...	التكوين	40	22	59
41	- وحدث بعد هذه الأمور أن ساقى الملك ...	التكوين	40	1	59
42	- إرميا تنبأ بهذه الكلمات ...	إرميا	20	1	67
43	- تنبأت كما أمرت ...	حزقيال	37	8	67
44	- فأخذني الرب من وراء الضنآن و قال لي ...	عاموس	7	15	67
45	- ايها الرائي : اذهب و اهرب إلى أرض يهوذا ...	عاموس	7	12	67
46	- و هناك تنبأ ...	عاموس	7	13	67
47	- و الأنبياء تنبأوا ببعل ...	إرميا	2	8	67
48	- لم أتكلم معهم ، بل هم تنبأوا ...	إرميا	23	21	67
49	- الأنبياء المتنبؤون بالكذب ...	إرميا	23	26	67
50	- ... و هم متنبؤون ...	صموئيل الأول	10	5	67
51	- و كما حلت رّوح الله على داود عندما مسح ملكاً ...	صموئيل الأول	10	10	68
52	- و سمي هارون نبياً ، لأنه كان	الخروج	7	1	70

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
53	- و ابتداء نوح يكون فلاحًا و غرس كرما ...	التكوين	9	20	71
54	- و شرب من الخمر فسكر و تعرّى داخل خبائه ...	التكوين	9	21	71
55	- فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ...	التكوين	9	24	71
56	- فقال ملعون كنتان عبد العبيد يكون لاختوته ...	التكوين	9	25	71
57	- و قال : مبارك الربّ إله سام ...	التكوين	9	26	71
58	- ليفتح الله لياقت فيسكن في مساكن سام ...	التكوين	9	27	71
59	- يقول الله لموسى : انظر أنا جعلتك ربّاً ...	الخروج	7	1	75
60	- و هو يكلم الشعب عنك و هو يكون لك فما ...	الخروج	4	16	75
61	- فتضرّع إبراهيم إلى الربّ كي لا يخسف سدوم ...	التكوين	18	23	77

رقم التسلسل	الآيات	الاسماء	الآيات	الآيات	الآيات
62	24	18	التكوين	- فتقدم ابراهيم و قال : افضلك ...	77
63	25	18	التكوين	- حاشا لك ان تعمل مثل هذا الامر ...	77
64	26	18	التكوين	- حاشا لك اديان كل الارض لا يسع عدلا ...	77
65	27	18	التكوين	- فقال الرب ان وجدت في سدوم حسنين بارا ...	77
66	28	18	التكوين	- فاجاب ابراهيم و قال : اني قد سرعت اكلم المولى ...	77
67	29	18	التكوين	- فقال لا املك ان وجدت سناك حسنة و اربعين ...	77
68	30	18	التكوين	- فعاد يكلمه اينسا و قال : عسى ان يوجد هناك اربعون ...	77
69	31	18	التكوين	- فقال لا افعل من اجل الاربعين ..	77
70	32	18	التكوين	- فقال لا يسخط المولى فانتلم ...	77
71	17	20	التكوين	- فسلى ابراهيم الى الله فشفى الله لبيمالك ...	77
72	10	4	التكوين	- فقال موسى للرب : استمع ايها السيد ..	78
73	11	4	التكوين	- فقال له الرب : من صنع للإنسان نسا	78

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
74	- فالآن اذهب و أنا أكون مع فمك ...	الخروج	4	12	78
75	- ثم قال الرب لموسى : بكر في الصباح و قف أمام فرعون ...	الخروج	8	16	78
76	- و أنا أجمع بك هنا ...	الخروج	25	22	79
77	- و كان عمود الغمام إذا دخل موسى الخيمة...	الخروج	33	9	79
78	- و دعا الله موسى و كلمه من خيمة الاجتماع...	اللاويين	1	1	79
79	- و يقوم كل الشعب و يسجدون ...	الخروج	25	10	79
80	- و إذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يوشع ...	الخروج	25	11	79
81	- و كلم الرب موسى قائلا : كلم هارون وبنيه ...	العدد	6	22	80
82	- هكذا تباركون بني إسرائيل ...	العدد	6	22	80

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
83	- فأخذت مريم النبية أخت هارون ...	الخروج	25	20	81
84	- و كان عندما اقترب من المحلة أنه أبصر العجل ...	الخروج	32	16	81
85	- ... بني آساف و يدوتون المتنبئين ...	أخبار الأيام الأول	25	1	81
86	- بالعيدان و الرباب و الصنوج ...	أخبار الأيام الأول	25	2	81
87	- آساف المتنبئ بين يدي الملك ...	أخبار الأيام الأول	25	2	81
88	- ... تحت يد أبيهم يدوتون المتنبئ بالعود ...	أخبار الأيام الأول	25	3	81
89	- ... لماذا تذهين إليه ؟ اليوم لا هو غرة شهر و لا سبت ...	الملوك الثاني	4	13	81
90	- حينئذ رنم موسى و بنو إسرائيل هذه التسيحة ...	الخروج	15	6/ 1	82
91	- و عند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قم يارب ...	العدد	10	35	82
92	- و عند حلوله كان يقول: ارجع يارب إلى الألف ...	العدد	10	36	82

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
93	- انصتي أيتها السموات فأتكلم...	التثنية	32	.	82
94	- ... لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم ...	إرميا	6	13	83
95	- فقطع الله من إسرائيل الرأس و الذنب ...	إشعيا	9	13	83
96	- ... و النبي أستاذ الكذب ، هو الذنب...	إشعيا	9	14	83
97	- أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ...	التثنية	18	18	87
98	- و يكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي ...	التثنية	18	19	87
99	- و أخذ عمرا م بوكابد عمته زوجة له ...	الخروج	6	20	90
100	- فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل ...	الخروج	14	30	90
101	- و رأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعته الرب ...	الخروج	14	31	92
102	- و أمر موسى بجرمه ...	العدد	15	36	94

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
103	- ... ابن الاسرائلية الذي جذف على اسم الله...	التلاويين	24	10 / 16	94
104	- أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ...	إشعيا	29	12	94
105	- ...صعد وسكن في الجبل (أي لوط) و ابتناه معه ...	التكوين	19	.	101
106	- و أما ساراي امرأة ابرام فلم تلد له ...	التكوين	16	1	103
107	- فقالت ساراي لإبرام: هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ...	التكوين	16	2	103
108	- فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر ...	التكوين	16	3	103
109	- فدخل على هاجر فحبلت ...	التكوين	16	4	103
110	- فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك ...	التكوين	16	5	103
111	- فقال أبرام لساراي : هي ذا جاريتك في يدك ...	التكوين	16	6	103
112	- و قال ياهاجر جاريت ساراي من أين أنت ؟ ...	التكوين	16	8	103

التمسلس	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
113	- فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك ...	التكوين	16	9	103
114	- و قال لها ملاك الرب: تكثيرا أكثر نسلك ...	التكوين	16	10	103
115	- و قال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا ...	التكوين	16	11	103
116	- و أنه يكون إنسانا وحشيا ...	التكوين	16	12	103
117	- فدعت اسم الرب ...	التكوين	16	13	103
118	- فولدت هاجر لابرام ابنا ...	التكوين	16	15	103
119	- و كان ابرام ابن ست و ثمانين سنة لما وُلدت هاجر إسماعيل ...	التكوين	16	16	103
120	- أكرم أباك و أمك لكي تطول أيامك على الأرض ...	الخروج	20	12	105
121	- لا تقتل ...	الخروج	20	13	105
122	- لا تزن ...	الخروج	20	14	105
123	- لا تسرق ...	الخروج	20	15	105
124	- لا تشهد على قريبك ...	الخروج	20	16	105

رقم التسلسل	الأطراف	المصدر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
125	- لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك...	الخروج	20	17	105
126	- اجعلوا أوريا في وجه الحروب الشديدة	صموئيل الثاني	11	.	107
127	- يارب إله الجنود : اسمع صلاتي ...	مزمور	84	8	107
128	- وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر ...	التكوين	39	6	108
129	- و حدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده...	التكوين	39	7	108
130	- فأبى وقال لامرأة سيده...	التكوين	39	8	108
131	- وليس هو في هذا البيت أعظم مني ...	التكوين	39	9	108
132	- ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت	التكوين	39	11	108
133	- فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معي ...	التكوين	39	12	108
134	- وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها و هرب ...	التكوين	39	13	108
135	- أنها نادى أهل بيتها و كلمتهم قائلة : انظروا ..	التكوين	39	14	108

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
136	- و كان لما سمع أني رفعت صوتي و صرخت ...	التكوين	39	15	108
137	- فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته ...	التكوين	39	40	108
138	- و قال الرب الإله : هوذا الإنسان قد صار كواحد منا ...	التكوين	3	22	114
139	- و الآن لعله يمد يده و يأخذ من شجرة الحياة ...	التكوين	3	22	114
140	- فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ...	التكوين	3	23	114
141	- ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات ...	الخروج	20	1	115
142	- أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ...	الخروج	20	2	115
143	- لا يكون لك آلهة أخرى أمامي ...	الخروج	20	3	115
144	- لا تصنع لك تمثالا منحوتا و لا صورة ...	الخروج	20	4	115
145	- لا تسجد لهن و لا تعبدن ...	الخروج	20	5	115

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
146	- واصنع إحصانا إلى ألوف من محبي ...	الخروج	20	6	115
147	- لا تتطرق باسم الرب الهك باطلا ...	الخروج	20	7	115
148	- اذكر يوم السبت لتقدس...	الخروج	20	8	115
149	- ستة أيام تعمل و تصنع جميع عملك ...	الخروج	20	9	115
150	- و أما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك...	الخروج	20	10	115
151	- لا تصنع عملا ما أنت و ابنك و ابنتك ...	الخروج	20	10	115
152	- لأن في ستة أيام صنع الرب السماء و الأرض ...	الخروج	20	11	115
153	- و استراح الرب في اليوم السابع ...	الخروج	20	11	115
154	- فيكون حين تمضون أنتم لاتمضون فارغين ...	الخروج	13	.	117
155	- و أعطى الرب نعمة للشعب حتى أعاروهم فسلبوا المصريين ...	الخروج	13	..	117

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
156	- إنه لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملك الله ...	التكوين	9	.	286
157	- إن الله قال لإبراهيم : قد أحببت ...	التكوين	9	.	286
158	- و سيد اثني عشر عظيما ...	التكوين	9	.	286
159	- و سمي هارون نبيا ...	الخروج	7	1	289
160	- في البدء خلق الله السموات ...	التكوين	1	1	290
161	- و كانت الأرض خربة ...	التكوين	1	2	290
162	- و قال الله ليكن نور ...	التكوين	1	3	290
163	- و رأى الله النور أنه حسن ...	التكوين	1	4	290
164	- وفصل الله بين النور و الظلمة	التكوين	1	5	290
165	- و دعا الله النور نهارا ...	التكوين	1	6	290
166	- و قال الله ليكن جلد في السماء ...	التكوين	1	7	290
167	- فعمل الله الجلد و فصل بين المياه ...	التكوين	1	8	290
168	- و قال الله لتجتمع المياه ...	التكوين	1	9	291
169	- و دعا الله اليابسة أرضا ...	التكوين	1	10	291
170	- و قال الله لنبت الأرض عسبا ...	التكوين	1	11	291
171	- فأخرجت الأرض عسبا و بقلا ...	التكوين	1	12	291
172	- و كان مساء و كان صباح ...	التكوين	1	13	291
173	- و قال الله لتكن أنوار ... السماء ...	التكوين	1	14	291
174	- و تكون أنوار في جلد السماء لتثبت على الأرض ...	التكوين	1	15	291
175	- فعمل الله النورين العظيمين ...	التكوين	1	16	291
176	- و جعلها الله في جلد السماء ...	التكوين	1	17	291
177	- و لتحكم على النهار و الليل ...	التكوين	1	18	291
178	- و كان مساء و كان صباح ...	التكوين	1	19	291
179	- و باركها الله قائلا ثمري و اكثري ...	التكوين	1	22	191

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
180	- و كان مساء و كان صباح يوماً خامساً ...	التكوين	1	23	291
181	- و قال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس ...	التكوين	1	24	291
182	- فعمل الله وحوش الأرض ...	التكوين	1	25	291
183	- و قال الله نعمل الإنسان على صورتنا ...	التكوين	1	26	291
184	- فخلق الله الإنسان على صورته ...	التكوين	1	27	291
185	- و باركهم الله و قال لهم أثمروا ...	التكوين	1	28	291
186	- و قال الله إني قد أعطيتكم كل بقل ...	التكوين	1	29	291
187	- و لكل حيوان الأرض و كل طير السماء ...	التكوين	1	30	291
188	- و رأى الله كل ما عمله ...	التكوين	1	31	291
189	- فأكملت السموات والأرض ...	التكوين	2	1	292
190	- و فرغ الله في اليوم السابع ...	التكوين	2	2	292
191	- و بارك الله اليوم السابع و قدسه ...	التكوين	2	3	292
192	- و جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ...	التكوين	2	7	292
193	- و غرس الرب الإله جنة في عدن	التكوين	2	8	292
194	- و أنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة ...	التكوين	2	9	292
195	- وأخذ الرب الإله آدم ووضعته هناك ...	التكوين	2	15	292
196	- و رأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً ...	التكوين	1	31	292

جامعة الأمير
عبد القادر للعالم الإسلامي

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحته	الآيات	الصفحة
215	-أما أنا فهو ذا عهدي معك ...	التكوين	17	14	296
216	-وأثرك كثيرا جدا ...	التكوين	17	6	296
217	-وأقيم عهدي بيني و بينك و بين نسلك ...	التكوين	17	7	296
218	-و سكن يعقوب في أرض غربة أبيه	التكوين	37	1	297
219	-هذه مو اليد يعقوب ...	التكوين	37	2	297
220	-وأما إسرائيل فأحب يوسف ...	التكوين	37	3	297
221	-فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه ...	التكوين	37	4	297
222	-و حلم يوسف حلما وأخبر إخوته ...	التكوين	37	5	297
223	-فقال لهم اسمعوا هذا الحلم ...	التكوين	37	6	297
224	-فيها نحن حازمون حزما في الحقل ...	التكوين	37	7	297
225	-فقال له إخوته أعلك تملك علينا	التكوين	37	8	297
226	-فاز دادوا أيضا بغضا له ...	التكوين	37	9	297
227	-ثم حلم حلما آخر ...	التكوين	37	9	297
228	-و قصه على أبيه و على إخوته	التكوين	37	10	297
229	-فحسده إخوته	التكوين	37	11	297
230	-فقال يهوذا لأخوته ...	التكوين	37	26	297
231	-تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ...	التكوين	37	27	298
232	-واجتاز رجال مديانيين ...	التكوين	37	28	298
233	-ورجع راويين إلى البئر ...	التكوين	37	29	298
234	-ثم رجع إلى إخوته و قال ...	التكوين	37	30	298
235	-فأخذوا قميص يوسف ...	التكوين	37	31	298
236	-و أرسلوا القميص الملوّن ...	التكوين	37	32	298
237	-فتحققته و قال قميص ابني ...	التكوين	37	33	298
238	-فمزق يعقوب ثيابه ...	التكوين	37	34	298

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
1239	-وأما يوسف فأنزل إلى مصر...	التكوين	39	1	298
240	-و كان الربّ مع يوسف ...	التكوين	39	2	299
241	-ورأى سيّدَه أنّ الربّ معه ...	التكوين	39	3	299
242	-فوجد يوسف نعمة في عينيه ...	التكوين	39	4	299
243	-و كان من حين و كلّه على بيته	التكوين	39	5	299
244	-فترك كلّ ما كان له في يد يوسف ...	التكوين	39	6	299
245	-و كان يوسف حسن الصورة ...	التكوين	39	6	299
246	-و حدث بعد هذه الأمور أنّ امرأة سيّدِه ...	التكوين	39	7	299
247	-فأبى و قال لامرأة سيّدِه ...	التكوين	39	8	299
248	-ليس هو في هذا البيت أعظم منّي	التكوين	39	9	299
249	-ثمّ حدّث نحو هذا الوقت أنّه دخل البيت	التكوين	39	11	299
250	-فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معي	التكوين	39	12	299
251	-و كان لما رأت أنّه ترك ثوبه في يدها	التكوين	39	13	299
252	-أنّها نادت أهل بيتها ...	التكوين	39	14	299
253	-و كان لما سمع أنّي رفعت صوتي	التكوين	39	15	299
254	-فكان لما سمع سيّدِه كلام امرأته ...	التكوين	39	19	299
255	-فأخذ يوسف سيّدَه ووضعه في بيت السّجن	التكوين	39	20	299
256	-ولكن الربّ كان مع يوسف ...	التكوين	39	21	299
257	-فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف ...	التكوين	39	22	299

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
258	- ولم يكن رئيس بيت السّجن ينظر شيئاً ...	التكوين	39	23	299
259	- قال الربّ لنوح ادخل أنت و جميع بيتك ...	التكوين	7	1	303
260	- أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من مصر ...	الخروج	20	1	304
261	- وأما اليوم السّابع ففيه سبت للربّ إلهك ...	الخروج	20	10	304
262	- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك ...	الخروج	20	12	304
263	- أقدم لهم نبياً من وسط إخوتهم ...	التثنية	18	18	319
264	- وحدث جوع في أرض إبراهيم ...	التكوين	20	.	324
265	- فلما سمعت امرأة أوريا ...	صموئيل الثاني	11	.	329
266	- وسكن في الجبل وابتناه معه ...	الملوك الأول	11	1	331
267	- وتلبس هارون أخاك إياها وبنيه معه ...	الخروج	40	13	336
268	- وكلم الربّ موسى قائلاً: كلم هارون نبيه ...	اللاويين	17	1	337
269	- فإذا عسر عليك أمر في القضاء بين دم ودم ...	التثنية	17	8	338
270	- فقم واصعد إلى المكان الذي ... و الربّ إلهك ...	التثنية	17	9	338
271	- ومن لم يمثل لأمر الكهنة و سلطانهم ...	التثنية	17	11	339
272	- ولكون الكهنة لا نصيب لهم ممّا لبنى إسرائيل ...	التثنية	18	1	339
273	- لذلك كان من حقّهم أن تكون لهم وقائد ...	التثنية	18	2	339

الصفحة	الآيات	إصحاحاته	السفر	الأطراف	في التمسك
339	.	1	الملوك الأول	-كذلك سليمان حين سجد صدق الكاهن ...	20
339	12	17	التثنية	-فإن يكون قد طعن و يصبح جزاؤه القتل ...	21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا : فهرس العهد الجديد

جامعة تريبس
عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم التسلسل	الأطراف	الإنجيل	فصل	الآيات	الصفحة
01	- فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ...	يوحنا	11	45	124
02	- فلم يكن يسوع أيضا يمشي ... بين اليهود علانية ...	يوحنا	11	54	124
03	- فجمع رؤساء الكهنة و الفرسيين مجعاً ...	يوحنا	11	53/ 47	124
04	- فاذهبوا وتعلموا ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة ...	متى	9	.	124
05	- ويعلم عليكم لوقا الطبيب ...	كولوسي	4	.	126
06	- لوقا وحده معي ...	تيموثاوس الثانية	4	.	126
07	- مرقس و استرخس و ديماس و لوقا العاملون معي ...	فليموس	.	.	126
08	- قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني ...	برنابا	93	154/155	130
09	- الحق أقول لكم إنكم إذا أمتعتم النظر ...	برنابا	44	5	131
10	- و لكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ ...	برنابا	44	6	131
11	- حقا عليك يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله ...	برنابا	44	7	131
12	- فأجاب إبراهيم : ها هو ذا عبد الله ...	برنابا	44	8	131
13	- فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً : خذ ابنك بكرك ...	برنابا	44	9	131
14	- و اصعد إلى الجبل لتقدمه ذبيحة ...	برنابا	44	10	131

رقم التسلسل	الأطراف	الإنجيل	فصل	الآيات	الصف
15	- كان إسماعيل ابن ثلاثة عشر سنة ...	التكوين	25	17	132
16	- الحق أقول إن صوت يهوذا ووجهه و شخصه ...	برنابا	217	80	132
17	- كذلك خرج بعضهم عن تعاليم المسيح يسوع ...	برنابا	217	81	132
18	- ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات ...	برنابا	221	18	32
19	- و الحق أقول لكم : إنني لم أمت بل الذي صلب ...	برنابا	221	19	32
20	- إن الآيات التي يظهرها الله على يدي ... و لا يكون لدينه نهاية	برنابا	96	15/7	33
21	- ... إن ذلك اليوم لا يعلمه إلا الملائكة الذين هم في السماء ...	مرقس	11	.	37
22	- لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ...	غلاطية (رسائل بولس)	4	4	50
23	- شاب من مدينة نايين كان محمولا في جنازة ...	لوقا	7	11	50
24	- فاستوقف النعش ...	لوقا	7	12	50
25	- و قال : أيها الشاب لك أقول : قم ...	لوقا	7	13	50
26	- فجلس و ابتدا يتكلم ...	لوقا	7	14	50
27	- فدفعه إلى أمه ...	لوقا	7	15	50
28	- فأخذ الجميع خوف و مجدوا الله ...	لوقا	7	16	50
29	- تنحوا فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة ... فقامت الصبية	متى	9	24/18	0
30	- ... يا معلم نريد أن نرى ...	متى	12	38	2

الصفحة	الآيات	إصحاحاته	السفر	الأطراف	أرقام التسلسل
152	38	12	متى	- يا معلم نريد أن نرى منك آية ...	31
152	39	12	متى	- ... جيل شرير و فاسق يطلب آية ...	32
157	/15 21	14	متى	- فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب ثم أخذ الأرزفة ... فآكل الجميع فشيحوا ...	33
158	37	9	لوقا	- فانتهر يسوع الروح النجس و شفى الصبي ...	34
158	11	13	لوقا	- فلما رآها يسوع دعاها و قال لها : يا امرأة إنك محلولة ...	35
158	10	13	لوقا	- و حينئذ قال للمفلوج : قم أحمل فراشك و اذهب إلى بيتك ...	36
158	12	13	لوقا	- فقام و مضى إلى بيته ...	37

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
38	- كان إنسان من الفريسيين اسمه نقوديموس ...	يوحنا	3	1	159
39	- جاء إلى يسوع ليلا و قال له : يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلما ...	يوحنا	3	2	159
40	- أيها الرجال الإسرائيليون : اسمعو هذه الأقوال ...	أعمال الرسل	2	22	159
41	- و سأل الحواريون معلمهم لماذا ولد هذا أعمى ؟ ... و لكن لتظهر أعمال الله فيه ...	يوحنا	9	4/ 1	160
42	- ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ...	يوحنا	9	5	160
43	- و فيما هو داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال برصى ...	لوقا	17	11	160
44	- فوقفوا من بعيد ...	لوقا	17	12	160
45	- ... يسوع ؟ يا معلم ارحمنا ...	لوقا	17	13	160

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
46	- فنظر و قال لهم : اذهبوا و ارووا أنفسكم للكهنة ...	لوقا	17	14	160
47	- و فيما هم منطلقون طهروا ...	لوقا	17	15	160
48	- فواحد منهم لما رأى أنه شفي رجع يمجّد الله ...	لوقا	17	16	160
49	- فاجاب يسوع و قال : أليس العشرة قد طهروا ...	لوقا	17	17	160
50	- ألم يوجد من يرجع ليعطي مجدا لله غير هذا الغريب الجنسي ...	لوقا	17	18	160
51	- ... ثم قال له : قم و امض و إيمانك قد خلّصك ...	لوقا	17	19	160
52	- أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا ...	يوحنا	5	30	161
53	- فقال له يسوع : لا تؤمنون إن لم تروا آيات و عجائب ...	يوحنا	4	36	161
54	- فخرج الفرّيسيون و ابتدأوا يحاورونه ...	مرقص	8	11	161

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
55	- فتهدّ بروحه و قال لماذا يطلب هذا الجيل آية ... ثم تركهم و دخل السفينة و مضى إلى العبر ...	مرقص	8	/12	161
56	- حينئذ أجاب قوم من الكتبة و الفرّيسين ...	متى	12	38	162
57	- فأجاب و قال لهم : جيل شرّير و فاسد يطلب آية ...	متى	12	39	162
58	- ... لأنّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام و ثلاثة ليال كذلك سيكون ابن الإنسان ...	متى	12	40	163
59	- ... فأنكروا نبوّته و حاربوه ...	يوحنا	12	37	165
60	- ... هذا لا يخرج الشياطين إلاّ يعلزبول رئيس الشياطين ...	متى	12	23	165
61	- ... و هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت إله ...	يوحنا	17	3	172
62	- تقدمت إليه (أي المسيح) ابن زبدي مع ابنيها ...	متى	20		173

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
63	- فقال لها : ماذا تريدين ؟ ...	متى	21	.	173
64	- فأجاب يسوع : الجلوس عن يميني و عن يساري ليس لي أن أعطيه ...	متى	22	.	173
65	- وأما ذلك اليوم و تلك الساعة... مرقص	مرقص	13	32	173
66	- الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني ...	يوحنا	14	24	174
67	- و لا تدعوا لكم آبا على الأرض لأن آباكم واحد ...	متى	23	9	174
68	- و لا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد هو المسيح ...	متى	23	10	174
69	- ما أتيت لأضع مشيتي بل مشيتي من أرسلني...	يوحنا	6	38	175
70	- و كما أن تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني ...	يوحنا	7	16	175
71	- من قبلي فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني ...	مرقص	9	37	175
72	- ... و الذي يؤمن بي لا يؤمن بي بل بالذي أرسلني ...	يوحنا	12	44	176

رقم التسلسل	الأطراف	المسفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
73	- فقال لهم يسوع : لو كنتم أولاد ابراهيم ...	يوحنا	8	39	176
74	- فقالوا له: إننا لم نولد من زنا ...	يوحنا	8	40	176
75	- فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم ... لأنني خرجت من قبل الله ...	يوحنا	8	41 / 42	176
76	- ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ...	يوحنا	6	38	176
77	- أجاب يسوع و قال لهم : هذا هو عمل الله ...	يوحنا	6	39	176
78	- إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم ...	يوحنا	7	17	176
79	- من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ...	يوحنا	7	18	176
-	وأما من يطلب مجد الذي أرسله ...	"	"	"	"
80	- كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان ...	لوقا	11	30	177
81	- ... معمودية يوحنا من أين كانت ؟ ...	متى	21	23	177

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
82	- ينبغي أن أسير اليوم و غدا و ما يليه ... يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين ...	لوقا	13	31 /	177
83	- و قال لتلميذه : ستأتي أيام تستهون فيها أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان ...	متى	9	15	179
84	- ... و سيقولون إنه هنا أو هناك فلا تذهبوا ...	متى	24	23	179
85	- ... و سيقولون إنه هنا أو هناك فلا تذهبوا و لا تتبعوهم ...	مرقص	13	21	179
86	- ... لأنه كما أن البرق الذي يبرق في ناحية ...	متى	24	24	179
87	- ... و لكنّه ينبغي أولاً أن يعاني الأما كثيرة وأن يرفضه هذا الجيل	مرقص	8	31	179
88	- و كما كان في أيام نوح هكذا سيكون أيضا في أيام ابن الإنسان ...	متى	24	37	179

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
89	- هكذا يكون في اليوم الذي فيه سيظهر ابن الإنسان ...	تسالونيكى	1	7	179
90	- اقول لكم : انه في تلك الليلة سيكون اثنان في فراش واحد ...	متى	24	40	180
91	- ... متى ياتي ملكوت الله ...	لوقا	14	1	180
92	لأن ملكوت الله إنما هو في داخلكم ...	يوحنا	1	26	180
93	- لأن ملكوت الله إنما هو في داخلكم ...	رومية	14	17	180
94	- لا تخف أيها القطيع الصغير ...	متى	11	25	181
95	- فانه قد حسن لدى ابيكم أن يعطيكم الملكوت ...	متى	11	26	181
96	- بيعوا ما تملكون و تصدقوا ...	متى	19	21	181
97	- و إذا جاء في الهزيع الثاني أو جاء في الهزيع الثالث ...	متى	24	.	181
98	- ... ها نحن اولاء صاعدون إلى اورشليم ...	متى	16	21	182
99	- ... و سيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان ...	المزمور	22	.	182

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
100	- ... و سيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان ...	إشعيا	53	.	182
101	- و في يوم الأحد أول أيام الأسبوع ...	متى	28	1	183
102	- ... و معهن نسوة أخريات فوجدن الحجر قد دحرج عن القبر...	متى	28	2	183
103	... فتذكرن كلامه وعدن من القبر ...	لوقا	9	22	183
104	- ثم اجاب أحدهما وكان اسمه كليوباس ...	يوحنا	19	25	183
105	- أما المعزى الروح القدس الذي يرسله الأب ...	يوحنا	14	26	187
106	- إن لي أموراً كثيرة أيضاً ...	يوحنا	16	12	187
107	- البار قليط الذي يرسله أبي في آخر الزمان ...	يوحنا	15	.	188
108	- مرحبا بك يا عبدي آدم و ابني أقول لك إنك أول إنسان خلقت ...	برنابا	97	.	189
109	- لما ولد المسيح ظهر نجمه ...	متى	2	.	267

رقم التسلسل	الأطراف	السفر	إصحاحاته	الآيات	الصفحة
110	- أعطيك مفاتيح ملكوت السموات و الأرض ...	متى	19	16	305
111	- لا تقدرون ان تخدموا الله و المال ...	متى	25	.	305
112	- و لكن اطلبوا اولاً ملكوت الله و بره ...	متى	6	33	305
113	- ان لي امورا كثيرة ...	يوحنا	16	12	316م

عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الإمام محمد
سأوساً بفهرسك المنزلهب و
الفروق والأوباه

مركز الدراسات للعلوم الإسلامية

ملحوظة: لقد اقتصرنا على أهم الأديان التي تكرر ذكرها في هذا البحث .

الإسلام 56 ، 57 ، 186 ، 202 ، 209 ، 210 ، 211 ، 212 ، 234 ، 235 ، 236 ،
237 ، 238 ، 239 ، 243 ، 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 250 ، 251 ، 252 ،
253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 277 ، 279 ، 320 .

الإمامية 233 ، 234 .

الباطنية⁽¹⁾ 12 ، 13 ، 340 .

البوذية 11 ، 12 .

الفريسيون 161 ، 162 .

المسيحية 17 ، 19 ، 20 ، 47 ، 48 ، 76 ، 89 ، 120 ، 21 ، 122 ، 123 ، 124 ،
125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 132 ، 133 ، 135 ، 137 ،
138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 150 ، 151 ، 155 ، 156 ،
157 ، 160 ، 216 ، 305 .

النصرانية : 137 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 ، 154 ،
156 ، 158 ، 160 ، 290 .

الهندية 11 ، 12 .

اليهودية 51 ، 52 ، 55 ، 76 ، 77 ، 111 ، 133 ، 140 ، 146 ، 147 ، 148 ، 151 ، 207 ، 212 ، 269 ،
315 .

(1) مجموعة فرق كلامية قوام معتقدها أن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا .

ابعا : فهرس المصادر و

المراجع

ملحوظات عامة :

- (1) - لقد اعتمدت في وضع المصادر و المراجع على الترتيب الألفبائي وحسب حروف المعجم .
- (2) - لقد أسقطت بعض الزوائد مثل " أبو " و " ذو " و " ابن " و " كذا " أل " التعريف .
- (3) - عندما يكون للمؤلف أكثر من كتاب ، فيذكر تباعا .

الهمزة (أ) .

- (1) - إبراهيم (خليل أحمد) ، محمد (صلى الله عليه و سلم) في التوراة و الإنجيل (مكتبة الوعي العربي ، بدون تاريخ) .
- (2) - أحمد بن حنبل ، المسند (دار الفكر بدون تاريخ) .
- (3) - أحمد ديدات ، ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد (صلى الله عليه و سلم) (عين مليلة ، الجزائر : دار الهدى ، 1991 م) .
- (4) - أحمد ديدات ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة و الافتراء ، تعريب علي الجوهري (مصر : دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير ، 1989 م) .
- (5) - أحمد الشرقاوي إقبال ، معجم المعاجم (دار الغرب الإسلامي ، 1407هـ / 1987 م) .

(6) - أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، الإسلام ، (ط 8 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1985م).

(7) - أحمد شلبي ، معجزات الإسلام (المكتبة الإسلامية لكل الأعمار بدون تاريخ) .

(8) - أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية (مصر : دار الفكر ، بدون تاريخ) .

(9) - أحمد العابد وآخرون ، المعجم العربي الأساسي (المنظمة العربية للتربية و الثقافة و الفنون ، توزيع CAROUSSE ، 1989 م) .

(10) - أحمد بن المنير الإسكندري ، الانتصاف بهامش الكشاف (القاهرة : مطبعة الاستقامة ، 1373 هـ / 1953 م) .

(11) - ابن اسحاق ، (محمد المطلبي) ، السير و المغازي : تحقيق سهيل زكار (ط 1 ، دار الفكر للطباعة و النشر 1398 هـ / 1978 م) .

(12) - الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، (بدون معلومات نشر) .

(13) - الألويسي ، روح المعاني : تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني (مصر : إدارة الطباعة المنيرية لمحمد منير الدمشقي ، بدون تاريخ) .

(14) - إميل لود فيج ، ابن الإنسان : تعريب عادل زعيتر (بدون معلومات نشر) .

(15) - الأنصاري (أبو يحيى زكريا) ، فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن الكريم ، (بدون معلومات نشر) .

(16) - آيته دينية ، محمد رسول الله : تعريف عبد الحلیم محمود و محمد عبد الحلیم (مصر : دار المعارف ، 1966 م) .

الباء (ب) .

(17) - البخاري ، الصحيح : شرح الكرمانی (بيروت ، لبنان : دار إحياء التراث العربي ، 1985 م) .

(18) - البرسوی ، (إسماعيل حفني) ، تفسير روح البيان ، (بيروت ، لبنان : دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ) .

(19) - برنابا ، إنجيل برنابا ، تحقيق سيف الله أحمد فاضل (ط2 ، الكويت : دار القلم ، 1983 م) .

(20) - البرهان فوري ، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال : ضبطه و فسر غريبه الشيخ بكري حياني وصححه و وضع فهارسه و مفتاحه الشيخ صفوت السقا (بيروت ، لبنان : مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ / 1993 م) .

(21) - ابن بري ، حواشي ابن بري على الصحاح (دار العلم للملايين ، بدون تاريخ) .

(22) - البغدادي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) معجم البلدان : تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (ط1 ، بيروت ، لبنان : دار الكتب العلمية ، 1990 م) .

(23) - البقوي (أبو محمد الحسين) ، معالم التنزيل على هامش تفسير الخازن (مصر : مطبعة التقدم العلمية ، بدون تاريخ) .

(24) - بولس إلياس ، يسوع المسيح (بدون تاريخ و معلومات نشر) .

(25) - البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، (بدون معلومات نشر) .

التاءات

(26) - التهانوي (محمد علي الفاروقي) ، كشاف اصطلاحات الفنون : حققه لطفي عبد البديع و عرب النصوص الفارسية عبد النعيم محمد حسنين (القاهرة : منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972 م) .

الجيم (ج)

(27) - الجاحظ (أبو عثمان عمر و بن بحر) ، قيس الأنوار في الرد على النصارى و الكفار ، (مخطوط بدار الكتب المصرية ، بدون معلومات نشر) .

(28) - جبران خليل جبران ، عيسى (عليه السلام) : تعريب ثروة عكاشة ، بدون تاريخ) .

(29) - الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف) ، التعريفات : تحقيق عبد المنعم الحفني (دار الرشاد للطبع و النشر و التوزيع ، بدون تاريخ) .

(30) - جرجس داود داود ، أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري و الإجتماعي (ط2 : بيروت ، لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1408هـ / 1988 م) .

(31) - جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت ، لبنان : مكتبة الحياة ، بدون تاريخ) .

(32) - جمال حمدان ، اليهودية أنثروبولوجيا (دار الكتاب العربي ، المكتبة الثقافية ، بدون تاريخ) .

(33) - جمال عبد الهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي (ط1 ، دار الصديقية للنشر و التوزيع ، 1410هـ / 1989 م) .

(34) - جورج بوست ، قاموس الكتاب المقدس (لبنان ، بيروت : المطبعة المريكية ، 1894 م) .

(35) - جوستاف لويون ، حضارة العرب : تعريب عادل زعبيتر (بدون معلومات نشر) .

(36) - الجوهري (إسماعيل بن حماد) ، الصحاح : تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت ، لبنان : دار العلم للملايين ، بدون تاريخ) .

حرف الحاء (ح)

(37) - الحاكم ، المستدرک (بيروت ، لبنان : دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ) .

(38) - حبنكة عبد الرحمان حسن ، العقيدة الإسلامية و أسسها (ط7 : بيروت ، لبنان ، دار القلم ، 1415 هـ / 1994 م) .

(39) - ابن حزم ، الفصل في الملل و الأهواء و النحل : تحقيق محمد إبراهيم و عبد الرحمان عميرة (ط1 ، جدة : شركة مكتبات عكاظ ، 1402 هـ / 1972 م) .

(40) ¹ حسن ظاظا ، أبحاث في الفكر اليهودي (ط1 : دمشق ، لبنان : دار العلم - 1407 هـ - 1987/ م) .

(41) - أبو الحسن الندوي ، النبوة و الأنبياء في ضوء القرآن (بدون معلومات نشر) .

(42) - أبو الحسن الندوي ، خاتم النبيين (صيدا ، بيروت : المكتبة العصرية ، بدون تاريخ) .

حرف الخاء (خ)

- (43) - ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ، لبنان : دار القلم ، بدون تاريخ .
(44) - ابن خلدون ، مقدمة كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر (القاهرة ، بدون معلومات نشر) .

حرف الدال (د)

- (45) - دراز (محمد عبد الله) النبا العظيم (مصر : مطبعة السعادة ، 1960 م) .
(46) - دروزة (محمد عزة) القرآن المجيد (صيدا ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، بدون تاريخ) .

حرف الذال (ذ)

- (47) - الذهبي (الحافظ) ، التلخيص ، (بدون معلومات نشر) .

حرف الراء (ر)

- (48) - الرازي (محمد فخر الدين) ، مفاتيح الغيب ، (ط2 ، المطبعة العامرية الشرقية ، 1324هـ) .
(49) - الرازي (محمد فخر الدين) عصمة الأنبياء (ط2 ، مصر ، بدون ناشر ، 1391 هـ / 1977 م) .
(50) - ربحي كمال ، دروس اللغة العبرية (بيروت ، لبنان : دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، 1978 م) .
(51) - رحمة الله الهندي ، إظهار الحق (ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1406هـ / 1986 م) .

حرف الزاي (ز)

(52) - الزمخشري (محمود بن عمر) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجود التأويل ، رتبه و ضبطه و صححه مصطفى حسين أحمد (القاهرة ، مصر : مطبعة الاستقامة 1373هـ / 1953م) .

حرف السين (س)

(53) - سلطان (محمد هشام) ، العقيدة و الفكر الإسلامي (ط2، الجزائر : مكتبة رحاب ، 1408هـ / 1988م) .

(54) - سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية : محاضرات في السيرة النبوية و رسالة الإسلام ، تعريب محمد ناظم الندوي (جدة : الدار السعودية للنشر ، 1404هـ / 1984م) .

(55) - سيويه ، الكتاب ، (بدون معلومات نشر) .

(56) - سيد قطب ، في ظلال القرآن (ط11 ، دار الشروق ، 1405 هـ / 1985 م) .

(57) - ابن سيده (علي بن أحمد) ، المخصص (بيروت ، لبنان : دار الفكر ، 391هـ / 1978م) .

(58) - السيوطي (جلال الدين) ، بغية الوعاه في طبقات اللّغويين و النحاه (ط1 ، القاهرة : دار السعادة 1326 هـ) .

(59) - السيوطي ، إسعاف المبتطأ برجال الموطأ (بيروت ، لبنان : دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ) .

(60) - السيوطي جلال الدين ، و المحلي (جلال الدين محمد بن أحمد) ، تفسير الجلالين : قدم له وراجعاه مروان سوار (الجزائر : شركة الشهاب ، بدون تاريخ) .

حرف الشين (ش)

(61) - شلتوت (محمود) ، الإسلام عقيدة و شريعة (مصر : دار الشروق ، بدون تاريخ) .

(62) - ابن أبي شيبة ، المصنف (دار الفكر ، بدون تاريخ)

حرف الصاد (ص)

(63) - صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن (ط14 ، بيروت ، لبنان : دار العلم للملايين ، 1982 م) .

حرف الطاء (ط)

(64) - الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) ، مجمع البيان في تفسير القرآن (بيروت ، لبنان : منشورات دار مكتبة الحياة ، 1380 هـ / 1961 م) .

(65) - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، جامع البيان في تفسير القرآن (بيروت ، لبنان : دار المعرفة ، بدون تاريخ) .

حرف العين (ع)

(66) - عبده (محمد) ، الإسلام و النصرانية بين العلم و المدينة ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988 م) .

(67) - عبده (محمد) ، رسالة التوحيد ، (ط5 ، مصر : مطبعة المنار ، 1346 هـ) .

(68) - عطية الله (أحمد) ، القاموس الإسلامي (ط1 ، مصر : مكتبة النهضة المصرية ، 1368 هـ / 1966 م) .

(69) - العقاد (عباس محمود) ، إبراهيم أبو الأنبياء ، (القاهرة : دار الهلال ، 1976 م) .

(70) - العلوي (عبد الله) ، تفسير القرآن (ط: طهران ، 1352 هـ) .

(71) - عليان ، الإنصاف علي شواهد الكشاف (القاهرة : مطبعة الاستقامة ، 1373 هـ / 1953 م) .

(72) - علي (ابن زين الطبري) ، الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه و سلم) :
حقه و قدم له عادل نويهض (ط3 ، بيروت ، لبنان : دار الأفاق الجديدة ، 1979 م) .

(73) - علي مهناو آخرون ، لسان اللسان : تهذيب لسان العرب (ط1 ، بيروت ، لبنان : دار الكتب
العلمية ، 1413 هـ / 1993 م) .

حرف الفاء (ف)

(74) - فواد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و
التوزيع ، بدون تاريخ) .

(75) - الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، (دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ) .

(76) - فيليب حتى و آخرون ، تاريخ العرب المطول (بدون معلومات نشر) .

حرف القاف (ق)

(77) - القاضي عبد الجبار ، المغنى في أصول الدين : تحقيق محمد محمد خضير ، (بدون تاريخ) .

(78) - القاضي عياض ، الشفا ، (مؤسسة الغارابي ، بدون تاريخ) .

(79) - القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن (القاهرة : : دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، 1387 هـ / 1967 م) .

حرف الكاف

(80) - ابن كثير (أبو القداء اسماعيل) ، تفسير القرآن العظيم (دار الأندلس ، بدون تاريخ) .

(81) - ابن كثير ، البداية و النهاية (بيروت ، لبنان : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1402 هـ / 1982 م) .

حرف الميم (م)

(82) - مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية : تعريب عبد الصبور شاهين (ط4 ، سوريا : دار الفكر 1407 هـ / 1987 م) .

(83) - المحبى ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (بدون معلومات نشر) .

(84) - محسن عبد الحميد ، حقيقة البابية و البهائية (ط5 ، القاهرة : دار الصحوة للنشر ، 1405 هـ / 1985 م) .

(85) - محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن (عين عبيد ، قسنطينة : دار المنصوري للنشر ، بدون تاريخ) .

(86) - محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، (ط2 ، المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ) .

(87) - محمد رضا ، محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (عيسى الحلبي و شركاه ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ) .

- (88) - محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية : تقديم عمار طالبي ، تصدير الشيخ محمد الغزالي (الجزائر : شركة الشهاب ، 1989 م) .
- (89) - محمد علي الصابوني ، النبوة و الأنبياء (عين مليلة ، الجزائر : دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، بدون تاريخ) .
- (90) - محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن (ط3 ، الجزائر : مكتبة رحاب ، 1986 م) .
- (91) - محمد الغزالي ، عقيدة المسلم (باتنة : دار الشهاب ، 105هـ / 1985 م) .
- (92) - محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين (بيروت : دار الفكر ، بدون تاريخ) .
- (93) - محمد قطب ، منهج علم التوحيد (الجزائر : مكتبة رحاب ، 1410 هـ / 1990 م) .
- (94) - محمد كمال جعفر ، الإنسان و الأديان (ط1 ، قطر الدوحة : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1406 هـ / 1985 م) .
- (95) - محمد مجدي مرجان ، المسيح إنسان أم إله : هديه و حقه و علق عليه عبد الرحمان دمشقية ، بدون تاريخ) .
- (96) - محمود بن الشريف ، الأديان في القرآن ، (ط5 ، شركة مكتبات عكاظ للنشر و التوزيع ، 1984 م) .
- (97) - محمود علي قزاعة ، الثقافة الروحية في إنجيل برنابا (ط2 ، سلسلة الروح الجماعية ، 1983 م) .

(98) - محمود ماضي ، عصمة الانبياء بين اليهودية و المسيحية و الإسلام (الإسكندرية ، القاهرة : مكتبة الإيمان للطبع و النشر و التوزيع ، 1990 م) .

(99) - المراغي (أحمد مصطفى) التفسير ، (ط2 ، مصر) شركات مكاتبات مصطفى البايي الحلبي او أولاده ، 1953 م) .

(100) - المسعودي ، (أبو الحسن علي) ، مروج الذهب و معادن الجواهر (القاهرة : بدون معلومات نشر ، 1345 هـ) .

(101) - ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله الكبير و آخرون (دار المعارف ، بدون تاريخ) .

حرف النون (ن)

(102) - نظمي لوقا ، محمد : الرسالة و الرسول (بدون معلومات نشر) .

(103) - النووي ، فتح المبين : شرح الأربعين (بدون معلومات نشر) .

حرف الواو (و)

(104) - الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري) أسباب النزول (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بدون تاريخ) .

(105) - وافي (علي عبد الواحد) ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام (ط1 ، مصر : مكتبة النهضة ، 1384 هـ / 1964 م) .

(106) - ول ديورانت ، قصة الحضارة : تعريب محمد بدران (بدون معلومات نشر) .

المراجع الأجنبية :

- (1) - Bernard gan delot , Dictionnaire de la langue Francaire (paris : Ed de la connaissance , 1995) .
- (2) - Henri MATTEW , MATTEW , Henris Commentary (New york . u.s.a, 1612) .
- (3) - H. JUNKEJ , Prophet and seher in israel (paris , 1930) .
- (4) - Tahar Gaïd , dictionnaire Elémentaire de l'islam (2 Ed Alger : office des publicaturis universitaires, 1986) .
- (5) - Theodore H. Robinson , Prophecy and the Prophets in Ancient israel . (Eddinburgh , 1950) .
- (6) - Theodore H. Robinson , Ahistory of Israel (Ed: Eddinburgh ; 1950) .
- (7) - the oxford Herbrew lexicon Dictionary of the bible (hastings, 1906) .